المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
قسم العقيدة



الثنويـة

جذورها وتطورها وأثرها على الأديان
والفرق الإسلامية وغير الإسلامية
عرض ونقد

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

عزيزة بنت حسن بن صالح كوشك
الرقم الجامعي : ٤٣١٨٠٠٣٢

إشراف فضيلة الشيخ
أ.د. عبد الله سمك

١٤٣٤هـ/١٤٣٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

(سورة الأنبياء: آية ٢٢)

ملخص الدراسة

– عنوان الدراسة:

الثنوية بدايتها وتطورها وأثرها على الأديان والفرق الإسلامية وغير الإسلامية... عرض ونقد.

– اسم الباحثة:

عزيزة بنت حسن بن صالح كوشك.

– الدرجة:

درجة الماجستير.

– فكرة موضوع الرسالة:

تدور فكرة الموضوع حول المعتقد الثنوي أي الاعتقاد بوجود إلهين في الكون.

– أهداف الدّراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الفكرة الثنوية وجذورها وبدايتها، ومن ثم رصدت التطورات والتغيرات التي طرأت عليها متدرجة من الزمن القديم حتى العصر الحديث، مع تفنيد بعض شبهات الثنويين التي قام على أساسها دينهم، وأخيراً عرض صور العقيدة الثنوية في الأديان الوضعية والسماوية المحرفة بكل أشكالها وصورها والتي تختلف عن الصورة النمطية للثنوية الفارسية.

– فصول الدراسة:

حوت الدراسة أربعة فصول رئيسية، وهي على النحو التالي: الفصل الأول هو للتعريفات اللغوية والاصطلاحية، الفصل الثاني كان افتراض لبدايات الثنوية وجذورها من وجهتي النظر الإسلامية والفلسفية تلى ذلك تتبع صور تطورها ا وتدرجها مع مناقشة بعض شبهاتهم، ومن ثم رصد لآثار المعتقد الثنوي كفكرة أو ممارسة في الأديان الوضعية والأديان السماوية المحرفة وكذلك في فكر بعض الفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام.

– أهم نتائج الدّراسة:

١- لم تكن الأديان الثنوية الفارسية هي بداية فكرة الثنوية الإلهي في الكون.

٢- نفي انتساب الزرادشتية للأديان السماوية وإثبات ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

٣- وجود ملامح ثنوية في الأديان الوضعية والسماوية المحرفة والفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام.

Abstract

Title of the Study:

Dualism its Beginning and its development and its impact on religions and Islamic sects and non-Islamic view and critique.

- Researcher Name: **Aziza Hassan Saleh Koshek.**

- Study Objectives:

This study aimed to identify the idea of dualism and its roots and its beginning, and then spotted the developments and changes in the gradient of the old time until the modern era, with refute some suspicions Dualisms conducted on the basis of their religion, and finally display images belief dualism in religions positivism and heavenly distorted in all its forms and images that are different from the stereotypical image of the Persian dualism.

Study Chapters:

Whale study four main chapters, which are as follows: the first chapter is the definitions of language and idiomatic, the second quarter was the assumption of the beginnings of dualism and the roots of the viewpoints of the Islamic philosophical and the subsequent follow Images evolution of and include them with a discussion of some specious arguments, and then monitoring the effects of belief Dualism idea or the practice of religions in the situation and the heavenly religions, as well as distorted in the mind of some of the teams affiliated and beyond Islam.

- The most Important Results of the Study:

1- were not Persian dualistic religions is the beginning of the idea of dualism of the divine in the universe.

2- Denied enrollment Zoroastrianism heavenly religions and prove it with evidence for transport and mental health.

3- Having the features of dualism in the heavenly religions positivism and distorted and teams affiliated and beyond Islam.

الإهـــــداء

إلى... والدي الذي شهد بداية هذا العمل ولم يشهد نهايته- يرحمه الله-.

إلى... والدتي ريح الجنة وريحانها- حفظها الله-.

إلى...من قصرت معهم وهضمت حقوقهم وأهملت واجباتهم........ زوجي وأبنائي.

أهديكم ثمرة جهودنا المشتركة.

عزيزة كوشك

شكر وتقدير

اعترافاً بالفضل لأهله وحتى لا أكون من الذين قال فيهم ربنا تبارك وتعالى:
﴿...وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

أتقدم بالشكر والعرفان إلى **فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ عبد الله سمك** المشرف على هذه الرسالة... شكراً ما بعده شكر... فقد صبر عليّ صبر الحالمين... ومنحني من فكره ووقته الكثير... وجاد عليّ بنصائحه وتوجيهاته السديدة النافعة لتصحيح مسار هذه الرسالة من بدايتها إلى نهايتها.... فالله أسأل أن يكون عمله في ميزان حسناته، ويجزيه عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا مشكورين بقبول مناقشة هذه الرسالة ليثرياها بتوجيهاتهما السديدة ونصائحهما المفيدة فجزاهما الله عني خيراً ونفع بهما الإسلام والمسلمين.

وإني أدين بالفضل في غرس بذرة هذا العمل بعد الله إلى جهود دكتورة فاضلة كانت سبباً لي من الله لأتقدم لدراسة الماجستير، وكانت بتوفيق من الله أيضاً مرشدتي خلال اختياري للموضوع وتقديمه للمجلس الموقر **الدكتورة/ سامية جمال سمباوة**.

ولن أنسى ما حييت جامعتي العريقة أم القرى بكافة منسوبيها وعلى رأسهم مدير الجامعة سعادة **الدكتور/ بكري بن معتوق عساس**، والجمع الغفير من السادة أعضاء هيئة التدريس والأساتذة المحترمين والموظفين القديرين والعاملين كلاً في مجاله، وذلك بما أسهموا به من جهد في مساندتي حتى وصلت إلى هذه النتيجة، وشكري مرفوعاً للسادة أعضاء هيئة التدريس الأفاضل الذين بذلوا جهداً كبير خلال محاضرات السنة المنهجية.

وأخيراً دعواتي ومن يسمعني لوالدي وأخي عماد بالرحمة والمغفرة، ولوالدتي بالعافية وطول العمر، فقد كان رضاهما عني وشدهما لأزري هو ما أمدني بالعزيمة والإصرار كلما تكالبت عليّ الصعاب.

كما أقدم شكري وامتناني إلى أخوتي الذين وهبهم الله لي لدعمي ومساندتي خاصة وأنا أصغرهم، حفظهم الله لي من كل سوء.

ولن أنسى فضل زوجي وأبنائي عليّ، ودعمهم الدائم والمستمر، وتنازلهم عن حقوقهم وواجباتهم من أجل أن أنتهي من دراستي، فلا حرمني الله منهم شموعاً مضيئة في حياتي على الدوام.

وإني لأتضرع إلى الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يمن عليّ بالقبول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

الباحثة

عزيزة بنت حسن صالح كوشك

المقدمة

المقدمـــة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، الحمد لله حمداً يليق بوحدانيته ويقارب عظمته، وأشهـد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير، شهادة من لا يتخذ معه معبود، ولا يعتقد في غيره خالقاً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صفيه وحبيبه بعثه للخلق كافة، وأرسله للعالمين بشيراً ونذيراً، أكرِم به مبعوثاً مُرسَلاً أدى الأمانة ونصح الأمة، فأُجزل له العطاء وجاوز الأنبياء ، فكان له المقام المحمود والحوض المورود... صلَ الله عليه وعلى آله وصحبه الأطهار الكرام الأبرار.

أما بعد ...

إن من أفضل العلوم نفعاً وأعلاها مرتبة ومنزلة هي العلوم التي تبين موجبات العبد تجاه ربه وخالقه من اعتقاد وعبادة ، فمن أجل ذلك خلق الله الخلق وبعث الرسل وأنزل معهم الكتب، وهو حق لله تعالى على عباده أجمعين ، ومن أجل الحفاظ على سلامة المعتقد خلق الله سبحانه وتعالى عباده على التوحيد مفطورين، فاجتالتهم الشياطين فحادت بهم عن الطريق المستقيم.

تلك هي سنة الابتلاء التي اختص الله بها ـ سبحانه وتعالى بني آدم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإنسان: الآيات ٢ – ٣).

فرض عليه الابتلاء، ومنحه القدرة على الاختيار، فلم يكن كالملائكة الطائعين، ولا هو كالشياطين العاصيين المتمردين، لكنه مخيّر من رب العالمين، ولما كان الضد بضده يستبين، ولكي يعرف الإنسان طريق الخير كان لا بد من وجود طريق للشر، وليتحقق الابتلاء لابد من وجود دواعيه ومغرياته ، فكان الشيطان وعصيانه لأمر ربه وخالقه حين أمره بالسجود لآدم هي بداية دواعي الشر ومغرياته ، لُعن وطُرد، فهدد وتوعد، طلب مهلة من رب العالمين فأُعطي المهلة ، فأصبح هناك النجدين، طريق الحق الذي يدعو

إليه الأنبياء، وطريق الشر الذي يوسوس له الشيطان، وعلى الإنسان أن يختار.

حين نزل إلى الأرض لينشر ضلالته وبهتانه، ويدعو إلى عبادته وأوهامه، لم يستثني دين ولا ملة ، ولم يفرق بين هوى ولا نحلة ، فكان من بين وسوسته وضلالاته الدعوة للفكرة الثنوية وأن هناك إلهين للكون، أحدهما للخير والثاني للشر ، كلاهما يُعبد ويُقدس الأول شكراً وامتناناً ، والثاني خوفاً واتقاءاً، أراد الشيطان الرجيم غواية الناس أجمعين كما توعد أمام رب العالمين حين أقسم قسمه اللعين، فطاف أرجاء الأرض يتحين الفرصة ليروج للفكرة الثنوية التي تعارض القدرة الإلهية الواحدية المنفردة، فكانت البداية أن إله الخير لا يمكن أن يصدر عنه الشر.

لم تكن مهمته سهلة، فقد ثبت بالأحاديث النبوية الصحيحة أن آدم وذريته كانوا على الحق والتوحيد عشرة قرون إلى زمن النبي نوح عليه السلام، وإبليس اللعين ينتظر ويتحين الفرصة المناسبة لتأسيس فكرة القدرتين الغيبيتين الضدين. عرف الإنسان أن له رباً واحداً يُعبد، فوسوس له الشيطان أن هناك رباً آخر يُرهب.

حين حصر علماء الأديان الفكرة الثنوية في الصورة النمطية للأديان الفارسية القديمة فقط، على هذه الأساس حكموا باختفائها من على خارطة الأديان، لكن الصحيح أن المعتقد الثنوي لم ولن يختفي من الوجود، لأن قائده موجود، لم تكن الفكرة الثنوية هي فقط "إله الخير في مقابل إله الشر" بل كانت لها صوراً عديدة وأنماط متباينة من قبل الأديان الفارسية ومن بعدها أيضاً.

وجه إبليس اللعين في فترات غياب الرسل عقول البشر إلى مظاهر الطبيعة من حولهم وخاصة المرعبة منها فهي التي تشحذ الأذهان على وضع علامات الاستفهام؟ من المسؤول عنها؟... من يحركها؟... ومن يسّكنها؟... ومن مثل ذلك، فكان ذلك مدخله الذي قصده لبث فكرة ثنوية القوى المؤثرة في الكون.

إن الأفكار لا تموت، تتطور نعم، تتغير هذا أكيد لكنها لا تختفي، تقوى وتشتد أحياناً، تنزوي وتنحسر أحياناً أخرى، هذا هو قانون الطبيعة وناموس الكون، ويسرى هذا القانون على العقيدة الثنوية أيضاً، فقد وجدت من قبل ظهور الحضارة الفارسية،

ومن ثم انتشرت وقويت في زمن الدولة الفارسية القديمة، ثم خمدت وانحسرت بأفول نجم الفارسيين حتى اعتبرها العلماء زالت بزوال أديانهم.

وعندما وجدت الثنوية ظروفاً ميسرة عاودت نشاطها، ثم تطورت وانتقلت إلى الأديان الوضعية خارج الدولة الإيرانية بصور مختلفة وتفاصيل مغايرة، ومن ثم انتقلت إلى الأديان السماوية المحرفة أيضاً بصور عدة بالكاد التعرف عليها، لكنها هي الفكرة الثنوية بملامحها التي تدور حول وجود إلهين في الكون لهما شأن وتأثير.

وخير دليل على تأكيد استمرارية فكرة الثنوية في الوجود هو ظهور "جماعة عبدة الشيطان" في أصقاع مختلفة من الأرض ، والتي احتسبتها الصورة الحديثة والتطور الأخير حتى الآن.

ولا ندري ألها تطور آخر أم لا؟

من أجل كل ذلك استخرت الله، واستشرت ذوي الاختصاص واخترت موضوعي:

الثنوية

جذورها وتطورها وأثرها على الأديان والفرق الإسلامية وغير الإسلامية

(عرض ونقد)

لما وجدت من خطورة الفكرة الثنوية ومدى انتشارها الذي وصل إلى عصرنا هذا، قررت البحث فيها وتتبعها من جذورها ومنشأها إلى تطورها وتدرجها، مروراً بأسسها وشبهاتها، وصولاً إلى ملامحها وصورها في الأديان والفرق، لينتبه النائم ويستفيق الغافل. فالثنوية ليست دعوة دينية فيحذرها ولا فرقة تعبدية فيتجنبها!!.. لكنها غواية إبليسية لابد أن يتقيها، فهي تخالط الأديان وتمازج المعتقدات حتى لا يعود الإنسان يستبين الحق من الباطل.

حدود الدراسة:

حرصاً مني على وحدة الموضوع وتماسكه، وضعت لـــه حـــدود وضـــوابط حتى لا تختلط المعلومة وتتفكك المنظومة، فكانت حدود الدراسة هي تتبع فكرة "الثنوية الإلهية" في أي مكان وزمان، وقد استوجب هذا مني التطرق لفروع أخرى من العلم غير دينية. فتتبع الملامح الثنوية في الأديان يُحتم اتباع تسلسل معين للمعلومة، فكان في البدء التعريفات اللغوية والاصطلاحية الشاملة ، ومن ثم المنشأ والجذور، يلي ذلك فصل يبحث الملامح الدينية العامة للبلاد التي وقع الاختيار عليها ، حتى أصل إلى الملامح الثنوية المخالطة لها.

أهمية الدراسة:

مع ما سبق ذكره عن أهمية موضوع الثنوية وخطورتها، كان أهم سببين دفعاني لدراستها هما:

- انعدام الدراسات البحثية العلمية في موضوع الثنوية بشكل خاص.
- الاعتقاد السائد بين علماء الأديان بأن المعتقد الثنوي لم يعد له وجود.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لعدة أسباب منها :

١- أن أضع بين يدي طالب العلم مجلداً واحداً يجد بين دفتيه كل ما يخص المعتقد الثنوي قديماً وحديثاً، فيكون معينه الذي يستقي منه عند البحث.

٢- أن أثري المكتبة الإسلامية بشكل عام، والعقدية بشكل خاص بمجلد متكامل عن المعتقد الثنوي، هي في الحقيقة تفتقر إليه.

٣- تنبيه المجتمعات الإسلامية من خطر تسلل الفكرة الثنوية إلى عقيدتها الصحيحة.

٤- نشر الوعي بين المسلمين عن الفكرة الثنوية واحتمالية تأثرهم بها في تنزيه الله سبحانه وتعالى أن يصدر عنه الشر، فيعتقد بالثنوية الإلهية عن جهل ودون دراية.

٥- أخيراً أردت تقديم توضيح كافي يؤكد على الفصل بين الفكرة الثنوية وبين العقيدة الثنوية ، فالأولى: هي مكمن الخطر، فلا هي بالدين الذي نُحذر منه ولا هي بالبدعة التي نتجنبها، أما الثانية فهي الخاصة بالأديان الفارسية القديمة التي طوي معظمها بين صفحات التاريخ.

منهجية الدراسة:

وضعت منهجاً للبحث وحرصت على الالتزام به ولله الحمد والمنة، يعتمد ذلك المنهج على التطرق لكافة جوانب الثنوية ومحاولة عرض كافة مراحل تطورها حتى آخر صورها. فكانت البداية من التعريف بالفكرة الثنوية لغة واصطلاحاً بأكثر من رأي وفي أكثر من اتجاه، كما وإني تتبعت ذكر لفظ الثنوية في الكتاب والسنة وعلى أي صورة جاء، ومن ثم أتممت الفصل الأول بذكر بعض مرادفاتها.

ثنيت ذلك بتتبع جذورها وبداياتها من وجهتي النظر الإسلامية من عدة وجوه، والغربية الفلسفية من عدة وجوه أيضاً، والسير معها في تطورها وانتقالاتها حتى أضحت المعتقد الثنوي وليست مجرد فكرة. كما ناقشت الشبهات التي استند عليها أصحاب المعتقد الثنوي في تقسيم الألوهية إلى قوى ضدية، كان ثالث ما سبق أن أوضحت أثر الفكرة الثنوية وملامحها في الأديان الوضعية ومن ثم الأديان السماوية المحرفة موضحة مظاهرها فيها وأخيراً بحثت في فِكر بعض الفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام لأوضح تأثرها بالفكرة الثنوية ، وذلك من خلال إبراز ملامحها في ممارسات عقدية، أو صور تعبدية .

فكان أسلوب المنهج التحليلي منذ البداية، ومن ثم المنهج التحليلي النقدي مع شبهات المثنويين، واستخدمت كذلك الأسلوب الوصفي التاريخي في الفصلين الثالث والرابع حين تتبعت ملامح الثنوية في الأديان بنوعيها والفرق.

خطوات العمل في الدراسة:

١- قمت بجمع المصادر والمراجع في عدة فروع علمية، فبدأت بالمراجع اللغوية، والجغرافية، وكتب التاريخ البشري، والسلالات الإنسانية حتى وصلت إلى كتب التاريخ الديني وكتب العقائد والأديان القديمة بشكل خاص.

٢- رجعت إلى كتب الديانة نفسها الأصلية أولاً، والدراسات التي تناولتها والكتب التي أُلفت عنها ثانياً، متى توفر لي ذلك.

٣- استعنت بالمعلومة الظاهرة، كما قمت بتحليل واستنباط المعلومة المستترة الخفية.

٤- حين الحاجة إلى نقل نص من كتاب أضعه بين قوسين صغيرين وأشير في الحاشية إلى المصدر، والمؤلف، ورقم المجلد- إن كان أجزاء- ورقم الصفحة.

٥- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها في الهامش مع ذكر أرقام الآيات.

٦- كانت استعانتي بالأحاديث قليلاً ومصدرها الصحيحين فلم أحتاج إلى تخريجها.

٧- عند النقل من الكتاب المقدس للأديان السماوية المحرفة "العهدين القديم والجديد" أنقل النص في المتن موضوعاً بين قوسين مربعين، ثم أشير في الهامش إلى اسم السفر، ورقم الإصحاح ، وعند النقل من الأناجيل أذكر اسم صاحب الإنجيل.

٨- نوعت في استخدام الألفاظ الدالة على الثنوية ما بين مثنوية وأصحاب الاثنين والثنويين.

٩- ترجمت بصورة مختصرة أحياناً وموسعة أحياناً أخرى متى توفر لي ذلك للأعلام المسلمين والغربيين مع ذكر مصدر تلك الترجمة.

١٠- ألحقت بالدراسة فهارس علمية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكذلك فهارس الأعلام، والأديان التي استعنت بها في الدراسة بكل ما يلحق بها من فرق، ومذاهب، وجماعات، ومن ثم فهرس المصطلحات الغريبة والأماكن، وكان آخرها فهرس لموضوعات الرسالة كاملاً.

الصعوبات التي واجهتني:

في زمن وسائل المعرفة الحديثة لم أصادف ولله الحمد معوقات جسام تُذكر سوى:

١- أن الفكرة الثنوية فكرة عقلية قائمة على قياسات فلسفية منطقية ولا منطقية، ولما لم يكن لدي سابق معرفة بعلوم الفلسفة فقد حاولت زيادة معلوماتي الفلسفية الدينية بشكل خاص، مما أستقطع من وقت الدراسة نفسها.

٢- عدم وجود مراجع في الأديان الوضعية بشكل خاص داخل المكتبات المتخصصة بالمملكة العربية السعودية، استلزم مني السفر إلى خارج البلاد بحثاً عنها، فكانت وجهتي معرض الكتاب الدولي في جمهورية مصر العربية حيث عثرت على ضالتي.

٣- انعدام المراجع المعنونة باسم "الثنوية" بشكل محوري، تطلب مني بذل جهداً في البحث والتدقيق داخل كافة المرجع الدينية للبحث عن ذكر أصحاب الاثنين.

الدراسات السابقة:

قصر علمي إلا عن ثلاثة مؤلفات تناولت موضوع الثنوية، وهي:

١- "البنية الثنوية للكون وقوانينه"، تأليف: جيكارينتس فلاديمير، ٢٠٠٥م ، وهذا بعيداً عن مجال بحثي، فهو يبحث في قانون الكون القائم على الثنوية الضدية.

٢- "مبدأ الثنوية في المذهب العلوي النصيري"، تأليف: الدندشي جعفر الكنج، ٢٠٠٩م، ولم أستطع الحصول عليه كاملاً، لكنه يشترك مع دراستي في نفس الفكرة لكنه تناول أثر الثنوية في مذهب واحد، بينما تناولتها الدراسة الحالية في الأديان الوضعية والسماوية المحرفة بما يتبعها من فرق.

٣- "الرحمن والشيطان الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية"، تأليف: فراس لسواح، نقلت منه بعض النصوص لتوضيح فكرة الثنوية من وجهة النظر الفلسفية خاصة، فقد وصف الكاتب نفسه وجيله أنهم اصحاب المنهج العقلاني المفرط.

خطة الدراسة:

حين ألممت بأطراف البحث وعناصره إجمالاً هداني ربي إلى التقسيم التالي:

❖المقدمة:

وقد اشتملت على الحمد والثناء ، ونظرة مجملة للفكرة الثنوية، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره ، ومنهجية الدراسة ، والصعوبات التي واجهتني ، وعرض للدراسات السابقة ، وأخيراً خطة تفصيلية لما يحويه البحث من فصول ومباحث وخلافه.

❖الفصل الأول: تعريف الثنوية ومرادفاتها

وفيه مبحثين:

- **المبحث الأول:** تعريف الثنوية لغةً وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول:** تعريف الثنوية لغة.
  - **المطلب الثاني:** لفظ الثنوية في القرآن الكريم.
  - **المطلب الثالث:** لفظ الثنوية في السنة النبوية.
- **المبحث الثاني:** تعريف الثنوية اصطلاحاً وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول:** تعريف الثنوية اصطلاحاً.
  - **المطلب الثاني:** لفظ الزندقة.
  - **المطلب الثالث:** لفظ المجوس.

❖الفصل الثاني: جذور فكرة الثنوية وتطورها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** جذور فكرة الثنوية وفيه مطلبان:
  - **المطلب الأول:** جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر إسلامية.
  - **المطلب الثاني:** جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر فلسفية.

- **المبحث الثاني**: تطور الفكرة الثنوية وفيه تمهيد ومطلبين:
  - **المطلب الأول**: تدرج فكرة الثنوية في العصور القديمة.
  - **المطلب الثاني**: صور فكرة الثنوية في العصر الحديث.
- **المبحث الثالث**: الشبهات التي قامت عليها فكرة الثنوية والرد عليها وفيه تمهيد.

❖ الفصل الثالث: ملامح الثنوية في الأديان الوضعية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد وتسعة مباحث:

- **المبحث الأول**: الثنوية في أديان بلاد ما بين النهرين القديمة وفيه تمهيد ومطلبين:
  - **المطلب الأول**: الحالة الدينية في بلاد ما بين النهرين القديمة .
  - **المطلب الثاني**: الملامح الثنوية في أديان بلاد ما بين النهرين القديمة.
- **المبحث الثاني**: الثنوية في أديان بلاد مصر القديمة وفيه تمهيد ومطلبين:
  - **المطلب الأول**: الحالة الدينية في مصر القديمة.
  - **المطلب الثاني**: الملامح الثنوية في أديان مصر القديمة.
- **المبحث الثالث**: الثنوية في أديان بلاد الهند القديمة وفيه تمهيد ومطلبين:
  - **المطلب الأول**: الحالة الدينية في الهند القديمة.
  - **المطلب الثاني**: الملامح الثنوية في أديان الهند القديمة.
- **المبحث الرابع**: الثنوية في أديان بلاد فارس القديمة وفيه تمهيد ومطلبين:
  - **المطلب الأول**: الحالة الدينية في فارس القديمة.
  - **المطلب الثاني**: الملامح الثنوية في أديان فارس القديمة.
- **المبحث الخامس**: الثنوية في أديان بلاد اليونان القديمة وفيه تمهيد ومطلبين:
  - **المطلب الأول**: الحالة الدينية في اليونان القديمة.
  - **المطلب الثاني**: الملامح الثنوية في أديان اليونان القديمة.
- **المبحث السادس**: الثنوية في أديان روما القديمة وفيه تمهيد ومطلبين:
  - **المطلب الأول**: الحالة الدينية في بلاد روما القديمة.

❖الخاتمة:

وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها وأهم التوصيات التي أوصي بها.

❖الفهارس العلمية البحثية: وهي على النحو التالي:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأديان والفرق.
- فهرس الأماكن.
- فهرس المصطلحات الغربية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الفصل الأول

التعريف بالثنوية ومرادفاتها

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الثنوية لغةً

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: تعريف الثنوية لغةً.**
- **المطلب الثاني: لفظ الثنوية في القرآن الكريم.**
- **المطلب الثالث: لفظ الثنوية في السنة النبوية.**

المبحث الثاني: تعريف الثنوية اصطلاحاً

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: تعريف الثنوية اصطلاحاً .**
- **المطلب الثاني: لفظ الزندقة .**
- **المطلب الثالث: لفظ المجوس.**

المبحث الأول

تعريف الثنوية لغةً

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: تعريف الثنوية لغةً .**
- **المطلب الثاني: لفظ الثنوية في القرآن الكريم .**
- **المطلب الثالث: لفظ الثنوية في السنة النبوية.**

المطلب الأول: تعريف الثنوية لغةً

كلمة ثنوي في اللغة لها أصل ثلاثي واحد مكـــون مـــن "الثـاء والنـون واليـاء"، وقد ترتب عليه معانٍ عدة مختلفة ، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- أولاً : ثنـوي مـن الثـني؛ أي تكـرار الشـيء مـرتين متـواليين، كمـا جـاء في معجـم مقاييس اللغـــــة : (ثني مـــن تكريـــر الشيء مرتين، أو جعلـه شيئين متواليين أو متباينين، والثني الأمر يعاد مرتين ، ويقال للمرأة ثني إذا ولدت اثنين)[١].
- ثانياً : يقال أيضاً ثني لشيء إذا عطفته على بعضه: (ثنى الشيء ثنياً: رد بعضه على بعض، ثنيت الشيء ثنياً: عطفته، ومنها يقال ثنّيته إذا صرت له ثانياً، وثنيته تثنيه أي جعلته اثنين، وفي التنزيل العزيز.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ .... ﴿٥﴾ ﴾[٢]

وقد نزلت في بعض من كان يلقى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يحب وينطوي له على العداوة والبغض، والاثنان ضعف الواحد ، وإذا قيل ثاني اثنين أي هو أحد اثنين، والثني ضم واحد إلى واحد، وثني الشيء جعله اثنين، وجاء القوم مثنى مثنى أي اثنين اثنين) [٣].

- ثالثاً : ومما جاء في القاموس المحيط تحت مادة "ثني" : أن (الاثنان ضعف الواحد، والمؤنث ثنتان، وثناه تثنية: جعله اثنين)[٤].
- رابعاً : قيل أن (الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين)[٥].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا : " معجم مقاييس اللغة "، اعتنى به : محمد عوض مرعب ، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ص١٧٢ . مادة ثني .

(٢) سورة هود : آية ٥ .

(٣) ابن منظور : " لسان العرب " دار المعارف . ب ت . ص١١٥ ـ ١١٦ . مادة ثني .

(٤) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : " القاموس المحيط " ، تحقيق : محمود مسعود أحمد ، شركة أبناء شريف الأنصاري . صيدا ، لبنان ، ٢٠١١م/١٤٣٢هـ ، ج١ ، ص٢١٢ . مادة ثني .

(٥) جميل صليبا : " المعجم الفلسفي" دار الكتاب اللبناني بيروت ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ج١ ، ص٣٧٩.٣٨١

أي أن معاني "ثني" لم تكن ذات دلالات متباعدة، فهي جميعاً داخل اطار معاني الاثنين والتثنية، وقد قيل أيضاً:

- (ثني الشيء صار له ثانياً فهو ثاني اثنين) [١].
- (الثني مقصود الأمر يعاد مرتين ، ويسمى جميع القرآن مثاني لاقتران آية الرحمة بآية العذاب) [٢].
- (هذا واحد فأثنه أي كن ثانيه ، وقولهم هذا ثاني اثنين أي هو واحد الاثنين، والاثنان من العدد ضعف الواحد)[٣].

وغير ذلك الكثير إلا أنها كما نرى يُقصد بها أمراً واحداً لا مواربة فيه، ولا تداخل فهي تعني الاثنين سواءاً كانا متتاليين أو متواليين، ربما معطوفين أو متزامنين، المهم أنهما اثنين.

(١) أحمد رضا : " معجم متن اللغة " موسوعة لغوية حديثة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت، ١٩٥٨م، مجلد١ ، ص ٤٥٣ .

(٢) محمد الرازي: "مختار الصحا " عن دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٨٦م، ص٣٨ .

(٣) المعلم بطرس البستاني: "محيط المحيط" قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٨٦،٨٥ .

المطلب الثاني: لفظ الثنوية في القرآن الكريم

في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الدليل الجليّ وهو الكاشف لكل خفي، فرأيت أن أستعين بآياته الطاهرات المباركات بحثاً عن لفظ الثنوية إن كان ورد فيه أم لا.

فوجدت اللفظ ولم أجد المعنى ووجدت المعنى بدون اللفظ!!!.

ورد لفظ الثنائي والاثنين، إنما بغير السياق الذي أبغي، فلم يرد عن عبادة الإلهين والاعتقاد بوجود قوتين. وحين جاءت آية تذكر الإلهين في القرآن لم يُقصد بها المعتقد الثنوي الفارسي. باختصار كان هناك نوعين من الآيات، وهما:

- آيات ذكرت اللفظ دون المعنى.
- آيات ذكرت المعنى دون اللفظ.

وسأذكر أمثلة على ذلك للتوضيح:

أولاً: آيات ذكرت اللفظ دون المعنى:

ورد لفظ الاثنين في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعاً[1] ، البعض كان تكرراً لنفس اللفظ ولم يكن يدل على عبادة الإلهين الاثنين، أذكر منها على سبيل المثال:

- ورد في سورة النساء لفظان مختلفان مرة بلفظ (مثنى) ومرة بلفظ (اثنتين).

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ .....﴿٣﴾ ﴾[2] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ....﴿١١﴾ ﴾[3] .

---

(١) وردت المعلومة في موقع كلمات http://www.kl28.com (ورود لفظ اثنين في القرآن) .

(٢) سورة النساء : آية ٣ .

(٣) سورة النساء : آية ١١ .

- تكرر لفظ الاثنين في سورة الأنعام أكثر من مرة ، وذلك في الحديث عما أحله الله للناس من لحوم الأنعام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ... (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ..... (١٤٤) ﴾ [1].

- وفي سورة التوبة ورد لفظ اثنين في قصة الهجرة النبوية المباركة حين مكث عليه السلام وصاحبه في غار حراء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا .... (٤٠) ﴾ [2]

- وفي سورة هود كان لفظ اثنين، وذلك في معرض قصة نوح عليه السلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ...... (٤٠) ﴾ [3].

- وفي سورة الحجر ورد لفظ (مثاني) وقيل أن المقصود بها آيات سورة الفاتحة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) ﴾ [4].

- وفي سورة سبأ ورد اللفظ بشكل (مثنى).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ .... (٤٦) ﴾ [5].

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٤٣،١٤٤ .

(٢) سورة التوبة : آية ٤٠ .

(٣) سورة هود : آية ٤٠ .

(٤) سورة الحجر : آية ٨٧ .

(٥) سورة سبأ : آية ٤٦ .

ولم أشأ سردها كاملة فهي ليست هدفي، فما أبحث عنه هو لفظ ثنوي الذي يدل على معتقد ثنوية الإله، وهذه الآيات تدل على ثنوية العدد فقط.

ثانياً: آيات ذكرت المعنى دون اللفظ:

ورد في القرآن الكريم تحذير الله عز وجل من الإيمان بالإلهين للكون لكنه لم يكن موصوفاً بلفظ الثنوية. وقد كان ذلك في موضعين اثنين فقط في سورتي المائدة والنحل على النحو التالي :

١) في سورة المائدة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴿١١٦﴾ ﴾[1] .

ومما جاء في تفسيره الآية الكريمة: (أنه خطاب من الله إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم- عليه السلام- قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، وهو توبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد- منهم من قال هو في الدنيا- وهو الصواب حين رفعه الله إلى السماء الدنيا) [2] .

٢) في سورة النحل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

ومما قيل في تفسيرها: "يخبر الله تعالى أنه لا إله إلا هو ، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، فإنه مالك كل شيء وخالقه وربه"[4].

---

(١) سورة المائدة : آية ١١٦ .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٣) سورة النحل : آية ٥١- ٥٢ .

(٤) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ج٢ ، ص٥٩٣ .

المطلب الثالث: لفظ الثنوية في السنة النبوية

للسنة النبوية دور كبير في تفسير آيات القرآن الكريم لا يمكن تجاهله؛ ففيها تفصيل لما أجمل وبيان وتوضيح لما أغلق وتعذر فهمه. لذا كان السؤال التالي: هل جاء على لسان رسولنا الكريم عبادة الإلهين الاثنين ؟، هل عُرف في زمانه – عليه الصلاة والسلام– معتقد الثنوية فحذر أصحابه منه؟، وهل سأل الصحابة الكرام يوماً رسولهم عن معتقد الثنوية؟.

هذا ما جعلني اتجه إلى كتب الصحيحين والسنن والمسانيد لأبحث فيها، فاتضح لي أن أول علاقة كانت بين المسلمين وبين الثنوية كلفظ ومعنى عُرف في القرنين الثالث والرابع الهجريين. كان ذلك مع اشتداد حركة ترجمة الكتب الأجنبية من فارسية وهندية وسواها، كما شهدت تلك الفترة تبلور للفِكر الدخيل على الإسلام في صور عدة.

وقد عُرفت الديانات الفارسية لدى العرب بحكم الجوار والمصالح المشتركة، كما ثبت عن بعض العرب اعتناقهم لها، لكنها كانت تحت مسماها الذي ورد في القرآن الكريم "المجوسية" فلم يتداول العرب لفظ الثنوية إلا مؤخراً.

بعد البحث في أمهات كتب الأحاديث لم أعثر على حديث ورد فيه لفظ الثنوية كدين أو معتقد، لكني عثرت على حديث واحد فقط ورد فيه لفظ الاثنين لكن بغير المعنى الذي أبغي، فقد كان للدلالة على أمر مشترك بين اثنين:

(**اشترى عبد الله** (١) من امرأته أو امرأة له وليدة ، وشرط لها واشترطت خدمتها ، فقال عمر(٢) . رضي الله تعالى عنه : ليس من مالك ما كان فيه ثنوية لغيرك) (١).

---

(١) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي الملكي، صاحب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وخادمه، وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين ، كنيته: أبو عبد الله ، توفي بالمدينة، سنة ٣٢هـ ، ودفن بالبقيع، وعمره ٦٠ سنة، وهو الإمام الحبر فقيه الأمة، هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وهو أول من جهر بالقرآن الكريم، شهد المشاهد كلها مع رسول الله، كان ممن يتحرى في الأداء ، ويشدد في الرواية، حدث عنه أبو موسى وأبو هريرة وابن عباس وأنس وطائفة من الصحابة. انظر ترجمته في "أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٣ ، ص٣٨١ ، و"الطبقات الكبرى" للزهري، ج٣، ص١٣٩، و"طبقات الحفاظ للسيوطي ، ص١٤ .

(٢) هو : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عَبْدِ العُزَّى القرشي العدوي ، أمير المؤمنين ، كنيته أبو حفص ، ولقبه الفاروق .

وقد قصر علمي عن حديث آخر جاء فيه لفظ الثنوية بمعنى عقيدة الثنويين أصحاب الاثنين القائلين بالأصليين اللذين يحكمان العالم.

لكنه وجدت أحاديث أخرى جاءت فيها لفظ الاثنين بمعنى يدل على رديف الواحد فيما يخص الأعداد، على غرار الحديث التالي:

(عن ابن عمر [٢] – رضي الله عنهما– أنه قال: "قام رجل فقال يا رسول الله كيف صلاة الليل؟ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر)[٣] .

رضي الله عنه . ، أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة ، روى عنه : ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة وعدة من الصحابة ، شهد بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، أول من لُقب بأمير المؤمنين ، قيل أنه من مات من طعنة : أبا لؤلوة المجوسي كان عبد للمغيرة ، طعنه بخنجر له رأسان ، وهو يقول : " أقيموا صفوفكم " ، وقبل أن يُكبر ، أصيب يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة ، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم .

انظر ترجمته في: " أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٤ ، ص١٣٧ " و "سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص٣٦٠،و"الطبقات الكبرى للزهري، ج٣، ص٢٤٥، و"طبقات الحافظ للسيوطي، ص١٣.

(١) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني : " المعجم الكبير " تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، ج٨ ، باب ، ص١٧٥ .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، ولد سنة ثلاثة من المبعث النبوي ، أسلم وهو صغير ، هاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ، وهو آخر من توفي من الصحابة بمكة سنة ٧٣هـ ، روى عن النبي . صلى الله عليه وسلم . وعن أبيه وعن أبي بكر وعثمان ، وروى عنه ابن عباس وجابر وبنوه .

انظر ترجمته في : " الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ، ج٦ ، ص٢٩٠ ، و " الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٣ ، و " أسد الغابة لمعرفة الصحابة لابن الأثير ، ج٣ ، ص٣٣٦ ، و " الأعلام للزركلي ، ج٤ ، ص١٠٨ ، و " سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج١ ، ص٤٢٢ .

(٣) صحيح مسلم : " كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، " باب صلاة الليل مثنى مثنى ، ح١٢٤٧ ، (حديث مرفوع)

الخلاصة:

حرصت على جمع وكتابة غالبية معاني لفظ ثنوي التي جاءت في كتب اللغة والتعريفات وذلك من باب التعرف على كافة المعاني والمدلولات التي يمكن أن تدل عليه فكان محصلة ذلك أن اللفظ والمعنى يدور حول الاثنين ما بعد الواحد أياً ما يكون هذان الاثنان.

وبتعبير اللغويين يقال أن لفظ ثنوي أحادي الأصل والمعنى، أي أنه حين أذكر لفظ اثنين لا ينصرف الذهن إلى عدة معان متباينة لا تستبين إلا بقرينة ملازمة يتضح بها المقصود ، فالاثنان هي ما تلي الواحد من العدد، وهي ضعف العدد الذي قد يكون شبيهه أو نظيره أو خلافه ، إلا أنه لازماً له لا ينفك عنه ، وهذا طبيعي فإذا انفصل لا يصبح عندها اثنان.

وقد جاء في القرآن الكريم لفظ الاثنين الذي يدل على العدد ، كما أنه جاء ذكر عبادة إلهين لكنها لم توصف بالثنوية وذلك في موضعين اثنين لا ثالث لهما في سورتي المائدة والنحل ، كما ورد في السنة النبوية لفظ يدل على الاثنين في التكرار، لكنه لم يرد ما يشير إلى عبادة الاثنين إلا ما ذُكر في حديث الفطرة المشهور عن رسول الله– عليه الصلاة والسلام– "فأبواه يمجسانه" والمجوسية قائمة على فكرة الإلهين .

على ذلك يكون لفظ الثنوية من الألفاظ التي لم تستعمل في العهد النبوي، ولا ما تلاه من عهود قريبة– على حد علم الباحثة–، فقد ظهر أول استخدام صريح له في العصر العباسي مصاحبة لفظ زنديق.

لكن عبادة الاثنين عُرفت قديماً، باسم المجوس الذين يقدسون النار والنور ويعتقدون بإله الخير وإله الشر.

المبحث الثاني

تعريف الثنوية اصطلاحاً

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: تعريف الثنوية اصطلاحاً.**
- **المطلب الثاني: لفظ الزندقة.**
- **المطلب الثالث: لفظ المجوس.**

المطلب الأول: تعريف الثنوية اصطلاحاً

المعاني اللغوية التي جاءت في المبحث السابق توضح جذور الكلمة وغالبية فروعها القريبة والبعيدة، لكن حين نتبع المعاني اللغوية بالمعاني الاصطلاحية هنا يكون الحصر والتحديد. فما الذي أقصده من وراء كلمة ثنوية؟.

مفهوم الثنوية في الاصطلاح له عدة تفريعات واتجاهــات، كان البعض منها فقط ما له منحى ديني؛ لذا فصلت في التعاريف الاصطلاحية ما بين اصطلاحي عام واصطلاحي ديني.

أولاً: التعاريف الإصطلاحية العامة:

ويقصد به كل ما يدور حول ثنائية شيئين في الكون يتخذان وضعية الضد والند بدون أن يشترط كونهما إلهين، وهذا كما في النصوص والاستدلالات التالية:

- (الثنائية هي : القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون كثنائية الأضداد وتعاقبها، والثنائية مرادفة للأثنينية ، وهي كون الطبيعة ذات مبدأين) [١].
- كما جاء في نفس المصدر تعريف الأثنينية أنها : (الأثنينية هي كون الطبيعة ذات وحدتين، أو هي كون الشيء الواحد مشتملاً على حدين متقابلين ومتطابقين، كتقابل الفكر والعمل) [٢] .
- وأيضاً قيل : (من معاني الأثنينية أيضاً كون الشيء مشتملاً على مبدأين مستقلين لا ينحل أحدهما إلى الآخر ، كالهوى والحرية أو الجسم والروح أو النور والظلمة في المانوية) [٣] .
- ومما جاء في موسوعة الأديان أن الثنوية : (تقال لمن اعتقدوا بأصلين للعالم هما إله النور وإله الظلمة) [٤].

---

(١) جميل صليبا : " المعجم الفلسفي " ، مرجع سابق ، ص٣٨١.٣٧٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) موسوعة الأديان : مجموعة من المختصين ، دار النفائس، الطبعة الخامسة ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م ، ص١٩٢.

- وقد يتضح المعنى أكثر بالتعريف الذي جاء في موسوعة الحضارات فقد ذكر أن: (الثنوية هم الذين يقولون بأصلين للوجود مختلفين تمام الاختلاف، لكل منهم وجود مستقل في ذاته، وبدون هذين الأصلين لا يمكن فهم طبيعة الكون) (١).
- ولعل من أسهل ما صادفت من تعريفات اصطلاحية عامة للثنوية أن : (الثنوية مذهب يقول بمبدأين يدبران العالم ، أو يدبره أحدهما ويفسده الآخر) (٢).

وقد جاء في المواقع الالكترونية عدة تعريفات تزيد من تكاملية ما سبق منها:

- المثنوية هي : (النظرة الفلسفية التي ترى أن هناك وجوداً لمصطلحين أساسيين غالباً ما يكونا متعاكسين ، مثل الخير والشر ، أو النور والظلام وعلى غرار الذكر والأنثى) (٣).
- وهي: (عقيدة تبين أن هناك إلهين أحدهما النور والخير، والآخر الظلمة والشر، وهي اندماج وثني قائم على تعدد الآلهة)(٤).
- وقالوا هو : (القول بوجود إلهين اثنين : النور والظلمة ، أو الخير والشر ، وذلك في مقابل أهل التوحيد الذين يعبدون إلهاً واحداً) (٥).
- وقيل أيضاً : (إن حقيقة الوجود تنطوي على انقسام داخلي ، وتقابل ضروري دائم بين أصلين لكل منهما قوانينه) (٦).

---

(١) عيسى الحسن : " موسوعة الحضارات " الأهلية للنشر والتوزيع المملكة الاردنية ، ٢٠٠٧م ، ص٢٤٦ .

(٢) مراد وهبه : " المعجم الفلسفي " دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ب ت ، ص٢٤٣ .

(٣) موقع ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org . مقال بعنوان : " الثنوية " .

(٤) ويكيبيديا : الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org .

(٥) الموسوعة العربية، المجلد السابع، الحضارة العربية ، الثنوية ، ص٣٢٨ http://www.arab-ency.com .

(٦) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية ، موسوعة المفاهيم / الثاء . http://elazhar.com .

ثانياً: التعاريف الاصطلاحية الدينية:

بما أن اللفظ يعتبر مصطلح ديني في المقام الأول فقد كان لابد من وجود تعريفات اصطلاحية خاصة بعلماء الأديان صاغها كلاً منهم بحسب رؤيته يتضح معالمه فيما يلي:

- (هم قوم قالوا صانع العالم اثنان: ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزالا قويين، حساسين، سميعين، بصيرين، وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتدبير) [١].
- قيل إن أهل التثنية هم: (القائلين بأن العالم من أصلين أحدهما نور ، والآخر ظلام، لم يزالا متباينين، ثم امتزج منهما جزآن، وأن النور خير حكيم بطبعه، وأن الظلام شرير سفيه بطبعه) [٢].
- وبصورة أخرى قيل عن الثنويين أنهم : (الذين يقولون بأزلية النور والظلام وبتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح ، وسموا ثنوية لقولهم باثنين أزليين) [٣].
- كما قيل في نفس السياق أنهم : (فرقة من الكفرة يقولون بإثنينية الإله هم أصحاب الاثنين الأزليين ، زعموا أن النور والظلمة أزليان قديمان متساويان في القدم والقدرة ، واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل) [٤].
- وذكر المصدر نفسه في موضع آخر إنهم : (طائفة عبدت النور والظلمة ، سموا النور يزدان ، والظلمة أهرمن) [٥].

---

(١) أبو الفرج ابن الجوزي : " تلبيس إبليس " ، دار ابن خلدون ، بدون بيانات ، ص٤٢ .

(٢) القاضي الباقلاني : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ، تحقيق : عماد الدين حيدر ، نشر : مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ص٧٨ .

(٣) فخر الدين الرازي : " اعتقادات فرق المسلمين والمشركين " ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ، نشر : مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ ، ص١٣٨ .

(٤) محمد علي التهانوي : " موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم " ، تقديم : رفيق العجم ، تحقيق : علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص٥٤٢ .

(٥) المرجع السابق ، كما سيأتي تعريف " يزدان وأهرمن " في موضعه لاحقاً .

- وقد خصصت بعض التعريفات اللفظ لأديان بلاد فارس فقط : (قيل عن الطابع الثنوي الفارسي هو الذي يقوم على القول بأن الوجود يتأسس على أصلين يمثل أحدهما الخير وثانيهما الشر وبينهما يقوم الصراع) [١].
- كما جاء في موسوعة الفلسفة أيضاً تعريفاً دينياً للثنوية : (القول بأن النور والظلمة مبدئان أو أصلان للعالم ، متضادان وأزليان، وهما يزدان وأهرمن) [٢].

ثالثاً: الثنوية كما عرّفها العلماء الغربيون:

أشهر من تكلم في مشكلة الشر من الغرب هو القديس أوغسطين [٣] وقد خاض غمار هذا الموضوع بكثرة وكانت له العديد من المؤلفات. كما تكلم فلاسفة غيره فيها ممن ينتمون لأزمنة متباينة، كان قاسمهم المشترك خوضهم غمار البحث عن مصدر الشر في الكون، لكن لم يتطرقوا إلى عقيدة الألوهية الثنوية. لهذا رأيت أن استبعد آراءهم لعدم اختصاصها بما أبحث.

أما القديس أوغسطين بحكم اعتناقه المانوية فترة من الزمن فقد تطرق لموضوع الثنوية الدينية الكونية وحاول تفسيرها وإن كان لم يخصص لها مؤلفا بعينه ، إلا أن آراءه قد تناثرت هنا وهناك في مؤلفاته بما يخص رؤيته لوجود الشر في الكون ، كان واضحاً فيها تأثره بالنظرة الثنوية .

ومما جاء عن فكرة الثنوية في فلسفته[٤] التي كانت خليطا من عناصر مانوية ونصرانية .

---

(١) الحبيب عياد : " الكلام في التوحيد " دار المدى الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م ، ص١٣٢ .

(٢) عبد المنعم الحفني: "موسوعة الفلسفة والفلاسفة "، مكتبة مدبولي ، ط٣، ٢٠١٠م ، ج١ ، ص٤٣١ .

(٣) القديس اوريليوس أوغسطينوس ولد عام ٣٥٤م بطاجسطا " الجزائر حالياً " من أم مسيحية وأب وثني عاصر أهم مراحل التحول من الوثنية الرومانية إلى المسيحية ارتد عن المسيحية واندفع يطلب الحقيقة من أي مصدر يدعيها ، اعتنق المانوية فترة من حياته ، ومن ثم انقلب عليهم ، ودخل في صراع معهم ، ورسّم قسيساً ، ومن أشهر مؤلفاته : " الاعترافات " و " مدينة الله " توفي العام ٤٣٠م . موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١، ص٢٢٥ ، ويكيبيديا القديس أوغسطين .

(٤) موقع مصرنا http://www.ouregypt.us مقال بعنوان : " قصة الفلسفة في القرون الوسطى " ، بقلم : محمد زكريا توفيق ، بتاريخ ١٢/ ٢/ ٢٠١١م .

(ترى الحقيقة في صراع بين الضياء الذي يمثل الخير والظلام الذي يمثل الشر، الصراع بين الضياء والظلام أو الخير والشر ينتج عنه هذا العالم ، وهو يرجع كل الشرور في الكون إلى عناصر خارج الإنسان نفسه. ومما يؤكد تأثره بالفكرة الثنوية عن الكون ما جاء في كتابه "مدينة الله" الذي ظهر فيه وبوضوح من خلال حديثة عن وجود عالمين أو قوتين أو نوعين من الحياة متناقضين ومتضادين ، وتعتمد أطروحة أوغسطين في مدينة الله على وجود مدينتين ، واحدة أرضية والأخرى سماوية. والمجتمعات البشرية ككل ترجع إلى هاتين المدينتين . ليست مدينة الله وهي السماوية خيرة بالطبع ولا تلك الأرضية شريرة بالطبع ، وإنما ينتمي كل فرد إلى إحدى المدينتين بمحض إرادته ، وبينهما منذ البداية حرب هائلة. تجاهد مدينة الله في سبيل العدالة وتجاهد الأخرى لتنصر الظالم، ولا تزال هذه الحرب مستمرة إلى نهاية العالم ، حتى يفصل بينهما المسيح في آخر الزمان، فتنعم الواحدة وهي مدينة الله بالسعادة الأبدية ، وتلقى الأخرى جزاءها في النار التي لا تنطفئ. وقد شغل العلماء أنفسهم بالبحث عن مصدر فكرة الضدين لدى أوغسطين ، فوجدوا أن المنابع التي ارتشف منها أوغسطين عديدة وكثيرة .

وقد اختلفت الآراء وتباينت ، فهناك من عاد بها إلى المدن الفاضلة لدى اليونان، أو من أعادها إلى التقابل التوراتي بين بابل والقدس، إلا أن بعضهم أرجع نظرية المدينتين لأصول مانوية. فقد ذهب في كتاب "مذهب القديس أوغسطين السياسي" إلى أن مدينة الله عند أوغسطين ما هي إلا مدينة النور والخير، بينما توازي مدينة الأرض عنده الظلمات والشر المانوية) [1].

وكذلك عُرفت الثنائية في الدين فلسفياً لدى علماء الغرب بأنها : (النظام الديني أو اللاهوتي الذي من شأنه أن يفسر الكون بوصفه نتيجة أبديه لمعارضة اثنين ، ومبادئ التعايش التي صممت في ضوء ذلك ، الخير والشر والظلام ، أو أي شكل آخر من

---

(١) الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن http://www.ahewar.org مقال بعنوان : " التأويل اللاهوتي لتاريخ عند أوغسطين" بقلم : عامر عبد زيد ، الحوار المتمدن ، العدد : ٣٦٣٦ ، تاريخ ٢٠١٢/٢/١٢م ، الزمن ١٦ : ٢٣ ، " مقاربة في فلسفة التاريخ عند أوغسطين " ، " الدين هو عقل مجتمع بلا عقل " ، مشيل فوكو المحور : العلمانية ، الدين السياسي ونقد الفكر الديني ، بتصريف . وسيتم التعريف بالدين المانوي في موضعه لاحقاً .

القوى المتصارعة) [١].

أما أحدث ما قرأت عن الثنوية من وجهة نظر الغرب بشكل عام : (إن هذا العالم مزدوج أي ثنوي ، ويتكون من بدايتين ، متعاكستين تدعمان بعضهما البعض ، وتنفيان بعضهما البعض في ذات الوقت ، وتتصارعان مع بعضهما البعض ، وتتساندان بعضهما البعض) [٢].

ولم يقتصر تعريف الثنوية اصطلاحاً على الزمن القديم فقط ، بل حتى في العصر الحديث هناك من تناول موضوع الثنوية بالبحث والدراسة سواءً من العرب أو الغربيين. فمن أشهر الكتب الحديثة التي تناولت الموضوع كتاب (الثنوية الكونية) الذي جاء فيه:

- (المعتقد الذي يقول بقيام مبدأين أو أصلين متناقضين وراء مظاهر الوجود، وصيرورة الزمن والتاريخ ، وهما في صراع دائم حتى يلغي أحدهما الآخر)[٣].

وجاء في مصدر حديث آخر أنها :

- (الفكرة القائلة أن الوجود يتكون من قوتين مطلقتين ، أو عنصرين أساسيين، جوهريين متوازيين متعارضين "ثنائية صلبة" لا يلتقيان إله الخير وإله الشر، وهما في حالة صراع) [٤].

وبعيداً عن التكرار وتداخل المعاني ، فقد اكتفيت بما سبق من تعريفات اصطلاحية عامة ، وتعريفات اصطلاحية دينية إسلامية وأخرى غربية قديمة وحديثة، فهي في مجملها ضمن سياق واحد هو:

"الاعتقاد بوجود إلهين أو قوتين أو ذاتين متساويتين في القوة والقـــدرة، متضادتين في الاتجاه ومتعاكسين في العمل".

---

(١) موقع http://mb-soft.com . مقال بعنوان : الثنائية مرجعهم فيه " أدولف أوغي فجوي في كتابه " الثورة ضد ثنائية " .

(٢) فلاديمير جيكارنتس: " الخير والشر، لعبة الثنوية " ترجمة: ريما علاء الدين، دار علاء الدين، ط٤ ، ٢٠١٢م، ص١٣.

(٣) فراس السواح : الرحمن والشيطان ، " الثنوية الكونية " ، دار علاء الدين للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ، ص٨ .

(٤) محمد نمر المدني : " أساطير العقل الفاسد " ، دار علاء الدين ، سوريا ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م ، ص٢٥٧ .

وقد اتفق المعرّفون جميعاً تقريباً على هذا المعنى، ومن ثم ظهر التباين بينهم حول طبيعة هاتين القوتين من أكثر من جهة، فعلى سبيل المثال جهــة الوجود والأقدمية، جهة القوة والفاعلية، وحتى في جهة الأولوية والمكانة.

ومن الملاحظ أن أكثر الأوجه التي حدث حولها الخلاف هي طبيعة العلاقة بين هاتين القوتين . هل هي علاقة تصادم وتضاد؟، يحاول كل منهما أن يقضي على الآخر. أم هي علاقة تكاملية تفاعلية يعتمد وجود أحدهما على وجود الآخر؟. أم هي علاقة تعاكسيه ترابطية، أي يبدأ عمل الثاني حين ينتهي عمل الأول؟.

وبجملة فلسفية أقول أنه قد تكشف لنا صفحات هذا البحث أنواع أخرى من "العلاقات الثنوية الكونية المتحكمة في صيرورة الأحداث".

ومن منطلق التخصص حاولت صياغة تعريف اصطلاحي شامل قدر الإمكان .

فقد تم تعريف الثنوية دينياً بحبسها في اطار الأديان الفارسية القديمة، وهو القول بوجود إله ثاني مضاد لقوى الخير في الكون. لكني أطمح إلى تعريف فيه عموم وشمول لغالبية صور المعتقد الثنوي الذي ظهر عبر التاريخ ، سواءاً قبل أديان فارس أو بعدها، فكان أن صغت تعريفين أحدهما عقدي ديني والآخر عام.

- **التعريف العقدي** : الثنوية هي الاعتقاد بوجود إله ثاني نداً لله تعالى يُصرف له بعض العبادات وله تأثير في الكون.
- **التعريف العام**: الثنوية هي كل فكرة أو مذهب تمنح كائناً مخلوقاً قدرة وإرادة فاعلة في الكون مع الله.

المطلب الثاني: لفظ الزنديق

أطلق على معنى العقيدة الثنوية في مصطلحات اللغة العربية ألفاظ أخرى دالة عليها ومرادفة لها، وقد اخترت منها ما هو أقرب وأخص لفظان : "الزندقة والمجوسية".

الزنديق هو: الثنوي وغير الثنوي ، هذا ما ذكرته كتب الأديان جميعها ، كما أن المجمع عليه أن لفظ زنديق لم يخرج عن المجال الديني غالباً.

وعلى غرار ما سبق تكون البداية بالتعريفات اللغوية ومن ثم الاصطلاحية، كما سيكون هناك نبذة مختصرة عن تاريخ نشأت اللفظ أول مرة وعلى من أطلق. فالزندقة في الإسلام تاريخ شائك ومن اللافت للنظر أنه قد لقى عناية المستشرقين.

تعريف الزندقة لغة:

ذكرت كتب اللغة أن لفظ زندقة عجمي معرّب ، وهي تحت مادة "ز ن د ق" أو "ز ن ق"، قيل عن الزنديق أنه :

- (القائل ببقاء الدهر ، فارسي معرب، وهو بالفارسية: "زند كراي " والزندقة الضيق، وفي التهذيب: الزنديق معروف وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق. وقال الجوهري: الزنديق من الثنوية ، وهو معرب والجمع الزنادقة) [١].

وقيل أيضاً أن:

- (الزنديق من الثنوية، وهو فارسي معرب وجمعه زنادقة، وقد تزندق والاسم الزندقة) [٢].

كما جاء عن شيخ الاسلام ابن تيمية- رحمة الله- في تعريف الزنديق قوله :

- (لا يوجد في كلام النبي- صلى الله عليه وسلم- كما لا يوجد في القرآن، وهو لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الاسلام) [٣].

---

(١) ابن منظور : " لسان العرب " مادة (زنديق) ، م ٣ ، ج٢٠ ، باب الزاي ، ص١٨٧١ .

(٢) الرازي : " مختار الصحاح " مرجع سابق ، مادة (ز ن د ق) ، ص٢٤٢ .

(٣) ابن تيمية : بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد ، تحقيق : موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، ط٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، ص٣٣٨.

ومما قيل فيه أيضاً أنه:

- (معرب من " زندكرو " بفتح الكاف ، والمشهور لدى الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر) [١].

إذاً لا خلاف بين اللغويين على أجنبية اللفظ وفارسيته وأنه معرب .

ومن أحدث التعريفات وأشملها- من وجهة نظري-:

" أنها مرادفة الخبث والضلال والمكر ، وكل قول يخرج عما هو متعارف علية" [٢].

تعريف الزندقة إصطلاحاً:

يلاحظ من تتبع معاني الزندقة أنها بدئت بمقصد واحد ، ومن ثم اتسعت دائرة معانيها بعد ذلك ، فقد قيل إنه في بدايتها كانت تُطلق على المؤمن من أتباع ماني، لأن الزرادشتية قديماً كانوا يعدون المانوية ملحدين خارجين على الدين الصحيح ، فقد أطلقت على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق. كما قيل أن كلمة زنديق صفة فارسية معناها متتبع الزند أي "الشروح القديمة للأفستا"، وهو كتاب زرادشت.

وقد سمي المانوية زنادقة لميلهم إلى تأويل الكتب المقدسة للديانات الأخرى، وشرحها حسب آرائهم وأهوائهم[٣]، هي صفة مذمومة اختصت بالمانويين دون سواهم . وقد كان يطلق على من يؤمن بالمانوية، ويثبت أصلين أزليين للعالم هما النور والظلمة، ثم اتسع المعنى اتساعاً كبيراً حتى أُطلق على كل صاحب بدعة، وكل ملحد بل انتهى به الأمر أخيراً إلى أن يطلق على من يكون مذهبه مخالف لمذهب أهل السنة أو حتى من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب [٤].

---

(١) الفيومي : " المصباح المنير " ، ج١ ، ص٣٩٢،٣٩٣ .

(٢) موقع المعاني . لكل اسم معنى www.almaany.com .

(٣) موقع منتدى التوحيد http://www.eltwhed.com : موضوع بعنوان : (زنادقة الأدب والفكر قراءة في تاريخ الزندقة قديماً وحديثاً) ، بقلم : هاني السباعي بتصريف ، كما سيرد تعريف مفصل للديانة الزرادشتية في موضعه لاحقاً .

(٤) عبد الرحمن بدوي : " من تاريخ الإلحاد في الإسلام " سينا للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٥م ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م ، ص٣٦ .

لقد كان لفظ الزنديق دينياً محضاً في بدايته للمانويين ، وحين استعمله العرب اتسع مجاله فأصبح يُوصم به كل صاحب بدعة إضافة إلى الشعراء والكتاب الماجنين .

وقد أهتم المستشرقون بلفظ زنديق وأفردوا له فصولاً في مؤلفاتهم. فقد كتب هانز هينرش شيدر [١]فصلاً في كتابه " المباحث الإيرانية" عن أصل هذا اللفظ، واستعماله عند الكتاب غير الإسلاميين. كما جمع ماسينيون [٢] معاني اللفظ كما استعمله الكتاب الإسلاميون، وذلك في البحث الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة زنديق وكذلك في كتابه "عذاب الحلاج" [٣] .

وعلى الرغم من اهتمام الكتاب بالزندقة إلا أنه لم يتم صياغة تعريف اصطلاحي لها فقد كان جُل اهتمامهم بمنحى آخر: فقد اقتصر الباحثون من المستشرقين على دراسة ناحية صغيرة من نواحي الزندقة [٤].

أقوال العلماء في تعريف الزندقة:

مصطلح الزندقة كأي مصطلح لغوي أو فلسفي لابد وأن يكون له تفسيرات وتأويلات متعددة متباينة قد تتفق وقد تختلف، إلا أنها غالباً ما يجمعها معنى شامل يحوي جميع الدلالات الأخرى تقريباً وهذا ينطبق على لفظ (الزنديق) فقد وقع تباين في مقصده وتوصيفه.

لذا رأيت أن تكون البداية من لدن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث قال:

– (فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته ، فالمراد به عندهم المنافق

(١) هانز هينرش شيدر : مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٩٦م ، وتوفي سنة ١٩٥٧م ، كان بروفيسور في جامعة هومبولدت وغوتنغن ، ترجمته التي عثرت عليها من موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية http://ar.wikipedia.org .

(٢) ماسينيون : مستشرق فرنسي ، ولد سنة ١٨٨٣م ، وتوفي سنة ١٩٦٢م بباريس ، علّم بمصر ودرّس بجامعاتها وكانت رسالة الدكتوراه التي أعدها بعنوان : " آلام الحلاج " له مصنفات عديدة في الأديان والمذاهب والفرق وخاصة المصطلحات الصوفية ، مما يذكر أن عبد الرحمن بدوي تتلمذ على يديه ونقل منه للمزيد من ترجمته انظر : موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص ١١٩٧ .

(٣) عبد الرحمن بدوي : " من تاريخ الإلحاد في الإسلام " ، ص٣٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص٣٨ .

الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر) [١].

وقد أطلق الإمام ابن القيم [٢] . رحمة الله . وصف زنديق:

- (على من لا يؤمن بالله واليوم الآخر) [٣]

وقيل أيضاً إنه:

- (الدهري الذي ينكر الاعتقاد بوجود الله ، فقد ذكر في تصنيف الفلاسفة الصنف الأول الذين زعموا أن العالم موجود بنفسه بلا صانع ، وهؤلاء هم الزنادقة) [٤] .

هي تهمة إذاً وليست صفة ، كان يُتهم بها كل من تجرأ على تفسير الابتساق[٥] تفسيراً جديداً غير رشيد على عهد الساسانيين في إيران ، وغالباً هم أتباع ماني ومزدك خاصة.

وقد سجل لنا التاريخ الإسلامي أسماء أشخاص عِدة رُموا بالزندقة ، وكانت عقوبتهم الإعدام.

وبالنسبة لاستخدام المسلمين للفظ زنديق ، فقد كان يطلق على من يقول بقول

---

(١) ابن تيمية : " بغية المرتاد " ، ص٣٣٨ .

(٢) هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي المشهور بابن قيّم الجوزية ، من أركان الإصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، ولد ٦٩١هـ ، ووفاته في دمشق عام ٧٥١هـ ، تتلمذ في الفقه والتوحيد على يد شيخ الإسلام ابن تيمية وأخوه حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، عمل بالتدريس والإمامة والخطابة والإفتاء ، من أشهر مؤلفاته : " اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية " ، و " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " والعديد من المؤلفات مما يصعب معه الحصر ، للمزيد من ترجمته انظر :
البداية والنهاية ، ج١٨ ، ص ٥٢٣ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ، ص ٥٥٠ ، الأعلام للزركلي ، ج٦ ، ص ٥٦ ." ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها " الشيخ : جمال بن محمد السيد ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م وموقع الإمام ابن القيم الجوزية . رحمه الله . http://www.ibnalqayem.com ، موضوع ترجمة : الإمام ابن القيم .

(٣) ابن القيم الجوزية : " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " ، تحقيق : محمد كيلاني ، مكتبة دار النشر ، القاهرة ، ج٢، ص٢٤٦ .

(٤) أبو حامد الغزالي : " المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال " ، تحقيق : سعد كريم الفقي ، دار ابن خلدون ، ص١٦ .

(٥) كتاب الديانة الزرادشتية المقدس ، وسيأتي التفصيل عنه في لاحقاً

أهل فارس ، ومن ثم أطلقت على كل من تكلم بخلاف تعاليم الإسلام المتعارف عليه، ومن ثم توسع المسلمون في استخدامها حتى أطلقت على شعراء المجون والخلاعة.

علاقة لفظ زنديق بالثنوية:

الزندقة صفة أعجمية ذميمة أطلقت على المخالف للكتاب المقدس الزرادشتي وتأوله وفسره بغير الحق. ومن ثم أصبحت تُطلق على المخالف لكل حق، فكانت صفة عامة تطلق على اتجاهات فكرية مختلفة.

وما يهمني توضيحه هو العلاقة التي تربط اللفظان معاً وتجعلهما مترادفان، فكلاهما يقصد بهما أصحاب الاثنين وإن كان زنديق اتسع ليشمل أصحاب الاثنين وغيرهم إلا أن ثنوي بقي على خاصته في الوصف.

المطلب الثالث: لفظ المجوس

اللفظ المرادف الثاني للثنوية هو لفظ المجوسية، والمجوسية اسم علم على الدين الإيراني القديم، وأديان إيران كلها قائمة على الاعتقاد بالاثنين المتضادين في هذا الكون. فحين يُذكر لفظ الثنوية يتبادر إلى الذهن مباشرة المجوسية الإيرانية ، وحين يُذكر لفظ مجوس لا مجال أماماً إلا أن نذكر " أنهم القائلين بالأصلين الذين يحكمان العالم".

تعريف المجوسية لغةً:

هو لفظ أعجمي معرب وأصل مادته هي " م ج س ".

- (مجس من مجوسية نحلة، والمجوسي منسوب إليها والجمع مجوس، وهو معرب أصله منج كوش ، كان رجلاً صغير الأذنين أول من دان بدين المجوس ، ودعا الناس إليه فعربته العرب وقالت مجوس يقال تمجس الرجل ، وتمجسوا صاروا مجوسا ، ومجسوا أولادهم صيروهم كذلك ومجسه غيره) [1].

وقيل أيضاً أن :

- المجوسية بالفتح نحلة ، والمجوسي منسوب إليها والجمع مجوس، وتمجس الرجل صار منهم، وفى الحديث : "فأبواه يمجسانه" [2].

كما جاء في تعريفها :

- إن كلمة مجوس مأخوذة من كلمة "ماجو" الفارسية، وهي تعني كاهناً او عالماً بالفلك، يذكر هيرودوت عنهم . المجوس . أنهم فئة كهنوتية من الماديين أو الفرس القدماء، وهم المسؤولون عن القيام بالطقوس الدينية [3].

---

(١) ابن منظور : " لسان العرب " ، ص٤١٤٠ . ٤١٤١ ، مادة : (مجس) .

(٢) الرازي : " مختار الصحاح " ، ص٥٤٢ ، مادة : (مجس) .

(٣) مجدي كامل : " زرادشت الذي حير العالم وحقيقة الزرادشتية " دار الكتاب العربي دمشق ، القاهرة، ٢٠١١م ، ص٧٩ .وقد ترجمة لشخصية هيرودوت في موضع لاحق .

تعريف العلماء لمصطلح "مجوسية":

صحيح أن ما ذكر من نصوص سابقة تحت عنوان تعريف المجوسية لغة اشتمل على تفصيل للمعنى الاصطلاحي أيضاً بحيث يصعب معه الفصل بينهما ، لذا لم أشأ أن أعنون هنا بـ (المجوسية في الاصطلاح). لكن بالنسبة للفظ نفسه كان له أكثر من استعمال والتفصيل فيه الفائدة إن شاء الله .

أحياناً يأتي اللفظ معرفاً بأل فتكون علماً على اسم الملة ذاتها " المجوسية " وتارة بدون الياء فيصبح " المجوس " فيقصد بها اسم القبيلة أو رجال الدين ، وعلى هذا الأساس جاءت التعاريف مختلفة الأوجه.

" المجوسية " بالياء:

إذا أطلقت بهذا الشكل من اللفظ فهي علم على الدين الفارسي .

١- (الدين الأكبر والملة العظمى) [١].

٢- (لون من ألوان الشرك والوثنية ظهر منذ فجر التاريخ ، ومنذ الوثنية الأولى للإنسان الأول عندما عبد مظاهر الطبيعة ، فعبد فيما عبد النور والنار) [٢] .

٣- (هي الديانة التي عرفت التوحيد الذي يقوم على الشرك ، ففيها إلهين أحدهما للخير والآخر للشر، وهي ديانة سامية لأنها تجمع بين التوحيد في إفراد الأب والشرك من الذرية ، فالمجوسية لا تخلو من الوحدانية المشركة) [٣].

" المجوس" بدون الياء:

إذا أطلقت بهذا الشكل فهي وصف لمن اعتنق الدين الفارسي .

١- (أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر ، يسمون أحدهما : النور والآخر الظلمة ، وبالفارسية : يزدان وأهرمن) [١] .

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، تحقيق : محمد كيلاني ، طبع : دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٢٣٠ .

(٢) محمود بن الشريف : " الأديان في القرآن " ، دار عكاظ للطباعة والنشر ، ط٣ ، ١٩٧٩م ، ص٩١ .

(٣) أحمد عبد الغفور العطار : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ط١ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكة المكرمة ، ج١، ص٢٤٢،٢٤٣ .

٢- (هم الذين أثبتوا أصلين ، وزعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة محدثه) [٢] .

٣- (المجوس هي كلمة فارسية تعني كهنة رتبتهم بين الحاكم والشعب في بلاد ماوي وفارس، وكانوا خدم دين زرادشت ، وكانوا معروفين بلباسهم الخاص) [٣] .

٤- (المجوس هم : عبدة النار ، ويقولون : إن للعالم أصلين النور والظلمة ، وقيل أن أصلها النجوس ؛ لأنهم كانوا يستعملون النجاسات في تدينهم ، ويعدون من أقدم الطوائف) [٤] .

٥- ومن أشمل التعريفات التي وجدتها للفظ المجوس أنها : (كلمة فارسية أطلقت على أتباع الديانة الزرادشتية ، وهي ديانة وثنية ثنوية تقول بوجود إلهين اثنين ، وقد اختلف العلماء في سبب الاسم فقيل: إنها نسبة إلى رجل اسمه مجوسن أو قبيلة من الفرس تدعى ماجان) [٥].

وقد ورد لفظ المجوس في القرآن في موضع واحد فقط. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴿١٧﴾ ﴾[٦]. قيل أن الآية تذكر أصول الأديان التي انبثقت منها كافة الملل والنحل التي ظهرت في تاريخ البشرية ، وأرى أن الترادف بين اللفظين الثنوي والمجوسي بيّن .وقد أصاب من قال: (إن الثنوية هي ألزم سمات المذاهب المجوسية ؛ لأنها تتراءى في كل مذهب منها بلا استثناء) [٧].

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج١ ، ص٢٣٢ .

(٢) القاضي الباقلاني : " تمهد الأوائل وتلخيص الدلائل " ، ص٨٧ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس : نخبة من أساتذة اللاهوتيين ، ص٥٧٠ .

(٤) فخر الرازي : " اعتقادات فرق المسلمين والمشركين " ، ص١٣٤ .

(٥) موقع الموسوعة العربية http://www.arab ، م ١٧، العلوم الإنسانية، الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد، المجوسية .

(٦) سورة الحج : آية ١٧ .

(٧) العقاد : موسوعة عباس العقاد الاسلامية ، ج١، توحيد وأنبياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص١١٩ .

الخلاصة:

قد أكون أسهبت فيما أوردت من معاني اصطلاحية عامة ودينية للفظ الثنوية ومترادفاتها، لكني أهدف إلى التكامل في المعنى لدى القارئ لدلالة اللفظ، ومن ثم تخصيص ما أرت أن يتمحور حوله الكلام بعد ذلك وهي الناحية الدينية ، وقد حرصت أن تكون التعريفات الدينية من وجهة نظر إسلامية وأخرى غربية، حتى أني تعمدت أن أُنوع في استخدام اللفظ الدال عليها ما بين الاثنين والثنوية، وكذلك أهل التثنية والمثنوية. وقد كانت تعريفات العلماء بشكل عام في القديم والحديث في إطار العلاقة الكونية الأزلية بين قوى الخير وقوى الشر، بينما اقتصر علماء الأديان في تعريفاتهم على الصورة النمطية للأديان الفارسية القديمة. وقد لاحظت أن التعاريف الدينية اقتصرت على صورة أديان فارس القديمة ولم تتضمن الصور الأخرى للمعتقد الثنوي الذي خالط الأديان الوضعية والأديان التوحيدية المحرفة الأخرى؛ بل إنه لم يكن يعبر عن صورة الثنوية في فكر بعض الفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام مثلاً.

وقد حرصت على تنوع المصادر التي استقيت منها معلوماتي من حيث الزمن والفكر، لذا نرى التعريفات من عصور مختلفة واتجاهات متباينة. وبعد كل هذا قمت بصياغة تعريفين للثنوية أحدهما عام والآخر ديني عقدي.

كما وإني أنهيت كل ذلك بمترادفات للفظ الثنوية فوقع اختياري على أخص اثنين هما "الزندقة والمجوسية". فإبتدت بلفظ (الزندقة) الذي ظهر أول استخدام له في العصر العباسي وكان علماً على المانويين الثنويين، ومن ثم أُدرج معهم سواهم من الدهريين والملحدين والشعراء الماجنين. ومن ثم ثنيته بلفظ (المجوسية) لأنها الوجه الآخر للثنوية فهما يعتبران وجهان لعملة واحدة فالثنوية تعني مجوسية والمجوسية تقوم على الثنوية.

الفصل الثاني

جذور فكرة الثنوية وتطورها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جذور فكرة الثنوية

وفيه تمهيد ومطلبان:

- المطلب الأول: جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر إسلامية.
- المطلب الثاني: جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر فلسفية.

المبحث الثاني: تطور الفكرة الثنوية

وفيه تمهيد ومطلبان:

- المطلب الأول: تدرج فكرة الثنوية في العصور القديمة.
- المطلب الثاني: صور فكرة الثنوية في العصر الحديث.

المبحث الثالث: الشبهات التي قامت عليها الفكرة الثنوية والرد عليها

(تمهيد)

حينما كتبت العنوان بهذا الشكل "جذور فكرة الثنوية" قصدت من وراء ذلك تحديد ما أنا بصدد البحث عنه. فلست أبحث عن بدايات المعتقد الثنوي الذي قامت عليه أديان إيـــران القديمـة، إنمـــا أبحث عن بدايـــة البدايـــة كمـا ذكرت سابقـاً. وهذا ما قصدته من الفصل في البحث عن الفكرة الثنوية بحد ذاتها وبين الحديث عنها بعد أن أصبحت الدين والمعتقد الثنوي؛ كما أن هناك فرق آخر بين الفكرة الثنوية الكونية بالمعنى العام والفكرة الثنوية الدينية بشكل خاص.

فالأولى أي الثنوية الكونية تعني وجود أمريـــن ضدين متناقضين مرتبطين بربـــاط ما وهذه هي فكرة الكون كله . فالكون كله قائم على الثنوية ، فهي قانون الكون وناموس الطبيعة الكونية ، في كل شيء هناك ثنوية قد تكون تلازميه أو تضادية المهم أنها موجودة. خلق الله سبع سموات مرتفعة وعلى عكسهـــا خلق سبع أرضين منبسطـــة، أليست الجنة بنعيمها تضاد النار بعذابها ، كما أن هناك الشمس المضيئة في النهار وعكسها القمر المظلم في الليل، ألم يخلق الله ـ عز وجل ـ الإنسان من نوعين ضدين ذكر وأنثى. ليس هذا فقط ، فالمشاعر الإنسانية أيضاً ثنوية، فهناك الفرح وهناك الحزن أليسا متضادين وهناك الصحة والمرض أليسا متضادين. جوع وشبع ، يسر وعسر ، نجاح وفشل ، ولادة وموت ، غنى وفقر، علم وجهل ، وغير ذلك الكثير ، إذاً هي صنعة إبداعية إلهية لخلق الكون ومنهجه .

أما الثانية التي اختصها بالدراسة وهي فكرة الثنوية الإلهية العقّديـــة ، فجذور فكرة عبادة إلهين اثنين هي ما أبحث عنها. إن كان قانون الكون الثنوي هو صنعة إلهية خالصة. فمن هو صاحب فكرة الإلوهية الثنوية ؟!!

المبحث الأول
جذور فكرة الثنوية

وفيه تمهيد ومطلبان:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر إسلامية.**
- **المطلب الثاني: جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر فلسفية.**

المطلب الأول: جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر إسلامية

نحن على اتفاق تام كمسلمين أن الأصل في البشرية هو التوحيد. وهـذا أمـر لا خلاف عليه، فقد جعله الله سبحانه وتعالى أصل للأديان السماوية كلها قبل أن يطرأ عليها شتى الانحرافات وأنوع الضلالات.

ففطرة وحدانية الله في العقل البشري أمر لا جدال فيه، مهما طرأ على البشرية من الإفساد الديني نجدها تتجه في الملمات والشدائد إلى إله واحد أعلى حتى في الأديان الوضعية. وهذا ما ذكره بعض علماء الأديان الغربيين أيضاً في قلة من مؤلفاتهم الدينية الإنسانية، والتي تبناها نوعاً من العلم يعرف بعلم الأنثروبولوجيا [(١)]. قالوا أنه ما من مجتمع أو حضارة إلا وعرّفت الإله الأعلى، وتعبّدت له، فمفهوم الإله الواحد ليس خاصاً بالأديان التوحيدية المنزلة فقط ؛ فالتوحيد هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها حتى من قبل أن يُخلقوا ككائنات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[(٢)].

يقول ابن كثير [(٣)] –رحمه الله – في تفسير الآية:

---

(١) الأثنولوجيا : هو علم دراسة الشعوب ، وهي كلمة تتكون من مقطعين Ethnos ، بمعنى شعب أو قوم ، والثاني logy بمعنى علم أو دراسة ، مجالها علم دراسة المجتمعات الإنسانية وخصائصها اللغوية ، والثقافية ، والحياة الاقتصادية ، ونظام الحكم ، والنظم القانونية ، والعقائد الدينية ، وغير ذلك من النشاط والسلوك الحضاري ، محمد الخطيب " الأثنولوجيا " ، دراسة عن المجتمعات البدائية ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، سوريا ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩م ، ص ٧ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .

(٣) هو : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ، كنيته أبو الفداء، وهو عماد الدين ، حافظ مفسر ومؤرخ وفقيه، ولد ٧٠٠هـ في قرية بالشام، وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ، ودفن مع ابن تيمية في مقبرة الصوفية، الذي تتلمذ على يده ، له مصنفات عديدة منها: "تفسير القرآن العظيم " و " البداية والنهاية " .

لترجمته أنظر : " الأعلام للزركلي ، ج١ ، ص٣٢٠ " ، و" طبقات الحفاظ للسيوطي ، ص ٥٣٣ " .

(يُخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ، وأنه لا إله إلا هو) [١].

وفيما روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في الحديث القدسي:

(إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) [٢].

ومن الحقائق الثابتة لدينا والتي لا يرقى إليها أدنى شك أن أبو البشر أدم– عليه السلام– موحدا وأبناؤه من بعده موحدين لقرون عدة ، إلى أن بدأت أولى الغوايات والضلال وظهر الشرك في البشرية زمن نبي الله نوح – عليه السلام – لكن كتب التاريخ الاسلامي ذكرت نصوص[٣] أخرى مقتبسة من روايات إسرائيلية لم يرد لها ذكر في القرآن الكريم أو السنة النبوية عن بدايات للشرك أخرى غير ما كان على الأرض.

وأنا أرى أنه لا تعارض البته بين ما ذكرته مصادرنا الإسلامية وما ذكرته تلك الروايات الإسرائيلية . فما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية تحدث عن بداية الشرك على الأرض الذي وقع من البشر في زمن نبي الله نوح عليه السلام ، ولم يأتي على ذكر تاريخ أبعد من ذلك ، أما الروايات الإسرائيلية فهي تروي تاريخ للشرك أبعد من ذلك!! قصص حدثت في الملاء الأعلى.

وهل خلو القرآن الكريم والسنة النبوية من ذكر تلك التفاصيل تنفي وقوعها؟. أنا لا أعتقد ذلك فعدم العلم لا يعني عدم الحدوث ؛ فهناك العديد من الأحداث التي تخص أقوام سابقين نحت فيها مصادرنا الاسلامية منحيين . إما السكوت عنها وتجاهلها، وإما الإيجاز فيها والاختصار، فلما لا يكون ما حدث في الملأ الأعلى الذي جاء في الروايات الإسرائيلية من قبيل النوع الأول مثلاً .

---

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ج٢ ، ص٢٧٢ .

(٢) رواه مسلم في كتاب " الجنة " باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ، ١٧٤١/٤ ، برقم ٢٨٦٥.

(٣) هي روايات إسرائيلية وردت في العديد من كتب التاريخ الإسلامي رأيت فيها وجهة نظر أقنعتني لبداية الفكرة الثنوية

وقد وجدت في تلك الروايات ما يفسر لي بداية فكرة الثنوية الإلهية بمعقولية على الأقل بالنسبة لي. فقد كانت لدي إشكالية في الاقتناع أن بداية الفكرة الثنوية من أديان فارس القديمة فقط، فعموم الفكرة على مر العصور والأزمان وانتشارها بين الأديان التوحيدية والوضعية بالشكل الذي سوف نوضحه لاحقاً هو بحد ذاته ما يؤكد لي وجود مصدر للمعتقد الثنوي غير أديان فارس.

إفتراض البدايات السماوية:

مجمل النصوص الإسرائيلية كانت تتحدث عن بداية عصيان الله سبحانه وتعالى من قِبل مخلوقات سكنت الأرض فطغت وأفسدت ولم يستطع من أُرسل إليهم من الملائكة القضاء عليهم ، حتى أُوكلت تلك المهمة إلى " أبو مرة " إبليس مزود من الله بقدرة مُنحت له ، وجبروت أُعطي له ، استطاع أن يحاربهم وينفيهم إلى الجزر والبحور.

فعلى سبيل المثال من النصوص التي جاءت في كتب التاريخ الإسلامي: (أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا، فبعث الله إبليس في جند من الملائكة... فقتلهم إبليس... حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف البحار فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال: صنعت شيئا لم يصنعه أحد) [(١)]. وعلى إثر ذلك الانتصار الذي أحرزه إبليس راوده حلم الألوهية، فطلب من جنوده وأعوانه أن يسجدوا له تقديراً لما قام به، فقد كانت له قدرة تفوق قدرة المخلوقات آنذاك .

يفترض حينها أن هذه هي بدايات الفكرة الثنوية الألوهية. فقد قيل في نفس السياق: (إن الله حسّن خلقه وشرفه وملّكه على سماء الدنيا والأرض... وجعله خازناً من خزّنة الجنة فاستكبر على ربه ، ودعا من كان تحت يده إلى عبادته، فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيما وشوه خلقه) [(٢)] .

---

(١) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ج١، ص٧٩ .

(٢) علي بن محمد الشيباني الشهير بابن الأثير : " الكامل في التاريخ " اعتنى به : محمد العرب ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ج١ ، ص١٥ .

ولما لم يُطاع في السماء ولم يتحقق له ما أراد من عبادة أستغل فرصة صدور أول أمر له فأعلن عصيانه وتمرده من خلال قصته مع السجود لآدم . فطُرد من الجنة وأقسم قسمه اللعين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (1).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾(2).

ذلك القسم الذي كان بداية ضلال البشرية- بإذن الله- فما كان ليستطيع غواية إنسان إلا بإذن الله ، وتقريراً لسنة الابتلاء الرباني التي فرضها الله على ذرية آدم . لقد خطط اللعين لغواية الناس وضلالهم بشتى الطرق والأساليب المتنوعة ، والتي كان من بينها قدرته على إحداث تأثير في الكـــون وهو ما نحن بصدد البحث فيه "معتقد الثنوية الإلهية في الكون"، إبليس يوسوس والإنسان يختار فمن اختار طريق الهدى أعانه الله وهداه إليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ ﴿٦٩﴾ ﴾(3).

ومن اختار طريق الضلال فغوى وفرط زاده ربه ضلالاً وإسرافـــاً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾(4).

الآيات السابقة توضح أن للإنسان مسؤولية مشتركة مع خطط إبليس في ضلاله وذلك من إتباع سلطان الهوى في السؤال عن كل شيء ، ومحاولة تفسير كل شيء، والاعتماد على العقل في كل شيء. فالعقل البشري ذو قدرة محدودة في نطـاق أبعـــاد لا يمكن تجاوزها، وإلا ضلّ وأضلّ.

---

(١) سورة ص : آية ٨٢ – ٨٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٦ .

(٣) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

(٤) سورة غافر : آية ٣٤ .

وهذا ما حدث مع من حادوا عن جادة الصواب، وتمكن منهم إبليس فكانوا هم الضالين الوثنيين الثنويين. وقد كانت قضية الألوهية بصورة خاصة تشغل تفكير ووجدان الإنسان منذ البداية.

(الألوهية من أهم القضايا التي شغلت الإنسان منذ أقدم العصور .... هي وما يلازمها من تساؤلات حول الوجود والمصير) (١) .

فقد تعلم الإنسان منذ الأزل أنه لابد لكل مُحدَث مُحدِث، ولكل فكرة بداية، والمعضلـــة هنا تكمن في أن البداية هي من عالم الغيب الذي قالوا عنه :

(فمسائل الإلوهية بالذات الصحيح فيها.. إنها تنتمي إلى عالم الغيب، وليس لها في عالم الشهادة نظير فتقاس عليه ، ولا ينفع فيها التصور العقلي والتخيل الذهني ، بل لابد فيها من اليقين الجازم الذي لا يرقى إليه شك ولا يخالطه ريب) (٢) .

هذا ينطبق على الثنويين الذين تخيلوا وجود إله ثاني للشر في مقابل إله الخير، وذلك قياس على عالمهم المشهود؛ لكني حين لجئت إلى الروايات الإسرائيلية الغير قطعية الدلالة ، لم يكن تحدث في مسائل إلوهية أو تخيل صفات ربوبية ، إنما هو محاولة سبر أغوار بدايات لم نكن من أهل زمانها أو مكانها ولما لم أجد في مصادرنا الإسلامية البدايات السماوية فلجأت إلى الروايات الإسرائيلية لمزيد من التوضيح والتفسير.

إن ما تتميز به الروايات في القرآن الكريم والسنة النبوية هو عدم التناقض والتضارب في الأحداث ، بينما روايات من كان قبلنا عبثت بها أيدي البشر فنجد أن من سماتها التناقض والتضارب في بعض الأحيان ، فهناك روايات تذكر أن التربص والتوعد من إبليس لآدم كان قبل امر السجود .

---

(١) مصطفى حسن النشار : " فكرة الإلوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية " ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، بدون ، ص١٧ .

(٢) محمد السيد الجليند : " قضية الإلوهية بين الدين والفلسفة مع تحقيق كتاب التوحيد لابن تيمية " دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص٩ .

(فقد كان إبليس يطوف به وهو صلصال كالفخار فيتعجب منه ، ويقول لأمر عظيم قد خُلق هذا ، ولئن سُلط عليا لأعصينه ، ولأن سُلطت عليه لأهلكنه) (١) .

(وروى قتادة (٢) في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٣). إنما كانت هذه الآية في إبليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطاناً رجيماً، وحين عصى الله . عز وجل . عُرف بإبليس ونُصب له عرش على وجه البحر) (٤) .

وقد أخذ اللعين وعداً من الله– سبحانه وتعالى– أن يمهله إلى يوم القيامة، لأنه كان يعتقد أنه قادر على الغواية بدون إذن ومشيئة من الله– عز وجل– واعتقد أنه بتلك المهلة قد انتصر على آدم في غواية ذريته، لكن مشيئة الله فوق مشيئة الخلق ، فقد أمهله الله– عز وجل– تحقيقاً لسنة الابتلاء التي خُلق عليها بني آدم.

فكيف يُمتحن الإنسان في حياته بدون وجود نوازع الخير ونوازع الشر، ويقع عليه مهمة الاختيار بينهما ، إما الهداية أو الضلال. فعلى الشيطان كانت مهمة الغواية ، وعلى بني آدم مهمة الاختيار بما أعطاه الله تعالى من قدرة وإرادة على التميز. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾(٥) .

والمقصود بالنجدين كما فسرها العلماء : هما طريق الخير وطريق الشر (٦)،

---

(١) ابن الجوزي : " كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم . علية السلام . " تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ١١٤٢٠هـ ، ص٤٣ .

(٢) قتادة بن دعامة بن عبد العزيز السدوسي البصري ، مفسراً حافظاً ثقة حجة في الحديث ، ولد سنة ٦٠هـ ، وتوفي سنة ١١٨هـ ، روى عن أنس وابن المسيب وابن سيرين وروى عنه أيوب والأوزاعي وشعبة .
ترجمته في " وفيات الأعيان " لابن خلكان ، ج٤ ، ص٨٥ ، و " الأعلام " للزركلي ، ج٥ ، ص١٨٩ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٢٩ .

(٤) ابن كثير : " بداية خلق الكون " ، ص١٥٩ .

(٥) سورة البلد : آية ٨– ١٠ .

(٦) النجدين الطريقين قال سفيان الثوري عن عاصم عن عبد الله وهو ابن مسعود : " وهديناه النجدين" قال : الخير والشر ... ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ج٤ ، ص٥٤٧ .

ونلاحظ على الترتيب المذكور في الآية أنه- سبحانه وتعالى- منح الإنسان الأدوات- الحواس- التي تعينه على الاختيار، ومن ثم وضح أمامه الطريقين.

وكذلك كان الوضع مع آدم- عليه السلام- وزوجته حواء ، فبعد أن طُرد إبليس من الجنة، بقي في السماء يُخطط لينتقم ، والله العليم القدير ما كان ليترك أول خلقه في غفلة من أمره ، فحذر آدم- عليه السلام- وزوجته منه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]. كما حذر ذريته من بعده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]

ليست تلك الآية الوحيدة ، بل إن كتاب الله تعالى يمتلئ من مثل تلك التحذيرات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

وأجد في هذا جواب على المتفلسفة الذين يتبجحون بقولهم لما خلق الله الشر إن كان لا يريد للإنسان أن يقع فيه؟، فقد خلق الله مصدر الشر؛ لأن به تتحقق سنة الابتلاء الكونية ، وهو بالفعل لا يريد للإنسان أن يقع فيه من خلال عدة تدابير تعين الإنسان على عدم الوقوع فيه منها :

- خلق له الحواس التي تمكنه من معرفة الفرق بين الخير والشر.
- أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب.
- الكثير من الآيات القرآنية التي حذرت من الوقوع في الضلال واتباع الهوى.

---

(١) سورة طه : آية ١١٧ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٢٧ .

(٣) سورة يس : آية ٦٠ .

بداية الغواية الإبليسية على الأرض:

أول ما قام به إبليس على الأرض كان مع ابني آدم في قصة القربان المعروفة في القرآن الكريم ، فقد كان هو سبب الوقيعة بينهما بمشيئة الله تعالى، لكن لم تكن الظروف التي يعمل بها سهلة وميسرة ، فقد بقيت البشرية على الحق عشرة قرون منذ نزول آدم على الأرض، لم تكن سنة الابتلاء معطلة خلال تلك الفترة ، بل كان يسعى الشيطان بالوسوسة والضلال قدر المتاح لها ، إنما لم يجرؤ على الدعوة للثنوية الإلهية بعد. وكذلك أثناء فترات دعوات الانبياء أيضاً كانت مهمته صعبة .

فلم يكن رسل ربي وأنبياؤه على فترات متقاربة من الزمان [١].

فكانت تلك هي الظروف المناسبة التي عمل فيها الشيطان ، فقد كان يستغل بُعد أمة من الناس عن تعاليم الأنبياء ويبدأ عمله ، أولاً يُلفت نظرهم إلى قانون ثنوية الكون من حولهم، ويجعلهم يتأملون قوانينه القائم عليها ، ومن ثم يبدأ بتوجيه العقل إلى السؤال عن الفاعل . إن لكل فِعل فاعل ، والكون خلقه ثنوي ضدي وهذا يلزمه خالقان ثنويان ضدان ، فلا يتصور أن يكون مصدر المنح وعطايا الخير هو ذاته مصدر المنع وبلايا الشر، لابد من وجود قوتين لذلك التناقض ، فيستحيل أن يكون مصدر الخير هو ذاته مصدر الشر، وبما أن القوى الإلهية الغيبية هي مصدر كل شيء في الكون، فهي إذاً قوى مثنوية إلهية ؛ إله الخير وإله الشر ، من هنا كما - أرى - بدأت تحول الفكرة الثنوية إلى العقيدة الثنوية التي أضحت سمة الأديان الفارسية ، وما زالت تتطور وتتدرج إلى يومنا هذا.

قد يعترض عليّ أحدهم أن ما ذكرته لا يعدو كونه استنتاجات وأفكار تخيلية !!

فالأمر لا يعدو أن يكون بعض الحقائق والمعلومات المأخوذة من مصادرنا الشرعية من الكتاب والسنة مع الاستعانة ببعض الروايات الإسرائيلية الواردة في كتب كبار المؤرخين المسلمين ، مصحوبة بدلائل وبمسوغات عقلية لغوية واستنتاجيه ، حتى تقترب من عالم الواقع المحسوس والمعقول.

---

(١) وإن كان هذا ليس قانوناً لازماً ، فقد حدث غير ذلك من تزامن أنبياء وتواليهم .

فالأمور الغيبية هي من الدراسات المحرمة من قِبل العلماء خوفاً من الوقوع في المحظور من تجسيد للعالم العلوي بما في العالم السفلي ، حتى لا يصل ذلك إلى حد تجسيد الإله ، وما ضلال البشرية في الألوهية إلا من وراء رغبتهم في رؤية إله ملموس متجسد في الأعيان أو في الإمكان.

لكن طريقة المنع التام عن معرفة صفات الإله هي طريقة عقيمة وتأتي بنتيجة عكسية وهي المزيد من التعمق والخوض ، إنما وضع الضوابط الشرعية لها قد تكون هي الاجدى والأفضل.

فحين استنتجت بدايات الثنوية الشركية في الملأ الأعلى لم أقع في محظور ؛ وعندما تخيلت بداية الفكرة الثنوية والتي تحولت بعد ذلك إلى المعتقد الثنوي لم أخرج عن دائرة التوحيد ، فلم أرتب حواراً وهمياً نصياً بين الله- سبحانه وتعالى- وبين إبليس إلا ما جاء في القرآن الكريم ، ولم أتجرأ كما تجرأ اليهود على صفات الله عز وجل ، فعملي كان حول أمور غيبية تخص المخلوقين من الثقلين ، ولم يكونا في يوم من الأيام معصومين إلا من اختاره الله.

وقد استعرت هذا المنهج من بعض الباحثين الذي ذكروا : (أن كل النظريات المتصلة بتاريخ الأديان القديمة، فيما يخص مبدأها ومنشأها ، تقوم كلها على مجرد افتراضات أكثر من قيامها على علاقات واضحة بين السبب والمسبب) (١) .

ولم أقم رأيي على مجرد افتراضات فقط ، لكنها كانت افتراضات مبنية على أدلة شرعية بمعية قصص تاريخية إسرائيلية لا تمس العقيدة الإسلامية ولا تناقض ما جاء فيها، وتكملها دلائل وتحليلات عقلية ، لعلي من خلال ما سبق أكون قد سلطت الضوء على جذور فكرة احتمال وجود إله ثاني مع الله يدبر الكون من وجهة نظر الأديان التوحيدية المنزلة والتي تعرف بالثنوية.

---

(١) بركات دويدار : " موسوعة العقيدة والأديان " ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م ، ج ١٥ ، ص٢٥ .

المطلب الثاني: جذور فكرة الثنوية من وجهة نظر فلسفية

كما هو واضح من عنوان المطلب أنها رؤية فلسفية لبدايات الفكرة الثنوية، ورغبة مني في توضيح هذه النظرة وإتاحة الفرصة لها لتعبر عن فكرها بشكل جلي فضلت الابتعاد عن الاستدلالات القرآنية والإثباتات الشرعية ما أمكن، فقد استوفيتها حقها في المطلب السابق.

وبداية أذكر حقيقة أقرّها علماء الأديان جميعهم أنه ما من معتقد ديني انبثق من نفسه ، فالدارس للأديان أو المعتقدات القديمة أو الحديثة على حد سواء يجد أن:
(إن جميع العقائد والمذاهب ليست منفصلة عن بعضها أو منقطعة الجذور أو نشأت من العدم بصورة مفاجئة ، بل دائما يحصل تفاعل مستمر في الآراء والأفكار في مختلف المناطق في العالم ، وقد أثبت التاريخ الديني أن كل دين له جذور من دين سابق له)(١).
هذا هو الشاهد من النص "أن كل دين له جذور من دين سابق له".

وما سوف أنهل منه هنا هي آراء علماء وفلاسفة تحدثوا في موضوعي بمصاحبة أساطير الشعوب القديمة ، بل الموغلة في القدم ، والتي فسّرها علماء تاريخ الأديان الغربيين(٢)؛ على الرغم من أنهم لا يملكون حقائق مؤكدة، لكنهم خاضوا غمار هذا العلم معتبرين ما حققوه فيه من نتائج هو من نوع التكهن.
(فمؤرخو الديانات على الخصوص معترفون بأن الآثار الخاصة بديانات العصر الحجري، وما قبله لا تزال مجهولة لنا جهلاً تاماً ، فلا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن والرجم بالغيب) (٣).

---

(١) بدون مؤلف : " لمحات عن أديان العالم " ترجمة : صادق الركابي ، مطابع الشرطة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ٢٠٠٧م ، ص٢٧٦ .

(٢) لقد سبق علماء الأديان الغربيين أمثالهم من المسلمين في خوض غمار البحث عن الأديان القديمة للإنسان الأول فيما يُعرف بأديان ما قبل التاريخ ، فهم أول من برع في علم الأثنولوجيا الذي يقوم على تتبع حقبة ما قبل التاريخ بكل مقوماتها الإنسانية ، وعمدتهم في ذلك أبحاث واكتشافات علماء الآثار والتنقيب !!! .

(٣) عبد الله دراز : " الدين . بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان " ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص١٠٨ .

ولأنهم يطلبون المرجعية الأولية الدينية التي ولدت مع مولد الإنسان على الأرض فقد كان منهجهم الذي انتهجوه للوصول إلى هذا المطلب– نشأة الدين– .

(هو التنقيب عن أديان الأمم القديمة ، أو أديان الأمم غير المتحضـــرة، حتى إذا ما انتهى بهم السير في تلك العصور المظلمة، إلى أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني اعتبروه صورة مطابقة لما كان عليه الإنسان الأول) [(١)] .

وقد انقسموا في آرائهم إلى فريقين، منهم من نادى "بالتطور التقدمي للأديان"، ومنهم من نادى "بفطرية التوحيد وأصالته"[(٢)] .

ولما كان ما سوف أذكره ليست حقائق بل ضرباً من التكهن كمـــا ذكـــروا هم، لذا جعلتها افتراضات لجذور الفكرة الثنوية وبداياتها في تاريخ البشرية ، متدرجة زمنياً من عمق التاريخ إلى الزمن الحديث.

الإفتراض الأول:

ينص هذا الافتراض على أن النظرة الثنوية للكون تكونت لدى الإنسان من نظرته إلى الطبيعـة المتوحشـة مـن حولـه، وإلى مظاهرهـا الفجائيـة المـدمرة مـن زلازل وبـراكين وفيضانات، فخاف منها واسترهبها ، ولأن المواقف المرعبة هي التي تجعل خواطر الذهن تُبادر إلى طرح التساؤلات عن مصدر هذه القوى المدمرة ، فما من ساكن إلا وله محرك يُحركه ساعة يشاء ويُسكنه متى ما أراد، من هنا نشأ ما يعرف بـ "بالنظرية الطبيعية" [(٣)].

ميز الإنسان الأول في إيمانه بقوى الطبيعة من حوله بين قوتين مختلفتين في الطباع والتأثير القوة المانحة المعطاءة ، والقوة الغاشمة المدمرة . وقـــد ذكر بعض العلماء أن الأولى لا تكفي لإيقاظ الشعور الديني لأنها بتكرار النظر إليها تصبح مألوفة ، لكن الثانية ذات

---

(١) عبد الله دراز : " الدين .. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان " ، ص١٠٦ .

(٢) ليست نظرية إسلامية إنما نادي بها علماء الغرب المنصفين أمثال " لانج " ، الذي أثبتها لدى شعب أستراليا القديم و " شريدر " الذي أثبتها لدى الأجناس الآرية ... الدين " لعبد الله دراز ، ص١٠٧ .

(٣) هي ترتبط بعامل الانتباه الذي تفرضه الطبيعة على الإنسان ، إما ببديع صنعها ، أو جمال تركيبها فيندفع الإنسان وراء ذلك باحثاً عن هذه القوة الخارقة المبدعة الصنع ، وأشهر مقرري هذه النظرية ، هو ماكس مولر الألماني ، وذهب غيره إلى : أن النظر في مشاهد الطبيعة كان على الجملة هو منشأ العقيدة الإلهية ... مدخل لدراسة الأديان ، مسعود حايفي ص ٥٧ . ٥٨ ، كما ذكر ما يشبه هذا الدكتور / عبد الله دراز ، في كتابه " الدين " ، ص١١٤ .

الحوادث المفاجئة ، والتي يضطرب به النظام العادي، كالفيضانات والزلازل فإن تأثيرها على إيقاظ الشعور الديني أشد وأقوي.

وفي خلال رحلة بحث الإنسان عن المسؤول عن ذلك ، انتقل في إيمانه إلى مرحلة جديدة ، انتهى من الإيمان بوجود كائن إلى البحث عن المكّون الذي بيديه سعادته أو هلاكه ليقدم له فروض الطاعة والولاء .

ومن هنا بدأ عمل إبليس!! هما خالقان اثنان وليس خالق واحد، أحدهما بيده سعادتك فيجب أن يُشكر، والثاني بيده هلاكك فيجب أن يُعبد ليرضى، فالطبيعة نوعان تستلزم أن يكون لها خالقان.

(ساد اعتقاد أن النظام المستقر في الكون تدعمه آلهة، والخروج على هذا النظام بالفوضى أيضاً من فعل آلهة أخرى، وهذا ما قاد إلى تطوير نوعين من الطقوس- لم تصل إلى مسمى عبادة بعد- الأول يهدف إلى طلب عون الآلهة الخيّرة ، والثاني يهدف إلى اتقاء أذى الإلهة الشريرة)[1] .

في اعتقادي من خلال تسلسل الأحداث أنه من هنا كانت بداية الممارسة الحقيقية للفكرة الثنوية ، كمعتقد ديني يؤمن بنوعين من قوة الآلهة ، تُقدم لها نوعين من الطقوس والعبادات ، من وجهة نظري هي البداية الفعلية الأرضية للثنوية ، كائن بسيط وتخيله جاء غاية في البساطة.

(ومن ثم انبعث ولاء الإنسان لقوى أو كائنات ظنها قادرة على دفع الخوف والرهبة من نفسه ، فحرص على التقرب لها ليتقي شرها ويضمن نفعها ويستدر عطفها عليه، فأصبحت قوى الطبيعة وكائناتها آلهة تُعبد) [2] .

وقد ذكرت بعض المصادر المتخصصة في فرع العلوم الإنسانية الدينية القديمة عدة أمثلة على ارتباط فكرة ثنوية الإله بالمظاهر الطبيعية المرعبة على غرار:

---

(١) فراس السواح : " الرحمن والشيطان الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية " ، ص١١ .

(٢) فرج الله عبد الباري : " موسوعة العقيدة والأديان العقيدة الدينية نشأتها وتطورها " ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م ، ج١٤ ، ص٦٥ .

- عرِف شعب المكسيك القديم الثنوية الإلهية كمعتقد :

(إن هناك عالماً تحت الأرض يحكمه إلهان إخوان (أوزوكون وكوزن) والأخير منهم شرير مسبب للزلازل ، وباعث الأذى للناس أما الأول فهو طيب يحمل الشمس على كتفه لتشرق للناس) [(١)] .

- وإذا انتقلنا إلى شعب أمريكا الوسطى:

(قامت ديانتهم على الاعتقاد بوجود إلهين هما تاماغوستاول وتمفاستا)[(٢)].

- كما ذكر أيضاً عن شعب المايا :

(اعتقد شعب المايا الذين سكنوا أمريكا القديمة في وجود آلهة متعددة تتحكم في الكون، كما آمنوا بوجود صراع بين الخير والشر)[(٣)].

من خلال الأمثلة السابقة يتضح أن الافتراض الأول لجذور المعتقد الثنوي هي الطبيعة المدمرة ، فقد ثبت بترتيب الأدلة والقرائن أن نظرة الإنسان الأول في الحضارات القديمة إليها هي التي كونت لديه فكرة وجود قوتين غيبيتين خيرة نافعة وشريرة مدمرة.

قد تكون الفرضية الأولى لجذور المعتقد الثنوي فسرت البداية إلا أنها عجزت عن تحديد النسب والموطن الأول.

الإفتراض الثاني :

هذا الافتراض تبناه الكاتب عباس محمود العقاد [(٤)] في أكثر من كتاب [(٥)]

---

(١) سامي أبو شقرة : " موسوعة الأديان " ، ج١ ، ص٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٤٩ .

(٣) موقع موسوعة دهشة : مقال بعنوان : " تاريخ الأديان " ، الصفحة الأولى ، العقيدة ، أديان ونحل ، بقلم : خالد فؤاد طحطح ، http://www.dahsha.com/old .

(٤) الكاتب المصري عباس محمود بن إبراهيم العقاد ، ولد عام ١٨٨٩م بمدينة أسوان ، وتوفي عام ١٩٦٤م ، إمام في الفلسفة والأدب ، له صالون أدبي يلتقي فيه أهل الفكر من مصر والعالم العربي ، كان يلقب بالأستاذ ، من أشهر مؤلفاته . الله ، العبقريات ، إبليس ، نشأة العقيدة الإلهية وغيرها الكثير .

أنظر: ترجمته "الأعلام للزركلي ، ج٣ ، ص٢٦٦ "، و"موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج٢، ص٨٣٥ . ٨٦١"

(٥) من كتب العقاد التي ناقش فيها مشكلة الشر ومصدره "موسوعة عباس محمود العقاد ، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، كتاب الله ، إبليس ، نشأة العقيدة الإلهية" .

أوضح فيه وجهة نظره عن منشأ الشر في الكون، وبداية المعتقد الثنوي ؛ ولما كان تقديمه للفكرة متكامل الأبعاد رأيت أن أجعله افتراض منفردة ، فبدايته كانت صادمة للعقول السوية.

(يوم عرف الإنسان الشيطان كانت فاتحة الخير) [١] يشرح فيقول:

(إن شبهة الشر هي من أقدم الشبهات التي واجهت عقل الإنسان منذ عرف التفرقة بين الخير والشر، وعرف أنهما صفتان لا يتصف بهما كائن واحد ، وربما كان تفريق الإنسان الهمجي بين شعائر السحر وشعائر العبادة هي مقدمة الحلول) [٢] .

ويكمل أن بديهية الإنسان الأول قادته إلى أن: (فرق بين الأرباب المرجوة والأرباب المرهوبة ، فاتخذوا العبادة لأرباب الخير والمحبة ، واتخذوا السحر لأرباب الشر والبغضاء) [٣] .

يعتبر ذلك تحول للفكرة الثنوية لتصبح العقيدة الثنوية في تاريخ البشرية ، فالقانون الكوني آنذاك كان يحكمه أمر واحد. كانت (القدرة هي كل شيء) [٤] . فالقادر هو المتحكم وهو المعبود ، وبالطبع كانت القدرة نوعان .

ذكر العقاد العبارة التالية أيضاً: (فلما عرف الإنسان كيف يذم القدرة ويعيبها ، عرف القدرة التي تجمل بالرب المعبود ، والقدرة التي لا تنسب إلية ولكنها تنسب إلى ضده ونقيضه وهو الشيطان)[٥] . أسجل اعتراضي على وصف قدرة الشيطان بأنها ضد قدرة الله ونقيضه- تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا- إن ما يمتلكه من بعض القدرات إنما هي ما أعطاه الله ـ عز وجل ـ إياها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .... إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ .... ﴿٢٧﴾ ﴾[٦].

---

(١) عباس محمود العقاد : " إبليس " ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ص٣ .

(٢) عباس العقاد : " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٣٩١هـ ، ج٥، ص٧ .

(٣) عباس العقاد : " الله " ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص١٤ .

(٤) عباس العقاد : إبليس ، ص٤ .

(٥) عباس العقاد : المرجع السابق .

(٦) سورة الأعراف : آية ٢٧ .

ووصف المولى كيد الشيطان بأنه﴿ ....إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[(١)] .

هذه هي صفات القدرة الشيطانية التي وصفها العقاد بأنها ضد الله ونقيضه[(٢)].

ويكمل الكاتب فكرته التي نقلها عن غيره ممن تكلم فيها فيقول : (أن البشرية مرت في عبادتها بأطوار عدة من تعددية إلى توحيدية ثم يأتي الاعتقاد بالثنائية بعد اعتقاد الوحدانية)[(٣)]. ويعلل ذلك بتعليل أصحاب هذا الرأي : (وهم يعللون ظهور الثنوية بعد الوحدانية بأن الإنسان يترقى في هذا الطور فيحاول تفسير الشر في الوجود بنسبته إلى إله غير إله الخير ، فلا تكون الثنائية بعد الوحدانية نكسة من الأعلى إلى الأدنى، بل تقدماً من الأدنى إلى الأعلى لتنزيه الله ، والارتفاع بصفاته إلى أرفع صور الكمال)[(٤)] .

.

ويرى العقاد أن العقيدة الثنوية بعد معتقد الوحدانية رقي وليس نكسة، كانت تلك إحدى تفسيرات العقاد كما جاءت في بعض كتبه لكنه عاد وناقض كل ذلك بوجهة نظر أخرى تبناها وعبر عنها في كتاب آخر[(٥)]بذكر مصدر الشر وسبب وجوده ودواعيه. ودواعيه.

العقاد وتعليل وجود الشر:

يرى العقاد أن وجود المعتقد الثنوي في الكون ضروري من وجهة نظر فلسفية بحته. وذكر أن الحل الذي يرضيه ويراه مقبولاً ليفسر سبب وجود الشر هو ما أطلق عليه "الحل الأوفى" هما في الحقيقة حلاّن وليس حلاً واحداً.

(لعلنا لم نطلع على حل لهذه المشكلة- مشكلة وجود الشر – العصية أوفى من

---

(١) سورة النساء : آية ٧٦ .

(٢) فكلمة الضد والنقيض : يطلق على الشيء أنه ضد شيء إذا كان عكسه ومبايناً عنه ونقيضه أن يكون أمران متشابهان إنما متعاكسان) أحمد دمنهوري : " رسالة في المنطق إيضاح المبهم في معاني السلم " ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ ، ص٦٥ .

(٣) عباس العقاد : " الله " ، ص٢٠ ، بتصريف .

(٤) عباس العقاد : " نشأة العقيدة الإلهية " ، ص٢٤ .

(٥) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه .

الحل الذي نطلق عليه اسم "حل الوهم" ومن الحل الذي نطلق عليه "حل التكافل بين أجزاء الوجود") (١).

ويفترض العقاد أن وجود معتقد يؤكد ثنوية الألوهة في الكون هو ضروري لتفسير وجود الشر ، فكما تقول ركائز الدين الإيراني أن خالق الخير غير خالق الشر ، يقول الفلاسفة أن مصدر الشر غير رب الكون- فيبحثون عن مصدر للشر غير الله- هذا ما نقله العقاد في كتبه .

حل الوهم:

ينص هذا الحل أن الشر ليس حقيقة قائمة بذاتها في الكون المحسوس: (أن الشر وهم لا نصيب له من الحقيقة ، وأنه عرض زائل يتبعه الخير دائماً) (٢). هذا من وجهة نظره من أوفى الحلول ، لكنه ليس وافٍ تماماً لأنه أُعترض عليه ، فقد قدم العلة ولم يُقدم التعليل. أليس من طبيعة النفس البشرية أن تميل إلى اللذة والنعيم وتستنكر وتستهجن الألم والشقاء ، فلما وجد الشر إذاً؟ لم يقدم جواباً.

حل التكافل بين أجزاء الوجود:

أما الحل الآخر فأطلق عليه حل التكافل بين أجزاء الوجود، وهذه وجهة نظر فلسفية أخرى لمصدر الشر وتعليل وجوده، قدم تعريفاً لجوهر الشر فقال : (إن الشر لا يناقض الخير في جوهره ، ولكنه جزء متمم له أو شرط لازم لتحقيقه ، فلا معنى للشجاعة بغير خطر ، ولا معنى للكرم بغير الحاجة، ولا معنى للصبر بغير الشدة، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها) (٣) .

ويرى العقاد أن هذا الحل هو من أوفى الحلول التي قُدمت لتفسير وجود الشر في الكون، وأقربها للإقناع ؛ لابد لكل شيء في الكون ضد و نقيض !! فهل تنطبق عبارة كل شيء هذه على قدرة الله أيضاً. وحتى نستشعر قدرة الله لابد أن يكون لها ضد

---

(١) عباس العقاد : " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " ، ص٧ .

(٢) المرجع السابق .

(٣)عباس العقاد : " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " ، ص٨ .

ونقيض وهي قدرة الشيطان... هل يصح هذا ؟.

هذا الحل الذي اعتبره العقاد أنه الحل الأوفى لم يسلم من المعارضين، فعلى سبيل المثال طرح أحدهم التساؤل التالي: لماذا يتوقف الشعور بالنعيم على الإحساس بالألم؟، (لماذا يتوقف تقديرنا قيمة الفضيلة على وجود النقيصة ، وضرورة الاشمئزاز منها) (١) .

وانتهى العقاد في تقديمه افتراض لبدايات فكرة الثنوية التي تحولت إلى معتقد الثنوية من خلال وجهة نظر الفلاسفة إلى مشكلة الشر في الكون ، وتوصل إلى أنه لا يستقيم حل بلا معارض، إلا إذا كان حل الدين.

يتضح لنا من نظرته أنه يرد جذور الفكرة إلى ظهور الشيطان لكنه اتبع طريق طويل حتى يُثبت ذلك توصل في نهاية الأمر إلى النتيجة ذاتها التي توصلنا إليها في المطلب السابق حول مسؤولية الشيطان عنها. (فقد أسفرت المحاولات الأولى لعلماء الغرب في دراسة معتقدات البشرية الأولى ، عن كثير من الضلالات والأساطير) (٢).

الإفتراض الثالث:

اختلاف البشر يؤدي إلى اختلاف الفكر ، هذا أمر لا جدال فيه. وإن كان العقاد قد قدم وجهة نظر بعض الفلاسفة الذين نقل عنهم ، وانتهى إلى أنه لا حل أوفى من حل الدين ، فإننا بصدد وجهة نظر فلسفية أخرى.

نظرة عقلانية مفرطة- بحسب وصف كاتبها لنفسه- فصاحبها كاتب (٣) وصف نفسه وجيله أنه ينتمي إلى النزعة العقلانية (٤) المفرطة ، ويبدأ تفسيره للثنوية الكونية بأنها

---

(١) المرجع السابق .

(٢) حسن الباش : " علم مقارنة الأديان ، أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله " ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م ، ص١٣ .

(٣) الكاتب السوري : فراس السواح مفكر وباحث في الميثولوجيا وتاريخ الأديان كمدخل لفهم البعد الروحي عند الإنسان ، من مواليد حمص عام ١٩٤١م ، صدرت له عدة أعمال ، مثل مغامرة العقل الأول ، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ، والعديد غير ذلك انظر ترجمته من كتبه .

(٤) العقلانية في حقيقتها " إلغاء النص أمام النظر العقلي المجرد ، أو الهوى المجرد الذي يستقبح اليوم ما كان حسناً بالأمس ، ويستقبح في وقت ما كان حسناً عنده في وقت سابق ، وقد يقال في تعريفها " ، إنها المذهب الفلسفي

مشكلة الأديان التوحيدية وليست الأديان القائمة على التعددية:

(الإيمان بإله واحد هو علة الوجود والمتحكم بجميع ظواهره، يجعل مشكلة وجود الشر في العالم بدون حل)(١) .

ويقرر الكاتب- العقلاني- أن الوحدانية الإلهية هي العقبة التي وقفت أمام تفسير مصدر الشر في العالم ؛ لأنه من المفترض أن يكون الإله الواحد هو(كلي القدرة ، وكلي المعرفة ، وكلي الحضور ، وأنه منبع العدل والخير) (٢).فكيف يكون إله كلي القدرة والحضور، وأنه منبع الخير ويكون في العالم شر. فالإله الكلي الكامل لا يصدر عنه النقائص- هذا ما يقصد- وأصحاب الأديان التوحيدية لا يؤمنون بالتعددية، لذا ظهرت لديهم وحدهم هذه المشكلة، أما غيرهم من أصحاب المعتقد الإلهي التعددي، فليست لديهم أدنى مشكلة ، وقد كان من السهل تعليل الشر في المعتقدات الوثنية التعددية بأنه نتيجة طبيعية لوجود آلهة خيرة ، وأخرى شريرة .

كل ذلك التعليل كان في فاتحة الكتاب فقط. وقد ظهر واضحاً أثر العقلانية المفرطة على في أسلوبه ، مما جعل تفسيراته تحتاج إلى تفسير، فقد تفرع في الموضوع وتشعب ، وشرق في الألفاظ وغرب. لأنه يرى مشكلة المشاكل في الديانة التوحيدية ووجود الشر.

إن تعليل وجود الشر ومصدره يغدو بمثابة المهمة الأولى والملحة المطروحة أمام أي معتقد توحيدي. ويرى أن هذه الديانات التوحيدية التي صدّرت المشكلة قد أوجدت حلاً لها، لم يكن حلاً واحداً بل أربع حلول مختلفة، أو أربع وجهات نظر- بحسب تعبير الكاتب-، كانت الحلول التي ادعى أن الديانات التوحيدية أوجدتها لحل مشكلة وجود الشر في العالم هي ذاتها تحتاج إلى حل.

الذي يرى أن كل ما هو موجود يُرد إلى مبادئ عقلية وخصوصاً : الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادئ المنطقية والنور الفطري ... علي بن حسن الحلبي الأثري : " العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون " ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، بدون بيانات ، ص٤٦ .

(١) فراس السواح : " كتاب الرحمن والشيطان ، ص٦ ، فاتحة الكتاب .

(٢) المرجع السابق ، ص٣ .

هذا ما أراه ، وقد يرى غيري سوى ذلك ، لقد كان بها سقطات دينية لا تبرر، وأمور أخرى لا تُمرر بلا تعليق؛ حتى وإن كنت قد تجنبت الإستعانة بالأدلة الدينيـــة في هذا المطلب إلا أنه من غير الممكن اتباع منهجه الذي اتبعه في دراسته فقد ذكر.

(أما بخصوص المنهج فقد حاولت قدر الإمكان التزام فينومينولوجيا الدين) [١].

بالرغم من كل ذلك تبقى تحليلاته الفلسفية لجذور الفكرة الثنوية محل اعتبار فلسفي [٢].

الحل الأول:

"حل المعتقد التوراتي" هذا ما أطلقه عليه فقال:

(يصر الحل الأول على مفهوم صارم للتوحيد يستبعد أية قوة ماورائية ، يمكن أن ينسب إليها وجود الشر) إذاً من المنطق أن يكون الله مصدر الشر والخير ، فهو صانع الاثنين معاً ، ويسيرهما وفق حكمته ، واستشهد بنص للنبي أشعيا [٣] في قوله على لسان يهوه [٤] : (مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ . أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ) [٥].

---

(١) وهو منهج ظاهرتي وصفي يعتمد وصف الظاهرة الدينية المعنية ، وسبر معناها من داخلها بمعزل عن الأفكار والمواقف الشخصية المسبقة ، إنه أقرب إلى المشاهد المتفحص منه إلى القاضي الذي يجد أن من واجبه التوصل على قرار بخصوص ما هو حسن ، وما هو رديء ... تعريف الكاتب نفسه ،كتاب " الرحمن والشيطان " ، ص ٦ .

(٢) كافة النصوص المذكورة هي من كتاب فراس السواح : " كتاب الرحمن والشيطان " ص ٤ ـ ٥.

(٣) النبي أشعيا بن آموص هو من كبار الأنبياء ، ومعنى الاسم " الرب المخلص " ، وهو النبي العظيم الذي تنبأ في يهوذا، ويرجح أنه عاش إلى أنه جاوز الثمانين من العمر ، وامتدت مدة قيامه بالعمل النبوي إلى ما يزيد على الستين عاماً ، يقال إنه من السلالة الملكية ،كان يقطن أورشليم ، ويذكر سِفر " صعود إشعياء " هو أحد الأسفار غير القانونية ، وأن إشعياء مات منشوراً بالمنشار تنفيذاً لأمر المكتب منسي ، ويعتبر إشعياء أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة ، وذلك من عدة وجوه ، وقد كان مصلحاً اجتماعياً ، أما آراؤه اللاهوتية فهي سامية للغاية فقد وصف الله " قدوس بني إسرائيل " ، وقد علم أن للعالم كله إله ورب واحد الإله الحقيقي وحده ، قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ، ومن موقع الموسوعة العربية المسيحية ، www.custodia.org/1god .

(٤) يهوه هو اسم من أسماء الله . وهو لفظ مضارع من هيه أو هوه ،كما كان في الأصل ومعناه كان أو حدث ، وبعبارة أخرى معناه هو الذي كان والذي أعلن ذاته وصفاته ، قاموس الكتاب المقدس . نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص، ومن اللاهوتيين . بطرس عبد الملك ، جون الكسندر طمسن . ص٧٢٩ .

(٥) الكتاب المقدس : سِفر إشعياء ، ٤٥ : ٧ .

بدأ الكاتب الحلول التوحيدية لمشكلة الشر في الكون بالدين اليهودي باعتباره أول الأديان التوحيدية المؤرخة نزولاً فذكر أن هذا الدين (يستبعد آية قوى ماورائية حرة ومسئولة ، وتنشط في استقلال عن الله) ماذا يقصد بقوة حرة ومسؤولة وتنشط في استقلال عن الله؟.

هو لم ينكر وجود الشيطان في الديانة اليهودية ، إنما قيّد قدرته إن وجدت بأن تكون ضمن حكم الله- عز وجل- غير مستقلة عنه. إذاً فهو يستبعد القوى الماورائية (الحرة) المسؤولة عن الشر ، ولا يستبعد قوة ماورائية مقيدة تحت حكم الله، فيكون مقصد الدين التوراتي- بحسب وصف الكاتب- أن الله خلق الشيطان وهو من جعله مصدر للشر بقدرته وتدبيره وليس له قدرة حرة مستقلة. وقد أحدث هذا التفسير صداً لدي بمعقوليته وقربه من الفكرة الإسلامية التي قدمتها سابقاً .

الحل الثاني:

"حل المعتقد الزرادشتي"[1] هو الدين الإيراني الأشهر في الزمن القديم ، قال عن الحل الذي يقدمه : (يجعل الحل الثاني من الله كياناً مفارقاً يسمو فوق الخير والشر). لقد سما بفكرة الألوهة لما فوق الخير والشر ؛ فالله غير مسئولٍ لا عن خير ولا عن شر، إلا أنه يُقدم دعمه للخيرية دائماً :(لكنه رغم سموه يقف إلى جانب الخير ، ويدعمه في مقابل الشر)، أول تعليقاً أسجله على حله أنه حل الديانة الزرادشتية وليس حل الأديان التوحيدية !! من المتعارف عليه أن العلماء قسموا الأديان إلى قسمين، أديان تعبد إله واحد تسمى توحيدية ؛ وأديان تعبد إلهين اثنين فأكثر تسمى تعددية أو شركية. وكان من رأي الكاتب أن الديانة الزرادشتية ديانة توحيدية لأنها عرفت الإله الواحد،

---

١) ديانة فارسية قديمة نسبة لمؤسسها زرادشت بن يورشب ، وهو نبيهم ، ظهر في القرن السادس قبل الميلاد تأسست في بلاد فارس ، ولهم كتاب يسمى بستاه ، أو زند أوستا من مبدأه إنه يقسم العالم إلى خير وشر وأنهما في صراع دائم ، وهي تشبه في تعاليمها المسيحية المحرفة ، من موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص٦٨٦ ، الملل والنحل ، ص ٢٣٦ . ٢٣٨ ، موسوعة الأديان الميسرة ، ص٢٨١ . ٢٨٢ ، ترجمان الأديان نفس المؤلف ، ص٤١ ، " أسعد السحمراني " .

لكنه لم يأخذ في حُسبانه النظرة الثنوية للقوى المتحكمة في الكون التي تقوم عليها الزرادشتية [١]

وتابع قائلاً : (لقد ظهر الخير والشر إلى الوجود نتيجة خيار بدئي حر، وعندما صدر عن الواحد الأزلي روحان توأمان ، اختار أحدهما الخير واختار الآخر الشر، ودخلا في تنافس وصراع ، وهذا هو حل المعتقد الزرادشتي) .

وبالرغم من الجدل المستمر حول وصف الديانة الزرادشتية !! أتوحيدية هي أم ثنوية؟ إلا أن الكاتب قد صنفها ضمن الديانات التوحيدية.

الحل الثالث:

" حل الدين المانوي" يُعتبر الحل الثالث خرقاً واضحاً لتقسيم العلماء للأديان فقد ضم الدين الإيراني المانوي[٢] إلى الأديان التوحيدية. ويتصور الحل الثالث وجود أصلين أزليين لا أصل واحد. وهذا قمة التناقض والتجاوز في هذا الحل.

التناقض حين وصفه بأنه دين توحيدي ومن ثم يذكر أنه يعتقد في أصلين لا أصل واحد. والتجاوز في ضم الدين المانوي إلى الأديان التوحيدية ، إن كنت قد تجاوزت في وصف الزرادشتية بالأديان التوحيدية، ليس لصحة بل للخلاف الدائر حولها بين علماء الأديان ، فلا يمكن السكوت عن التجاوز هنا. فمنذ متى كانت المانوية ديانة توحيدية؟ ومن أين أتت بالمعتقد التوحيدي وهي القائمة على أساس فكرة الأصلين؟. فالمانوية أينما ذُكرت صُنفت ضمن الديانات الفارسية الثنوية. وإن كنت لست في معرض تصنيفها هنا فله موضع آخر، ما يعنيني هو ما يذكره الكاتب عن الحل الذي قدمته لتعليل جذور المعتقد الثنوي.

---

(١) لن أطيل في مناقشة توحيدية الزرادشتية من عدمها في هذه الصفحات سيكون لها تفصيلاً أكثر فيما بعد.

(٢) المانوية : فرقة غنوصية ، وتعد من أخطر البدع التي تعرضت لها المسيحية ، وأطولها عمراً ، وهم أصحاب ماني ابن فاتك ظهر بعد عيسى ـ عليه السلام ـ ولد عام ٢١٦م ، في بلاد فارس وادعى النبوة ، ويقول : بنبوته ، ولا يقول : بنبوة موسى ـ عليه السلام ـ ، وأهم أركان المانوية القول بالثنائية ، أي بالإلهين إله النور ، وإله الظلام ، وقد اندثرت كتب ماني والمانويين الا ممن كتب عنهم ... سيأتي الحديث والتفصيل فيها في موضعه ، الملل والنحل ، ص٢٤٤ ، موسوعة الأديان الميسرة ، ص٤٣٥ ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص١٢٢٤ .

وذكر الكاتب عن الأصلين للكون : (هما الله والمادة. فالله روح بحت ونور صرف، والمادة كثافة مطبقة وظلمة دامسة) ثم يذكر: (أن المادة أنجبت الشيطان ، كما تتولد العفونة من الأجزاء الرطبة. وتولدت أفلاك القوى الملائكية عن الله مثلما تُشعل الشموع من مشعل متقد). وما كنت انتظر غير تلك النظرة الثنوية لقصة الخلق من ديانة ثنوية.

الحل الرابع:

"حل الأديان التوحيدية" أنصف الكاتب في هذا الحل فهو حقاً وصدقاً ضمن الحلول التوحيدية فذكر:

(يؤكد الحل الرابع على الأصل الواحد للوجود ، وعلى وحدانية الله وخيره وعدله). ويوضح الكاتب مقصده أن الحل هنا يختلف عما قدمته الديانة التوراتية التي رفضت فكرة حرية الشخصية الماورائية ، في حين أن هذا يرى أن مصدر الشر هو: (شخصية ما ورائية كبرى ذات أصل سماوي تنشط في استقلال عن الله). هو حل كلاً من الدين النصراني والدين الإسلامي الذي وصف تلك القوى أنها: (ليست أزلية بل مخلوقة من قبل الله الذي أعطاها الحرية منذ البدء، فقامت بكل وعي وحرية برفض التبعية ، لخالقها والاستقلال عنه). كلاماً صحيحاً لا خلاف عليه- من قِبلنا- فهذه هي قصة البدايات السماوية العلوية، رفض الشيطان أن يكون طائعاً لخالقه حين أمره بالسجود لما خلق سبحانه وتعالى بيده، وبحسب الروايات الإسرائيلية أنه حاول أن تكون له الندية الإلهية في السماء قبل ذلك العصيان إلا أنه فشل!! فقرر تحقيق حلمه على الأرض.

وقرر أن يلعب دور المعارض والمناقض لإرادته ، ويعمل على إفساد خلق الله ، وخصوصاً الإنسان، وهكذا ظهرت الفكرة الثنوية للوجود بعصيان الشيطان.

وبهذا يكون الكاتب قد قدم لنا أربع حلول أطلق عليها "حلول الأديان التوحيدية"

ملاحظات على الحلول الأربعة:

صحيح أن المؤلف ذكر في بداية حديثه منهجيته في تناول موضوع الثنوية الكونية ، وأنه يقدم رؤية شاهد ، وليس حكم قاضي !! إلا أني لم أستطع أن أكون شاهدة مثله ،

فحيال تلك التجاوزات لم أستطع أن أكون ناقلة فقط ، فقد كانت لوجهة نظره عدة تجاوزات دينية حاولت أن أختصرها في نقطتين فقط:

- أولاً : أطلق الكاتب عليها حلول الديانات التوحيدية !!وهي ليست كذلك.
- ثانياً : المصطلحات التي استعملها في الحل الرابع تخرج عن الحدود المقبولة إسلامياً ؛ مثالاً يذكر أنها : "تنشط في استقلال عن الله" و "أن الله لم يسمح بظهور الشر" ، وهل في الكون من ينشط مستقلاً عن الله؟!! وهل حدث أمر دون إرادته سبحانه وتعالى ؟!!.

الإفتراض الرابع[١]:

يعتبر هذا الافتراض الفلسفي هو الأحدث تاريخياً من بين ما قدمت من افتراضات سابقة كما وأنه الأضعف توثيقاً فهو من مدونة على الشبكة العنكبوتية ، وقد رأيت الاستعانة به ضمن النظرة الفلسفية لعدم وجود مصادر ورقية حديثة تبحث في جذور الفكرة الثنوية .

بداية ذكر الكاتب وصفاً للحياة على الأرض قبل خلق البشر :

(قبل أن يُخلق آدم كانت الحياة على الكرة الأرضية حياة غير عاقلة ...)، وقد ذكر المؤرخ الإمام المسلم ابن الأثير [٢] في كتابه الكامل في التاريخ مرويات على مثال ذلك: (أول من سكن في الأرض الجن ، فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا) [٣] هؤلاء هم من وصفهم الكاتب بأنهم (أشباه بشر) كانت هناك حياة قائمة

---

(١) هذا الافتراض بالكامل من مقالة بعنوان : (الشيطان وبداية عهد الشر) كتبها : illuminati في مدونته بتاريخ ٦ أغسطس ٢٠١١م ، الساعة: ١٨:٠٥م ، ttp://illuminati.maktoobblog. com ، فكل ما بين الأقواس منسوخة من نصوص المقالة بتصريف .

(٢) هو الإمام المؤرخ المحدث أبو الحسن علي بن محمد الجزري الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، ولد بالعراق سنة ٥٥٥هـ ، وتوفي في سنة ٦٣٠هـ ، كان منزله بالموصل مجمع الفضلاء ، وأصحاب الحديث ، من مؤلفاته : " أسد الغابة " و " اللباب في تهذيب الأنساب " والكتاب الذي وثقنا منه الكامل في التاريخ .

أنظر : ترجمته في " طبقات الحفاظ " للسيوطي ، ص٤٩٥ " و "وفيات الأعيان " لابن خلكان ، ج٣ ، ص٣٤٨ ، و " مقدمة كتابه الكامل في التاريخ " ، ج١ .

(٣) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " مرجع سابق ، ج١ ، ص١٦ .

على الغريزة ليس لها ضوابط في ظل غياب العقـــل المميز بين مفهـــــوم الخير والشـر، هذا كان على الأرض .

ومن ثم ينتقل الكاتب في الوصف للسماء وإنه كان هناك عالم علوي إلهي في أبهى صورة. (حيث عالم الرب وحيث تتجلى الحكمة والقوة والقدرة في أبهى صورها المطلقة والشاملة) هو عالم سماوي ذو قطب واحد فلا يوجد فيه أضداد ومتناقضات، قائم على الخير المطلق والطاعة العمياء. كما أنه وصف القاطنون في السماء أنهم خلق نوراني ملائكي مطيعون لا يفعلون الشر، ليس عدم قدرة على فعله (إنما بقدرة منحها لها الرب لتفعل الصواب وتنفيذ الأوامر) .

ويكمل في سرد وصفه وتصوره لطبيعة الحياة والقانون الذي يحكم السماء :

(لم يكن هناك من ثنائية قطبية أو صراع بين الأقطاب ، فإن أي خرق مهما كان نوعه كان يستوجب فعلاً مضاداً حفاظاً على اتزان المبدأ، وبقاء المثل نقية وطاهرة) .

وصف فلسفي بحت للأحداث : (أن العالم العلوي هو عالم نوراني طائع لله تعالى عن اختيار، وليس عن عدم قدرة ؛ فلم يعرف الملأ الأعلى الثنائية القطبية، ولا الصراع بين الخير والشر ؛ لأنه رسخ فيهم أن أي مخالفة للقانون له عقوبة وهي الطرد والإبعاد وللمحافظة على "اتزان المبدأ ، وبقاء المثـــل نقيـــة وطاهـــرة "، فليس هنـــاك غرائـــز ولا شهوات نفسية وجسدية، لا شيء سوى الطاعة التامة) ومن ثم خُلق الإنسان وكان يتمتع بصفتين لم تكن موجودة فيمن سبقه من المخلوقين :

- أنه محل الشهوات والغرائز.
- أنه قادر على الاختيار.

يتضح من أسلوب الكاتب وألفاظه ملامح الفلسفة ومنحى العقلانية ويكمل:

(أنه بعد خلق المخلوق محل الشهوات والقادر على الاختيار- الإنسان- حدث خرق للقانون، والصحيح أنه حدث خرقان وليس واحد هكذا قال:

- **الخرق الأول**: عصيان إبليس وامتناعه عن السجود لآدم بحجة الفضل والأقدمية.

يعتقد الكاتب أن لدى الشيطان غريزة جعلته يطالب بحقوق الأفضلية المزعومة والأقدمية الموهومة، لكني أرى أنه ليس العقل الغريزي هو الذي دعا إبليس للعصيان- كما ذكر الكاتب- لأن الغريزة عرفت بخلق البشر وهي صفة اختصهم الله عز وجل بها. إنما مشيئة الله وإرادته هي التي جعلت من إبليس عاصي متمرد، كما شعر إبليس- بحسب رؤية الكاتب- أن هذا المخلوق لن يكون ذا مكانة عادية لدى الرب خالق الكون- سبحانه وتعالى وستكون له حظوة أكبر من حظوة إبليس.

ومن ثم يستطرد الكاتب في تتابع أحداثه التي يتوصل من خلالها إلى جذور الفكرة الثنوية ، فيذكر عقوبة ما قام به إبليس من خرق قانون الطاعة التامة في السماء. (نتيجة لهذا الخرق الواضح للقانون السماوي المطلق فقد اقتضت حكمة الرب والضرورة الأخلاقية والمنطقية أن يتم إبعاد واستئصال أي خرق عن عالم الرب والمثل النقية).

لا يسمح بالخطأ فهو عالم نقي مثالي من أراده عليه طاعة الأوامر !! وبناءً على حدوث الخرق الأول حدث.

- **الخرق الثاني**: قام الشيطان وكردة فعل عنيفة على ما حصل له ، وخسارته لموقعه في العالم الأعلى باستخدام وسيلة الغواية والمكر.

هذه هي العاطفة والغريزة التي وصفها الكاتب لدى إبليس ، الانتقام ممن كان السبب في العقاب ، واعتماداً على مبدأ أن العقاب من جنس العمل كانت عقوبة آدم التي قررها إبليس له هي الطرد أيضاً. ويصل الكاتب في ترتيبه للأحداث إلى الشاهد من كل ما ذكر، وهو وجهة نظره لجذور الفكرة الثنوية .

ونتيجة الخرقين الواضحين لمبدأ الكون الأعلى والقائم على القطبية الوحيدة والخير المطلق كان السقوط والإبعاد نحو عالم مصمم خصيصاً لمبدأ الثنائية القطبية المتقابلة، قائمة على الصراع والنزاع بين القطبين الأساسيين للحياة وهما الخير والشر.

إن التشابه كبير وملحوظ بين الأحداث التي ذكرها الكاتب والأحداث الواردة في كتب التاريخ الإسلامي المستسقاة من الروايات الإسرائيلية.

وقد أنهى الكاتب رؤيته لبداية التعرف على الخير والشر؛ وبداية صراع الأقطاب الأضداد والذي كان من نتائجه ظهور المعتقد الثنوي بنص فيه خلاصة كل ما كتب، ويعتبر إجابة عن سؤال جذور الفكرة الثنوية وبداياتها فقال: (إن ملامح التحدي الشيطاني للعنصر البشري قد ظهرت وبشكل واضح عندما طلب إبليس من الرب أن ينظره إلى يوم البعث متوعدا آدم وذريته بالترصد والإغواء عن طريق تحفيز العقل الغريزي المرتبط بالغرائز والأهواء ، والتي تعتبر منافذ مهمة ورئيسة للشيطان ينفذ منها إلى عقل الإنسان ليمارس من خلالها عملية الإغواء وحرف المسار عن الطريق القويم والصحيح) .

فقد أشاع فكرة لدى العقل البشري أن الكون قائم: (على مبدأ الثنوية أو الثنائية الإلوهية فكان هناك رب طيب مسؤول عن الحياة والحب والخير في السماء ، وهناك رب شرير غاضب مسؤول عن الدمار والخراب في الأرض). فوقع المحظور وظهر المعتقد الثنوي للقوى المدبرة للكون.

على الرغم من التشابه الكبير بين الأحداث التي أوردها الكاتب وبين ما سبق وأن ذكرته في المطلب السابق من أحداث وردت في الروايات الإسرائيلية ، إلا أنه من الملاحظ أنه ذكر أحداثه الكونية الدينية بمنهجية فلسفية مستعيناً بألفاظ عقلانية لا نستخدمها ولا تقبل في ديننا الإسلامي.

الخلاصة:

الفكرة الثنوية التي تحولت إلى المعتقد الثنوي تجمع في طياتها بُعدين أحدهما ديني على اعتبار أنها تمس العقيدة الدينية والآخر بُعد فلسفي لمضمون الفكرة القائمة على النظرة العقلانية البشرية ، هذا ما جعلني أقسم المبحث إلى مطلبين: الأول لتوضيح وجهة النظرة الإسلامية لجذور الفكرة الثنوية، والآخر لتوضيح وجهة النظر الفلسفية .

في المطلب الأول استعنت بآيات الذكر الحكيم وعدت إلى كتب المفسرين لأتأكد من مقاصدها، ومن ثم عرجت على كتب المؤرخين المسلمين ،حينها فقط جمعت وربط، تخيلت واستنتجت فتسلسلت الأفكار وترابطت الأحداث :

سكن إبليس الجنة مع الملائكة، أُوكلت إليه مهمة صعبة فأنجزها ، ومن ثم أغتر بنفسه ، ومن تماديه في غروره اعتقد أنه يستحق منصب الألوهية – بحسب الروايات الإسرائيلية – فطلب لنفسه السجود ، فكانت البداية الفعلية للفكرة الثنوية في الملاء الأعلى، حين خُلق أدم وطُلب منه السجود له عصى ورفض طاعة الأمر ، فطُرد من الجنة وتوعد آدم وزوجه وذريته أجمعين بالغواية التي كانت من بينها فكرة ثنوية الآلوهة .

أما النظرة الفلسفية فجاءت الآراء فيها متباينة !! آراء عديدة حاولت التفضيل بينها فوقع الاختيار على أربع منها، متنوعة في محتواها واتجاهاتها بل وحتى الزمن الذي تنتمي إليه فكانت متدرجاً من الأقدم إلى الأحدث. بداية كانت نظرة الإنسان الأول إلى الطبيعة المدمرة وآثارها المرعبة على حياته فرئ أنها ثنوية تستحق العبادة لشكرها على الخير تارة ولاتقاء شرها تارة أخرى ، ومن ثم كانت وجهة نظر العقاد إلا أنها لم تسلم من المعارضة فأنتهى إلى أن أوفى الحلول هو حل الدين. تلا ذلك وجهة نظر ثالثة قدمت أربع حلول لجذور فكرة الثنوية وقد أطلق عليها من تبناها أنها حلول الأديان التوحيدية بدون توخي الدقة في اختيار تلك الأديان التي ذكرها .

وقد انتهى المطلب بوجهة النظر الرابعة التي جاء فيها سياق أحداث مشابهة لما جاءت في الروايات الإسرائيلية في كتب التاريخ الإسلامي لكن بألفاظ فلسفية وآراء عقلانية للبدايات إلى الظهور الفعلي للمعتقد الثنوي على الأرض.

المبحث الثاني
تطور الفكرة الثنوية

وفيه تمهيد ومطلبان:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: تدرج فكرة الثنوية في العصور القديمة.**
- **المطلب الثاني: صور فكرة الثنوية في العصر الحديث.**

(تمهيـد)

حين نتحدث عن تطور أمر ما، فنحن نرصد مجمل التغيرات التي تطرأ عليه منذ نشأته، من ناحية واحدة، أو من عدة نواحي ، ولما كان عنوان المبحث يحوي "تطور الثنوية"، فهذا يعني أني بصدد رصد التغيرات التي ظهرت على الفِكرة الثنوية منذ بدايتها حتى أصبحت دين يُتعبد به وعقيدة يُعتقد بها.

وقد عرّف اللغويون مفهوم التطور بأنه:

(التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع، أو العلاقات أو القيم السائدة فيه)[١] هذا بشكل عام ، لكن حين اخصص هذا المعنى للفكرة الثنوية حينها سأقول: "التغير التدريجي الذي حدث للفِكرة الثنوية ، والملامح التي ظهرت عليها حتى أصبحت العقيدة الثنوية ".

وقد كان أول استخدام فعلي لمصطلح التطور مع ظهور نظرية داروين [٢]. ولا أذكر أن خلافاً دار حول نظرية ما مثل اللغط الذي دار حول النظرية الداروينية ، ومن المدهش والغريب بالفعل ذلك الأثر السلبي الذي تركته النظرية على الفكر البشري في أكثر من منحى ، فقد رُصد أثرها على ثقافة المجتمع ، وعلى منهج البحث العلمي، وتداخلت مع أنواع عدة من الفكر الإنساني.

وقد أطلقت عليها مجازاً الخرافة الداروينية لأن صاحبها قد اعترف بعجزه عن تأكيدها ، فهي لم ترتقي حتى تكون حقيقة علمية [٣].

---

(١) وقد فرق بعض الباحثين المسلمين بين " التطور والتطوير " فالتطور هو أي تغير يحدث في أوضاع الجماعة ، سواء في اتجاه تقدمي تصاعدي ، أو اتجاه عكسي تنازلي ، أما التطوير فهو عكس ذلك هو يختص بالتغير التصاعدي الذي يهدف إلى طلب الكمال ، أنور الجندي : بحث نظرية التطور بين الدين والعلم والعقل ، ص٨ .

(٢) نسبة إلى تشارلز روبرت داروين ، عالم إحياء إنجليزي ، صاحب أشهر نظرية فلسفية في القرن التاسع عشر ، درس الطب ولم يكمل ودرس علم اللاهوت ، من أهم كتبه التي سرد فيها نظريته وأبعادها (أصل الأنواع) و(تسلسل الإنسان) ، توفي عام ١٨٨٢م ، من كتاب موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٥٦٥ .

(٣) للفائدة أن هناك فرقا بين مفهوم فرضية ومفهوم النظرية ومفهوم الحقيقة العلمية ، موضوع بعنوان : مناهج البحث العلمي بين الفرضية والنظرية والحقيقة بقلم : حسن كامل ، كاتب ومفكر بباريس ، رئيس جمعية تحيا إفريقيا

وقد كانت بدايتها نظرية حيوية علمية في مجال أصل الأنواع الحية[1]، لا علاقة لها بالعلوم الإنسانية الفكرية سواءً الدينية منها أو الاجتماعية ، لكنها انتهت إلى غير ذلك، على الرغم من الشهرة التي نالها دارون بسبب نظريته تلك ، إلا أنه لم يكن أول من بحث فيها، فلم يكن ما ذكره بجديد على البشرية كفكرة في القول بأصل الإنسان ، فقد كانت هناك عدة محاولات سابقة من علماء آخرين ، كان أولها في القرن السادس قبل الميلاد أي قبل قرون عديدة من زمن داروين، فيما يعرف بأبحاث إنكسمندر [2] .

إلا أن الباطل دائماً ما يناقض نفسه بنفسه، ويقدم دليل هدمه بيده. فالعلماء الغرب الذين ذكروا أن أصل الإنسان هو "كائناً بشع قبيح"، أو أن له جد مشترك مع الشمبانزي أو الغوريلا ، وأنه متطور في خلقة من الدناءة إلى الكمال. نجدهم يذكروا أنه: (مهما نرجع بخطوات الإنسان إلى الوراء فلن يفوتنا أن نتبين أن منحة العقل السليم المستفيق كانت من خصائصه منذ أوائل عهده وأن القول بإنسانية متسلسلة على التدرج من أعماق البهيمية إنما هو قول لن يقول عليه دليل) [3]. ولم يكتفي العالم الغربي

بفرنسا http://alexandrie.yoo7.com/t45-topic ، تاريخ الثلاثاء ٢٠١٠/٠٤/٠٦م ، ٩:٠٤ am .

الفرضية : هي فكرة أو محاولة مبدئية أو تخمين يصف ظاهرة ما ، ربما ينتهي إلى تصورات متعددة ، ويجب أن تكون قابلة للمناقشة والبحث ، وهي امتداد لملاحظات علمية سابقة .

النظرية : هي وصف أساسيات ظاهرة ما مع وجود ركائز علمية تساندها ، وتبقي صحيحة إذا كان كل جديد من معلومات يدعمها ، وإذا وُجدَ ما يخالفها من حقائق علمية الجديدة تصبحُ لاغيه ؛ الحقيقة : هي ما لا جدال فيها ، وهي تعتبر نقطة قياس واستدلال للبحث العلمي .

(١) يقول صاحب النظرية عن أصل الكائنات الحية :(إنها من أصل واحد إنما تمايزت بالشكل حسب ظروف بيئتها ، وأن الحياة يحكمها قانون الانتخاب الطبيعي) تشارلس داروين : أصل الأنواع ، ترجمة : مجدي محمود المليجي ، تقديم : سمير حنا صادق ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م ، ص٥٠

(٢) إنكسمندر : هو فيلسوف إغريقي يعتبر أول فيلسوف تتأكد المعرفة بحياته ، يقال إنه أول من وضع خريطة للعالم ، وله كتاب " طبيعة الأشياء " شرح فيه نظريته حول العالم وأنه من مبدأ اللامتناهي أي المادة الأولى التي تجمع كل الأضداد ، وبفعل الحركة تنفصل ، وتعود تتصل تولد منها الكائنات والأشياء ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٢٠٣ .

(٣) حسن الباش : " علم مقارنة الأديان أصوله ، ومناهجه ، ومساهمة علماء المسلمين ، والغرب في تأصيله " ، ص ٣٧

ماكس موللر [١] بهدم كل النظريات القائلة بالأصل الحيواني للإنسان بل وأثبت له ميزة العقل السليم المستفيق ومنذ البدء أيضاً.

ولسنا في حاجة إلى تأكيد هذه الحقيقة من جهتنا كمسلمين ، ففي مصادرنا ما فيه العلم اليقين والحق المستبين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[٣].

وقد ذكر الإمام ابن القيم الجوزية- رحمه الله- مراحل خلق الإنسان في بضع أسطر توضح عظمة الخلق الإلهي وروعته في تصور وإبداع قارب الحقيقة :

(لما اقتضى كمال الرب تعالى- جل جلاله- وقدرته التامة وعلمه المحيط ، نوّع خلقه من المواد المتباينة ، وإنشاءهم من الصور المختلفة في المواد والصور والصفات والهيئات اقتضت حكمته أن أخذ من الأرض قبضة من التراب، ثم ألقى عليها الماء فصارت مثل الحمأ المسنون ، ثم أرسل عليها الريح فجففها حتى صارت صلصالا كالفخار، ثم قدر لها الأعضاء والمنافذ ، وصورها فأبدع في تصويرها ، وأظهرها في أحسن الأشكال، وفصلها أحسن تفصيل ، مع اتصال أجزائها ، أبدع في تصويرها وتشكيلها) [٤] .

وما تطرقي للنظرية الداروينية وتبعاتها إلا لما تركته من وبال على الفكر البشري في مجالات عدة وخاصة المجال الديني ، ليس لدى الغرب وحده بل وفي المجتمعات الإسلامية أيضاً ، على الرغم من أنها كانت أبعد ما تكون عن الاتجاه الديني .

---

(١) هو : فردريش أوفريدريك ماكس مولر : ولد في ٦ ديسمبر ١٨٢٣م ، وتوفي في ٢٨ أكتوبر ١٩٠٠م ، مستشرق وعالم لغوي ألماني ، عُرف في إنكلترا . حيث أمضى معظم سنوات حياته ، اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة ، وهو مؤسس فرع البحوث السنسكريتية في جامعة أكسفورد ، ومؤسس علم الأديان المقارن فيها أيضاً ، أسهم في الدراسة المقارنة في مجالات اللغة والدين ، وعلم الأساطير على الرغم من أن علماء العصر الحديث قد نبذوا الكثير من نظرياته ، موقع ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org مقالة بعنوان " ماكس مولر " ، الموسوعة العربية http://www.arab-ency.com المجلد العشرون ، اللغات وآدابها ، اللغة .

(٢) سورة التين : آية ٤ .

(٣) سورة التغابن : آية ٣ .

(٤) محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي : " التبيان في أقسام القرآن " مكتبة المتنبي ، القاهرة ، ص٢١٦ .

لكنها كانت مدخل الشيطان لهدم الأديان ، فقد قالوا: بما أن هناك أصلا للأنواع الحية جرى عليه قانون التطور فتحولت من صورة لأخرى ، فلكل شيء أصل إذاً ومن ثم يتحول ، لا ثبات في أي شيء ، وبالتالي فكل متطور ومتحول هو آفال وزائل ، كل شيء . كل شيء بما فيها العقيدة والأديان ؛ إذاً هناك أصل للعقيدة قابلة للتطور والتغير أيضاً .

وبداية ظهور أثر النظرية الداروينية في الغرب كان من تصريح عالم ألماني [(١)] ذكر في كتابه تثقيف الجنس البشري الذي نشر عام ١٧٨٠م : (إن الوحي السماوي متطور باستمرار لا يتوقف وإن الديانة المسيحية ليست سوى خطوة في الطريق إلى ديانة روحية أسمى) [(٢)]. وقد طبق هذا العالم نظرية التطور على دينهم آنذاك "المسيحية" وذكر أنه ليس سوى خطوة نحو تطور آخر وشكل جديد للدين .

ولم يقتصر هذا التأثير على المجتمع الغربي فقط بل انتقل إلى المجتمع الإسلامي أيضاً، فكان من أشهر الداعمين لنظرية تطور الأديان والذين يشار لهم بالبنان العقاد، فقد صدر له كتاباً بعنوان "نشأة العقيدة الإلهية"، ونشأة الشيء تعني أنه صار بعد أن لم يكن ، ظهر واضحاً ملامح التأثر بالتطور الداروني من خلال ما كتبه عن فحوى الكتاب : (موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية منذ أن اتخذ الإنسان رباً إلى أن عرف الله واهتدى إلى نزاهة التوحيد) [(٣)] .

---

(١) غوتهولد أفرايم لسنغ أديب ورائد حركة التنوير الألماني في القرن الثامن عشر ، له مسرحية بعنوان : " ناتان الحكيم " ، موضوعها حوار الأديان والتعايش السلمي بينهم ، ركز في أعماله التي كتبها عن الإسلام على " الدين الإسلامي وشخصية الرسول محمد وتاريخ الخلفاء الذين حكموا الدولة الإسلامية " ، وقد جسد أفكاره في أعماله ومخطوطاته الفلسفية الأدبية الدينية التي دافع فيها عن الإسلام ضد ادعاءات الكنيسة ، وقد وصف الدين الإسلامي بالدين الطبيعي العقلاني لكل البشرية ، والرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول للسلام كرد على ادعاء الكنيسة بأن الإسلام نشر بحد السيف . ترجمته من موقع الدليل http://aldalil.de/ar/plugins . مقال بعنوان : " الفيلسوف الألماني ليسنغ والإسلام " ، بقلم : د . زاحم محمد الشمري ، مجلة الدليل ٨/ ٢٠١٢ م ، ٣١ يوليو ٢٠١٢م ، زمن ١٣:٥٣ .

(٢) جون هرمان راندال : " تكوين العقل الحديث " ترجمة : جورج طعمه ، مراجعة برهان دجاني ، دار الثقافة ، بيروت ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ج٢ ، ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٣) عباس العقاد : " نشأة العقيدة الإلهية " ، ص٥ .

وقد لخّص لنا العقاد في جملة واحدة ملامح التأثر بالخرافة الدارونية ، فتحدث عن العقيدة الإلهية في النفس البشرية منذ نشأتها أي أنها لم تكن ومن ثم صارت، فأين هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها؟.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .

وليس العقاد وحده من ظهر عليه التأثر ، فقد انبرى قلم إسماعيل مظهر [2] مدافعاً عن هذه النظرية حين كتب:

(استبان الباحثون أن مجال العلم، قد اتسعت دائرته بما مهدت فكرة التطور من سبل البحث في نشوء العقل الإنساني وتطور النظامان الاجتماعي والمعتقدات الدينية بتطوره) [3]. وقال أيضاً: (علمتنا هذه الأبحاث أن الأديان مثل الأنواع الحية لم تُخلق فجأة، بل إنها قد مضت متطورة في خطا نشوئية تدريجية)[4] .

من وجهة نظري أن العبارة السابقة قد تنضبط إذا أدخلنا عليها بعض التعديل، فلابد من وضع ضوابط ومعايير تحدد المقصد والمغزى من معنى التطور في الأديان وأن تسور الكلمة بسور يمنع اختلاط المعنى وتداخل الفكرة . فعلى سبيل المثال يمكن ضبط الجملة السابقة فأقول:

---

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .

(٢) هو : إسماعيل مظهر بن محمد بن عبد المجيد ، باحث ومفكر مصري ليبرالي تقدمي ، ولد بالقاهرة لأسرة تنحدر من أصول تركية ، يعتبر أحد رواد النهضة العلمية المعاصرة في مصر والعالم العربي واحد رواد الفكر والعلم والترجمة ، درس علوم الأحياء ثم تحول إلى الأدب ، سافر إلى انكلترا فدرس في جامعة لندن واكسفورد، أصدر مجلة العصور أبرز مؤلفاته " فك الأغلال " ، و" الإسلام لا الشيوعية " ، و" ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء " ، هو أول من قام بترجمة : " أصل الأنواع " لداروين ونشره .
أنظر : ترجمته في الإعلام ، ج١ ، ص٣٢٧ .

(٣) إسماعيل مظهر : ملقي السبيل في مذهب ا لنشوء والارتقاء ، عني بنشره : إلياس أنطوان ، المطبعة المصرية ، مصر ، ص ٩٤ .

(٤) المرجع السابق ص ١٠٤ .

(علمتنا هذه الأبحاث أن الأديان الوضعية مثل الأنواع الحية لم تُخلق فجأة ...).
حين يأتي لفظ تطور مصاحب للعقيدة الدينية بلا تقييد تصبح الجملة جد خطيرة !! فقد وضع لنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الأسس الصحيحة والقويمة لعقيدة خالدة باقية إلى يوم الدين ، مما لا تحتاج معه إلى تطور أو تحسين وإذا ما طرأ عليها تغير ، فالصحيح أن يقال لحود وانحراف عن جادة الصواب. لكن لا بأس من استخدام لفظ التطور مع الأديان الوضعية التي صارت بعد أن لم تكن، ومن ثم تطورت وتدرجت ، فعقل الإنسان قابل للتعلم والتطور .

وقد ذكرت النظرية الدارونية "أن هناك أصلا واحدا للحياة". وأقول أن هناك أصلاً واحداً للعقيدة الإلهية هو التوحيد، فهو أصل المعتقد وأصل الفطرة، وكل ما سواه لا يعد أن يكون أساطير نُسجت على بقايا أديان توحيدية حُرفت (عقيدة الوحدانية هي الأصل ... وما الوثنية إلا خروج عنها) [١]. وقيل أيضاً في نفس المصدر ما يُرد به على القائلين بالتطور: (لم تتطور العقيدة بتطور معتقدات قديمة نابعة من الأساطير، إنما تحورت الوثنية عن الوحدانية) [٢].

فالأصل هو التوحيد، وإن ظهرت الوثنية فهي تحور وليس تطور !! وقد أجد في النص التالي ما يغنيني عن المزيد: (إذا أبوا إلا أن يقيسوا تطور الدين على تطور الأشياء " الفنون " فهذا حجة لنا لا علينا ، فمعنى التطور " في الفنون " هو أن يبدأ في صورة ساذجة متجانسة، ثم تنتقل إلى نوع من التكثر والتعقيد كلما ابتعدت عن الأصل ، وبتطبيق هذا القانون التطوري على العقيدة الإلهية يستوجب أنها سارت من الوحدة إلى الكثرة) [٣] .

لعلي أطلت في أثر نظرية التطور الداروينية على الفكر البشري لا لشيء إلا لإزالة أي شبهة قد تنشأ عن عنونة المبحث[٤] .

---

(١) مصطفى عبده : " الوثنية والأديان " ، ص٢٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عبد الله دراز : الدين ، ص١١١ ، بتصريف .

(٤) بالرغم من أني استبدلت كلمة " تطور " بكلمة " تدرج " في الصفحات التالية تجنباً لحدوث أي خلط ، وقد كان

المطلب الأول: تدرج فكرة الثنوية في العصور القديمة

سبق وأن تحدثت عن حاجة البشرية لوجود دين في حياتها يتمثل في الاعتقاد بإله أعلى بيده تدبير الأمور، لم يكن تأكيد ذلك من قبل علماء المسلمين فحسب إنما لدى علماء الغرب أيضاً.

فقد ذكر كل من أفلاطون [١] وتلميذه أرسطو [٢]: (أن خالق الكون أو السبب الأزلي ليس مادة. بل روح عاقل مدبر ، وهو سبب الكائنات بلا استثناء ، وإليها مرد كل تركيب وتحليل ، ونمو ونقص، وخير وشر، وحسن وقبيح ، وكل الأضداد والمتقابلات)[٣] .

والأمر لا يحتاج إلى عقلية عبقرية دينية فذة حتى نستنتج تلك الحقيقة من النص السابق وأن مقصد آباء الفلسفة في ذلك العصر، أن خالق الكون واحد وهو روح عاقلة؛ إليه مرد كل خلق وامر وإليه تعود كل المتناقضات. وهذا عكس ما يدعيه الثنويون من أن إله الخير لا يمكن أن يصدر عنه شر. ولقد كانت نظرة الإنسان الأول في غمار بحثه عن الخالق دائماً ما تتجه نحو الطبيعة، على اعتبار أنها اقوى المظاهر المرعبة المحيطة به ومنها انبثقت أول صور العقيدة الثنوية.

بإمكاني تغير العنوان أيضاً ، لكني وجدتها فرصة للتعريف بنظرية دارون وجنايتها على الفكر البشري في كافة المجالات، حتى وإن كانت قد أثمرت في ناحية من نواحي العلوم إلا أن ضررها كان أشد على مستوى العلوم الإنسانية، وخاصة الدينية منها !! وكذلك لأوضح أن التطور هو سمة الأديان الوضعية ، وليس للعقيدة الإلهية الفطرية.

(١) اسمه اريستوقلس وكنيته أفلاطون ، ومعناها ذو الجبهة العريضة ، ولد عام ٤٢٧ق م ، عاش أكثر من ثمانين عاماً ، يعتبر أحكم وأعلم وأفصح أهل زمانه ، ويعتبر أشهر ما يؤخذ منه نظرية المثل ، توفي عام ٣٤٧ ق . م . موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص١٥٧ .

(٢) اسمه أرسطو بن نيقوماخوس . ولد عام ٣٨٤ق م في اليونان ، درس بأكاديمية أفلاطون ، وهو بعمر السابعة عشر ، ولفت إليه نظر أستاذه لشدة ذكائه ، وسعة اطلاعه فقضى بالأكاديمية عشرين عاماً حتى وفاة أستاذه ، ومن ثم أنشأ مدرسته الخاصة ، كان بمنزله ممشى ظليل يؤثره فكان يلقي دروسه على طلبته وهو يقطعه جيئة وذهاباً ، واشتهر ذلك عنه فسمي وأتباعه المشاءون . موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص١٢٢ .

(٣) عبد الله دراز : " الدين " ، ص١٣ .

الإستنتاج الذي توصلت إليه في تسلسل الأحداث أنه:حين طُرد إبليس من الجنة سكن الأرض التي يسكنها أعداؤه من بني آدم ، ومن ثم كمن في مكمنه حتى لاحت له الفرصة لبدء الغواية ، فكانت فكرة ثنوية القوى المسيطرة على الكون إحدى حيله وضلالته ، فادعى لنفسه الربوبية مع الله واتبع لتحقيق ذلك طرق عدة ، حولها من مجرد فكرة إلى عقيدة يُعتقد بها ودين يُدان به.

صور التدرج في الأديان الوضعية [١]:

التطور والتدرج سمة الأشياء ، كل الأشياء بما فيها الأفكار والمعتقدات الوضعية ، فهي من صنع بشر ، والبشر يتعلم فيُنتج ، ومن ثم يتعلم فيُنتج أفضل مما أنتج في السابق، وقد يأتي بشر مثله يضيف أمراً أو يحذف أمراً فيتطور المنتج إلى الأفضل وهكذا.

التدرج الأول:

البداية من حضارات العراق القديمة فيما عُرف ببلاد ما بين النهرين (تذكر الأساطير البابلية والآشورية أن هناك آلهة للنور وآلهة للشر، وأنهما كانا في صراع دائم)[٢].

التدرج الثاني:

نترك العراق ونتجه صوب أقدم الديانات على وجه الأرض "الديانة الفرعونية"، نجد أن فكرة قوى الخير في مواجهة قوى الشر موجودة وكان خير مثال لها قصة ست إله الشر. (ست إله الشر والانتقام والدمار ، وقد عبده المصريون من قبيل الخوف لا المحبة،

---

(١) ستكون المعلومات الواردة هنا مختصرة فلها تفصيلا مسهب في الفصل الثالث .

(٢) موقع صيد الفوائد . http://www.saaid.net . مقال بعنوان : " الروافد الوثنية للثقافة اليهودية " ، بقلم : محمد بن حسن المبارك . بابل مدينة عراقية قديمة ، وهي تعني " بوابة الإله " ، والاسم القديم لها " بلاد سومر " ، وكان ظهور الحضارة البابلية ما بين قربي ١٨ ق . م ، ٦ ق . م ، وتعد من أعظم الحضارات القديمة حتى قبل ظهور الحضارة الفرعونية أيضاً ... معلومات منتقاه من موقع دجلة نت . http://www.dijlh.net/forum.php . بعنوان : " معلومات حول أقدم حضارات العالم (بابل) " ، بقلم : نموري ، بتاريخ ٨/٥/٢٠١١م ، الزمن ١٠:٤١ pm .

ويقف ست على نقيض أخيه أوزوريس إله الخير والمحبة) (١).

التدرج الثالث:

بلاد فارس مهد العقيدة الثنوية، فقد كانت سمة الأديان الإيرانية القديمة الاعتقاد بوجود أصلين ضدين للكون، أحدهما مسئول عن الخير والآخر مسئول عن الشر، والذي يميز إيران عن باقي الحضارات أن المعتقد الثنوي فيها أصيل وليس دخيل، فهو أساس ثابت في كل الأديان التي ظهرت عبر تاريخها الديني الطويل، وهذا عكس باقي الأديان في الحضارات التي وجدت بها ملامح عقيدة ثنوية ليست أساسية بل ثانوية ، ومن أمثلة صور الثنوية الفارسية :

- العقيدة الأولى الخاصة كانت تقوم على عبادة الإلهين (ميترا وأناهيتا) (٢) .
- وجدت الديانة الزروانية (الكيومرثية) التي تؤمن بـ (أهرمن الشيطان، وهرمز الخير)(٣).
- وكانت الميثرائية يُعبد فيها كل من "ميثرا إله الشمس، وانكرامايندو إله الشر " .
- ومن ثم الزرادشتية التي كان لها الدور الأشهر في بلاد فارس فقد كانت تعرف بالتوحيد المثنوي.
- تلتها زمنياً الديانة المانوية التي تقوم على أساس الأصلين اللذين يحكمان العالم. التي اعتبرت سفيرة الأديان الإيرانية الثنوية للعالم . وإليها يرجع الفضل في انتشار الفِكر الثنوي خارج إيران حيث اعتبر ماني (٤) نفسه نبي رسولاً

وقد ذكر غير واحد تلك الحقيقة : (إن أهم ما يميز التراث الديني الفارسي هو الطابع الثنوي الذي يقوم على القول بأن الوجود يتأسس على أصلين، يمثل أحدهما الخير وثانيهما الشر، يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة ، ذلك هو الأساس العام

---

(١) محمد عثمان الخشت: "العقائد الكبرى بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء"، دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م،ص ١٣٨ .

(٢) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها " ، مطبعة الأمانة ، مصر، ١٤٠٦هـ ، ص١٦٥ .

(٣) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج١ ، ص٢٣٤ . ٢٣٥ .

(٤) هو : ماني بن فاتك . ولد بالعراق عام ٢١٦م ادعى النبوة وأنه النبي الرابع بعد المسيح وزرادشت وبوذا . قضى الملك بهرام بن شابور الفارسي بإعدامه عام ٢٧٢م . موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج٢ ، ص١٢٢٤.

للثنوية)[1].

إن الصور كثيرة والأشكال عديدة ، وقد كان ما ذُكر على سبيل المثال فقط؛ فالعقيدة الثنوية لم تكن بصورة واحدة في كافة الأديان حتى وإن ارتكزت على أساس واحد ، وكما كان لها صور تطور وتدرج في الأديان الوضعية فلها أيضاً صور تطور وتدرج في الأديان التوحيدية.

صور التدرج في الأديان التوحيدية[2]:

حين توعد إبليس بني آدم بالغواية لم يكن يختص منهم فئة دون غيرها، فكما أغوىّ أصحاب الديانات الوضعية، كان له تأثير أيضاً على أصحاب الديانات التوحيدية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

الصورة الأولى:

معتقد توحيد الإله هو ديدن الثقلين في الملأين العلوي والسفلي ، حاول إبليس اختراقه منذ أن طلب لنفسه السجود والعبادة في مقابل الواحد الأحد ، ومن الأدلة على أن الشيطان طلب العبادة لنفسه وأن هذا قد حدث منذ قديم الأذل.

- طلبه ممن يتبعه من الجن في السماء أن يسجدوا له، فقد حقق ما لم يستطع أحداً تحقيقه [4] .
- حذر نبي الله إبراهيم- عليه السلام- والده أن يقع فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾[5].

- وكذلك جاء التحذير عاماً في آية أخرى لبني آدم جميعاً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ

---

(١) الحبيب عيّاد : " الكلام في التوحيد " ، ص١٣٢ .

(٢) ستكون المعلومات الواردة هنا مختصرة وسيكون لها إسهاب وتوسع في الفصل الرابع .

(٣) سورة ص : آية ٨٢- ٨٣ .

(٤) ذكرت القصة كاملة فيما سبق ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، ج١ ، ص١٥ .

(٥) سورة مريم : آية ٤٤ .

مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

هاتان الآيتان هما من أوثق الأدلة على أن عبادة الشيطان موجودة ومعروفة منذ الأزل، وقد ذكر الأئمة المفسّرون أن المقصود من الآية الثانية ليست الثنوية بشكل خاص، بل هي أيّ عبادة يُشرك فيها مع الله إلهاً آخر هي من قبيل عبادة الشيطان ، وأن المقصود بعبادته هي طاعته .

لكني أرى أن ألفاظ القرآن الكريم واضحة المقصد جلية المعنى ، فلا يذهب معنى إلى معنى آخر إلا بوجود قرينة تصرف المعنى الظاهر الغير مراد إلى معنى آخر مراد، صحيح أن الشيطان هو سبب كل عبادة ضالة مضلة فيها شرك بالله.

لكنه بجانب التصريح بعبادة الشيطان جاءت في القرآن الكريم أنواع عديدة وصريحة من صور الشرك بالله فعلى سبيل المثال:

- عبادة الأصنام في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] .
- عبادة أي إله في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[3] .
- عبادة مخلوق لمخلوق مثله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ...... ﴿١٩٤﴾ ﴾[4] .

ومقصدي أنه حين تنص الآية على عبادة الشيطان فإن المعنى يستقيم إذا انصرف إلى دعوة إبليس لنفسه بالندية مع الله.

---

(١) سورة يس : آية ٦٠ .

(٢) سورة نوح : آية ٢٣ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ١١٧ .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٩٤ .

الصورة الثانية:

ما روته كتب التاريخ [1] عن قصة إبليس مع زوجة نبي الله أيوب المبتلى- علية السلام-: (إن إبليس التقى زوجة نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ يوماً ، فقال إبليس لإمرأة أيوب- عليه السلام- : بم أصابكم ما أصابكم ؟ قالت : بقدر الله تعالى، قال: فاتّبعيني فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم في واد فقال : اسجدي لي وأرده عليكم ، فقالت : إن لي زوجاً أستأمره ... فأخبرت أيوب فقال : أما آن لك أن تعلمي ذاك الشيطان لئن برئت لأضربنك مئة جلدة) [2] .

والشاهد من هذه القصة ادعاء الشيطان أن له قدرة موازية ومضادة لقدرة الله- سبحانه وتعالى- وأن ما أخذه الله يستطيع هو رده إن جُعل رباً مربوباً ، وهي دعوة صريحة لعبادة اثنين أحداهما أخذ ، والثاني يرد فكلاهما لديه القدرة ذاتها وإن كانت متضادة.

الصورة الثالثة:

ظهرت ملامح العبادة الثنوية في أول الديانات التوحيدية المذكورة في تاريخ البشرية، الديانة اليهودية ، فقد كتب بعضهم : (اعتبر التوراة ليست في الواقع سوى قصة الشيطان حين أصبح سيد العالم) [3]. وتعد القبّالاه [4] من أوضح مظاهر الثنوية العقدية في الديانة اليهودية .

الصورة الرابعة:

يلي الديانة اليهودية تاريخياً الديانة النصرانية التي ظهر فيها المعتقد الثنوي ليس على محور واحد بل على محورين:

---

(١) عبد الله بن أبي الدنيا : " مكائد الشيطان " ، بدون بيانات ، مكتبة المصطفى الإلكترونية .www.al-mostafa.com ، ص٢٠ .

(٢) سلسلة رواة القصة: حدثنا فُضيل بن عبد الوهاب حدثنا أبو بكر بن عياش عن ابن وهب بن منبه عن أبيه.

(٣) وليام غاي كار : " أحجار على رقعة الشطرنج " ترجمة : سعيد جزائرلي دار النفائس ، ١٩٧٠م ، ص٨ .

(٤) يقال : فرقة يهودية ، ويقال : طريقة تفكير ، وقيل : إنها نوع من الصوفية اليهودية ، سيكون تفصيل ذلك في الفصل الرابع المبحث الأول .

- عبادة الشيطان على اعتبار أن هذا العالم المليء بالشر له رب ثاني غير الآب[1] .
- عبادة المسيح عيسى وأمه كإلهين اثنين من دون الله وهذا مُثبت في القرآن الكريم .

الصورة الخامسة:

وجدت العبادة الثنوية في شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ولم تكن هي الانحراف الشركي الوحيد لدى العرب قبل الإسلام ، فقد كانت هناك في الجزيرة العربية تنوع كبير في الأديان بالإضافة إلى مظاهر تعبدية وثنية متعددة ومختلفة ، وقد جاءت آية واحدة في كتاب الله تذكر أصول الأديان التي ظهرت في البشرية – ذكر ذلك بعض علماء الأديان–.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[2]

وقد ذكرت الآية ستة أصناف من الأديان التي عرفها العرب قبيل البعثة المحمدية، وهي بترتيب الآية:

- **المؤمنون:** يُقال لهم الأحناف أيضاً ، وقد كانوا بضع نفر من قبائل متفرقة لم تجمع بينهم رابطة نسب ولا دم ، إنما جمع بينهم ترفع نفوسهم عن عبادة الأصنام ، وقيل إنهم كانوا على دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، فلم يشركوا بربهم أحداً ولم يدخلوا في يهودية ولا اعتنقوا نصرانية ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم عدة مرات مثال:

قولـــه تعالـــى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[3].

---

(١) ترى ـ الديانة النصرانية ـ العالم أنه الجحيم المطلق وأنه عالم الشر ولا يمكن أن يخلقه إله خير ، وفي بعض نصوص الديانة النصرانية نفسها لا تنفي غلبةَ الشيطان على العالَمِ الأرضي ، مما دعا البعض إلى الكفر بالإله السماوي ، والإقبال على عبادة الشيطان) موقع تجمع طلبة جامعة الملك سعود http://www.cksu.com . بعنوان : " النورانيُّون " ، حملة لواء الشيطان " ، بقلم : زيروكس ، بتاريخ ٢٠١٣/١/٨م ، زمن 11:41 .

(٢) سورة الحج : آية ١٧ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٣٥ .

وقد ذكرت كتب التاريخ أسماء كثيرة من العرب عامة ومن قريش خاصة كانوا على الحنفية [١].

- **اليهودية**: المقصود به الدين الذي دعا إليه نبي الله موسى- عليه السلام-، وقد أكدت المصادر التاريخية أن وجود اليهود في شبه الجزيرة العربية قديماً جداً، حتى أن بعض ملوك حمير وبني كنانة تهودوا [٢] ، وقد اعتنق أُناس من الأوس والخزرج الدين اليهودي بحكم مجاورتهم في المدينة المنورة ليهود خيبر وبني قريظة وغيرهم ، مما جعل اليهود أنفسهم يُفرقون بين اليهود الأصليين من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام . ويطلقون عليهم بني إسرائيل ، ويهود عرب اعتنقوا اليهودية بعد مجاورتهم لهم [٣].
- **الصابئة**: جاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم ثلاث مرات [٤] ، وهو لفظ يعني المائل أو الزائف ، وقد أطلق على من مال عن دين الأنبياء الحق ، وقد أطلقته العرب قديما على من اتبع دين النبي محمد- صل الله عليه وسلم- باعتبار أنه صبّا أي خرج من دينه إلى دين آخر، وقد ذكر بعض الرواة أن دين الصابئة كان موجوداً حين بُعث إبراهيم–علية السلام– بدلالة مناظرته معهم لإقناعهم بخطأ مذهبهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٥] .

---

(١) سميح دغيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " دار الفكر العربي ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م، ص ٤٧ . ٥٤ ، بتصريف .

(٢) تهودوا أي صاروا يهوداً .

(٣) سميح دغيم : مرجع سابق ، ص ٥٥ . ٥٧ بتصريف .

(٤) سورة البقرة : آية ٦٣ ، سورة المائدة : آية ٦٩ ، سورة الحج : آية ١٧ ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص٣٩٩ ، باب الصاد .

(٥) سورة الأنعام : آية ٧٨ .

وقد اختلف علماء الأديان في تصنيفهم ما بين مجوس ، وما بين عبّاد الكواكب [١].

- **النصارى:** هم من كانوا على دين عيسى . عليه السلام . وهي ثاني الأديان الكتابية الموحى بها بعد اليهودية ، يقال إن أول من أدخل النصرانية إلى بلاد العرب هو بولس اليهودي [٢]، فقد أثبت التاريخ أنه زار شبه الجزيرة العربية ومكث فيها ثلاث سنوات ، وإن كان لم يستطع أحداً أن يثبت الغرض من الزيارة هل كانت تبشيرية أم للعزلة والتأمل[٣].
- **المجوسية:** هي النِحلة الفارسية التي كانوا يتعبدون بها وهي القائلة بالأصلين القديمين وقد دخلت المجوسية إلى شبه الجزيرة العربية عبر منفذين عن طريق الحيرة وعن طريق اليمن. وانتشرت في قبيلة تميم وقد اعتنقها بعض ساداتهم [٤]، وقد أثبتت بعض المصادر أن المانوية أيضاً قد عُرفت في بلاد العرب.

(يذكر أن عمر بن عدي ملك الحيرة كان من أنصار المانوية وحماتها المعروفين، ويتحدث المؤرخ الإسلامي ابن قتيبة عن وجود المانوية في مكة قبل الإسلام) [٥].

- **المشركين** : هو لفظ علم يُطلق على كل من عبد مع الله إله آخر، وقد تكرر في القرآن الكريم كثيراً ، وهم أصناف عدة منها على سبيل المثال لا الحصر.

---

(١) سميح دغيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، ص ١٣٧ . ١٣٩ ، بتصريف .

(٢) يهودي روماني كان شديد العداء للمسيحيين ، ومن ثم تحول إليهم فجاءه وبلا مقدمات ، وقد اعتبر ناشر المسيحية ومفسرها ، وقد أدخل فيه الكثير مما ليس منها ، والذي اعتبره المسيحيون المصلحون جذور وثنية ، مثل فكرة الحلول والعيد الطوطمي الذي يتناول فيه لحم ودم المخلص حتى يتحد به وغير ذلك ، مما تبرأ منه النصرانية الحق . موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص ٣٤٣ .

(٣) سميح دغيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، ص ٥٧ . ٧٨ ، بتصريف .

(٤) من الأسماء التي ذُكرت " زرارة بن عدس وابنه حاجب بن زرارة " سميح دغيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، ص ٨١ . ٨٥ .

(٥) موقع مجلة ميزوبوتاميا . بلاد النهرين ، دورية موسوعية تعنى بإحياء الهوية الوطنية http://www.mesopot.com مقالة بعنوان : " المانوية البابلية .. أساس التصوف العراقي " ، بقلم : سليم مطر ، جنيف .

١- عبدة الأصنام .

٢- عبدة النجوم والكواكب .

٣- عبدة الجن[١].

الشاهد مما سبق أن إحدى صور العقيدة الثنوية "المجوسية" قد عرف في بلاد العرب وأنها ذكرت في القرآن الكريم ضمن أصناف الأديان التي انتشرت في جزيرة العرب حال البعثة النبوية !!.

والصور السابقة هي للمعتقد الثنوي حين خالط الأديان التوحيدية المحرفة قبل الإسلام ، ولم تنتهي تلك المخالطة بمجيء الإسلام !! إنما تطورت وتبدلت لتناسب البيئة الإسلامية الجديدة.

تسلل الفكرة الثنوية إلى الإسلام:

امتلأت جزيرة العرب قبل البعثة المحمدية بكل أنواع الشرك والضلالات، ومارس أهلها كل أنواع الشرور والموبقات، حتى جاءتهم رسالة الإسلام ومعها أسس العقيدة الصحيحة القائمة على الوحدانية الربانية لرب واحد يُعبد وإله واحد يُدعى. فما كان الشيطان ليجرؤ والنبي- عليه الصلاة والسلام- حي يُرزق أن يدعو لنفسه بدعوة الربوبية تلك، أو أن يُعلن عن فكرة الثنوية الإلهية فلن تجد آذان صاغية حينذاك. لكن سنحت له الفرصة بعد ذلك ، حين انتقل النبي - عليه الصلاة والسلام- إلى الرفيق الأعلى، وتلاه عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا بحق حماة الدين وحصنه الحصين؛ وكيف

(١) هو الاعتقاد بوجود قوى خفية تحرك الكثير من الظواهر وتفسر من خلالها الكثير من السلوكيات ، وهو سلوك أكثر من أن يكون عبادة لأنه لم يختص به العرب فقط بل عُرف عند العديد من الشعوب ، فالعقل الإنساني تثيره دائما فكرة تقديس الغيبيات والقوى الخفية القادرة الفاعلة !! ينسب إليها كل ما يعجز العقل البشري عن إيجاد تفسير له، أي كل ما هو وراء المحسوس كالجن !! أُفردت سورة خاصة في القرآن الكريم تعرف بسورة الجن ، ومن أسماء الجن التي عُرفت عند العرب قديماً " إبليس ، الغول ، السعلاة ، العفريت أو المارد ورد ذكر بعضاً من هؤلاء في آيات قرآنية أو أحاديث نبوية فإبليس مذكور في القرآن أكثر من مرة ، والغول جنس من الجن تتلون وتتشكل بهيئات مختلفة ، والسعلاة ساحرة الجن قيل أنها تشبه الفرس وورد ذكرها في الشعر العربي أيضاً ، والعفريت هم من أصناف الجن وورد ذكره في قصة سليمان . علية السلام . في القران الكريم ، المارد هو من الجن العاتي الخبيث وغير ذلك ...

لا يكونون وهم تربية المدرسة النبوية التي لا تخشى في الحق لومة لائم ، بل كانوا أشد من ذي قبل ، حرصاً على وحدة الدين وسلامة المعتقد ، فرسول الله- صل الله عليه وسلم- لم يكن بين ظهرانيهم ، ومسؤولية الأمة تقع عليهم.

وبعد أن فتح الله على المسلمين مشارق الأرض ومغاربها ، وسعوا في مناكبها فتحاً ونصراً ونشراً للدين الإسلامي ، دخل الناس إلى الإسلام زرافات ووحدان ؛ منهم الراغب المحب ومنهم الكاره المضّطر؛ وحين فتُحت بلاد الفرس في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- كانت تلك مرحلة انتصار إيجابية للدولة الإسلامية إلا أنها لم تُعدم من وجود آثار سلبية بها.

لقد اختلطت الشعوب وتمازجت الأفكار، فتداخلت الأديان ،لم يتمكن بعض الفرس الذين أسلموا حديثاً من إزالة بقايا معتقدات وأفكار دينهم المجوسي القديم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ظهر جيل من أبناء المجوس الذين نشأوا في الحكم الإسلامي ودرسوا اللغة العربية حتى أتقنوها ، فبدأ على أثر ذلك ترجمة التراث الفارسي القديم في مختلف العلوم والآداب ، فانتشرت الأفكار الفلسفية والمعتقدات الدينيـــة الفارسيـــة في المجتمع الإسلامي.

وقد ترتب على ذلك ظهور ملامح الفِكر الثنوي لدى بعض الفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام ، ولأنه اختراق على حين غفلة أطلقت عليه تسلل.

التسلل الأول:

من أوائل الفرق ظهوراً هما فرقتا الخوارج والشيعة ؛ الثانية منهما ظهرت كردة فعل للأولى، حين رفض الخوارج التحكيم بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما- وخرجوا عليه، وظهر من جيش علي من يناصره ويتشيع لآل البيت خاصـــة، وسموا بالشيعـــة. وقد أثبت العديد من المؤرخين المسلمين من الذين لهم باع في تاريخ الفرق الإسلامية العلاقة الوطيدة بين فرقة الشيعة والقول بالثنوية الإلهية في الكون.

(إن الشيعة هي محل امتزاج الثنوية بالإسلام، إذ في أفكارها الرئيسية من المناسبة لآراء الثنوية مالا يخفى ، وقد ثبت عن كثير من رجالها أنهم جمعوا بين الرفض والزندقة، والزندقة

هي الثنوية) [١] .

كما أثبت التاريخ أن هناك صلة بين بعض رجال الشيعة المعروفين ، وبين اعتناق الملة الزرادشتية ، وكانوا جزء من خطة هدم الإسلام من الداخل حين فشل مواجهاته بالسيف.

التسلل الثاني:

اعتبر البعض فرقة المعتزلة [٢] حاملة لواء الدفاع عن الفِكر الإسلامي — في رأي البعض – ضد الفرق الكلامية، والتيارات المعادية لأصول الدين الإسلامي مجوس هذه الأمة ، وانقسم العلماء في الحكم عليهم إلى فريقين ، فريق مؤيدين للوصف والسمة الثنوية للمعتزلة ، وفريق معارضين ورافضين له ، ولكل منهما أسبابه التي أبداها وأدلته التي أوردها [٣].

التسلل الثالث:

رصد المؤرخون تسلل للفِكر الثنوي بعد ذلك عن طريق ظهور أتباع الدين المانوي في العصر العباسي ، فقد أصبح لهم وجود ملحوظ بسبب ما أبدته الدولة من تسامح حيالهم ، وكان هذا عكس ما حدث أيام الدولة الأموية.

(وبعد مطلع القرن الثاني للهجرة، أعدم هشام بن عبد الملك [٤] الجعد بن درهم

---

(١) عبد الرحيم الخياط المعتزلي :" الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد" مقدمة ، تحقيق : نيبرج ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ص٥٥ .

(٢) قيل هي أعظم وأقدم مدرسة من مدارس الفكر والكلام التي عرفها الإسلام ، ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في العهد الأموي بمدينة البصرة ، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية لكن غلب عليهم اسم المعتزلة حتى غدا أهم أسمائها ، وقد ذكر العديد من الأسباب في سبب التسمية ، فمنهم من قال دعوهم معتزلة لاعتزالهم أمر الأمة في مرتكب الكبيرة ؛ وقيل بسبب اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري إثر الخلاف على مرتكب الكبيرة ، ومن رؤوس مذهب الاعتزال عمرو بن لبيد شريك واصل في تأسيس المذهب ، أبو الهذيل العلاف ، وتلميذه النظام وأبو علي الجبائي وابنه هاشم ، وغيرهم الكثير .

وللمزيد انظر : الملل والنحل ج١ ص٤٣ ، تاريخ المذاهب الإسلامية ج١ ص١٢٤ ، المعتزلة لزهدي الجار الله ص١ ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج٢ ص١٣٢٧.

(٣) سيكون للموضوع عودة مفصلة في الفصل الرابع .

(٤) هشام بن عبد الملك بن مروان من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد سنة ٧١هـ وتوفي سنة ١٢٥هـ ، بويع بالخلافة بعد أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ ، كان حسن السياسة ، يقظاً في أمره .

لزندقته؛ وهو من طلائع نشاط المانوية باسم الزندقة) [١] .

فلم تكن البيئة الأموية بيئة صالحة بالقدر الكافي [٢] لممارسة نشاطهم والتوسع فيه؛ فانتظروا الفرصة المناسبة لهم ليعاودوا الظهور مرة أخرى ؛ وكان ذلك إثر دعوة الدولة العباسية للمساواة بين العرب والموالي.

(وكان للدعوة العباسية أثرها في تنشيط الوعي بين الفرس وتهيئة الظروف لنشاط الحركات الدينية الفارسية وخاصة الخرمية والمانوية بل وبين الزرادشتية أيضاً) [٣].

وكان أشهر من مثل الظهور الفارسي في الدولة العباسية هم الوزراء البرامكة، وقد قامت عدة حملات لمحاربة المانويين والقضاء عليهم.

(كان الخليفة المهدي أول من بدأ حملة منظمة ، وعلى الصعيد الرسمي في محاربة أهل البدع والزندقة، وكان أول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد)[٤].

مما سبق، يلاحظ كثرة صور التسلل للدين الإسلامي من قِبل الفِكر المثنوي أكثر مما في الأديان السابقة ، وقد يرجع ذلك إلى أن إبليس لم يجد من أصحاب تلك الديانات مقاومة تُذكر حتى يكرر المحاولة ، فقد كانت تلك الديانات سواءً الوضعية منها أو التوحيدية المحرّفة مهلهلة من الداخل فلا ضير في إضافة عقيدة وثنية جديدة؛ بعكس الدين الإسلامي الذي كان وما زال قوياً أمام محاولات الاختراق العقدي خاصة والديني عامة. فقد قيد الله- عز وجل- لهذه الأمة من يحمي دينها ويحافظ على معتقدها منذ بدايته وحتى قيام الساعة ، لذا نجد أن الشيطان الرجيم ما يلبث أن يكرر المحاولة تلو الأخرى لنشر أفكاره الضالة الهالكة بين المسلمين قديماً وحديثاً كما سنرى لاحقاً المزيد من صور التسلل.

لترجمته أنظر : " الأعلام " للزركلي ، ج٨ ، ص ٨٦ .

(١) عبد العزيز الدوري : " الجذور التاريخية للشعوبية " دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م ، ص٢٢.

(٢) فقد قصرت الدولة الأموية المناصب الهامة في الدولة والجيوش على القبائل العربية فقط لضمان الولاء .

(٣) عبد العزيز الدوري : " الجذور التاريخية للشعوبية " ، ص٣٢ .

(٤) فاروق عمر : " التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشريين " مكتبة النهضة ، بغداد ، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٢٣ .

التسلل الرابع:

كما سبق وأن دار الخلاف بين علماء الأديان حول إطلاق صفة الثنوية على مدرسة المعتزلة الكلامية [١]، دار الخلاف نفسه حول الديانة الأيزيدية ، وكان على محورين أولهما إن كانت هي من الفرق الإسلامية المنشقة عنه أم إنها نِحلة قديمة قائمة بذاتها منذ الأزل ؛ والثاني هل هي مثنوية الاعتقاد الإلهي كما قيل عنها ؛ أم أنها ديانة تفردية وضعية؟.

حول أصول الأيزيدية [٢] ذُكر في مقالة لباحث متخصص في التاريخ الديني القديم لبلاد ما بين النهرين. إن هناك أربع ديانات غنوصية ظهرت كلها في العراق القديم " وادي الرافدين " ثلاثة منه ظهرت قبل المسيحية وواحدة بعدها وهي (المندائية ، الحرانية، الإيزيدية ، المانوية [٣]. وتلك إشارة من باحث متخصص في بحوث الحضارات العراقية القديمة لا يمكن إغفالها .

والرأي الآخر هو لمختصين أيضاً كانت وجهة نظرهم محل اعتبار قالوا: (هي فرقة منحرفة نشأت سنة ١٣٢هـ إثر انهيار الدولة الأموية ، كانت في بدايتها حركة سياسية لإعادة مجد بني أمية ، ولكن الظروف البيئية وعوامل الجهل انحرفت بها فأوصلتها إلى تقديس يزيد بن معاوية، وإبليس الذي يطلقون عليه اسم "طاووس ملك وعزازيل") [٤] .

---

(١) كلمة مدرسة آتية من المدرسية أو علم الكلام ، لذلك نحن نسمي المعتزلة مدرسة ولا ندعوهم فرقة ، لأن الفرقة هي التي اتخذت لنفسها أنظمة دينية خاصة بها ، والمعتزلة لم تكن لهم تلك الأنظمة ، ولا كانوا مفترقين عن أهل السنة والجماعة ؛ لكن المؤرخين من المسلمين الأوائل لم يُفرقوا بين الفرقة والمدرسة الفكرية ، لذلك أطلقوا على المعتزلة والمرجئة فرقة كما كانوا يطلقون على الشيعة والخوارج ، هامش المعتزلة ، لزهدي الجار الله ، ص١ .

(٢) سيكون لي عودة للأيزيدية في الفصل الرابع بإذن الله .

(٣) الموقع الرئيس لمؤسسة الحوار المتمدن ، http://www.ahewar.org مقال بعنوان : (هل يمكن تحديد فترة ظهور الديانة الإيزيدية بين البشر ؟) ، بقلم : زهير كاظم عبود ، العدد : ٢١٧٢ ، بتاريخ ٢٦/ ١/ ٢٠٠٨م، زمن ١١:٢٩ .

(٤) موقع أنا مسلم http://www.muslm.net بعنوان : (هل يمكن التعريف بعقيدة اليزيدية ، عبدة الشيطان؟) ، بقلم : المهاجر . بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢٢م ، ٦:٥٤ ، PM .

الشاهد من ذلك: إنه في حال ثبوت الهوية الإسلامية للديانة الأيزيدية فتعتبر إحدى صور تسلل المعتقد الثنوي للإسلام، وإلا فهي ديانة وثنية قديمة ثنوية على شاكلة أديان بلاد فارس. وأرى أن السبب الرئيس وراء نشأة مثل هذا الخلاف هو الانغلاق التام الذي تفرضه هذه الديانة على أتباعها؛ فإن من طبيعتهم عدم دعوة الغير لدينهم.

المطلب الثاني: صور العقيدة الثنوية في العصر الحديث

عبدة الشيطان!!

هذه هي الصورة الجديدة التي أعلن بها الفِكر الثنوي عن نفسه؛ صورة تناسب الزمن الذي ظهر فيه ، ففيه استكمال لتطور العقيدة الثنوية وتدرجها. فالمد الثنوي لم يبقى منحسر داخل إيران وما جاورها فقط ، بل عاد اليوم وبجرأة لا مثيل لها معلناً عن ولادة جماعة جديدة أطلقت على نفسها " جماعة عبادة الشيطان" وأخيراً استطاع إبليس أن يكون رباً مربوباً مرهوباً معبوداً صراحة من قبل بني البشر.

"عبادة الشيطان" عنوان مُذل مهين ، أيُتخذ الشيطان إله معبوداً ورباً مربوباً مرهوباً تقام له الطقوس وتقدم له القرابين، أي ذل هذا وأية مهانا بعد أن كان ملعوناً مطرود يصبح رباً مربوب. بالفعل هم شر خلف لشر سلف، فهم بقايا المجوسية من مانوية ومزدكية وغيرها ؛ هم قوم اتخذوا من إبليس إلهاً معبوداً في محرابهم المقدس ، يتقربون إليه بطقوس وترّهات أطلقوا عليها عبادات يطلبون بها رضاه. وقد ادعى بعضهم ان لفظ شيطان أعجمي[1] لكنه استنتاج لم يقم عليه دليل.

الشيطان في اللغة:

أصل لفظ شيطان عربي من مادة (شطن) وهو أصل صحيح يدل على البعد. فيقال بئر شطون أي بعيدة القعر[2] ويقال شاطن للبعيد عن الحق ، والشطين البعيد، قال الزجاج[3] في قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (سورة

(١) قالوا هي من أصل عبري بمعنى الضد أو العدو ، عباس محمود العقاد : " إبليس " ص٢٩ .

(٢) ابن فارس : " معجم مقاييس اللغة " ص٥٠٣ .

(٣) إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ولد سنة ٢٤١هـ ، ببغداد ومات فيها سنة ٣١١هـ ، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو ، فأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله، من مصنفاته " معاني القرآن" و " الاشتقاق " و " إعراب القرآن " و " الأمالي " في الأدب واللغة .
أنظر : ترجمته في " الأعلام للزركلي ، ج١ ، ص٤٠ " و " وفيات الأعيان " لابن خلكان ، ج١ ، ص٤٩، و " الفهرست " لابن النديم ، ص٦٠ وغيرها .

الصافات: أية ٦٥). وجهه أن الشيء إذا استقبح شبه بالشياطين، فيقال: كأنه وجه شيطان وكأنه رأس شيطان [١] .

ومما يؤكد نسبتها العربية أنه وجد معنى لكل جذر منها ، وقد اتفقت كلها على أنها وصف الأمر السيئ القبيح.

الشيطان في الإصطلاح:

الشيطان هو :"كل عات متمرد من إنس أو جان أو دابة" [٢]، وقد جاء لفظ الشيطان في القرآن الكريم مفردا سبعين مرة ومجموعاً ثمانية عشر مرة .

- (اسم شيطان يطلق على المخلوق من النار الذي كان يجالس الملائكة، ويتعبد معهم، وليس من جنسهم ؛ لأنه خلق من النار [٣] .
- (وقيل أنه: العدو المعنوي الأعزل إلا من سلاح الوسوسة والإغواء والتحريش والإيقاع، فيقهر الناس بقوة شهواتهم ، ويخضعهم بسلطان أنانيتهم وهو يرى الناس من حيث لا يرونه) [٤] .

أما مصطلح عبــادة الشيطــان فمنهم من عرّفها على معنيين عام وخاص[٥].

- المعنى العامّ: تطلق على كل عبادة لا يتوجه بها إلى الله تعالى ، فإن كل معصية لله هي بمثابة طاعة للشيطان وعبادة له .
- المعنى الخاصّ: هي العبادة الحرفية للشيطان ، واعتباره بمرتبة الإله الذي يحيي ويميت،

---

(١) ابن منظور : " لسان العرب " مجلد ٤ ، ج٢٤ ، ص٢٢٦٥ .

(٢) ابن فارس : " القاموس المحيط " ، ص٨١٥ .

(٣) موقع الدرر السنية http://www.dorar.net/enc الموسوعة العقدية ، الكتاب العاشر : متفرقات في العقيدة ، الباب السادس : الإيمان بالجن ، الفصل الثالث : خلق الجن وصفاتهم وأصنافهم ، المبحث الخامس : الشيطان إبليس صفاته وجنسه ، المطلب الأول : تعريف إبليس والشيطان لغةً واصطلاحاً .

(٤) ظاهرة عبادة الشيطان ، دراسة وتحليل ، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير ، في العقيدة الجامعة الإسلامية بغزة إعداد الطالب / طارق عمر على التلباني ، ص٧ .

(٥) موقع كابوس http://www.kabbos.com " موضوع بعنوان : عبدة الشيطان (١) : مدخل تاريخي حول الشيطان والعقائد المرتبطة به " ، المقال بقلم : عماد ، هذه القصة نشرت لأول مرة بالعربية في موقع مملكة الخوف ، بتاريخ ٠٢ /١٢ /٢٠٠٩م .

يعطي ويمنع ، يعاقب ويجازي ، مرادها كسب رضاه عبر القيام بطقوس وعبادات وتقديم قرابين.

ويتأكد من خلال التعاريف أنه لا خلاف على أن عبادة الشيطان هي من صور الثنوية.

(الشيطان هو كائن خارق للعادة يعتبر تجسيدا للشر في كثير من الثقافات والأديان، وفي بعضها عدوا ونقيضا للإله ، فهو خير من يمثل الشر ، وكل ما ينطوي تحته من أفعال وأفكار في حرب مقدسة أو كونية مع قوى الخير وأدق المصطلحات الفلسفية لوصف علاقة الشيطان بالإله هي الثنوية) (١).

وله أسماء عدة في الإسلام لكن أشهرها على الإطلاق إبليس والشيطان ، فاسم الشيطان وحده مرادف لكل ما هو خبيث مستهجن مقيت، فكيف إذا اقترن بكلمة عبادة؟.

هي "عبادة الشيطان" ، وأتباعها يُطلق عليهم " عبدة الشيطان " هم الثنويون وليس غيرهم لكن بمسمى جديد .

(هم قوم اتخذوا من إبليس معبوداً لهم ، ونصبوه إلهاً يتقربون إليه، واخترعوا لهم طقوساً يطلبون من خلالها رضاه) (٢).

كما قيل هي نحلة ضالة مضلة :

(تتخذ الشيطان نفسه إلهاً يعبد من دون الله ، ويطاع ويقدس ، وتقدم له طقوساً وأشكالاً معينة يتخيلها العابد مرضاة للشيطان) (٣) .

وأقول أنا :

هي جماعة من البشر تُقدس الشيطان وتقدم له فروض الطاعة والولاء، لأنه إله الأرض والله اله السماء .

---

(١) موقع دار العلوم ، http://daralolom.blogspot.com . بعنوان : الشيطان .

(٢) موقع ، http://forums.mazika2day.com . بعنوان : " ملف كامل عن عبدة الشيطان " ، بقلم : m.tafesh ، بتاريخ ٢٠١٠/٠٧/٠٩م ، ٠٣:٥٠ PM .

(٣) محمد سيد أحمد المسير : " عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني " دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة، ١٤١٩هـ ، ص٣٧ .

إن جماعة "عبدة الشيطان" هي صورة أخرى واضحة وصريحة من صور تطور الفكر الثنوي في العصر الحديث- إلى الآن-، ولست أعتقد أنها من نوع الالحاد ، لأنها ليست عبادة الشيطان وحده إنما عبادة الشيطان كإله ثاني مع الله، عقيدة ثنوية فارسية بصورة جديدة ، وقد حدث اختلاف في تحديد بداية ظهور جماعة "عبدة الشيطان" في العالم ما بين العصور الوسطى وبين مطلع هذا القرن.

(فمنهم من ردها الى القرن الأول الميلادي من يعرفوا بالغنوصيين الذين كانوا ينظرون إلى الشيطان أنه مساو لله في القوة والسلطان، ومن ثم انتقلت هذه الفكرة إلى البولصيين الذين كانوا يؤمنون أن الشيطان هو خالق هذا الكون وأن الله لم يستطع أخذه منه ، لذلك لابد من عبادة الشيطان) [(١)] .

وبلا شك هذه صور لم نتعود عليها من حيث التصريح بمكانة الشيطان وتعليل ذلك ؛ فالصورة النمطية القديمة كانت لتنزيه الإله عن فعل الشرور الموجودة في الكون لابد من وجود إله للشر. لكن الصورة الحديثة اتخذت منحنى آخر فقد قامت على الاعتقاد بوجود إله للأرض والذي يمثل القوة الضدية الندية لإله السماء ؛ مثنوية بشكل جديد .

لم تعد الثنوية هي إله النور وإله الظلام كما في السابق ، إنما أصبحت إله كامل في السماء ضد إله كامل في الأرض؛ مخلوق عاصي ضد خالق وكلاهما إله، وحتى لا تختلط الصور فضلت تقسيمها إلى:

- صور عبادة الشيطان في أوروبا.
- صور عبادة الشيطان في العالم الإسلامي.

---

(١) بتصريف من موقع http://vb.we3rb.com نحن العرب . عبدة الشيطان " ، تاريخهم وعقيدتهم ، بتاريخ ١ / ٠٧ / ٢٠٠٦م ، ١٢:٠١ PM .

صور عبادة الشيطان في أوروبا:

مما أثبته التاريخ أن بداية الدين الثنوي قديماً كانت من الشرق الأوسط، من إيران تحديداً ؛ وحكم عليها العلماء أنها اختفت كدين من على خارطة الأديان؛ لكن الأفكار لا تموت ، قد تذوي وتبهت معالمها ، لكن ما إن تجد البيئة المناسبة حتى تستعيد قوتها وتُعاود ظهورها. فكانت البيئة المناسبة في هذه المرة هي دول أوروبا وأمريكا.

– الصورة الأولى:

كانت البداية منذ العصور الوسطى [١]حين كانت أوروبا ترزح تحت نير ظلمات الجهل والانحطاط في كافة نواحي الحياة . وقد ظهرت في أوربا في القرون الوسطى عدة جماعات تتخذ من الشيطان إلها ومعبوداً منها جماعة فرسان الهيكل اليهودية [٢]، الذين أنشأتهم الكنيسة ليخوضوا الحروب الصليبية عام ١١١٨م، وهزمهم صلاح الدين، وقد أعدم رئيسهم "جاك دي مولي" وأتباعه ، وقد صوروا الشيطان على شكل قط أسود[٣] .

---

(١) اعتبر المؤرخون أن القرون الوسطى تبدأ من القرن الخامس إلى الخامس عشر للميلاد http://ejabat.google.com . إجابات جوجل (من هم الغنوصيين) بتاريخ ٢٠١٠/١١/١٣م ، ٥:٥٦:٠٩م ، وبعضهم اعتبرها من القرن الخامس إلى القرن العاشر الميلادي ، موقع السرداب للمعرفة وخفاياها http://asirdabe.blogspot.com . بعنوان : تعريف العصور الوسطى .

(٢) جماعة فرسان الهيكل ، أو فرسان المعبد يعرفون أيضاً باسم الجنود الفقراء للمسيح ومعبد سليمان ، هي إحدى أشهر الحركات المسيحية السرية التي نشأت أثناء الحروب الصليبية من الجيوش المسيحية ، وهي التي تستمرُّ إلى يومنا هذا تحت اسم " الماسونية " ، التي يتناول معظم المؤرخين تاريخ بدايتها من القرن الثامن عشر ، حيث تأسست في انجلترا بشكل رسمي ،وتشكلت بطريقة غامضة تحت اسم (فرسان المعبد) كانت بدايتهم لضمان سلامة الحجاج الأوربيين الذين كانوا يسافرون للقدس بعد انتصار الصليبيين ، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، http://ar.wikipedia.org ، وموقع الألوكة الشرعي http://www.alukah.net ، المنظمات الشيطانية : فرسان الهيكل ، الماسونية ، عبدة الشيطان ، بليل عبد الكريم ٢٠١٠/٢/٣م ، وموقع قصة إسلام http://islamstory.com ، الماسونية وفرسان المعبد ، بقلم : أ . أورخان محمد علي ٢٠١٠/٠٥/١٠م ، ٥٣ : ١ pm .

(٣) زهدي جمال الدين : دراسة " عبدة الشيطان ، وتقديسهم للعدد ٦٦٦ الوارد في رؤيا يوحنا " http://www.ebnmaryam.com ، ص٣ .

– الصورة الثانية:

رصد التاريخ النشاط الثاني لعبدة الشيطان ، وكان هذه المـرة في فرنسـا ؛ وتحديداً في القرن الحادي عشر نشأت فرقة أخرى هي (الألبجنسية) [١] بجنوب فرنسا ، والتي تعتبر أن الأرواح خلقت من مبدأ خير، بينما المادة خلقت بواسطة مبـدأ الشـر الأزلي، وتعتقد أن الله لم يخلق هذا العالم المادي ، بل هو من خلق الشيطان ، وهي فرقة منشقة من النصرانية.

(وقد استمر ظهور الفرق التي تقدس الشيطان في المجتمع المسيحي ، حتى أصبحت أوروبا معششاً لتلك الفرق ، ومنها " الشامانية والأورفية والبوجمولية والألبية " وكلها فرق وجماعات تعتقد عقيدة واحدة ، رغم اختلاف أسمائها ، وعقيدتهم هي تقديس الشيطان الذي يرون فيه المتمرد والثائر ونصير العبيد) [٢] .

– الصورة الثالثة:

مع بدايات القرن الثاني عشر في ألمانيا تحديداً ظهرت فرقة أخرى منشقة عن النصرانية هي (الكاثارية) [٣] وتقوم عقيدتها على احتقار الحياة والمادة لأنهما من صنع إله الشر . وتعتبر "الكثارية" هي أشهر الفرق التي عبدت الشيطان في المجتمع المسيحي، وكانت عقيدتهم قائمة على القول بإله للخير وإله للشر، وأن الشيطان هو الذي خلق العالم المرئي، وكانوا يسخرون من العبادات المسيحية ويهزؤون بصكوك الغفران [٤].

---

(١) الألبجنسية : نسبة إلى بلدة ألبي هم يؤمنون أن على الإنسان أن يوقن وهو مطمئن أن اللّه سينتصر آخر الأمر على الشر من غير أن يستخدم وسائل شريرة .

(٢) موقع كابوس عبدة الشيطان (١) .

(٣) الكثارية : هو لفظ مشتق من كلمة يونانية تعني : " الطاهر " تُقسم الكون كما يقسمه المانوية إلى الخير : اللّه والشر الشيطان ، موقع http://www.edu-prog.com . موضوع بعنوان : " المسيحية في عنفوانها ، محاكم التفتيش في بداية عهدها ، الإلحاد الألبجنسي " .

(٤) موقع كابوس عبدة الشيطان (١) بتصريف .

– الصورة الرابعة:

ظهرت جماعة تُعرف باسم (البوجمولية) [١] في آسيا الوسطى والبلقان ، تؤمن بإله شرير وإله خير ، وأنزلت إله الشر" ساتانيل " منزلة رفيعة، وآمنت بأنه هو من خلق العالم وآدم. وقد استشرى هذا الاعتقاد في دول أوروبا بسبب حالة الإلحاد التي كانت تسود المجتمع ، والرفض التام لكل ما يمت للكنيسة والدين بصلة نتيجة التصرفات الكنسية التي بطشت وغالت في ظلم الناس باسم الدين.

– الصورة الخامسة:

من القصص التي تناولتها وسائل الإعلام آنذاك من وُجهت لهم تهمة عِبادة الشيطان :

(في هذا العام سيق ثلاث وستون رجلاً و امرأة إلى محكمة التفتيش في طولوز، فقالت أحداهن وتدعى آن ماري جيورجل: "إن الله ملك السماء، والشيطان ملك الأرض، وهما ندان متساويان سرمديان يتساجلان النصر والهزيمة ، وينفرد الشيطان بالنصر البين في العصر الحاضر)[٢] . وقد كانت تلك نظرة عبدة الشيطان لعقيدتهم، أن الله موجود وهو إله السماء ، وأن الشيطان موجود وهو إله الأرض.

– الصورة السادسة :

ومن ثم توالت مثل تلك الجماعات التي تقدس الشيطان، وترى فيه أنه ملك الأرض أو القوى المسيطرة عليها مثلما حدث :

(في القرن الرابع عشر عدد كبير من المسيحيين عبدوا الشيطان بدعوى أنه اغتصب مملكة السماء) [٣] . ومنذ أن ظهرت تلك الجماعات لم تختفي ، واستمر بهم الحال هكذا توالياً يظهرون تارة ويعُلنون عن أنفسهم؛ ويُحاربون تارة أخرى فتنكسر شوكتهم، فيتراجعون متحينين فرصة العودة مرة أخرى.

---

(١) البوجمولية وتعني أصدقاء الإله ، ويدعون إلى عبادة الخفاء أي الجن والشياطين .

(٢) عباس العقاد : " إبليس " ، ص١٠٩ ، منقول عن " القداس الشيطاني " ، ردوس .

(٣) موقع " صيد الفوائد " http://www.saaid.net . بعنوان : النحلة الشيطانية ، بقلم : محمد بن حسن المبارك

– الصورة السابعة :

لم يقتصر ظهور تلك الفرق الثنوية على دولة واحدة من دول أوروبا.

(في عام ١٧٧٠م أسس الألماني المتصهين آدم وايزهاويت مذهباً مشابهاً باسم "النورانيين" أو "حملة النور الشيطاني "، وقد أغلقت الحكومة آنذاك محافلهم حظرت أي نشاط لها) [(١)] .

كل ما سبق كانت محاولات فردية هزيلة لم تنل تأييدا رسمياً ؛ حتى كان الظهور الأقوى في القرن الثامن عشر، عندما ظهر "الكتاب الأسود" الذي تضمن الطقوس السحرية والمشعوذات وتحضير الأرواح والجن والعفاريت [(٢)] .

الصورة الثامنة :

خرجت جماعة عبدة الشيطان من دائرة الظل إلى دائرة النور في القرن التاسع عشر، على يد مؤسسها " آليستر كراولي " [(٣)] .

(ويعد آليستر كراولي مؤسس عبادة الشيطان في العصر الحديث ، وكان مهتماً بالظواهر والعبادات الغريبة ، وقد انضم إلى إحدى الجماعات السرية " العهد الذهبي " وأصبح فيها هو المعلم الأول لعبدة الشيطان ، وكان يعلن أنه يتمنى أن يكون قديس الشيطان) [(٤)] .

---

(١) موقع صيد الفوائد " http://www.saaid.net . مقالة بعنوان : " الروافد الوثنية للثقافة اليهودية " .

(٢) حسن الباش : " عبدة الشيطان وحركات انحرافيه أخرى " ، ص٥٥ بتصريف .

(٣) ولد كراولي من عائلة عادية متوسطة الحال ، تخرج من الجامعة ، وبدأ اهتمامه بالظواهر والعبادات الغريبة هو كاتب وشاعر وناقد اجتماعي ومتصوف ومنجم ومتعاطي مخدرات ، انجليزي الجنسية ، وصفته الصحف أنه أخبث رجل في العالم ، انضم إلى جماعة الفجر الذهبي وهي منظمة خاصة بممارسة السحر والروحانيات وهو ما زال في الثامنة عشر من عمره ، وأصبح هو المعلم الأولى لجماعة عبدة الشيطان ، يعتبر من أكبر الدعاة إلى عبادة الشيطان في أمريكا ترك كراولي الفجر الذهبي وأوجد نظاماً خاص سماه النجم الفضي وأعلن أنه يتمنى أن يصبح قديس الشيطان " موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة " لممدوح الحربي ، ص٢٤٤ ، و " موقع ما وراء الطبيعة http://www.paranormalarabia.com ، أليستر كراولي : كبير سحرة القرن العشرين . ٧ يونيو ، ٢٠١٠م .

(٤) منصور عبد الحكيم : " الشيطان إبليس وصراعه مع الإنسان من خلق آدم حتى غلق باب التوبة " الكتاب العربي، ٢٠٠٨م ، ص١٧٤ . موقع كابوس http://www.kabbos.com عبدة الشيطان (١) : مدخل تاريخي

وقام كراولي بعد ذلك بتأسيس جماعة " النجم الفضي "، واستمر في تنقله من دولة إلى أخرى داعياً إلى عبادة الشيطان غارقاً في شهواته وملذاته إلى أن وجد ميتاً بين زجاجات الخمر ، وحقن المخدرات ، ومن ثم حمل الشعلة الشيطانية من بعده اليهودي الأميركي " أنطون ساندور ليفي " [(١)] .

(إن بداية تأسيس هذه الحركة كان في عام ١٩٦٦م في الولايات المتحدة الأمريكية وقد نظمت على يد اليهودي أنطوان شيلدز ليفي ، وقد أسس معبد الشيطان الأول في ولاية سان فرانسيسكو ، تحت حماية قانون كاليفورنيا لحرية الأديان "الذي صدر في نفس العام، وقد نصب ليفي نفسه الكاهن الأعلى لحركة عبادة الشيطان) [(٢)].

وقد تلقف أفكار (كراولي) وأضاف إليها كان يقول : (إن الله قد ظلم إبليس، وإن إبليس ملاك تعرض للظلم رغم إنه رمز القوة ، ويطالب بدليل على وجود الله بينما الأدلة على وجود الشيطان كثيرة ، وقوته خارقة) [(٣)]. تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

وقد كان لعبدة الشيطان نشاط آخر في أمريكا، فقد ظهرت جماعة أخرى في ولاية كاليفورنيا عام ١٩٥٥م بقيادة امرأة تدعى " آنارودس " ادعت هي وزوجها أن منزلهما هو جنة عدن ، فكانوا يقومون وأتباعهم بأداء صلوات حول النار، وهم عراة، وينشدون أناشيد تمجد الشيطان ، وتطلب الخير منه [(٤)].

حول الشيطان والعقائد المرتبطة به بتصريف .

(١) أنطوان ساندور ليفي : هو يهودي الأصل أمريكي الجنسية . تزعم هذه العبادة بعد وفاة كراولي ن ويدعي أن الله ظلم إبليس ، وينكر الأديان كلها ، ويطالب بدليل مادي على وجود الله ، أنشأ كنيسة الشيطان سنة ١٩٦٦م ، وقد ألف العديد من الكتب منها " الشيطانية " ، " الطقوس الشيطانية " . " موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة " للممدوح الحربي ص٢٤٤ ، و " موقع http://ar-ar.facebook.com ، بعنوان : " عبدة الشيطان أو عباده الشيطان " ، معلومات عامة في ٩ مارس ٢٠١١م ، الساعة ٠٩ : ٠٦ مساءً .

(٢) حسن الباش : " عبدة الشيطان وحركات انحرافيه أخرى " ، ص٥٦ . ٥٧ .

(٣) منصور عبد الحكيم : " الشيطان " ، ص١٧٤بتصريف .

(٤) حسن الباش : " عبدة الشيطان وحركات انحرافيه أخرى " ، ص٥٥ بتصريف .

ومع تقدم الزمن وتطور وسائل الاتصالات التي استفاد منها جماعة عبدة الشيطان بصورة جيدة فقد كانت وسيلتهم المثلى لنشر الأفكار والترويج لها بين الشباب للانضمام لعالم عبدة الشياطين.

(فقد توالت ظهور فرق عبدة الشيطان في العصر الحديث بقوة حتى وُجدت منظمات شيطانية لعبدة الشيطان كمنظمة " ONA " في بريطانيا و" OSV " في إيرلندا و" معبد سِت " في أمريكا ، و" كنيسة الشيطان " وهي أكبر وأخطر هذه المنظمات جميعاً) [١]. وفي ظل قانون الحريات الدينية في اوروبا وأمريكا تم تأسيس العديد من الكنائس على شاكلتة ما سبق بلا رقيب على أعمالها .

(تأسست كنيسة أخري أطلق عليها "كنسية الحرية الشيطانية " وتعتبر هذه الكنائس، أو الجماعات الثلاث الرئيسة للنحلة الشيطانية في الولايات المتحدة، وكل المجموعات الصغيرة الأخرى مجموعات منشقة عن هذه المراكز) [٢]. وكان من السهل اختراق المجتمع الأوربي والأمريكي بمثل هذه الترهات ، لما يكنونه من مشاعر عِدائية تجاه كل ما هو ديني ، وحالة الانفلات الديني والأخلاقي التي تطغى على تلك المجتمعات تعتبر بيئة جيدة لعمل مثل تلك الجماعات الشيطانية.

لكن ماذا بالنسبة للدول العربية والإسلامية ، والتي نشأت على أساس أن الشيطان عدو للإنسان ، ليس في الإسلام فقط بل في جميع الأديان السماوية المنتشرة فيها؛ ونستطيع القول وبثقة إن الدين لازال يحتل مكانة كبيرة فيها وبين شعوبها ، إلا أن عبدة الشيطان استطاعوا اختراق تلك البيئة وكان لهم وجود في عدة دول إسلامية.

---

(١) موقع جسد الثقافة http://aljsad.com . موضوع بعنوان : " عبدة الشيطان الملحدون (حياتهم ونشأتهم)"، بقلم : الفارس تاريخ ٠١ / ١٢ / ٢٠١١م ، ٠٨:٠٣ PM .

(٢) هذه المعلومة وجدت في عدة مواقع الإلكترونية .

صور عبادة الشيطان في العالم الإسلامي:

بقيت مجتمعاتنا الإسلامية محمية ومحصنة من مثل تلك الدعوات الشيطانية زمناً طويلاً ولله الحمد. إلا أن تلك الحصانة لم تدوم وذلك بسبب التقدم الهائل في وسائل الاتصالات وسهولة نقل ونشر المعلومات ، ولقد احسنت تلك الجماعات الشيطانية استغلال تلك الوسائل المتقدمة وأجهزة الاتصال الحديثة، وكان لهم العديد من المواقع الإكترونية المنتشرة على نطاق واسع مما استحال معه سياسة المنع في مجتمعاتنا. ولكن وسائل الاتصال لم تكن هي الطريقة الوحيدة التي وصل بها جماعة عبدة الشيطان إلى مجتمعاتنا ، فهناك ما هو أخطر منها.

وكان هناك ما يُعرف بـ (التطبيع مع اليهود) الذي قامت به بعض الحكومات الإسلامية مع الدولة الصهيونية ، الذي يعني فتح مجال التبادل مع الصهاينة لكل شيء (١).فتكررت صورة ما حدث في الدولة الأوروبية من تنوع مناطق انتشار عبدة الشيطان، ومما ساعد على ذلك هو عامل القرب الجغرافي بين دولنا الإسلامية (٢) .

وحدث الاختراق لمجتمعاتنا وكانت البداية من :

الإختراق الأول: مصر

كانت مصر هي المحطة الأهم لحركة عبدة الشيطان، كانت البداية عام ١٩٩٧م، كثر ذكرهم والنشر عنهم في الصحف حتى أن إحدى الصحف خصصت ملفا كاملاً عنهم ، أنهم مجموعة من الشباب ينكرون الأديان ويمارسون طقوسا غريبة في المقابر، ويشربون الدماء البشرية ، ويستخدمون رموز تدعو إلى الشيطان وأعوانه (٣).

---

(١) موقع جريدة الشعب الجديد ، http://www.elshaab.org ، بتصريف من مقالة " عودة عبدة الشيطان في ساقية الصاوي " ، بتاريخ ٢/٩ /٢٠١٢م ، ٠٥:٢٤ pm بتصريف .

(٢) كل ما سيأتي من أحداث العالم الإسلامي هي من موقع صوت العروبة ، http://arabvoice.com/ ، بعنوان : " عبادة الشيطان في العالم : من أين بدأت ؟ ومتى دخلت العالم العربي ؟ " ، بقلم وإعداد : محمود عبد اللطيف . العراق ، بتاريخ يوليو ٢٥، ٢٠١٢م وكتب أخرى بتصريف .

(٣) حسن الباش : " عبدة الشيطان وحركات انحرافيه أخرى " ، ص٦٤ بتصريف .

الإختراق الثاني: لبنان

أخذت ظاهرة عبادة الشيطان تنمو في لبنان شيئاً فشيئا حتى أعلنت عن نفسها في صورة شباب لا يجدون الحياة إلا عن طريق الانتحار الشيطاني ، وهي تتوسط فئة الشباب من عمر ١٢ سنة إلى الجامعين ، وقد أعلنت وسائل الإعلام عن حالات الانتحار بين فئة الشباب بعد أن يتركوا وراءهم رسائل تدل على أنهم عبدة شيطان " أنا اليوم أتحرر من عالم الحياة نحو عالم الموت ، أتبارك من نعمة الشيطان " [١] .

الإختراق الثالث: البحرين

وتزامنا مع لبنان نشرت إحدى الصحف البحرينية اعتراف شاب استمر في عبادة الشيطان لمدة عشر سنوات بقناعة تامة، وقد دعا أصدقائه إلى اعتناق عبادة الشيطان [٢].

الإختراق الرابع: الشام

نشر في صحيفة سورية أنه: (ألقت السلطات في حمص القبض على مجموعة من الشباب أثناء ممارستهم الإباحية وطقوس خاصة بعبادة الشيطان ، وبالتحقيق معهم اعترفوا بإقدامهم على ممارسة طقوس خاصة بعبادة الشيطان) [٣]. وقد ذُكر أيضاً أن الشرطة ألقت القبض على شاب يدعى (روجان.ك) بتهمة الانضمام إلى عبدة الشياطين ، والعمل على نشر طقوسها في مدينة القامشلي، فقد كتبت نفس الصحيفة.

(بتاريخ آخر في عام ٢٠١٠م قامت إحدى الجهات الأمنية المتخصّصة في دير الزور، باعتقال عدد من الشبان الذين يُطلقون على أنفسهم " عبدة الشيطان") [٤].

---

(١) حسن الباش : " عبدة الشيطان وحركات انحرافيه أخرى " ، ص٦٠ بتصريف .

(٢) موقع جريدة الوطن البحرينية ، http://www.alwatannews.net/ ، في عددها رقم /٢١٢/ تاريخ ٣١ جمادى الثاني ، لعام ١٤٢٧هـ .

(٣) موقع صحيفة سيريا نيوز السورية ، http://www.syria-news.com . بتاريخ ٢٠٠٦/٦/١م

(٤) الموقع السابق .

الإختراق الخامس: الأردن

وفي الأردن أيضاً ألقت أجهزة الأمن القبض على عدد من أتباع جماعة عبدة الشيطان . (وقد أرجع المراقبون بداية الانحراف في الشارع الأردني إلى التطبيع مع العدو الصهيوني ، حيث نجح العدو في زرع بذور الانحراف ، وقد قامت السلطات برصد التحركات المشبوهة لأعضاء تنظيم عبدة الشيطان ، وألقت القبض على مجموعة منهم بعد ضبطهم وهم يمارسون طقوسا غريبة ، ويرتدون ملابس فاضحة) [١] .

الإختراق السادس: الكويت

ظهر ذلك في برنامج يقدمه الداعية الشيخ محمد العوضي [٢] .

الإختراق السابع: بلاد الحرمين

ووصل عبدة الشيطان إلى بلاد الحرمين ، فقد ألقت قوات الأمن القبض على مجموعة منهم في الرياض ، في حفل منظم في إحدى المجمعات السكنية [٣].

الخلاصة:

---

(١) موقع http://www.freelines.8k.com . مقال بعنوان : " الشباب العربي يحصد ثمرات التطبيع ، أتباع (عبدة الشيطان) ينتقلون من مصر إلى الأردن " ، بقلم : أحمد هريدي محمد ، بتاريخ ١٨:٤٤ ٢٠٠٢.١٠.١٠ .

(٢) موقع http://forum.z7mh.com/t32715.html بعنوان : " عبدة الشيطان " في الكويت .

(٣) موقع الأمير الوليد بن طلال http://www.qwled.com بعنوان : " القبض على عبدة الشيطان في الرياض " بقلم : حسن المصري بتاريخ ٢٠٠٩/٠٨/٠١م ، ٠٧:٤٤ PM .

كانت البداية لصور تطور العقيدة الثنوية في الأديان الوضعية منذ أقدم الحضارات المكتوبة على صفحات تاريخ البشرية ؛ اتجهت النظرة نحو آسيا فكانت أديان العــراق ثم مصر تليها بلاد فارس، ثم اتبعت ذلك بصور تطور الثنوية في الأديان السماوية الذي كان لابد من التفريق فيه ما بين الأديان التوحيدية المحرفة "اليهودية والنصرانية" وبين الإسلام.

وحين وصلت إلى الدين الإسلامي وجدت أن ملامح الثنوية قد انحصر في فِكر بعض الفرق التي حكم عليها العلماء بخروجها من دائرة الدين الإسلامي غالبــاً فهــي إما منتسبة أو خارجة عن الإسلام ؛ فقد قامت في الأساس على النيل من الإسلام ومعتقد أهله التوحيدي ؛ وذلك بتحسين العقائد والأفكار الضالة المضلة وإلباسها لباس إسلامي ؛ وقد كان ذلك كله في عُجالة واقتضاب . لأن لها في الفصلين الثالث والرابع من التفصيل والتوضيح ما يغني عن التوسع بها هنا.

وأهم ما أود الاشارة إليه أن الأفكار لا تموت لكنها تتغير وتتطور ، فالفكرة الثنوية للألوهية لم تمت لكنها ظهرت في صور بعيدة عن الصورة النمطية لإلهين الخير والشر في أديان فارس القديمة ، فالعقيدة الثنوية كانت في كل دين في صورة مختلفة ونمط مغاير عن الدين الآخر، حتى كانت أحدثها على الاطلاق وبمسمى معلناً عن محتواه في جماعة "عبادة الشيطان" .

الثنويين قديماً وعبدة الشيطان حديثاً ، في كل البلاد وبكل اللغات وُجدت تلك الجماعات، فقط تغيرت صور الظهور والاعلان القديمة .

فكانت الفكرة الجديدة أن الله رب السماء والشيطان رب الأرض.

المبحث الثالث
الشبهات التي قامت عليها الفكرة الثنوية والرد عليها

(تمهيـد)

نحن كمسلمين متخصصين في علم الأديان تعُتبر دراسة دين الآخر والتواصل مع أصحابه إحدى أهم مهامنا ، فالواجب علينا قراءة أفكارهم والنظر في شبهاتهم ، وذلك لعدة أهداف منها:

- التقرب من أفكارهم لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي أضلتهم ومناقشتها من منظورهم.
- استبدال تلك الافكار الضالة بقيم الدين القويم من لدن رب العالمين.

ومن منطلق صعوبة الالتقاء بأصحاب العقيدة الثنويــة القديمـة في الوقت الحالي؛ لذا ناقشت تلك الشبهات من خلال مؤلفات من ناقشوهم من السابقين الأولين من العلماء المسلمين، الذين قارعوهم الحجة بالحجة، وأبطلوا الفِكر بالفِكر ؛ فهدموا براهانهم بالبراهين الإسلامية الصحيحة، السؤال هنا هو:

ما الشبهات التي قامت عليها الدين الثنوي ؟ إلى ماذا استنـــدوا في أسسهـــم؟ وما حججهم التي قدموها لاعتقادهم بوجود الاثنين؟، ما الشبهة التي ألبست عليهم فاعتقدوا بالقوتين؟ قبل الاجابة على تلك الأسئلة لابد من تعريف الشبهة.

الشبهة في اللغة:

هي الالتباس ؛ وقيل هي الأمور المشْتَبِهة والمشبهة ؛ هي مشكلة يشبه بعضها بعضا ، ويُقال شبه عليه : أي خُلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره[1].

الشبهة في الإصطلاح:

عُرفت الشُبهة أنها : "ما التبس أمره فلا يدري أحلالٌ هو أم حرام؟ وحق هو أم باطل؟ والجمع منها شُبه ؛ وقيل هو: خلط والتباس بين أمرين حتى ينصرف الذهن من معنى مراد إلى معنى غير مراد. وهذا هو حقيقة ما قامت عليه العقيدة الثنوية ، التباس خاطئ وقياس فاسد، نتج عنه تفسير غير منطقي للحقيقة الكونية الغير قابلة للنقاش. وهي القوى الكونية الواحدية المتفردة المتصرفة.

---

(١) ابن منظور : " لسان العرب " ، باب الشين ، ص٢١٨٩ .

الشبهات التي قامت عليها الفكرة الثنوية والرد عليها

لم تكن شبهة واحدة تلك التي قام عليها الدين الثنوي ، بل عدة شبهات؛ شبهات ألبست عليهم عقلهم فاعتقدوا بوجود الأصلين الضدين ، وآمنوا بوجود قوتين في الكون أصليين أزليين ، يصدر عن أحدهما الخير الذي لا شر فيه ؛ ويصدر عن الآخر الشر الذي لا خير فيه البته.

وكما ذكرت سابقاً في معرض الحديث عن الجذور والبدايات ، إن الشيطان الرجيم هو أول من استخدم القياس العقلي في مواجهة النصوص الصحيحة الصريحة ؛ وأول من اشتعل في قلبه الحسد ؛ وأول من قاس أمر بأمر فالتبس عليه الأمر. حين أمره ربنا- تبارك وتعالى- بالسجود لآدم أبى واستكبر ، ثم عصى ولم يندم ، وأبدى أسباب وأهمية ومقدمات فاسدة لعصيانه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

فقرر الخيرية لنفسه وانه أحق من آدم بهذا السجود ، باعتبار مادته المخلوق منها؛ وتجاهل الأمر الصادر له من الله تعالى ؛ فأعمل العقل في مقابل الأمر الرباني [2] .

(أعرض عن نص صريح، وقابله بالرأي الفاسد القبيح ، ثم أردف ذلك بالاعتراض على العليم الحكيم) [3].

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٢ .

(٢) وقد مثّلها أحد الشعراء المعروفين بزندقتهم الثنوية " بشار بن برد " الأعمى فقال :

إبليس أفضل من أبيكم آدم ** فتبينوا يا معشر الأشرار ** النار عنصره وآدم طينة ** والطين لا يسمو سمو النار ، أبي العلاء المعري : " رسالة الغفران " تحقيق : عائشة عبد الرحمن دار المعارف ، ط٩ ، ص٣١٠ ؛ وبشار : هو بشار بن برد بن بهمن من الفرس ، كما يدل نسبه ، ولد أعمى البصر بالبصرة ، عام ٩٦هـ ، تنقل في العديد من البلاد ، وتوفي بالبصرة أيضاً ، عام ١٦٦هـ ، كان سيء الخلق ، سريع الهجاء ظهر في الزمن الأموي ، لم يكن ذا دين معروف ، فقد نسبوه إلى الزنادقة تارة وإلى الثنوية تارة أخرى ، من موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٢٩٨ ، ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، عام ٢٠٠٧م ، ج١ ، ص ٩ ـ ٣٥ .

(٣) ابن القيم الجوزية: "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان "تحقيق:محمد كيلاني مكتبة دار النشر، القاهرة،ج٢،ص١٩٨ .

وكما التبس الأمر على إبليس في قياسه الفاسد ؛ التبس الأمر على أوليائه من الثنويين القائلين بالأصلين ، بناءً على قياس فاسد أيضاً ، لكن قبل أن أناقش الشبهات التي قامت عليها الثنوية لابد أن أعرف مرتكز فكرهم الضال ماهو .

واعتباراً على ما ورد عنهم من وجهات نظر استطعت أن أضع قاعدتين هما أساس ضلالهم :

- أنهم قاسوا عالم الغيب على عالم الشهادة وطبقوا عليه ذات القوانين.
- أن كل ما في الكون ضدين متناقضين ويستحيل اجتماعهما في محل .

وقد أضيف على ذلك أنه في بعض أديانهم [1] كان المقصد من الفكرة هي تنزيه الخالق جل وعلا أن يصدر عنه فعل النواقص والشرور، والشرور موجودة بالفعل فلابد من أنها تصدر من مصدر آخر ناقص مثلها؛ فكانت القوتان!!

ونظر أصحاب الاثنين إلى الكون من حولهم فوجدوا كل ما فيه ضدين اثنين فقاسوا عليه من كان مصدره ويسيره ويديره ؛ فقالوا كل ما في الكون من خير هو من إله الخير؛ وكل ما في الكون من شر هو من إله الشر، حتى الحيوانات كانت المؤذية منها من إله الشر والنافعة من إله الخير.

هذا ما توصلت إليه من استنتاج لمرتكز الدين الثنوي الإيراني ، لكن كان للإمام ابن القيم الجوزية- رحمه الله- رأي آخر في الأساس:

(حين أصّل إبليس لمذهب الثنوية الإلهية ، وأسسه جعله يدور على أبطل باطلين عرفهم الإنسان وهما:

١ - أن شر الموجودات وأخبثها وأردأها كفؤ لخير الموجودات.

٢ - أنهم نزهوا النور أن يصدر منه شر، ثم جعلوه منبع الشر كله وأصله ومولده) [2].

كانت هذه بداية المعتقد الثنوي ، حين آمنوا بالضدية الكونية الظاهرة فقاسوا عليها الضدية الإلهية الغيبية ؛ فجعلوهما مصدرين إلهيين وليس مصدراً واحداً.

---

(١) الديانة الزرادشتية مثلاً بدأت بفكرة تنزيه أهورامزدا عن خلق النواقص والشرور ، فكان يزدان إله الخير ، واهرمن إله الشر .

(٢) ابن القيم الجوزية : " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

حين قالوا مصدرين فاعلين جعلوهما ضدين ندّين، خالق الخير في مقابل خالق الشر، وخالق الخير الله ، وخالق الشر غيره، فكيف يكون واجب الوجود في مقابل ممكن الوجوب المخلوق ، ولهما نفس القدرة على الإحداث ؛ أي قياس عقلي فاسد قادهم إلى تلك النتيجة.

بالفعل هو قياس عقلي فاسد ، لكنه ليس كل القياسات العقليه فاسدة ، وإن كنا على منهج السلف الصالح إلا إننا لسنا ضد القياسات العقلية، ولم نكن متجاهلين أو محجرين لدور العقل كأداة من أدوات العلم والمعرفة، بل لابد من استخدامه في التوصل لبعض الحقائق ، إلا أن ذلك لابد أن يتم وفق ضوابط شرعية وقواعد دينية لا يمكن تجاوزها ، وقد أتت حقبة زمنية على المسلمين زاد فيها الاهتمام بالمقدمات العقلية والنتائج المنطقية في مقابل النقول الصحيحة من الكتاب والسنة، تلك الفترة التي ظهر فيها ولأول مرة ما يُعرف بعلماء الكلام وفلاسفة الإسلام ، وانتشرت الفرق الكلامية والمتفلسفة اليونانية.

كما ظهر لأول مرة مصطلح "حشويين" (١) الذي أطلق على أهل السنة والجماعة المتمسكون بمنهج السلف الصالح ، من الذين يقدمون النقل على العقل ، فنحن نعطي للعقل دوره الذي هيئ له ، ونعمله في التدبر في آلاء الله وليس في ذات الله كما أمرنا بالفعل أن المخلوقات الكونية قائمة على الضدية التلازمية ؛ هذا أمر لا خلاف عليه بيننا، ونستشهد بالنص التالي:

(تقوم جميع العقائد الدينية المعروفة على أساس تصنيف الأشياء إلى صنفين في نوعين متضادين يدل عليها بوجه عام مصطلحان مختلفان) (٢) .

---

(١) أطلق على كل من اتبع الحديث ومذهب السلف الصالح وعارض مذاهب المتكلمين والفلاسفة ونحوهم ، والظاهر أن معناها إما أنهم من حشو الناس ، أو أنهم أصحاب حشو في الكلام ، يعني ما عندهم إلا قال الله ، قال الرسول ، ما عندهم قواعد عقلية ، ما عندهم مقدمات منطقية ، ولهذا سموا أهل السنة حشوية بمعنى أنهم أهل حشو ؛ كما أفاده شيخ الإسلام . رحمه الله . والشيخ / التويجري في شرح الحموية ، موقع إسلام ويب http://fatwa.islamweb.net الحشوية .. معناها .. والمراد منها ، بتاريخ الاثنين ٢ ربيع الأول ١٤٢٩هـ ، رقم الفتوى :١٠٥٥٧١ .

(٢) طه الهاشمي : " تاريخ الأديان وفلسفتها " منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص٢٨ .

بالفعل فالكون كله مصنف على ذلك باستثناء الخالق- تبارك وتعالى- وهذه هي نقطة الخلاف بيننا وبينهم ؛ قياس الغائب على الشاهد ، فقاسوا قدرات الخالق على ما صدر عنه من مخلوقات ، وقالوا الكون قائم على الضدية فلابد أن يكون خالقاه ضدان، فكانت بداية الضلال ؛ فقوانين الكون تلائم الموجودات ممكنة الوجود، لكن الله واجب الوجود يعلو ولا يُعلى عليه ؛ ولا تجوز عليه القوانين .

وقد حددت بعض أهم الشبهات التي قام عليها الحوار مع علمائنا السابقين والتي سأعيد مناقشتها ببسطها والتفصيل فيها:

الشبهات التي قامت عليها العقيدة الثنوية:

- الشبهة الأولى: حَجْروا على الخالق في تصرفاته ، وما يجوز أن يصدر منه ومالا يجوز.
- الشبهة الثانية : اتفقوا على وجود إلهين اثنين واختلفوا في طبيعة الاثنين.
- الشبهة الثالثة : آمنوا بوجود قوتين ضدين ، واختلفوا على سبب وطريقة وجودهما.
- الشبهة الرابعة: اختلفوا في نوعية القدرة لدى الاثنين وصفة الفعل الصادر عنهما.
- الشبهة الخامسة: اختلفوا حول تحديد صفات الاثنين .
- الشبهة السادسة: اختلفوا حول سبب حدوث موجودات العالم وطريقة الخلاص.

الشبهة الأولى:

حَجْروا على الخالق في تصرفاته ، وما يجوز أن يصدر منه ومالا يجوز.

لقد تجرءوا على الخالق- سبحانه وتعالى- فمن الذي يحّجُر على خالقه ذي العظمة والجبروت ؟!! فهو الخالق جلّ وعلى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. من الذي أعطاهم الحق بتحديد نوعية ما يصدر عنه سبحانه ؟!!. إن الله تعالى عادل في كل أفعاله غير محجور عليه في شيء ، ما شاء فعل وما شاء ترك له الخلق والأمر لا يسأل عما يفعل [1] وهم يسألون .

---

(١) عبد القاهر طاهر البغدادي:"أصول الدين"مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستانبول، ١٣٤٦هـ، ص٨٢

ولكنهم يقولون إنه تعالى خير ، وخالق الخير لا يجوز أن يصدر عنه شر؛ فلابد أن يكون للشر فاعل آخر ، وفي هذا مشابهة لما اثير من نقاش لدى بعض الفرق الإسلامية في القرون الأولى ، الذين تكلموا في أفعال العباد فزعموا : أنه- تعالى- لا يقدر على مقدرات غيره وان كان هو الذي أقدرهم عليها [(١)] .

فكيف بمن يخلق الأصل لا يقدر على الفروع ؛ أي قول هذا ، بزعمهم أن الله يعطي العبد القدرة على الفعل والتأثير ، لكنه تعالى غير قادر فاعل ولا مؤثر، بحجة انهم ينزهون ربهم ، أي تنزيه في هذا وأي تعظيم ، أن يجعلوا الله- جلا وعلا- خالق عاجز عن فعل الأشياء ؛ فكأنه- سبحانه وتعالى- منح الخلق القدرة الفاعلة ، واحتفظ لنفسه هو بالقدرة الخالقة فقط ، وهذا خطأ والصحيح هو: (إن قدرة الله تعالى قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدرات) [(٢)] .

القدرة الإلهية قدرة لا محدودة ولا متناهية ، فهي تقدر على جميع المقدرات فلا فرق بين قدرة خالقة وقدرة فاعلة ، وإلا يلزمهم هذا أن يقولوا: (أن يكون كل حيوان أقدر من ربه لأن الواحد منا عنده يقدر على أنواع لا نهاية لها من الأعراض، والله تعالى لا يقدر إلا على الأجسام فحسب ، فالقادر على أجناس مختلفة ينبغي أن يكون أقدر ممن لا يقدر إلا على جنس واحد) [(٣)] .

هذا اعتقادنا وتقديرنا لقدرة الله تعالى .

لكن الثنويين يعتمدون في أصل مقالتهم على قياسات عقلية فاسدة ، فقالوا في العالم خيراً وشراً ، نفعاً وضراً ، وأنه لابد من إثبات فاعل لهما ولا يصح كون فاعلها واحد لتضادهما [(٤)]. وحين أثبتوا وجود الفاعل حددوا له مجال فعله؛ فخالق النور لا يصدر عنه ظلمة ؛ وخالق الظلمة لا يصدر عنه نور ؛ ذلك مختصر قولهم ، وشبهتهم تلك مردود عليها :

---

(١) المرجع السابق ، ص٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص٩٣ .

(٣) عبد القاهر بن طاهر البغدادي : " أصول الدين " ، ص٩٤ .

(٤) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، تحقيق : محمود الخضيري ، ج٥ ، ص٣٤ .

- إن كنا نتحدث عن الخالق- جلا وعلا- " الله " بمعنى الواحد الأحد، فليس لقدرته تنوع وحدود، وليس لخلقه أول ولا آخر؛ فهو خالق النور وخالق الظلمة؛ ومنه الخير والشر.
- وإذا سلمنا معهم من باب مسايرة الباطل حتى ينجلي الحق؛ وقلنا بالخالقين فمن الذي يحدد أن خالق النور لا يصدر عنه ظلمة وخالق الظلمة لا يصدر عنه نور؟!!

وقبل ذلك لابد أن يطرح سؤالاً : من هو خالق النور ، ومن هو خالق الظلمة، حتى نستطيع أن نحدد ما الذي يمكن أن يصدر عنهما .

والاجابة على هذا السؤال ينقلنا إلى مناقشة الشبهة الثانية.

الشبهة الثانية:

اتفقوا على وجود إلهين اثنين واختلفوا في طبيعة الاثنين

سلمنا لهم جدلاً أن هناك فاعلين اثنين ، فما طبيعتهما؟، هل هما قديمان أم محدَثان ؟.

إن قالوا هما قديمان ؛ بطل قولهم في تضاد أفعالهما وما يصدر عنهما، لأن للقديم سمات ثابتة لا يمكن إغفالها.

(إن القديم قديم لنفسه فما شابهه في هذه الصفة فيجب كونه مثلا له، فلو كانا قديمين على ما ذهبوا إليه لم يصح اختصاص أحدهما بصفة يخالف بها الآخر) [1]. هذه خصائص صفة القِدم، لابد أن يكونا متماثلين في أخص صفاتهما ، فلا يجوز أن يختص أحدهما بصفة تضاد الآخر، وعندهم غير ذلك ، وهم يقولون إن صفة أحدهما النور، وصفة الآخر الظلمة ؛ وأنه يصح من النور فعل الخير ولا يصح فعل الشر؛ بعكس الظلمة التي يصح منها فعل الشر ولا يصح منها فعل الخير، وهذا يخالف كونهما قديمين؛ إذا هما ليسا قديمين كما يزعمون ، هذا الأمر الأول.

---

(١)القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ص٣٥ .

أما الأمر الثاني في إبطال كونهما قديمين ما قيل أنه: (متى قالوا بقدم النور والظلمة مع قولهم باختلافهم لم يصح ، ومتى قالوا بأنهما من جنس واحد ويختلفان بالأعراض لم يصح) [(١)]. وإذا بطلت صفة القِدم لهمـا لم يبق إلا أن يقولوا بقولنا: إن النور والظلمة ما هي إلا أجسام ؛ وهذا يلزمهم أن يقولوا أن الأجسام كلها من نوع واحد وكلاً منها يحل محل الأخر، وهذا غير ممتنع ومن الدلائل.

(بين شيوخنا– رحمهم الله– أن القادر يقدر على الشيء وضده) [(٢)] .

فإذاً قلنا جسمين قادرين فهذا يعني فساد قولهم بأن أحدهما يختص بالنور والآخر بالظلمة. إن (ما نعلمه من حال الواحد منا من أنه يفعل الخير والشر في حال واحد، يبطل ما يذهبون إليه ؛ لأن الجملة الحية القادرة الفاعلة واحدة ، وهي وإن كانت كثيرة الأجزاء فهي في حكم الشيء الواحد) [(٣)] .

قلنا لهم: بما أنه حي وقادر وفاعل فلا فرق بين فِعل وفِعل؛ فيصح أن يكون كل من النور والظلمة سبباً للخير أو الشر بلا استثناء ، وعلى ذلك أمثلة عديدة، منها:

- إن ظلمة الليل قد تكون سبب في وقوع أحدهما في بئر فيصيبه أذى، وقد تكون سببا في خلاص مستتر من مهلكة قاتل ، فتكون له فائدة .
- إن سرقة اللص مال غيره فيه خير ونفع للسارق ، وفيه غمّ وهم للمسروق ماله في ذات الوقت .

ألم يجتمع خير وشر في الشيء الواحد وفي الفعل الواحد ؟!!

لكنهم يقولون إن الخير والشر ليسا من جنس واحد فينبغي أن لا يكونا من مصدر واحد ، هذا قول معلوم فساده بالضرورة أيضاً .

لأنه كون الخير والشر مختلفان نوعيهما لا يعني اختلاف جنسهما ، فاللذة والألم من جنس واحد وهما ضدان، لكن اختلافهما يكمن في حال تقبل الشخص لهما فيصح أن يتألم شخص بما يتلذذ به آخر ؛ وأن يتلذذ شخص بما يتألم به في وقت آخر؛

(١)القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ص٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٩ .

وإذا وضح مثال اللذة والألم هذا فيقاس عليه مثال الخير والشر، فهما لا يعدوان صفة للشيء وليست أصلاً له ؛ فما تراه عينك خيراً قد يراه آخر شراً ؛ وقد يصح أن يكون ذات الفعل مع ذات الشخص خيراً في وقت وشراً في وقت آخر .

وللإمام الشهرستاني [(١)]– رحمه الله– رأياً ذكره فيما إذا كانا قديمين أم مُحدثين ، وأن هناك خلاف. (أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس ، فإنهما قالوا بحدوث الظلام ، وذكروا سبب حدوثه) [(٢)] .

بطلت شبهتم القائلة بأنهما قديمان، فالقدماء لابد أن يشتركوا في كافة الصفات فلا تمايز بينهما ؛ وبالتالي بطلت شبهتهم القائلة أن فاعل الخير لا يصدر عنه شر، وفاعل الشر لا يصدر عنه خير ، فقد ثبت أن القدرة الفاعلة تكون فاعلة للخير كما يمكن أن تكون فاعلة للشر أيضاً .

ماذا عن من يقول أن أحدهما قديم والآخر محدث ، هذا ينقلنا للشبهة الثالثة.

الشبهة الثالثة:

آمنوا بوجود قوتين ضدين ، واختلفوا على سبب وطريقة وجودهما

لا مناص من مسايرتهم أن في الكون قوتين ضدين حتى نرك هذا القول ونهدمه ، قال بعضهم إن فاعل الخير قديم وفاعل الشر محدث ، أي أن الله قديم والشيطان مخلوق؛ ومن ثم جعلوهما على قدم المساواة ، فهما خالقين فاعلين لكل منهما إرادة في مواجهة الآخر، وقد تكون النصوص التالية تبين اختلاف فيما بينهم في ذلك .

- أصحاب المقام الأول أثبتوا أصلين : يزدان وأهرمن ، وقالوا يزدان أزلي قديم ، وأهرمن محدث مخلوق [(٣)] .

---

(١) أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، ولد سنة ٤٧٩هـ ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ ، كان شافعي المذهب أشعري العقيدة ، إمام عصره في علم الكلام ، له قرابة ستة عشر مؤلفاً منها " نهاية الإقدام " ، و " الملل والنحل " وغيرها . أنظر ترجمته : في "وفيات الأعيان " لابن خلكان ، ج٤ ، ص٢٧٣ ، و " الأعلام " للزركلي ، ج٦ ، ص٢١٥ ، و " مقدمة كتابه الملل والنحل " .

(٢) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

- غيرهم قالوا : النور هو القديم ، ولكنه فكر فِكرة رديئة حدثت منها الظلمة [١] .
- وآخرون زعموا إن الله قديم والشيطان محدث، ومنهم من قال أن كلاً من الله والشيطان قديمان ؛ لكن بعضهم فرقوا أن الله ليس بجسم والشيطان جسم[٢] .

أبطلنا سابقاً كونهما قديمين ، فلم يبقى إلا أن يقولوا بقولنا أن أحدهما قديم والآخر محدث ؛ وهذا لا خلاف عليه فنحن نقول: لا قديم إلا الله، والكون كله محدث، لكن شبهتهم لا زالت قائمة ، فهم يقولون أن هناك مُحدِث خالق مع القديم الخالق.

فالسؤال يكون من شقين : إن كان هناك مُحْدَث فمن الذي أحدثه وكيف ؟ من الذي حدد لكل من القديم والمحدَث نوعية الأفعال الصادرة عنهما؟.

مناقشة السؤال الأول:

الله هو الخالق لكل ما في الكون بما فيهم الشيطان وقد قال بعضهم بمثل هذا ، لكن اضطربوا كثيراً في كيفية خلق الشيطان ، يهذون بافتراضات عدة ، منها على سبيل المثال: إن الله شك أيكون في ملكه ما يضاده ومن شكه هذا حدث الشيطان؛ وقد قام الدليل على بطلان ذلك: (قام الدليل على استحالة الفكر والشك على القديم ، كما يستحيل عليه الجهل ، والموت والغفلة وغير ذلك من الآفات الدالة على نقص من جازت عليه) [٣].

النص السابق ابطل شبهتهم أن الله شك ، ففعل النقص لا يجوز في حق الباري تعالى وهم يقولون خالق النور لا يصدر عنه شر والشك فعل نقص وشر ، لكن قد نسير معهم أن الله شك . وقلنا بما قالوا : إنه تعالى أحدث الشك الذي تولد عنه الشيطان . إذاً ما حكم تلك الفكرة وذلك الشك أخير هو أم شر؟.

---

(١) ابن القيم الجوزية : " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

(٢) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٧١ ، بتصريف .

(٣) القاضي الباقلاني : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ، تحقيق : عماد الدين حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ص٨٩ .

(فإن قالوا هو خير ، قيل لهم فكيف كان عنها الشيطان الذي هو شر وما أنكرتم ذلك ؛ إن جاز ذلك أن يفكر الشيطان الذي هو شر فكراً يتولد عنه ويقع الخير) [١].

ومن ناحية أخرى نقول أيضاً:

(فعل الله الخير الشك الذي هو شر الشر وهو أصل الشيطان؛ وإن جاز ذلك فلم لا يجوز أن يفعل سائر الشرور) [٢] .

إذا لم يبقى أمامهم بعد تلك اللوازم إلا أن يقولوا : أن الشيطان فِكرة شر صدرت عن مصدر الخير ، فيكون من الخير شر وهذا يبطل مذهبهم. وحتى ينسلوا مما ألزموا أنفسهم به من لوازم لأقوالهم ، قالوا: إن الشيطان حدث من شكه شكها بعض أشخاص النور وليس مصدر النور وهذا استخفاف بالعقول .

وقالوا أيضاً: أنه لم يزل مع الله شيء رديء يولد الشيطان منه [٣] فيكون قولهم أن الله قديم والشيطان محدث باطل ، وتكون خلاصة القول فيه:

إن كل ما في الكون هي مُحْدَثات وليس الشيطان فقط ؛ الشيطان الرديء مصدر الشر هو مُحْدَث إما من القديم تعالى أو لا من مُحْدَث. فإن قالوا: إنه حدث من القديم تعالى، فيصح من الله تعالى حدوث الشر والضرر بخلقه للشيطان ، فلما لا يصح أن يصدر عنه ما في الكون من شرور أخرى . وإن قالوا بل حَدث لا من مُحْدِث يلزم من قولهم هذا إن في الكون مُحْدَثات لا من مُحْدِث . فلماذا يجب أن يكون للشر مُحْدِث وهو الشيطان ؟!! لم لا تكون جميع الشرور والأضرار لا من مُحْدِث، والنور كذلك لا من مُحْدِث؟، وعلى ذلك تكون سائر الأعراض والأجسام ، وهذا خارج عن المعقول؛ فلكل مُحْدَث مُحْدِث. وكل ما في الكون أحدثها الله الذي أبدع كل شيء.

وقد ثبت أن عند من أثبت أن الشيطان مُحْدَث لم يكن ذلك لموافقته صحيح الاستدلال لديهم بل لتحقيق ما ذهبوا إليه من تضاد النور والظلمة: (إذا قيل لهم ما أنكرتم أن يكون الظلام مُحْدَث – قالوا – لأنه لما ثبت من قولكم إن النور قديم استحال

---

(١) القاضي الباقلاني : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ص٩٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ج٥ ، ص٧١ بتصريف .

أن يكون الظلام قديم بذاته) [١] .

هي المعارضة لمجرد المعارضة وليس لتقديم حقيقة مؤكدة .

الشبهة الرابعة:

اختلفوا في نوعية القدرة لدى الاثنين، وصفة الفعل الصادر عنهما.

رابع الشبهات التي دار حولها الجدال هي الاختلاف حول طبيعة القدرة لدى الاثنين ، وصفة الفعل الصادر عنهما قالوا عن أفعالهما أنها :

(إن أفعال أنفسهما باختيارهما لكن اختيارهما لا يعدو ما في طبعهما) [٢] .

وهذا كلام متناقض لا يستقيم، العمل الذي يصدر بحسب الطبع ينتفي معه كون الفاعل مختار ، فلا يجتمع في فعل ما صفة الطبع والاختيار إلا في الفاعل القادر الواحد- سبحانه وتعالى- "الطبع والاختيار" حالتان متناقضتان لا يجتمعان في محل واحد ، ولا يخلو منهما ذلك المحل ، فهذا كمن يقول لعبده أنت حر لكن تصرف كمملوك. ومعنى قولهما أن الاثنين لهما الحرية فيما يصدر عنهما من أفعال ، لكن تلك الأفعال يجب أن لا تخرج عن طبعهما ، كون أحدهما اختص بالخير فلا يصدر عنه إلا خير؛ والآخر اختص بالشر فلا يصدر عنه إلا شر، فأين الاختيار إذا حدد لهما نوعية الفعل؟. (لأن وقوع الشيء بالطبع والاختيار يتناقض ، إلا أن نريد بالطبع ما يختص به القادر من كونه قادر ، لكنهم لا يقولون به)[٣] .

والصحيح لدينا أن وقوع أمر ما بالطبع والاختيار، إنما يقع فقط من القادر واجب الوجود- الله عز وجل- الذي وجد بذاته لم يوجده أحد، وهذا ليس مقصدهم ، لأنه واحد وهم يقصدون اثنين. والاثنان لا يكونا قادرين إلا إذا قدرا على الفعل وضده.

---

(١) القاضي الباقلاني : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ، ص٨٥ .

(٢) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ج٥ ، ص٦١ .

(٣) المرجع السابق .

الشبهة الخامسة:

اختلفوا حول تحديد صفات الاثنين .

قال بعض الثنويين يصف النور والظلمة الخالقة :

(الظلمة شريرة تستحق الذم ، فلو وصفت بأنها حية لكانت قد وصفت بصفة مدح ؛ فلذلك قلنا إنها موات ، وقلنا في النور إنه حي لأنه خير يستحق المدح) (١).

وقالوا أيضاً :

(فاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حسَّاسين بصيرين ، وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والاختيار) (٢) .

لمناقشة النص الأول: إذا سلمنا لهم بوجود النور والظلمة كفاعلين في الكون؛ نقول لهم : من الذي أحيا النور وأمات الظلمة ؟!! قالوا للتمايز الضروري بينهما فهما ضدان نقيضان ، ولما كان النور حي لابد أن تكون الظلمة موات ، وما الذي يمنع أن يكون النور هو الموات والظلمة حية بما أن كلاهما فاعلان؟

وفي النص الثاني : التناقض بين واضح حين يصف القديمين بالتضاد والتناقض "هما مختلفا النفس والصورة متضادان في الفعل والاختيار"، ومن قبله يصفهما "قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حسَّاسين بصيرين". وقد اتفقنا سابقاً ان القديمين لا يكونا مختلفين! فإن من أخص صفات القِدم التماثل في كل شيء ، وإلا لما صحت صفة القدم بينهما.

ومن لوازم قسمتهم التي ألزموا أنفسهم بها في التفريق بين النور والظلمة :

- وصفوا النور بالحياة والظلمة بالموات ، فمن الذي أعطى كلاً منهما تلك الصفه؟
- قالوا هما ضدان متناقضان في كل شيء ، فكيف يتفقان في كونهما فاعلين؟

إن من صفات النقيضين أن لا تجد بينهما صفتين متماثلتين وهذا ما حرصوا عليه ؛ فكيف بصفة القدرة على الفاعلية ، أليس الاثنين فاعلين خالقين؟.

- سلبوا الظلمة صفة الحياة ووصفوها بالقدرة والفعل ، فكيف بالموات أن يفعل؟

---

(١)القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ج٥ ، ص٦٥ .

(٢) ابن القيم الجوزية : " إغاثة اللهفان " ، ج٢ ، ص١٩١ .

والقادر لابد للفاعل أن يقدر على الفعل ، والظلمة موات عاجز، فكيف بالعاجز أن يخلق.!

(إن الفاعل لابد أن يكون قادراً سواءاً فعل خير أم شر ؛ ومن حق القادر أن يكون حياً ؛ ومن حق الحي صحة كونه مدركاً ، فإن كانت الظلمة فاعلة لابد أن تكون حية وإلا لما صح أن تقدر وتفعل) (١) .

وقد لخص الإمام الشهرستاني خلاصة قول المجوس:

(مسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين إحداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة) (٢).

وهذا ما ينقلنا إلى الشبهة السادسة .

الشبهة السادسة:

اختلفوا حول سبب حدوث موجودات العالم وطريقة الخلاص

قالت الزرادشتية في تفسير موجودات العالم: (النور والظلمة أصلان متضادان ، وهما مبدأ موجودات العالم ، وحصلت التراكيب من امتزاجهما ؛ ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ؛ وهما يتقاومان إلى أن يغلب النور الظلمة ، ثم يتخلص الخير إلى عالمه ، والشر ينحط إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص) (٣). إذاً هما مختلطان ممتزجان ، وحدث من تمازجهما موجودات العالم ؛ فكل ما في الكون من خير هو من تغلب النور على الظلمة ؛ وكل ما في الكون من شر هو من تغلب الظلمة على النور ، فهما يتقاومان ويتغالبان حتى الوصول للخلاص.

وقد ألزمهم قولهم بالتمازج هذا بلوازم منها:

- (إن كان تباينهما لطبعهما ، فيجب أن لا يصح حلول المزاج؛ لأن الشيء لا ينقلب طبعه أصلاً ، ولا يصح منه خلاف ما يوجب طبعه ، وقولهم بالمزاج يوجب فساد

---

(١) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ج٥ ، ص٦٥ ، بتصريف .

(٢) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج٢ ، ص٢٣٢ .

(٣) الشهرستاني : مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٣٧ .

مذهبهم) [١].

وهذا يخالف ما ذهبت إليه الزرادشتية من أن التمازج هو سبب حدوث العالم؛ فالقول هنا أن المزاج يستحيل مع تخالف طبعهما ؛ فالتمازج يكون بين المتشابهان وليس بين الضدان ولحدوث التمازج لابد من تغير في الطبائع.

- (ولا يصح أن يختار كل واحد منهما إلا ما يصح في طبعه) [٢]. هذا من لوازم قولهما أيضاً أن اختيارهما لا يخرج عن طبعهما. وقد حاول البعض تقديم تعليل مغاير لما قدمته الزرادشتية عن التمازج ؛ فقالوا المتضادان لا يمتزجان إلا بواسطة.

(إن الأصول ثلاثة نور خالص ، وظلام خالص، وأصل ثالث معدل بينهما ليس بنور ولا ظلام) [٣]. لم تكفهم كل تلك التعقيدات حول الاثنين، فعززوهما بثالث[٤]. لا يُعرف ماهيته، ولا كينونته. هل هو نور أم هو ظلمة؟، وليس هذا فقط بل توالت الأسئلة عن طبيعة الثالث، هل هو من جنس النور أم من جنس الظلمة؟، وكيف يمازجهما؟.

وقد ألزمهم القاضي الباقلاني [٥]- رحمه الله- بلوازم قولهم هذا فقال: (إن كان من جنسهما وجب أن يكون نوراً ظلاماً ، وإلاّ يعدِّل بينهما ، وهذا محال ، وإن كان من جنس أحدهما فكيف يعدِّل بينهما وهو ضد الآخر؟، وكيف لم يحتاج إلى معدِّل؟ وإن كان مخالفاً لهما احتاج إلى معدِّل بينه وبينهما كحاجتهما لموضع

---

(١) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ج٥ ، ص٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٨ .

(٣) القاضي الباقلاني : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ، ص٨٢ .

(٤) قيل : إن ذلك من الأصول التي تأثر بها النصارى في قولهم بالثالوث الإلهي .

(٥) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني ، قاض ومن كبار علماء الكلام ، صاحب التصانيف في علم الكلام ، وهو الملقب بسيف السنة ، ولسان الأمة المتكلم ، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه ، من مؤلفاته : " كشف الأستار في الرد على الباطنية " ، و " الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية " والمؤلف الذي بين أيدينا " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ومنه ترجمة المؤلف ، سكن بغداد ، ونشأ فيها ، توفي عام ٣٧٢هـ .

أنظر ترجمته : " وفيات الأعيان " لابن خلكان ، ج٤ ، ص٢٦٩ " ، و" مقدمة كتابه تمهيد الأوائل" ، و " الأعلام " للزركلي ، ج٦ ، ص١٧٦ " .

اختلافهما) [١] . لقد طرح لهم القاضي كل الممكنات ، وأبطلها فبطلت حجة المعدل الثالث، إن كان من جنس أحدهما فكيف يمازج الثاني وهو ضده؟ وإن كان ليس من جنس هذا ولا ذاك فكيف يمازجهما وهو غريب عنهما؟، فمن باب أولى أن يتمازجا وهما الغريبان بدون غريب ثالث بينهما.

وقد اختلف أصحاب الاثنين حول جغرافية مكانهما إلى عدة أقوال:

- (زعموا أن عالميهما غير متناهيين من كل جهاتهما إلا من جهة تلاقيهما، النور لم يزل فوق الظلمة، وهي تحته على الاستواء) [٢].
- (إن النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال ، والظلمة منحطة في الجنوب، وقال بعضهم: كل واحد منهما الى جانب الأخر) [٣] .

شبهات صمتوا حيالها:

إن صوت الحق يعلو ولا يُعلى عليه، وحجج الباطل الواهية ما تلبث أن تتهاوى أمام براهين الحق.

ما سوف أسرده تحت هذا العنوان ليس على نسق الشبهات التي ناقشناها سابقاً، إنما هي أقوال أصحاب الاثنين التي طرحها عليهم من ناقشهم من علمائنا المسلمين ليتضح الحق من الباطل ، وليستبين الغث من الثمين؛ لكنها لم تلق جواباً منهم. هي مسائل كثيرة ولوازم عديدة تلك التي طرحت على المثنوية من القائلين بالأصلين الأزليين المدبرين للكون لم يكن لها جواباً إلا الصمت؛ وهي كثيرة امتلأت بها كتب الأديان المختلفة، مما يصعب حصرها؛ فاخترت بعض منها فقط والمتعلقة بقولهم:"إن الضدين لا يصدران من فاعل واحد، وإن القادر لا يقدر على الفعل وضده" .

وهي مما ألزمهم به القاضيان الباقلاني وعبد الجبار[٤]– رحمهما الله–[١].

---

(١) القاضي الباقلاني : مرجع سابق ، ص٨٢ .

(٢) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ج٥ ، ص١٠ .

(٣) مرجع سابق .

(٣) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الأسد أبادي ، قاضي قضاة لا يطلقون هذا اللقب على سواه ، ولا يعنون به غيره ، كان إمام أهل الاعتزال في زمانه ، فقيه على مذهب الشافعي ، إليه انتهت الرياسة في المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها ، توفي سنة

- قال لهم: (يُسألون عمن خبأ شيئاً في موضع ونسيه وذهب عنه ذِكره ، فيقال لهم أليس قد صار الناسي ذاكرا ، ووقع الذكر والنسيان مع تضادهما واختلافهما من جوهر واحد) [٢].

إن التذكر والنسيان أمران ضدان ، وبحسب كلامهم عن استحالة صدور الضدين من فاعل واحد ، فهذا المثال يثبت خطأهم ، وأن الشخص ذاته يمكن أن يكون ناسياً بعد أن كان ذاكراً ، فاجتمع فيه الضدان التذكر والنسيان ؛ فما الذي يمنع صدور الخير والشر من فاعل واحد.

- قال لهم: (خبرونا: عن قائل قال : أنا ظلام هل يخلو أن يكون من أشخاص النور أو من أشخاص الظلام؟، فإن قالوا: لا، قيل لهم: فمن أيهم هو؟ وإن قالوا من أشخاص النور، قيل لهم: فقد كذب النور إذاً في قوله "أنا ظلام" لأنه ليس بظلام؛ وإن قالوا : من أشخاص الظلام، قيل لهم : فقد صدق في قوله : "أنا ظلام"، ووُجد الصدق والكذب من جوهر واحد) [٣].

وإن جاز للظلام أن يكون صادق فقد اجتمع الضدان الصدق والكذب- هي من سمات الظلام- في فاعل واحد فيجوز أن يكون الخير والشر من فاعل واحد، ويجوز للظلام أن يفعل الخير ، وإن ادعو أنه ليس من الظلام فهو يكذب هو من النور؛ فقد أوقعوا أنفسهم في مأزق أيكون نوراً ويكذب فقد فعل النور الضدين معاً ، وهو فاعل واحد.

أما القاضي عبد الجبار فألزمهم بقولهم "الفاعل الواحد لا يصدر عنه ضدين".

(الخير والشر قد يرجعان إلى الجنس الواحد ، فيجب صحتهما من الفاعل الواحد، وفي ذلك إبطال ما قالوه ؛ فإن قالوا : إذا استحال كون المتحرك ساكناً ، والمجتمع

٤١٥هـ ، له مؤلفات كثيرة منها : "شرح الأصول الخمسة " ، و " المغني في أبواب التوحيد والعدل " أحد عشر جزءا منه . أنظر ترجمته : " الأعلام " للزركلي ، ج٣ ، ص٢٧٣ ، و " من فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة " ، ص١٢٢"

(٣) لم جد لهذه المسائل في مصدرها نقاش دار بين القاضيان وبين أصحاب الاثنين ، اعتقد أنها أوضح من أن يُعلقوا عليها ، أو انهم عجزوا عن تعليلها .

(٢) القاضي الباقلاني : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ، ص٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٥ . ٨٦ .

متفرق، فهلا قلتم باستحالة كون الأصل الواحد خيّراً شريرا؟، قيل له : إنما استحالة كون المتحرك ساكناً ؟ لأن ما يتحرك به ويسكن يتضاد على المحل ، فلذلك لا يصح ذلك فيه) [١].

قرر القاضي في البداية أن الخير والشر من جنس الفعل الواحد فيصح أن يصدرا من فاعل واحد ، وأوضح مقصده بما طرحه من أمثلة فقال : "هم يلتزمون بقضية أن الجسم الواحد لا يصدر عنه فعل الحركة والسكون في آن واحد ، وكذلك فعل الخير والشر لا يصدر من فاعل واحد ، وهذا كلام مغلوط مخالف لصحيح العقل. فحدوث الحركة والسكون في ذات الوقت تستحيل ؛ لأن ما يتحرك ويسكن به يتضاد في المحل الواحد ، والمعنى أن من يتحرك أو يسكن هو عضو في جسم الإنسان ، ويصعب أن تجتمع الحركتان المتضادتان في ذات الوقت في العضو الواحد ؛ لكن في وقتين مختلفين يحدث ؛ ومن عضوين مختلفين يحدث في ذات الوقت ؛ وأما الخير والشر فهما من غير أنواع الحركة والسكون المستلزمان لمحل حتى تحدث.

وقد رد القاضي بفساد الأمثلة التي طرحوها ، وأن الخير والشر غير ذلك فقال: (وليس كذلك حكم الفاعل للخير والشر؛ لأنه يفعل ما يفعله باختياره ، لا أن ذاته توجب ذلك ، واعلم أن الخير والشر لا يتضادان على الفاعل الحي ، ولا على المحل، فلا وجه يمنع من كون الفاعل فاعلاً لهما جميعا في حال واحدة) [٢] .

كانت تلك بعضاً من اللوازم التي ألزمهم بها علمائنا وعجز الثنويين أن يقدموا تعليلاً لها ؛ وختاماً لمناقشة شبهات أصحاب الاثنين أرى – من وجهة نظري – أن الخطأ لديهم خطآن، وهما:

١- أنهم جعلوا الأضداد كلها من نوع واحد.

٢- أنهم جعلوا استحالة اجتماع الأضداد في المحل الواحد في ذات الوقت ؛ فضيقوا واسعاً.

---

(١) القاضي عبد الجبار : " المغني في أبواب التوحيد " ، ج٥ ، ص٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج٥ ، ص٣٣ .

ولمناقشة ذلك أقول:

أنه بالنسبة للخطأ الأول : في كونهم جعلوا الأضداد كلها من نوع واحد وهذا خطأ ؛ فهي عدة أنواع لكن الذي يعنيني منها هذين النوعين:

- فعل ضد يستلزم أداة لحدوثه.
- فعل ضد لا يستلزم أداة لحدوثه.

النوع الأول: ولتوضيح معناه أكثر استعين بما ذكروه من الأمثال، إن الحركة والسكون في ذات الوقت من الجسم الواحد ، والتسويد والتبيّض في الثوب الواحد، مستحيلة ، فأقول: الحركة والسكون من نوع الضدين اللذين يستلزمان أداة لحدوثهما، فلا نقول لشخص متحرك إلا إذا شاهدناه يتحرك بجسده كله ، أو بأحد أعضائه وكذلك الساكن ؛ وفعل الحركة والسكون لا يحدث من أداة واحدة في ذات الوقت. والعضو الواحد المعني بالفعل لا يجتمع فيه حركتان ضدان ، لكن قد يتعاقبان فيكون ساكناً بعد أن كان متحركاً والعكس.

وقد تزيد المسألة وضوحاً حين أقول : إن فعل الحركة والسكون قد يجتمعان في الفاعل الواحد في ذات الوقت بما لديه من أدوات. أفلا يتحرك الشخص بقدمه ويده ساكنة ثابته ، أو ليس هذا اجتماع ضدين في فاعل واحد. وكذلك في تسويد الثوب وتبيضه ؛ بالفعل هما لا يجتمعان في محل واحد ؛ لأنهما ضدان. ولكن ألا يحدث التسويد في المحل الواحد بعد أن كان فيه التبيض ، ألم يجتمعا في محل؟، ألم يكن هو ذات الثوب؟ فكيف حدث واجتمع البياض والسواد في جسم واحد؟. فما الذي يمنع اجتماع الخير والشر من مصدر واحد في وقتين مختلفين؟

النوع الثاني: النوع الثاني من الأضداد هو الذي لا يستلزم أداة لحدوثه ، كالمشاعر الداخلية للشخص الواحد؛ أفلا يجتمع حب الوالدين والأبناء مع بغض الأعداء؟، أفلا يكون الشخص الواحد ناجحاً في طلب العلم وفاشلاً في التجارة في ذات الوقت؟، أفلا يجتمع النجاح والفشل في محل واحد؟. فكذلك فعل الخير والشر هي أضداد وفي بعض الأحيان لا تستلزم أدوات لفعلها كالحركة، أفلا يجوز لها أن تصدر من محل واحد.

وبالنسبة للخطأ الثاني قالوا: (إن الأضداد لا تكون في المحل الواحد؛ لذا الخير والشر لا يصدران من فاعل واحد؛ هذا حق لكن ما الذي يمنع أن يكونا في المحل الواحد لكن في وقتين مختلفين). هم يقولون: إن كل ما يصدر عن النور هو خير ، والخير ضد الشر ؛ لذا لا يصدر الشر من النور.

فأقول : وما الذي يمنع أن يصدر الخير في وقت ، ويصدر الشر في وقت آخر من الفاعل نفسه ؛ فما يقولون في القاتل السارق حين يتوب ويفعل الخير ؛ أليس كان مصدراً للشر، ومن ثم تاب وأصبح مصدراً للخير. وقد استعمل ابن حزم [(١)]- رحمه الله- هذا المثال معهم فقال: (يُسألون عمن رأيناه يقتل ويظلم ويكذب ، ثم تاب عن كل ذلك من القاتل الظالم؟، أهو النور أم الظلمة؟، ومن التائب النور أم الظلمة؟ فأي ذلك قالوا : فهو هدم مذهبهم ، وقد جوزوا الاستحالة) [(٢)].

تعقيب على ما سبق:

عند الثنويين أصحاب الاثنين استحالة أن يكون مصدر الخير والشر واحد ، توصلوا إلى تلك النتيجة وجعلوها أساس عقيدتهم ؛ فقالوا بوجود الاثنين لاستحالة صدور الضدين من فاعل واحد ؛ ففي ظنهم أنه يستحيل أن يكون كل من عند الله، والخلق فيه الخير والشر. فمن الذي أعطاهم هذا الحق في أن يصدروا حكمهم على الله أنه يفعل الخير ولا يفعل الشر ، أي إلهٍ هذا الذي يقدر على شيء ولا يقدر على آخر؟. فإن قالوا : نُنزهه ، قلت: بل هو تنقيص وتشويه في قدرات الإله؛ فالقادر قادر على الفعل وضده، وفعله اختياراً له وفي طبعه، ليس لدينا نحن- كمسلمين- مثل هذا التناقض، فهي من البديهيات ؛ فالخير والشر من الله هذا أولاً ، وثانياً نظرة العبد

---

(١) هو : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، لقب ألقاباً كثيرة منها الإمام ، الأوحد ، الحافظ ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ ، كان من أهل العلم والأدب ، وكان له في البلاغة يد قوية ، كان في أول أمره شافعي المذهب ، ولكنه أصبح من الظاهرية من أشهر مؤلفاته : " الفصل في الملل والأهواء والنحل " وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في الفكر العالمي .

أنظر ترجمته في : " الأعلام " للزركلي ، ج٤ ، ص٢٥٤ ، و " مقدمة كتابه الفصل " ، ج١ ، ص٣ . .

(٢) ابن حزم : " الفصل في الملل والأهواء والنحل " ، ج١ ، ص٩٩ .

قاصـــرة، ورؤيته الغيبية معدمة ، فكيف يحكم على أمر بالخيرية أو ضدها ، وهو لا يعلم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[1] .

ولن أرجع إلى كتب التفاسير لفهم المقصد من الآية، فهي للجاهل بيّنه ، يقول ربنا- تبارك وتعالى-: إن الإنسان مبتلى- ولم يقل المؤمن ولا المسلم - لأن الابتلاء هي سنة كونية للبشر عامة ، لم تكن في يوم من الأيام خاصة بدين دون دين ، أو بملة دون سواها ؛ فالآية لم تحدد من هم المبتلون ، هم خلق الله، هم عبيد الله ، والابتلاء كُتب عليهم . ثم فصلت الآية في أنواع الابتلاء قد يكون خوفـاً أو فقـراً ، وقد يكون موتـاً أو قحطاً أو جوعاً. وبشر الصابرين ؛ إذا الابتلاء فيه بشارة، والبشارة تأتي دائماً بالخير؛ بعد كل ما ذكر من مصائب في نظر القاصرين من البشر ذكر أن هناك بشارة للصابرين. من هم هؤلاء الصابرون؟، هم الذين استرجعـوا ربهـم ورجعـوا إليـه ، وتذكروا أن كل ما أصابهم هو من عند ربهم، وله الحكمة البالغة التي لا ولم نحط بها علماً ؛ ولا نقـول إلا ما يرضي ربنا " إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " ، فلم نبحث عن مصدر للشر.

فتكون الآية جمعت الخير والشر في الفعل الواحد !!

وقد جاء في السنة النبوية أيضاً قال رسول الله- صل الله عليه وسلم- : (**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**) [2] .

خصص الحديث ما تركته الآية عاماً لكل الناس؛ فكانت البشارة للمؤمن خاصة فكل ما يُصيبه هو خير حتى وإن كان ظاهره غير ذلك. فالله حين يبتلى المؤمن في ذلك خير له؛ وكل ما عند الله خير، وقد صدق الثنويون حين زعموا أن إله الخير لا يصدر عنه

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٥- ١٥٧ .

(٢) مسلم بن الحجاج النيسابوري : " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم ." ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، ج٤ ، ص٢٢٩٥ .

إلا الخير؛ هو قول حق أريد به باطل ، هم قصدوا أن هناك إله آخر يصدر عنه الشر، لأن نظرتهم قاصرة عن رؤية مكمن الخير في أقدار الله. ليس هم فقط بل البشر بشكل عام ، كما حدث مع نبي الله موسى عليه السلام في قصته مع العبد الصالح [1].

وحين ادعى موسى- عليه السلام- لنفسه العلم الكامل ، ولم ينسبه إلى رب العزة والجلال ، عاتبه الله عليه وأعلمه أن هناك عبداً أعلم منه ومكانه مجمع البحرين ، وكان ما كان من أحداث أدت إلى أن يلتقي موسى بالعبد الصالح [2] . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3] .

والشاهد من القصة أن موسى- عليه السلام- حكم على نوعية الفعل اعتماداً على ما شاهده ، لكنه لم يعلم المغزى من ورائه ؛ فما رآه موسى من أفعال هي في حكم البشر من نوع الشرور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا .... ﴿٧١﴾ ﴾[4]، خرق السفينة يؤدي إلى عدم الانتفاع بها بعد ذلك .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ .....﴿٧٤﴾ ﴾[5]، قتل الغلام هي مصيبة لوالديه !! فقد استنكر نبي الله موسى- عليه السلام- فعل الشر بدون سبب لأنه لم يكن يعلم حكمة الخير الموجودة فيه ، وحين انتهت القصة أعلمه العبد الصالح أن كل ما هو من عند الله خير .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾[6] .

---

(١) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، ص٥٩ ، القصة كاملة .

(٢) ذكرت قصة العبد الصالح وموسى ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم ، سورة الكهف : الآيات ٦٠ ـ ٨٢ .

(٣) سورة الكهف : آية ٦٥ .

(٤) سورة الكهف : آية ٧١ .

(٥) سورة الكهف : آية ٧٤ .

(٦) سورة الكهف : آية ٧٨ .

فخرق السفينة كان ليتخلى عنها الملك الظالم للمساكين الذين يعملون عليها ؛ وقتل الغلام لأنه كان سيُشقي والديه وهما مؤمنين فأراد الله- عز وجل- أن يهبهما غيره، أليس هذا خيرا؟، بل هو كل الخير ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إذاً فقد أثبتنا أنه لا يوجد مقدور من الله هو شر ، لكن يوجد فعل للبشر منه الخير والشر، وقد قيل : إن الشر ما زاد ضره على نفعه ، والخير ما زاد نفعه على ضره [١]. فليس في طبيعة شيء ما أنه شر فلا وجود لما يسمى شر إلا أمراً واحد فقط هو: (الشر الذي لا خير فيه هو النار ، والخير الذي لا شر فيه هو الجنة) [٢].

وعلى هذا فقس كل الابتلاءات التي يظنها الناس شرور ومصائب إنما هي من رحمات رب العالمين؛ فقد يُبتلى المؤمن ليستيقظ من غفلته ؛ وقد يُمتحن لتُكفر خطاياها؛ وقد يحبه الله فيبتليه ليصبر فيؤجر؛ وغير ذلك كثير ليس هاهنا مجالاً لحصرها.

وهذا هو ما أوقع الثنويين في الخطأ ، حين حكموا على نوعية الفعل بعين المخلوق وجهله، كما أنهم تجاهلوا قدرة الخالق وحكمته!! فينسب الخير إلى الله تفضلاً ولا ينسب إليه الشر تنزهاً ، لكن كُلٌ من عند الله الخير والشر سواءً وما ضلال بني آدم إلا من اعتقادهم بوجود قدرة في الكون غير قدرة الله فاعلة بمعزل عن الله. فلا شيء يحدث إلا بأمر الله، وما الفاعل إلا هو بقدرة الله وبإرادته بما أعطاه الله من أدوات تمكنه من الفعل، وبما أعطاه من غريزة الاختيار تتيح له تحديد طريقة؛ وليس الإنسان خالق لفعله إنما هو فاعل له.

---

(١) محمد الشوكاني : " فتح القدير" ، حققه : عبد الرحمن عميرة ، ج٤ ، ص١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج٤ ، ص١٧ .

الخلاصة:

بعد تلك الوقفة الفكرية الفلسفية الإسلامية مع أصحاب الاثنين وردود علماء المسلمين عليها ولوازم قولهم التي ألزموهم بها ؛ كان واضحاً عجز المثنويين عن الرد عليهم وتعليل منهجهم ؛ علمت أن للحق صوتاً يعلو ولا يُعلى عليه ؛ فخالق الكون واحد بكل ما فيه هو الله الواحد خالق الشيء وضده ، فعند قدرته تعجز القوانين ، وتتعطل الحقائق والنظريات ، فقدرة الله تخلق الأضداد وغير الأضداد. وحين تعمى البصيرة فلا يبقى للتأمل والتبصر مكان، وإلا فكل ما قامت عليه العقيدة الثنوية من أسس وقوانين هي من اللامعقول؛ وحين ألزمهم علماؤنا بلوازم قولهم يبهتون ويُصعقون.

وقد سلمنا للثنويين أصحاب الاثنين أن ضلالاتهم تلك عقيدة، فقد هدم علماء الإسلام مذهبهم من الأساس بما قدموه من لوازم عجزوا عن تعليلها وملخص قولهم هو:

١- حجروا على الله سبحانه وتعالى في فعله وقدرته فحددوا نوعية مفعولاته، وهذا عين الكفر.

٢- سلمنا لهم بوجود فاعلين قديمين كما ادعوا ، فكان هذا مخالف لصفات القدماء.

٣- الظلمة موات، فكيف يكون الموات خالقاً؟ فلابد أن تكون حية وهذا يهدم قولهم.

٤- قالوا قادرين وليس لهما حرية الاختيار، فما الداعي لقدرة إن لم يكونا مختارين.

٥- الفاعل القادر يقدر على الفعل وضده، فما الداعي من وجود فاعلين اثنين إذاً.

وهذه الأخيرة تهدم مذهبهم من أساسه، وتقوض دعائمه وتزلزل كيانه، فلما يكونا فاعلين إن كان الفاعل القادر المختار يقدر على كل ما في الكون من الأضداد وغير الأضداد، وهو الله ليس سواه الواحد الأحد.

الفصل الثالث

ملامح الثنوية في الأديان الوضعية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد وتسعة مباحث:

المبحث الأول: الثنوية في أديان بلاد ما بين النهرين

المبحث الثاني: الثنوية في أديان بلاد مصر القديمة

المبحث الثالث: الثنوية في أديان بلاد الهند القديمة

المبحث الرابع: الثنوية في أديان بلاد فارس القديمة

المبحث الخامس: الثنوية في أديان بلاد اليونان القديمة

المبحث السادس: الثنوية في أديان بلاد روما القديمة

المبحث السابع: الثنوية في أديان بلاد الصين القديمة

المبحث الثامن: الثنوية في أديان بلاد اليابان القديمة

المبحث التاسع: الثنوية في أديان بلاد العرب القديمة

(تمهيد)

في الفصل السابق استطعنا أن نكون صورة شبه مترابطة لبداية العقيدة الثنوية وأنها في الأساس من ضلالات إبليس اللعين ليضل بني البشر أجمعين.

تحين الفرصة ليبدأ غواية بني البشر بفكرة الثنوية وغيرها من الضلالات الشركية تحقيقاً لسنة الابتلاء التي فرضها الله– عز وجل– على بني آدم أولاً ووفاءً بقسم أقسمه اللعين أمام رب العالمين حين قال الله تعالى على لسانه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(١)] .

وقد حوت تلك الصفحات من الأدلة والبراهين النقلية والعقلية ما يؤكد ذلك الترابط ويقويه ، والغريب في الأمر هو اتفاق كلاً من علماء المسلمين والغربيين على نسبة فكرة الثنوية لأبليس وهذا نادر ما يحدث في علم الأديان، أن أصل الشر في الأرض من الشيطان ، لكن اختلفوا في تفسير طريقة صدور ذلك الشر عنه. فعلماؤنا قالوا الشيطان سبب للغواية وتحقيق لسنة الابتلاء؛ وعلماء الغرب يقولون هو مصدر الشرور في الكون وفقط !! كأن له قدرة مضادة لقدرة الله يعمل من خلالها.

بعد أن أوضحنا ذلك يأتي دور تتبع مسار الفِكرة في تطورها إلى أن أصبحت المعتقد الثنوي ؛ فنرى مظاهرها ونتعرف على ملامحها في أديان البشرية ، فلم تكن الثنوية هي الصورة النمطية للأديان الفارسية المجوسية فقط، إنما تعددت صورها وتغيرت أشكالها في الأديان .

واعتماداً على تقسيم العلماء لأديان البشرية قسمت الملامح الثنوية تبعاً لذلك:

- الملامح الثنوية في الأديان الوضعية.
- الملامح الثنوية في الأديان السماوية المحرفة.

---

(١) سورة ص: آية ٨٢ .

اختص هذا الفصل بالقسم الأول وأفردت الفصل الذي يليه بالقسم الثاني، وقد اقتضى ذلك مني منهجاً حددته واتبعته ، في البداية كان التمهيد الذي يحوي موجزاً مبسطاً عن الموطن الجغرافي للدين الذي سأتناوله بالدراسة ، ومن ثم العروج على الإنسانية والشعوب التي سكنت تلك البقعة ، وقبل أن أنتقل إلى تتبع الملامح الثنوية في أديانهم وعباداتهم ذكرت نبذة مختصرة عن الملامح الدينية العامة لهم، فكانت البداية من أشهر حضارات قارة آسيا .

(البداية من الشرق لأن آسيا كانت مسرحاً لأقدم مدنية معروفة لنا، ولأن تلك المدنية كانت البطانة والأساس للثقافات) [(١)].

---

(١) ول ديورانت: "قصة حضارة الشرق الأدنى"، ترجمة : محمد بدران ، نسخة إلكترونية محملة ، ج٢ ، ص١٧ .

المبحث الأول
الثنوية في أديان بلاد ما بين النهرين القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- تمهيد.
- المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد ما بين النهرين.
- المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد ما بين النهرين.

(تمهيد)

بلاد ما بين النهرين، هذا ما عُرفت به تلك البقعة من الكرة الأرضية في الكتب التاريخية للمؤرخين مسلمين ، وأطلق عليها أيضاً بلاد الرافدين ؛ وقالوا هي بلاد سومر على اعتبار أن الحضارة السومرية أقدم حضارة نشأت بها ، وهي كذلك منطقة الهلال الخصيب لكن الأشهر على الإطلاق هو اسم العراق ، وقد كان للباحثين ثلاث آراء مختلفة في أصل اشتقاق اسم العراق هذا [١].

موقعها في قارة آسيا وتحديداً قالوا : (تقع في جنوب غرب آسيا ، ضمن الأراضي الواقعة في منطقة الهلال الخصيب ، وبالتحديد تقع ما بين نهري دجلة والفرات) [٢]. وبلاد ما بين النهرين ليست العراق فقط بل هي تجمع عدة دول هي: العراق وشمال شرق سوريا ، وبعض الأجزاء من جنوب شرق تركيا ، وبعض الأجزاء من خوزستان شمال غرب إيران[٣]، وفيما يخص النهرين اللذين سميت البلاد باسمهما : "دجلة والفرات" [٤] اللذان ورد ذكرهما في السنة النبوية المطهرة ، وكذلك في الكتاب المقدس لليهودية والنصرانية .

---

(١) يعتقد البعض أن عراق عربية الأصل والمعنى ، وتعني الشاطئ ؛ ويرى آخرون أنها مشتقة من أوروك ، وهي تعني مستوطن بلهجة غير عربية ؛ أما أصحاب الرأي الثالث يقولون : إن أصل الكلمة أجنبي وتعني : إيراء أي الساحل ، نخبة من الباحثين العراقيين : " حضارة العراق " ، دار الجيل ، بيروت ، ج١ ، ص١٤ .

(٢) " تاريخ المعتقدات والأديان " ، المركز الجامعي بالوادي ، ديانة بلاد ما بين النهرين ، ص٢ .

(٣) من http://montada.aya.sy منتديات آية بقلم مشرف الصفحة نور مقال بعنوان : " تأريخ بلاد ما بين النهرين (العراق) " .

(٤) نهر دجلة ينبع من مرتفعات جنوب شرق هضبة الأناضول في تركيا ليدخل أراضي العراق ، ويلتقي نهر دجلة بنهر الفرات عند القرنة ، ونهر الفرات هو أحد الأنهار الكبيرة في جنوب غرب آسيا ينبع من تركيا ، ويتألف من نهرين في آسيا الصغرى هما : " مراد صو " أي ماء المراد شرقا و" قره صو " أي الماء الأسود غربا ، والنهران يجريان في اتجاه الغرب ، ثم يجتمعان فتجري مياههما في الأراضي السورية ، ومن ثم يدخل العراق ... من موقع http://forums.mazika2day.com . مقال بعنوان : " حضارة بلاد الرافدين ، ٢٠١٠/٠٤/٠٩م ، زمن ٠١:١٦ AM .

مما جاء في حديث قصة الإسراء والمعراج حينما قال رسول صلى الله عليه وسلم: (**رفعت إلى سدرة المنتهى، منتهاها في السماء السابعة ؛ فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران: فالنيل والفرات**) (١). وذُكر أيضاً عن أبي هريرة (٢) (**قال: قال رسول الله– عليه الصلاة والسلام– : سيحان وجيحان** (٣) **والفرات والنيل كل من أنهار الجنة**) (٤) .

وتعتبر بلاد ما بين النهرين من أكثر المناطق العربية لظهوراً الحضارات، متزامنة أحياناً ومتعاقبة أحياناً أخرى ، إلا أن أكثر ما يميز بلاد ما بين النهرين أنها كانت موضع ولادة أول حضارة في التاريخ المكتوب وهي الحضارة السومرية(٥)، ومن ثم توالت عليها الحضارات منها من كان له شأن في التاريخ فحفظ ومنه من سقط في ذاكرة النسيان.

(نشأت على ضفاف نهري دجلة والفرات أقدم الحضارات ، حيث تأسست دول عدة أشهرها خمسة : السومريون ، الأكاديون ، البابليون ، الأشوريون، الكلدانيون) (٦).

---

(١) البخاري : " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه " ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، باب المعراج ، ج٥ ، ص٥٢ .

(٢) هو : عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، لقبه أبو هريرة ،كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له ، نشأ يتيماً في الجاهلية ، أسلم في السنة ٧هـ ،كان أكثر مقامه في المدينة ، وتُوفي بها سنة ٥٩هـ ، قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره .

أنظر ترجمته : في " أسد الغابة في معرفة الصحابة " لابن الأثير ، ج٣ ، ص٤٥٧ " و " الأعلام " للزركلي ، ج٣ ، ص٣٠٨ " ، و " طبقات الحفاظ " للسيوطي ، ص١٧ .

(٣) للفائدة : إن نهري سيحان وجيحان غير نهري سيحون وجيحون . فأما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث يقعان في بلاد الأرمن ، فجيحان نهر المصيصة ، وسيحان نهر إذنه وهما نهران عظيمان جدا ، وقد اتفق المؤرخون أن جيحون بالواو نهر وراء خراسان عند بلخ ، وأنه غير جيحان ، وكذلك سيحون غير سيحان ، على ذلك يكون سيحان وجيحان ببلاد الأرمن بقرب الشام ، وسيحون وجيحون وراء خرسان .

(٤) مسلم القشيري : " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ، ج٤ ، ص٢١٨٣ .

(٥) (الثقافة السومرية أول ثقافة بشرية أصيلة ساهم الإنسان والطبيعة ، وتراث العصور القديمة في صياغتها) خزعل الماجدي : " الدين السومري " دار الشروق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م ، ص٢٥.

(٦) مي السديري : " حضارات " مكتبة فهد الوطنية للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ ، ص١٧ بتصريف .

ويقال عن السومريون أن أصولهم العرقية البشرية كانت عربية [١] ، وقد عُرف عنهم حبهم الشديد للثقافة والعلم فهم أول من ابتكر رموز الكتابة على مخطوطات ألواح الطين[٢].

واستمر وجود الحضارة السومرية في العراق إلى أن انتهى بما يُعرف بالحضارة الأكادية [٣] التي اعتبرها المؤرخون أول إمبراطورية حقيقية في التاريخ البشري [٤] تلا الأكاديون حضارة أخرى عُرفت بالبابلية الأولى أو القديمة، التي اشتهر منها الملك " مورابي الفاتح المشّرع" [٥]، الذي اعتبر من أكثر الشخصيات البابلية التي خلدها التاريخ، التاريخ، فقد أضحت بابل في عهده من أغنى البلاد التي شهدها تاريخ العالم قديمة وحديثه [٦]، ومن ثم انتهى ذلك المجد بحضارة أخرى عُرفت باسم الحضارة الآشورية، التي التي نسبها بعضهم إلى سلالة آشور الابن الثاني لسام بن نوح علية السلام[٧] فهم يعتبرون من القبائل السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية [٨].

---

(١)(بدأت الهجرات من أزمان موغلة في القدم ، وكان جزء كبير من المهاجرين قد حلوا في وادي الرافدين الأسفل ، وقد ساهم هؤلاء المهاجرون العرب من الشرق والشمال في إنشاء الحضارة السومرية) طه باقر : " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة " ، ج٢ ، ص١٩٢ .

(٢) مخطوطات ألواح الطين عُرفت بالكتابة المسمارية ، أو الخط المسماري ، ومعنى الكتابة المسمارية أنهم كانوا يكتبون على الطين الطري ، وينقشون ما يريدون نقشه بسن آلة حادة كالإسفين ... وكان الكاتب إذا أتم كتابة ما يريد كتابته جفف اللوح الطيني في النار أو عرضه لحرارة الشمس فجعله مخطوطا أبقى على الدهر من الورق ، تقرأ الكتابة السومرية من اليمين إلى اليسار ... ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، م ١ ، ج٢ ، ص٣٤ ، طه باقر : " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة " ، ج٢ ، ص١٩٢.

(٣) تعد أول إمبراطورية معروفة تاريخيا بعد الطوفان أتوا بعد السومريون ، ويعدون من أقدم الأقوام السامية التي استقرت في بلاد الرافدين حوالي عام ٤٠٠٠ ق . م ، ومن ثم انتهت الدولة الأكادية بعد أن حكمت زهاء قرنين من الزمن المرجع السابق ، ج١ ، ص٩١ .

(٤) خزعل الماجدي : " الدين السومري " ، ص٢٠ .

(٥) دام حكمه ثلاث وأربعين سنة وحد الدويلات المتحاربة ، ونشر لواء السلام ، أقام الأمن والنظام بفضل كتاب قوانينه التاريخي العظيم ، وجد هذا القانون منقوشاً نقشاً جميلاً على اسطوانة من حجر الديوريت ، نقلت من بابل إلى عيلام ، وقيل عن هذه الشرائع إنها منزلة من السماء ... ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٢ ، ص١٨٨ .

(٦) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٢ ، ص١٩٣ .

(٧) المركز الجامعي بالوادي ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية ، قسم التاريخ : " تاريخ المعتقدات والأديان ، ديانة بلاد ما بين النهرين " ، ص٥

(٢) السامية : تطلق هذه الصفة على نسل سام بن نوح . علية السلام . اسم عبراني ، وهو أكبر أبناء نوح . علية السلام .

وكان الجهل بإدارة إمبراطورية كبيرة الشأن كالأشورية أعطى الفرصة لضياعها وإقامة مملكة بابلية ثانية عُرفت باسم الحضارة الأكادية ، ومن ثم تلتها الحضارة البابلية الحديثة أو ما يُعرف بالحضارة الكلدانية ؛ كان يتخلل تلك الحضارات المشهورة ظهور أسماء قبائل وحضارات حكمت بعض الوقت إلا أن التاريخ لم يحفظ عنها الكثير(١).

وبنهاية الإمبراطورية الكلدانية انتهى عهد الحضارات السامية العربية التي حكمت منطقة الهلال الخصيب ، ومن ثم توالى عليها الحكم الأجنبي نتيجة الغزوات الخارجية، حيث بدأت من ملوك الفرس مرورا بالإمبراطورية اليونانية حتى رزحوا تحت الحكم الساساني الفارسي في الفترة التي سبقت الإسلام مباشرة، ومن ثم دخلها الإسلام في عصر الخليفة الثاني الفاروق عمر- رضي الله عنه-، وغدت عاصمة الدولة الإسلامية أيام العباسيين(٢).

ومن نسل سام اليهود والأراميون والأشوريون، والعرب، من قاموس الكتاب المقدس ، تأليف: نخبة من الأساتذة ، ص٣٠٤ . (وقد أعطي اسم ساميون ، منذ سنة ١٧٨١م ، لشعوب الشرق الأوسط التي تشكل لغاتهم السامية مجموعة متميّزة) . من كتاب المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم ... موقع رب المجد http://others.rabelmagd.com

(١) الجوتيون هم مجموعة قبائل من التلال الشرقية ، ومن ثم جاء العيلاميون ، تلاهم شعب يقال له الميتانيون أو الحوريانيون) موقع جمعية الطوابع والمسكوكات العراقية http://www.iraqphilcoins.com . موضوع : حضارة بلاد الرافدين ، مختصر الأدوار التاريخية في بلاد ما بين النهرين ، العراق حالياً ، ٢٠٠٩/١٢/٢٣م زمن ٠٣:٤٤ ، بلاد الرافدين ، بقلم : صادق الصافي مشرف .

(٢) بدأت الدولة العباسية تنطلق بهدوء ، وظهرت أول أثارها في خرسان ، وأول دعاتها هو عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح ، وآخرهم عبد الله بن منصور الملقب بالمعتصم بالله ، الذي قُتل على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ ، وبمقتله انتهت دولة بني العباس في العراق ، كان عدد خلفاء بني العباس ٣٧ خليفة ، وقد ورد أخبار دولة بني العباس في كل كتب التاريخ وذكرها كافة المؤرخين ، التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ، ج ٥ . ٦ ، الدولة العباسية .

المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد ما بين النهرين

تعدد الحضارات في بلاد ما بين النهرين يتبعه تعدد في الديانات والمعتقدات التي تعبّدت بها تلك الشعوب ؛ وعلى الرغم من أن طابعها العام كان طابع الديانات الوضعية إلا أن المنطقة شهدت ديانات سماوية ، فقد جرت على أرضها أحداث قصة خليل الله إبراهيم وبنيه وابن أخيه لوط عليهم وعلى نبينا صلوات ربي وسلامه.

وقد اخترت العموم في التناول والطرح ، فحديث الحالة الدينية سيكون عن الديانات الوثنية التي شهدتها تلك المنطقة بشكل عام ، فلن أخصص دين حضارة دون أخرى ، ولن أتناول معتقد عرق بعينه إلا بما جاء في النصوص؛ فما هي إلا شذرات للديانات التي شهدتها تلك المنطقة بشكل عام.

وإن أردنا أن نصف الحالة الدينية في بلاد ما بين النهرين بجملة مختصرة ستكون بالشكل التالي "ديانة تعددية وثنية شركيه" أما صاحب قصة الحضارة فقد وصفها قائلاً: (الدين في بلاد الرافدين يدور على ركنين أساسيين، وهما:

١- الاعتقاد بوجود كائن او كوائن أو قوى فوق البشر والطبيعة.

٢- الاعتقاد بأنه من الممكن للبشر، ومن الواجب عليهم أن تكون لهم علاقة بتلك الكوائن والقوى) [(١)] .

ومن لفظ كوائن يظهر الشرك الذي يعد من أقوى مظاهر الدين في بلاد الرافدين، فقد ذُكر أن الدين قائم على التعددية الإلهية. (كان معظم الآلهة في وادي الرافدين تجسيدا لمظاهر الطبيعة المختلفة ، وبخاصة النجوم والكواكب) [(٢)]. واعتقد الإنسان الرافدي القديم بوجود قوى غيبية وراء الطبيعة، لكنه لم يكن يتعبد لها حتى جسّدها [(٣)].

---

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، م ٢ ، ص٢٢٥ .

(٢) كامل سعفان : " معتقدات آسيوية (العراق . فارس . الهند . الصين . اليابان " ، دار الندى ، ١٤١٩هـ ، ص٣٢ .

(٣) (إن الصورة الحسية للآلهة السومرية نشأت من الطبيعة فقد أنسن الإنسان السومري الطبيعة ، حيث كان كبار الآلهة السومريين هم الطبيعة نفسها) خزعل الماجدي : " الدين السومري " ، ص٣٠ .

وقد ظهرت ملامح لنزعة الفطرة التوحيدية التي استطاعت أن تثبت بين كل تلك العبادات الوثنية التعددية [١]، وليس ذلك بغريب لسببين ، أولهما أنها الفطرة التي فُطر الناس عليها في عبادة كائن واحد أعلى ، وثانياً كما ذكرت أن المنطقة كانت مهد نبوات سماوية ودعوات توحيدية حقه فلا يستغرب من وجود بقايا للنزعة التوحدية في النظر إلى إله للكون حتى وإن كانت محرفة ، لكن مبدأ الواحدية الإلهية عُرف لديهم.

آلهة بلاد الرافدين:

ذكرت كتب التاريخ الديني أعداداً خيالية لآلهة عُبدت في بلاد ما بين النهرين، ويعود السبب في ذلك إلى أنه كان لكل مدينة إله يحميها ، ثم لكل قرية إله يحميها، ولكل جماعة ولكل أسرة وأخيراً لكل فرد إله يحميه ، هذا عدا الآلهة الكبرى التي تمثل قوى الطبيعة ، والتي كان الجميع يتعبدون لها [٢]، لكن البعض أرجع سبب الكثرة في العدد إلى تعدد الحضارات والشعوب التي سكنت المنطقة ، فقد كان من الصعب محو آثار حضارة دينية قديمة من قبل حضارة أخرى ، يبقى للدين قدسيته ومهابته التي تمنع محو آثاره وآلهته ، فما كان يحدث هو ضمّ الآلهة القديمة إلى الآلهة الجديدة، إما بنفس أسمائها أو يطلق عليها أسماء جديدة أخرى تناسب لغة الحضارة الجديدة، لكنه بالإضافة إلى التعددية تلك كان هناك سمة تفردية كامنة في الدين السومري.

(كانت النزعة التوحيدية كامنة في الدين السومري في صيغة الآلهة آن "إله السماء"، فهو إله عالمي مطلق عندهم على العكس من الإله أنليل هو الإله القومي للسومريين) [٣].

---

(١) (سلك السومريون مسلك الشعوب القديمة فألهوا الحيوانات ، والغيوم ، وجعلوا للحرب إله ، وللماء إله وللهواء إله ، ووضعوا لهم رموزا متعددة ، إلا أن هذا لا ينكر أنه ظهرت لهم نزعة توحيدية لتأليه إله واحد عالمي إلى جانب أولئك كلهم) مي السديري : " حضارات " ، ص١٨ .

(٢) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، مكتبة مدبولي ، ١٤١٥هـ ، ص٧٢ ، بتصريف .

(٣) خزعل الماجدي : " الدين السومري " ، ص٤٥ .

ولست مع كاتب النص في وصفه تلك النزعة بأنها توحيدية ، فالأمر شتان بين التفرد وبين التوحيد ، ولا أرى أن تُستخدم لفظ عبادة توحيدية أو نزعة توحيدية إلا مع العبادة الحقة لله رب العالمين أو من كان لديه اعتقاد بوجود كائن أسمى يعلو ولا يُعلى عليه غيبي لا يجسدونه في أي صورة حينها فقط أستطيع أن أقول أن لديهم نزعة توحيدية ، إنما يستهلك ذلك اللفظ المقدس لدينا بتلك الصورة المهينة والمقيتة على كل إله برز من دون الآلهة ، فلا أعتقد بصحة ذلك المنهج

لذا فقد أُطلقت على مثل ذلك المظهر نزعة دينية "تفرديه أو بروزيه"[(١)]، فيكون المقصود منها أن هناك آلهة كُثر معبودين معترفاً بهم ، ويتفرد أحدهم بمكانة أعلى من الباقين لميزة ما أو لقدرة خاصة يتمتع بها من دون الباقين .

(التفريدية هي إبراز وتضخيم إله واحد على حساب أو بين الآلهة الآخرين) [(٢)].

أسماء أشهر آلهة بلاد الرافدين:

كما ذكرت هم آلهة عديدة وكثيرة ، لكن قد نال بعضها شهرة ومكانة أكثر من غيره ، ومن أبرز الآلهة [(٣)] التي على شأنها وكان لها أكثر من وظيفة[(٤)] :

- أونو: إله السماء يمثل مركز الصدارة بين المعبودات .

(يأتي هذا الإله على رأس الآلهة البابلية ، وقد نعتوه بأبي الآلهة ، ويمثل السماء وهي مقره ، ويُقسم هو والإلهان أنليل وآيا فيما بينهما الكون).

- أنليل : إله الأرض كان سيدا للمجمع السومري للآلهة .

(يأتي بعد أنو في المرتبة ، من مهامه أنه يعاقب الملوك على آثامهم وظلمهم ، وبيده ألواح القدر وهو الذي أحدث الطوفان ، حينما قررت الآلهة إفناء البشر).

---

(١) (فعند رفع إله محلي إلى مركز إله عام ، عدم نبذ الآلهة الأخرى ، وهذا ما عُرف بـ " مبدأ التفضيل " أو " التفريد ") موقع شبكة البصرة http://www.albasrah.net . مقال: "حضارة وادي الرافدين ، ميزوبوتاميا " ، " العقيدة الدينية الحياة الاجتماعية .. الأفكار الفلسفية ": عبد الوهاب حميد رشيد .

(٢) خزعل الماجدي : " الدين السومري ، ص٤٥ .

(٣) موسوعة الأديان في العالم : " الديانات القديمة " ، ص ٣١ - ٣٣ .

(٤) النصوص الدالة على الآلهة ووظيفتها جميعها من طه باقر : " مقدمة في تاريخ الحضارة " ، ج٢ ، ص٢٥٤

- إنكي أو آيا : إله الماء ويسمى أيضاً " إيا "

(تمثل هذه الآلهة المياه الأولى ، وهو إله الحكمة والمعرفة ، واشتهر بحبه لهم فهو الذي أفشى سر الطوفان للبشر).

- مردوخ : وقيل مردوك لعب دورا رئيساً في مصير بابل ، ويعد أعقل العقلاء بين الآلهة.

(هو ابن الإله آيا ، وهو إله بابل العظيم ، خاصاً بها).

- عشتار [١] : إلهة شعبية انتشرت عبادتها في العالم القديم ، وهي إلهة الحب والحرب معاً، يوجد لها معبد في مدينة نينوى.

لم تكن التعددية في الآلهة هي السمة الوحيدة في أديان بلاد ما بين النهرين ، وإن كانت أبرزها ؛ فقد عُرف الثالوث الإلهي العائلي ، الذي يتكون من عائلة إلهية والحقيقة أنها لم تكن عائلة واحدة بل عائلتين.

- الثالوث الأول هو: " أُنو و إنليل و إيا".
- الثالوث الثاني هو: " شمسي و سين و أدد " .

ولم تكن أسماء الآلهة السابقة تخص حضارة بعينها لكن كانت الأشهر عبر تاريخ بلاد الرافدين.

تصور الآلهة في بلاد الرافدين:

لقد تصورت شعوب ما بين النهرين آلهتها على شاكلتها وأنسنتها .

(كان البابليون ينسبون إلى آلهتهم صفات البشر الروحية والمادية كالصورة أو الأعضاء والفكر والعواطف ، وكان لكل إله زوجة وسراري وأولاد وحاشية ، فالآلهة تأكل وتمارس كل ما يمارسه البشر) [٢] .

---

(١) اشتهرت بعدة أسماء عند السومريين ، وكذلك عُرفت باسم عناة ، وعند العرب باسم عثتر ، وعند اليونان عشتار ، وافروديت وعند الرومان فينوس... جفري بارندر " المتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٣٩ .

(٢) كامل سعفان : " معتقدات أسيوية " ، ص٦٦ .

وقد أثار انتباهي ما جاء في النص التالي: (إن حضارة ما بين النهرين تعتبر إن الإله هو ممثل الله على الأرض ، وإن إلههم يمثل البشر عند الله) [١].

يؤكد لي هذا النص أن تلك الشعوب عرفوا الإله الواحد الأعلى ومن ثم جعلوا تلك الآلهة واسطة بينهم وبينه ، كما كان حال كفار مكة في زمن النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- حين ذكر عنهم القرآن الكريم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ....(٣) ﴾[٢].

من أشهر ما وصفوا به آلهتهم تميزا لهم عن البشر هي الحياة السرمدية.

(الآلهة عندهم مخلوقات سماوية يمتازون عن البشر بحياة أبدية) [٣].

مظاهر العبادة في بلاد الرافدين:

بالنسبة لمظاهر العبادة في بلاد ما بين النهرين بشكل عام كانت مظاهر دنيوية، فلم يظهر لديهم أي اهتمام بالموت أو ما بعد الموت [٤] وقد وجدت آثار محفورة على جدران الكهوف ما يمثل الأفراد راكعين أمام تجسيدات الآلهة .

(لم تكن الصلاة في طلب ثواب الجنة، بل في طلب متسع من الأرض يستثمره، أو في نجاح تجاري أو انتصار على عدو وأنواع الصلوات كثيرة منها ما يقوم به الفرد بنفسه بدون وساطة الكهنة وهي بهيئة الركوع أمام التماثيل ، وهناك ما يقوم بها الكهنة كذبح القرابين) [٥]. ولا تعني تلك النظرة الدنيوية أنهم لم يعرفوا الموت، لكن كانت علاقتهم به أنه سمة للبشر.

(١) مي السديري : " حضارات " ، ص٣٧ .

(٢) سورة الزمر : آية ٣ .

(٣) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٧٠ .

(٤)(إن العبادة السومرية ظلت مقصورة على المطالب الدنيوية فلم تتعلق بالحياة الآخرة ؛ لم تهتم ببناء القبور ، أو بالحفاظ على الأجساد انتظار ليوم البعث والحساب ، ولم يكونوا يتقدمون بالصلاة والقربان إلا طمعا في النعم المادية الملموسة) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، م ١ ، ج٢ ، ص٢٩-٣٠ .

(٥) كامل سعفان : " معتقدات أسيوية " ، ص٦٣ بتصريف .

وكما ذكرت في بداية المطلب أني في معرض التعريف بالديانات الوثنية التي كانت سمة تلك البلاد في معظم تاريخها ، لكن هذا لا يمنع من ذكر أنها البقعة التي شهدت أحداث قصة نبي الله إبراهيم- عليه السلام- حين دعا قومه لعبادة الواحد الأحد.

(اختلف في الموضع الذي كان فيه ، والموضع الذي ولد فيه ، فقيل ولد بالسوس من أرض الأهواز وقيل ولد ببابل وقيل بحران) (١) .

وقد اشتهر عن قوم إبراهيم- عليه السلام- أنهم يتعبدون بطريقتين ؛ عبادة الأصنام تلك التي حطمها لهم إبراهيم- عليه السلام- حتى يثبت عجزها (٢)، وعبادة الصابئة للكواكب والنجوم ، وهذا ثابت بآيات من القرآن الكريم (٣)، وقد قيل أنه بُعث في زمن الملك النمرود، وقد دعاه إبراهيم للتوحيد إلا أنه رفض فأمر بإحراق نبي الله حياً في النار، وقد كانت تلك من أعظم معجزات إبراهيم- عليه السلام-. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾(٤) .

---

(١) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، ص ٣٨ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٦٩.

(٣) سورة الأنعام : آية ٧٦ .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد ما بين النهرين

حضارات بلاد الرافدين على الرغم من موقعها الجغرافي المجاور لبلاد إيران القديمة موطن الثنوية إلا أن تأثير فكرة الإلهين الاثنين لم تكن ذات معالم واضحة ، فقد طغت العقيدة التعددية الشركية التفردية عليها. فدائماً ما يكون هناك عدة آلهة ويبرز منهم إله يرأسهم جميعاً ، ومن خلال القراءات العديدة في التاريخ الديني القديم لبلاد الرافدين، عثرت على ملامح تعبدية للفكرة الثنوية الإلهية في الكون ، لكنها بالكاد تظهر.

والبداية لدى أسطورة الخلق الكونية ؛ فالكون ناتج عن تزاوج إلهين ضدين، وبما أن أساس الكون الماء ، فالضدية كانت مياه مالحة وضدها العذبة .

(العالم في بدء أمره كان يتكون من عنصر واحد هو الماء ؛ يحوي عنصرين أزليين هما المياه العذبة أبسو والمياه المالحة تيامات وبتزاوجهما انبثقت الخليقة الآلهة والبشر)[١].

ونستطيع أن نستنتج بوضوح وجود تقبل للفكرة الثنوية في أديان بلاد ما بين النهرين قديماً ، حين يكون مبدأ الكون من إلهين ضدين في صفاتهما فكل موجودات الكون سيكون ضدين بحسب طبيعة الخالقين الأساسيين .

دائماً ما تظهر ملامح المعتقد الديني من خلال قصة خلق الكون، ففيها البدايات التي توضح أسس هذا الدين ومعتقده ، وقد ظهرت النظرة الثنوية لمنشأ الكون واضحة في تقسيم العنصر الأولي إلى ضدين ، فالصورة الأولية أنه واحد صدر منه اثنان ضدان نشأ عنهما الكون ، ومثل تلك التفاصيل ستكرر معنا كثيراً فيما يأتي من ديانات وعقائد، إنه إله واحد يصدر عنه اثنان هما المسئولان عن الخلق والتكوين[٢]. وهذا هو عين المعتقد الثنوي ، التقسيم الضدي الإلهي ومنذ البداية إلى خير وشر، نور وظلام، فوضى ونظام.

---

(١) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٧٠ .

(٢) هذا ما يؤكده النص التالي عن قصة الخلق السومرية خاصة : (تقول أسطورة سومرية قديمة أن نظام العالم الحاضر نشأ في الأصل عن نزاع بين آلهة الشر والفوضى وآلهة الخير والنور والنظام ، جعلوا مردوخ بطل النزاع ضد آلهة الفوضى) تاريخ المعتقدات والأديان . ديانة بلاد ما بين النهرين ، ص٩ .

نصاً آخر يوضح نظرة ثنوية كونية بمفهوم آخر غريب نوعاً ما.

(أما الأرض التي يسكنها البشر فتعد فاصلا بين عالمين متناقضين الأول علوي إلهي مضاء ، والثاني سفلي مظلم شيطاني) [١].

لم يكن عالمنا الأرضي هو عالم الشياطين والشر كالمعتاد ، إنما نحن الحد الفاصل بين الخير والشر، فتكون الأرض ساحة صراع بين العالم العلوي السمائي الخيّر ، وبين العالم السفلي الشيطاني ، وبعد قصة خلق الكون تأتي الأسطورة الأخرى "أسطورة الطوفان" ، ولا شك أن قصة الطوفان بحد ذاتها قصة واقعية حقيقية عرفتها البشرية كإحدى وسائل التطهير الشامل للفساد والقضاء عليه تماماً حتى تكون البداية الصحيحة مرة أخرى [٢]. وقد جاءت قصة الطوفان في القرآن الكريم ، وأنها إحدى معجزات نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ [٣] إنما بأسلوب آخر وأحداث أخرى ، لم يخلو دين من الأديان الوضعية والسماوية من تلكما القصتين " خلق الكون ، قصة الطوفان " لكنها كانت بروايات متعددة وأحداث فرعية متنوعة ، تشابه في الملامح الرئيسة واختلاف في التفاصل الثانوية.

(أن الآلهة خلقت الإنسان منعما سعيدا ، ولكنه أذنب وارتكب الخطايا بإرادته الحرة ، فأرسل عليه طوفان عظيم عقابا له على فعله فأهلك الناس كافـــة ، ولم ينج منه إلا رجل واحد هو تجتوج الحائك) [٤].

ويقوم أحد الآلهة بإبلاغ المسئول عن البشر خفية عن مجمع الآلهة. (وينصحه بصناعة سفينة تنقذه وأهله ومن يحب) [٥].

---

(١) خزعل الماجدي : " متون سومر " ، ص٧٩ .

(٢) كما حدث مع قوم نبي الله لوط ـ علية السلام ـ حين خسف بهم الأرض لتطهيرها مما كان فيها من أمراض وأوبئة نتيجة الرذيلة التي كانوا يمارسوها .

(٣) جاءت قصة نبي الله نوح ـ علية السلام ـ في القرآن الكريم في سورة رقم ٧١ ، وذكرت أحداث القصة في أكثر من موضع مثل الأعراف ، يونس ، هود ، الأنبياء ، المؤمنون ، الشعراء وغيرها . ولقراءة القصة ، كتاب " البداية والنهاية " لابن كثير ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج١ ، ص٢٣٧ .

(٤) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٢ ، ص٣١ .

(٥) خزعل الماجدي : " الدين السومري " ، ص١٢٣ .

الشاهد من القصة أن صاحب السفينة يحكي عن حاله في الأسطورة فيقول: (أدخلت إلى الفلك أسرتي ، وأهل بيت ومواشي الحقل والوحوش وعدد من الصناع المهرة ، ولما أنزل رب الظلمة مطراً غزيراً أغلقت باب الفُلك) [١] .

"أنزل رب الظلمة" فهناك رب للنور في مقابل رب الظلمة هذا ، ومن أسطورتي الخلق والطوفان ننتقل إلى قصص الآلهة ، التي حوت بعض ملامح المعتقد الثنوي .

(الإله آن في العقيدة السومرية إله عالمي مسئول عن البشر أجمعين وعن الأرض والسماء ، وله أبناء شياطين في العالم الأسفل وأبناء ملائكة في السماء) [٢]. هذه صورة من صور التفردية البُروزية التي أشرت إليها سابقاً ، والتي توجد بكثرة في الأديان الوضعية، فهناك إله أعلى وهناك آلهة أخرى سواءً كانوا أبناء أو أعوان ؛ والنظرة الثنوية لما هو عليه الكون من خير وشر يُحتم أن تكون هذه الآلهة على نوعين ضدين ، ملائكة نورانية في السماء وشياطين في العالم السفلي ، وذُكر أيضا عن آلهة العالم السفلي.

(أهمها نركال "ملك العين المظلمة" الذي أصبح ملكا على العالم السفلي [٣].

وقد كان الصراع الأزلي بين قوى النور وقوى الظلمة قائم وموجود في أساطير بلاد ما بين النهرين ، فقد ذُكر وجود ذلك الصراع الثنوي في جيل واحد من الآلهة.

(وجود الإله القمر وإله الظلام في جيل واحد من أبناء أنليل يعني فيما يعنيه الصراع، أو العلاقة بين النور والظلمة) [٤] .

ولأن مجتمع الآلهة هو مجتمع بشري اسري في حياته ، فيه الآباء وفيه الأبناء، الإله أنليل هو أب لأربع مجاميع من الآلهة: (آلهة الفصول ؛ وآلهة العالم الأسفل؛ وآلهة العاصفة ؛ والمجموعة الرابعة تضم الوريث له الإله نانا إله القمر)[٥].

---

(١) تاريخ المعتقدات والأديان . ديانة بلاد ما بين النهرين ، ص٩ .

(٢) خزعل الماجدي : " الدين السومري " ، ص٦٧ .

(٣) خزعل الماجدي : " متون سومر " ، ص ١١٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) خزعل الماجدي : " الدين السومري " ، ص٧٠ .

ففكرة الألوهة الثنوية موجودة في معتقدات بلاد ما بين النهرين منذ البدايات، من العنصرين اللذين خُلقا منهما الكون إلى مجتمع الألوهية بأجياله المختلفة ، وكذلك فكرة التضاد في مهام الآلهة أمراً لابد منه للحفاظ على عملية التوازن في الكون بين الآلهة ، فنجد أنه ظهر في الجيل الواحد من هو مسؤول عن الخير ، ومن هو مسئول الشر ، كما ظهر في الجيل الثاني أيضاً.

(إن التضاد بين النور والظلمة سنلمحه في الجيل الثاني لأنليل، حيث تظهر الشمس والزهرة "النور" وإرشكيكال "الظلام"، بل وحتى في الجيل الثالث الذي تقف على رأسه أنانا توحي بازدواجية النور والظلام في رحلتها بين العالمين العلوي والسفلي)(١).

وأخيراً كان هذا النص الوافي لشرح المعتقد الثنوي في أديان منطقة الهلال الخصيب الذي ذكر: (حافظ العراقيون على ديانتهم السامية البابلية الموروثة والقائمة على عبادة الآلهة الممثلة للكواكب ، وقوى الطبيعة والمنقسمة عموماً إلى ثنائية قوى الخير والنور ، وقوى الشر والظلام . علماً أن هذه الثنائية البابلية هي التي أثرت في الإيرانيين وديانتهم الزرادشتية ، وليس العكس كما توهم عادة المؤرخون) (٢) .

وهذه حقيقة ، فالاعتقاد السائد أن أديان بلاد فارس هي التي صدرت النظرة الثنوية للألوهية لبلاد ما بين النهرين بحكم الجوار ، هو اعتقاد خاطئ ولا يقوم عليه أي دليل ، فلا العقل ولا المنطق يقولان بأن اللاحق يؤثر في السابق ، فقد أثبتت صفحات التاريخ أن حضارة بلاد ما بين النهرين سبقت الحضارات الفارسية القديمة بمراحل فكيف تترك أثرها الثنوي عليها؟

وقد استفدت من النص السابق في إثبات عدة حقائق:

١- بداية المعتقد الثنوي كانت قبل أديان الحضارة الفارسية القديمة بل أقدم من ذلك.

٢- عرفت أديان بلاد الرافدين القديمة النظرة الثنوية للآلهة.

٣- استحالة انتقال ثنوية إيران للعراق ، فلا يمكن أن يؤثر اللاحق بالسابق .

---

(١)خزعل الماجدي : " الدين السومري " ، ص١١٣ .

(٢) من موقع http://www.mesopot.com . مقال بعنوان : " المانوية البابلية .. أساس التصوف العراقي " ، بقلم : سليم مطر . جنيف .

وإذا تجاوزنا تاريخ ما قبل الميلاد نجد أن للثنوية الدينية وجودا أيضاً إنما بتأثير واضح وصريح من إيران هذه المرة ، على يد من اختلف في نسبه ونشأته إن كان عراقي أم إيراني هو ماني بن فاتك نبي المانويين المزعوم ؛ وقد أجمعت المصادر الدينية أن ماني وديانته المانوية هي من جملة أديان فارس الثنوية إلا صاحب المقال التالي [(١)] الذي شذ عن هذا الإجماع وهذه بعض مقتطفات المقال:

- (ولد ماني في إحدى قرى ولاية بابل ، وكان دينه بابليا وثنيا) ، أي ليس فارسياً.
- (وفي سن الشباب أخذ ماني يتنقل في أنحاء الرافدين ، واستقر في بابل).
- (تم اعتباره إيرانياً فارسياً لأنه ظهر في بلاد الرافدين التابعة للإمبراطورية الإيرانية).
- (إن جميع الباحثين يعترفون بأن علاقة المانوية بالزرادشتية ضئيلة جداً).

ولن يكون للتفصيل هنا مكان؛ لكن الغرض من ذكره إثبات وجود المعتقد الثنوي الإلهي في أديان بلاد ما بين النهرين قبل الميلاد وبعد الميلاد.

وقد ذكر كاتب المقال كلامه باعتبار أنها حقائق فقال:

(إن الثنوية التي اعتقدت بها المانوية لم تكن إيرانية ، كما تصور خطأ الكثيرون من المؤرخين بل هي أساس المعتقدات البابلية والسامية ؛ ويكفي معاينة أديان السومريين والساميين لإدراك أن هناك دائماً آلهة للخير والنور بأسماء متنوعة مثل: " تموز وبعل وشمش وإيل ومردوخ وآشور" تقابل آلهة الشر مثل "نرجال وأريشكيجال وايراومروت". وثنائية الخير والشر هذه وجدت تعبيرها في الأديان السامية السماوية من خلال مفهوم الله رمز الخلق والخير والنور، والشيطان رمز الشر والخطيئة والظلام) [(٢)] .

كما ذكرت لم تكن فكرة ثنائية القوى المؤثرة في الكون خاصة ببيئة ما أو من اختراع حضارة بعينها ، فقد نسبها كاتب المقال إلى الأديان السماوية ولم يُخطئ في ذلك؛ فكل الأديان السماوية تعتبر الشيطان عدواً للبشرية ، لكن بدون الندية الإلهية فالأولى حقيقة دينية والندية الثنوية غواية شيطانية اخترعها إبليس ليُضل بها البشر؛ فيُلعنوا

---

(١) من موقع http://www.mesopot.com . مقال بعنوان : " المانوية البابلية ... أساس التصوف العراقي "، بقلم : سليم مطر ، جنيف .

(٢) الموقع السابق .

كما لُعن هو، ويضلوا كما ضلّ من قبل ؛ وقد عُرفت عبادة إله يُمثل الشيطان في حضارات بلاد ما بين النهرين.

(كان من بين آلهتها " أساج " الذي كان يمثل الشر أو الشيطان، فهو يمثل عفريت الأوبئة والأمراض ، وهو من العالم السفلي وعبده السومريون اتقاء شره)[١].

وبالإضافة إلى الملامح الثنوية التي استخلصناها من بين المظاهر الاعتقادية والتعبدية الوثنية ، ذكر صاحب النص التالي في مقاله عن ثنوية ظاهرة تتمثل في آلهة بعينها أنها تمثل الشيطان ، فقال:

(كما كان في الديانة السومرية أيضاً إلهاً آخر يمثل صورة الشيطان الشرير هو "حدد" أو " هدد " الذي كان أيضاً إلهاً للآشوريين ، وهو إله الجو الذي يركب العاصفة وهو يرعد كالثور ممسكاً في يده بشوكة البرق الثلاثية ، وكان موضع توقير وتبجيل على الرغم من أنه كان يجلب الخراب والدمار) [٢].

إذاً، العبادة الثنوية موجودة في كل مكان وزمان وخالطت غالبية الأديان.

---

(١) موقع كابوس : http://www.kabbos.com . مقال بعنوان : " عبدة الشيطان (١) : مدخل تاريخي حول الشيطان و العقائد المرتبطة به " هذا المقال بقلم : عمادthe.black.eye2008@gmail.com . هذه القصة نشرت لأول مرة بالعربية في موقع مملكة الخوف ، بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/٠٢م .

(٢) الموقع السابق .

الخلاصة:

حرصت أشد الحرص على أن أنقل كل ما يقع تحت يدي من نصوص تؤكد ظهور ملامح المعتقد الثنوي لفكرة الآلوهه لدى شعوب بلاد ما بين النهرين ، مهمـا كانت بسيطـة أو ذات دلالة بعيدة . حتى أثبت أن للثنوية الإلهية صور أخرى غير صورة الإلهين الضدين المتعارف عليها في بلاد فارس ، والصعوبة أتت من أن الديـن العراقـي لم يكن قائما على الثنوية الكونية بل على التعددية ؛ وشتان ما بين النظرتين ، فمن إلهين يصدر عنهما كل ما في الكون من خير وشر ، إلى آلهة متعددة يختص كل منها بمهمة ما؛ لكن حتى هذه التعددية كانت قائمة على الثنوية الإلهية ، ففي عالم الآلهة دائمـاً هناك نوعـان من الآلهـة ، في نوعين من العوالم يصدر عنهما نوعين من المؤثرات.

وقد أثبتت لنا النصوص وجـود ملامح ثنويـة في أديـان بـلاد ما بين النهرين. لم تكن الثنوية العراقية إله خير في مقابل إله شر بل هي آلهة النور في مقابل آلهة الظلام. وهناك عالم علوي نوراني وعالم سفلي ظلامي، والأرض بينهما في بعض الأحيان هي مسرح لأحداثهما ؛ فقد استوعبت عقول أصحاب تلك الحضارات وتقبلت فكرة ثنوية آلهة النور وآلهة الظلام ؛ وكذلك العالم العلوي والعالم السفلي. وقد أثبتت المعلومات التاريخية وجود الثنوية في أديان بلاد الرافدين القديمة ، مما يهدم نظرية التأثير الإيراني على المثنوية العراقية، فلا يؤثر الثاني في الأول ، فهذا ضد المنطق.

وما جاء في المقال الأخير كان للفائدة أن الثنوية الإلهية ليس لها وطن، بل هي فِكر وغواية.

المبحث الثاني

الثنوية في أديان بلاد مصر القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد مصر القديمة.**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد مصر القديمة.**

(تمهيد)

مصر هبة النيل هذا ما قاله عنها المؤرخ هيرودوتس[١]، وهو وصف غير صحيح عقائدياً ، فكل ما في الكون هو هبة ربانية ومنحة إلهية سبحانه وتعالى، لكنه يبقى وصف كاتب ومؤرخ أدرك أهمية وجود نهر النيل في أرض الكنانة مصر. فقد كان لمروره بتلك الأرض أثر كبير في عِمارتها وقيام تلك الحضارة بها.

(سبقت مصر غيرها من الأمم في تاريخ العمران البشري ، فقد هيأ لها الله– سبحانه وتعالى– نهراً عظيماً وأرضاً خصبة ، تلك الظروف مكنت بفضل الله الجنس البشري من الاستقرار والتعمير ، فهي تعتبر وبجدارة من البلدان ذات التاريخ السكاني الطويل) [٢].

كما عُرفت أرض مصر بعدة أسماء تداول الناس بعضها ، واسماء أخرى تاهت بين صفحات التاريخ [٣]. وقد درا خلاف حول اسم "مصر" ما إذا كان عربياً، أم لا، والصحيح أنه اسم عربي، وقد جاء في القرآن الكريم خمس مرات [٤] من بينها على سبيل

---

(١) يقال له : هيرودوت أو هيرودوتس هو أعظم وأول المؤرخين اليونانيين ، اسمه مركب من لفظين " هيرا " معبودة اليونانيين المعروفة و" دوت " بمعنى أعطى ، فالاسم يعني " هدية هيرا " أو " عطاء هيرا " المعلومات عن حياته المبكرة قليلة جداً ؛ يقال عاش في القرن الخامس ق . م ؛ ولد حوالي عام ٤٨٤ ق . م ، عاش النصف الأول من حياته في آسيا الصغرى والنصف الأخير في بلاد الإغريق الكبرى . إن الأسلوب الإنشائي الذي كتب به هيرودوت جعله حقاً جديراً باللقب الذي لم ينازعه فيه أحد وهو : " أبو التاريخ " ، سمى كتابه " تمحيص الأخبار " وهو يتناول قصة جميع الأمم التي وصفها كتابه ، وهي تسعة كتب .

أنظر ترجمته في أ . ج . ايفانز : " مذاهب وشخصيات هيرودوت " ، ترجمة : أمين سلامة ، ص٥ ، و " تاريخ هيرودوت " ترجمة عبد الإله الملاح ، ص٢٠ .

(٢) محمد حجازي محمد : " نحو دراسة في جغرافية مصر " ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م ، ص٦٣ .

(٣) ذكر المؤرخون أسماء عديدة لمصر ، يقال إنها أكثر من عشرين اسماً : إجب وتعني فيضان النيل ومنه اشتق اسم "إجيبتو" و "إيجيبت" وهي كلمة أطلقها الإغريق ، "ما صا رع" : وتعني أبناء الإله رع ومنها اشتق اسم مصر ، مصر وهو اسم قديم يعود للقرن الثامن ق . م جاء ذكره في المصادر الآشورية ، وتعني " البلد الكبيرة " .موقع إسلامي حضاري http://islamelhadary.wordpress.com مدونة بعنوان أسماء مصر علي مر التاريخ، ٢٠ فبراير ٢٠١٢م، عهدة صحة هذه الأسماء على كاتبها في المدونة، ولم أجد تأكيدا لصحتها في مصادر أخرى بتصريف.

(٤) القرآن الكريم : البقرة : آية ٦١ ، يونس : آية ٨٧ ، يوسف : آية ٢١و٩٩ ، الزخرف : آية ٥١ .

المثال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[١].

وأما اسم "أرض الكنانة" [٢] يقال إن الصحابي الجليل عمرو بن العاص [٣]، هو الذي أطلقه عليها؛ لأنها محمية بأراضي صحراوية من جانبيها كما يحمي الجراب الأسهم[٤] وقد كان أول والي مسلم يتولى إمارة مصر.

وتقع أرض الكنانة في القارة الأفريقية، وتطل على القارة الآسيوية، تحديداً في الركن الشمالي الغربي من القارة [٥]، وقد أعطاها هذا الموقع أهمية كبيرة لأنه:

(موقع جغرافي متميز بين قارات العالم القديم؛ وأنه لم تطرأ تغيرات جوهرية على حدود الدولة المصرية منذ الدولة القديمة)[٦].

وكذلك تعتبر ملتقى القارتين الآسيوية والإفريقية ولها حدود مشتركة مع معظم دول تلك القارتين. كما تجدر الإشارة هنا إلى أن مصر تميزت عن مدن المنطقة من حولها

---

(١) سورة يوسف : آية ٩٩ .

(٢) الكن : كل شيء وقى شيئا فهو كنُّه وكِنانُه ، وقيل الكِنُّ : وقاء كل شيء وستره ، وجاء في الصحاح : الكنانة التي تُجعل فيها السهام ؛ للمزيد .

أنظر : " كتاب العين للخليل " ، ج٥ ، ص٢٨١ ؛ و " لسان العرب لابن منظور " باب الكاف ، ج٤٤، ص٣٩٤٣ ؛ و " جمهرة اللغة لمحمد بن دريد " ، ج١ ، ص١٦٦ .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل... ابن لؤي بن غالب القرشي السهمي ، يكنى أبو عبد الله وقيل أبا محمد ؛ داهية قريش ، ورجل العالم ، ومن يُضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم ؛ وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين ، أسلم عام خيبر وقيل أسلم عند النجاشي ، ومن ثم هاجر إلى رسول الله . صلى الله علية وسلم . هو وخالد بن الوليد ، له أحاديث ليست كثيرة ، روى عن عائشة . رضي الله عنها . ، حدّث عنه ابنه عبد الله . ومولاه أبو قيس . وعروة بن الزبير وقد سيره عمر في جيش إلى مصر فأفتتحها ولم يزل والياً عليها إلى أن مات عمر ، فأمره عليها عثمان أربع سنين ثم عزله عنها ، كان موته بمصر ليلة عيد الفطر المبارك ودفن بالمقطم .

أنظر ترجمته في : " أسد الغابة في معرفة الصحابة " لابن الأثير ، ج٢ ، ص ١٧١٨، و " الإصابة في تميز الصحابة " للعسقلاني ، ج٧ ، ص٤١٠ " ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ، ج٣ ، ص٢٩٥٥ .

(٤) معلومة وجدتها مكررة في أكثر من مقال لم أعثر على توثيق لها .

(٥) (تقع في الركن الشمالي الغربي من القارة الإفريقية ؛ ولها واجهة أسيوية قوية ، وكذلك واجهة متوسطية) محمد حجازي محمد : " نحو دراسة في جغرافية مصر " ، ص٥ ، بتصريف .

(٦) مرجع سابق ، ص١ .

بوجود اثنين من عجائب الدنيا السبعة القديمة على أرضها [١] وهي: الأهرامات بمنطقة الجيزة، والفنار بالإسكندرية.

لكن الموقع لا ينشئ حضارة من يُنشأ الحضارة هم البشر. وعلى خلاف المعهود عن تاريخ ذلك الزمن السحيق أن الموطن الواحد تتعاقب عليه عدة حضارات وتسكنه شعوب مختلفة ، فمصر سكنها المصريــون فقط، ولم تتوالى عليها شعــوب وأعــراق ولم تُستباح أرضها إلا فيما ندر، وعلى فترات متباعدة جــدا ؛ وتعتبر حضارة وادي النيل من أطول الحضارات في عمر الإنسانية ، فقد أُطلق عليها " أم الحضارات "[٢].

وعن السلالات والأعراق التي تكون منها الشعب المصري قديماً، قيل إنها من المجموعة السامية الحامية [٣].

(أهم ما يميز المصريين أنهم شعب متجانس في خصائصه البنائية والثقافية)[٤].

هذا ما دعاني إلى القول أن من سكن مصر المصريين فقط، بالرغم من تعدد مصادر تغذية مصر بالشرائح السكانية عبر القرون[٥]، وكان هناك اندماج سكاني دائم وبدرجة مكثفة عبر الأزمنة دون انفصال شريحة منها أو انغلاقها على نفسها الأمر الذي ساعد على ضياع السمات الغريبة وبقاء ونقاء الصفات المحلية. وتعتبر اللغــة الهيروغليفيــة[٦]

---

(١) أ . حدائق بابل المعلقة وموقعها الحالي مدينة نينوى بالعراق ، وقد دمرت . ب . الهرم الأكبر بالجيزة . ج . تمثال زوس بأولمبيا باليونان . د . هيكل آرتميس وموقعه مدينة أزمير التركية وقد دمر . هـ . تمثال أبولو رودس وموقعه مدينة رودس اليونان وقد دمر في زلزال . و . ضريح موسولوس والواقع بمدينة بودروم بتركيا وقد دمره الفيضان . ز . منارة الإسكندرية والموجود بمدينة الإسكندرية ودمره زلزال ... من موقع ويكيبيديا ، مقال بعنوان : عجائب الدنيا السبعة ... إلا أن هذه القائمة تغيرت مؤخراً .

(٢) من أقدم الحضارات التي عرفتها البشرية هي الحضارة الفرعونية ، ليس قِدما فقط ، بل أصالة وقوة ونواحي أخرى عديدة ، فلا عجب بعد كل هذا أن يُطلق عليها " أم الحضارات " . فقد بلغت عمراً . لم تبلغه أي حضارة سابقة لها أو لاحقة) مي السديري : " حضارات " ، ص٥٢ .

(٣) عبد العزيز صالح وآخرون : " موسوعة تاريخ مصر عبر العصور . تاريخ مصر القديمة " ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م ، ص٩ .

(٤) محمد حجازي محمد : " نحو دراسة في جغرافية مصر " ، ص٥٦ .

(٥) هم شعب خليط تشكل من جماعات بشرية وفدت من النوبة وليبيا أو من عناصر سامية أو حامية) مي السديري : " حضارات " ، ص٥٣ .

(٦) هي : أسلوب جديد في " الكتابة التصويرية التي فيها الرمز يعبر عن صورة معروفة ، وتتكون الأبجدية الهيروغليفية

من أعقد اللغات التي عرفتها البشرية عبر عصورها المختلفة.

ذكرت المصادر التاريخية أن أول غزو حقيقي منظم تعرضت له مصر كان من قبائل عربية [(١)]سكنت فلسطين عُرفوا باسم " الهكسوس"[(٢)]. كما ذكر مانيتون [(٣)]:

(تقدم في ثقة غزاة من الشرق من جنس غامض لاحتلال أراضينا ، واستطاعوا بسهولة الاستيلاء عليها بقوتهم دون ضربة واحدة ، احرقوا مدننا بغير رأفة ، وهدموا معابد الآلهة ، وعاملوا الأهالي بقسوة) [(٤)].

ويُعتقد أنها عملية الغزو الوحيدة التي تعرضت لها أرض مصر في الزمن السحيق.

من٢٤حرفاً " مي السديري : " حضارات " ، ص٥٢ .

(١)(القبائل الرعوية التي أُطلق عليها اسم الهكسوس ، والتي كانت تسكن فلسطين . وقد ذكرت المصادر . أنه استولى على مصر غزاة من جنس مجهول جاؤوا من الشرق ، فأحرقوا ، وخربوا معابد الإله وعاملوا المصريين بروح عدائية وأخيراً هاجمهم ملوك من طيبة ، واستولوا عليها مرة أخرى).موسوعة تاريخ مصر عبر العصور ، ص١٥٦ .

(٢)الهكسوس : هم جماعة من الآسيويين سامية الأصل تتكون من خليط من العموريين ، والكنعانيين ، وبعض عناصر من الحوريين ، وكلمة هكسوس مصرية تعني ملوك الرعاة ؛ فإن كلمة " هيك " تعني ملك وكلمة " سوس " تعني راعي " ، وقد حكم الهكسوس مصر بعد أن تسللوا إليها خلال فترة طويلة ، ومن ثم تحول التسلل إلى غزو ، ويقال أن وجود الهكسوس في مصر : هو الذي سهل دخول العبرانيين إليها ، فقد كانت لهم صلات عرقية وثقافية " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " للمسيري ، ج ١ ، ص ٣٩١ ، و" تاريخ وحضارة مصر " لسمير أديب ، ص ١٤٢ .

(٣) مانيتون مؤرخ مصري قديم من مدينة سمنود ؛ كان كاهناً في عهد " بطليموس الثاني " كُلف بكتابة تاريخ مصر القديمة حوالي " ٣٠٥ . ٢٨٠ ق . م كان يقرأ الهيروغليفية ، ويعرف اللغة الإغريقية ، ولسوء الحظ فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون أثناء حريق مكتبة الإسكندرية ، ولم يصلنا إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين ، وقد بدا تاريخه بالملك " مينا " مؤسس الأسرة الأول ، للمزيد .

أنظر : " مانيتون أحمس بن ابانا مرنبتاح " ، مقدم للدكتور / عبد الحليم نور الدين ، من الباحث / مهاب درويش ، مكتبة الإسكندرية ، ومواقع إلكترونية أخرى .

(٤) سمير أديب : " تاريخ وحضارة مصر القديمة " ، ١٩٩٧م ، ص١٤٢ .

المطلب الأول: الحالة الدينية في مصر القديمة

من الطبيعي أن يكون الدين وثني في حالة غياب الهدي الرباني سواءً في مصر أو بلاد الرافدين أو في أي من أصقاع المعمورة ، فالوثنية تحل محل التوحيد متى غاب، بأشكال مختلفة وصور متعددة تجمعها رباط مشترك ألا وهو تعدد الألوهة ؛ وإذا أردنا وصف الحالة الدينية المصرية في سطر واحد سأقول:

"اعتقادات شركية ؛ آلهة متعددة ؛ وطقوس وعبادات وثنية "

وقد كان للدين أهمية كبيرة في حياة المصريين القدماء ومازال ، ويعول عليه الكثير من أمورهم الدنيوية ، فقد قيل إن المصريين القدامى كانوا أكثر الناس تقى في عالم ذلك الزمان ، إلا أن دينهم لم يكن دين الحق بل كانوا مشركين[١]؛ وذلك على العكس من جيرانهم الذي كان يشغل الدين حيزاً ثانوياً في حياتهم.

(فقد عُرف عنهم اهتمامهم بأمور العقيدة، مما جعلهم دائماً يحملون سمات الأمة فائقة التدين)[٢].

وإن أردنا التعرف على ملامح الدين لدى المصريين، نجد أن صاحب قصة الحضارة قد ذكرها[٣] في بضع أسطر، شرح فيها غالبية إن لم يكن كل المعتقدات التي عرفها المصريون القدماء ، فنجده محيطاً لكل مناحي الحياة؛ وبكل شكل من أشكاله من أحقرها إلى أدناها، من الطوطم [٤] إلى علم اللاهوت.

---

(١) من موقع http://www.leqatar.qa . بعنوان : حقائق وأسرار حضارة الفراعنة . بقلم : حسام ، بتاريخ ٠٣/٠٩/٢٠٠٧م .

(٢) والاس بدج : " آلهة المصريين " ، ترجمة : محمد حسين يونس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ ، ص٢٤-٢٥ بتصريف .

(٣) ول ديورانت : "قصة الحضارة " ج٢ ، ص١٥٥ . ١٥٦ .

(٤) هو : الرباط الذي يربط أفراد العشيرة الواحدة بعضهم ببعض ، ويكون شعاراً لهم ، ويقال : أنه وحدة اللقب المشترك بين أفراد العشيرة ، وهو في الغالب مشتق من اسم حيوان أو نبات ، وتعتقد العشيرة أن لهذا الاسم صلة قديمة حيوية، أو روحية لجدها الأعلى ، " كان حارساً له ، أو حليفاً ينصره " ولذلك تعظمه وترسم صورته على مساكنها، وينسبون له خصائص عجيبة ، مثل أنه ينصرها في الحرب ، وقد اختلفت الدراسات التي تناولت موضوع الطوطم

وتعود كثرة الآلهة في الديانة الفرعونية القديمة إلى أن المصريين لم يعبدوا مصدر الحياة فحسب ، بل عبدوا كل صورة من صور الحياة. وأكثر ما تركه المصريون خلفهم من آثار كانت دينية في المقام الأول.

(إن حضارة مصر تفصح بشكل جلي عن مقدار اهتمام المصريين بدياناتهم وتعلقهم بها ، فقد كانت أبرز نواحي الحضارة هي الناحية الدينية ؛ وقد لا نكون مغاليين إذا قررنا أن تسعة أعشار ما حفظته لنا الأيام من النقوش المصرية موقوف على أغراض دينية محضة ؛ فتاريخ مصر هو تاريخ تطور الدين وتطور العقائد وتطور العبادات) [١].

أنواع العبادات المصرية القديمة:

من طول عمر الحضارة وغزارة التراث ، يتضح لنا أنه عُرف في مصر شتى أنواع الوثنيات التعبدية ؛ فقد عرفت التفرد "التوحيد"، كما فرقوا بين نوعين من الآلهة بثنوية؛ وعبدوا ثالوث عائلي ، وكان لهم تاسوع إلهي مميز بإختصار كل أشكال الوثنية.

سأحاول إجمال أنواع عبادات المصريين في نقاط ومن ثم التفصيل فيها بإيجاز:

١- عبادة الحيوانات.

٢- عبادة الطبيعة.

٣- عبادة الملوك.

٤- عبادة الآلهة.

إن التباحث في كل نوعاً منها يحتاج إلى دراسة منفصلة، لا مجال لذكرها هنا، إلا أن ذكر بعض التفاصيل قد يساعد في توضيح ما يليها من مظاهر ثنوية إلهية فيها.

هذا ما بين المكانة التي وصل إليها ما بين علو مكانة وأهمية دنيوية ، وما بين تقديس وعبادة دينية ؛ كتاب الدين لدراز ، ص١٥١ ، وكتاب العقيدة الدينية نشأتها وتطورها لفرج عبد الله ، ج١٤ ، ص٦٦ .

(١) محمد الخطيب : " ديانة مصر الفرعونية " ، دار علاء الدين ، ط٢ ، ٢٠٠٧م ، ص٧ .

أولاً: عبادة الحيوانات

احتلت عبادة وتقديس الحيوانات مكانة هامة في المظاهر التعبدية المصرية القديمة؛ فضلاً عن أنها من أول ما سُجل من عبادات.

(عبادة الحيوان جزء أساسي من الديانة المصرية، وتعد عبادة العجل أبيس في منف من أقدم عبادات الحيوانات في مصر) [(١)]. وقد اختلف المؤرخون في تحديد سبب عبادة الحيوانات وتقديسها في الديانة الفرعونية إلى عدة أسباب ؛ منهم من قال بقايا اعتقادات طوطمية قديمة في اتخاذ شعار ما للتميز وخاصة في الحروب ، ومن ثم تحول هذا التميز إلى تقديس ؛ ومنهم من قال إنه كان لديهم اعتقاد بأن الإله قد اختار هذا الحيوان بعينه حتى يتجسد به[(٢)]، ومما يُعزز هذا السبب ويقويه ما ذُكر في كتاب "دراسات في الديانة الوثنية القديمة" [(٣)]، وفي هذا الشأن بمعنى أن تقديس المصريين للحيوانات ليس هو تقديس لكل أفراد هذا النوع من الحيوانات ، بل يتم اختيار فرد واحد منها يُعتقد أنه قد حل فيه جزء الإله لتقديس وعبادته.

ثانياً: عبادة الطبيعة

لاحظ المصريون كما لاحظ غيرهم من الشعوب القديمة مظاهر الطبيعة من حولهم ؛ لمسوا تأثيرها فعبدوها ؛ فقد كانت تلك المظاهر من أقوى المؤثرات على حواس الإنسان ؛ سواءً كانت سمائية أو أرضية ، فكان ذلك المظهر الثاني من مظاهر العبادة.

(كان لإيمان المصري بوجود القوة الخفية في الطبيعة أن بدأ بخلق وسيلة للتواصل مع هذه القوة ، فكان أن قدَّر قيمة تلك الظواهر، فتقرب إلى السماء والشمس ، وهي من الظواهر الكونية التي تحمل الخير له ؛ وفى الوقت ذاته تقرب من ظواهر أخرى تحمل

---

(١) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٧٢ .

(٢) (اعتقد عبّاد هذه الحيوانات أنها تحوي شيئاً إلهياً في نفسها ، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يُجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوانات ترمز بعض صفاتها إلى ما لهذا الإله من صفات) أدولف إرمان : " ديانة مصر القديمة " ترجمة : عبد المنعم أبي بكر ، ومحمد شكري ، مكتبة مدبولي ، ط١، ١٤١٥هـ ، ص٢٤ .

(٣) أحمد عجيبة : " دراسات في الديانة الوثنية القديمة " ، ص٩٠ .

مخاوف وأضراراً له مثل الرعد والبرق ، وذلك أملاً في دفع هذا الضر)[١].

ومن أشهر ما عبد المصريين من مظاهر الطبيعة كانت الشمس وأطلقوا عليه اسم "الإله رع " بل كان له ثلاث صور للآلهة[٢]. كما عبد المصريون القمر وأيضاً تمتع بمكانة كبيرة، باختصار عُبد كل ما في السماء من نجوم وكواكب وجسدوها في الآلهة.

ثالثاً: عبادة الملوك

تُعد عبادة الملوك في مصر من أشهر مظاهر العبادة على الإطلاق ؛ فقد وصفت الديانة المصرية أنها ديانة ملكية في معظم كتب التاريخ الديني.

(الديانة الرسمية للدولة ديانة ملكية أرستقراطية ، فالملك هو الذي يستطيع أن يرى الإله ويتحدث إليه ، ويقوم على خدمته وعبادته ؛ لأنه يعتبر من صلب الإله فهو ابنه ونائبه الذي يعبر عن مشيئته أي أن المشيئة الملكية صارت هي المشيئة الإلهية) [٣]

وقد عُبد الملوك لإعطاء صفة القدسية لأوامرهم وضمان عدم التمرد من قبل أحد أفراد الشعب ، فمن يتجرأ على الملك فقد تجرأ على الإله ، وهذا جُرم تصل فيه العقوبة حد الموت. ويقال إن عبادة الملوك بدأت من دعوة الملك مينا الأول حين دعا إلى عبادته هو وحده دون سواه فكان ملكاً إلهاً.

وقد ذكر التاريخ – أنا اعتبرها تجاوزاً – أنه أول من دعا بالتوحيد الإلهي في مصر، وقد انتهت دعوت الملك مينا بموته ، وعادت مظاهر التعددية تطغى من جديد. ولنا في قصة نبي الله موسى مع فرعون التي دارت أحداثها على ارض مصر دليل مؤكد على عبادة الملوك وأنهم آلهة أو أبناء آلهة.

---

(١) موقع http://www.bibalex.com . موضوع: " نشأة الفكر الديني في مصر القديمة " بتصريف .

(٢)(إن المصري ميز بين شمس الصباح " خبر " وشمس الظهر " رع " وشمس الغروب " آتوم " وزاد المصري على ما تقدم صوراً أخرى للشمس ، فتخيلها على هيئة صقر) أدولف إرمان : " ديانة مصر القديمة " ، ص٣٦.

(٣) محمد الخطيب : " ديانة مصر الفرعونية " ، ص٨ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾ ﴾[1] . وكانت تلك صورة من صور العبادة الفرعونية لإله مرئي مجسد؛ كما أننا نستطيع أن نعتبرها بواكير معتقد الحلولية الإلهية [2].

رابعاً: عبادة الآلهة

عرف المصريون القدماء عقيدة الآلهة التعددية ؛ فقد كانت هناك مجاميع للآلهة بعضها ثنوي ، وبعضها ثالوث ، وظهر أيضاً التاسوع الإلهي.

(تصور المصريون آلهتهم على شاكلتهم عاشوا على الأرض ، وتعرضوا لما تتعرض له الحياة الانسانية من أفراح والآم ، واعتراهم ما يعتري الإنسان من ضعف وموت، وكان لهم غرائز وشهوات) [3].

ودائماً ما تحتل آلهة الخلق مكانة الصدارة في الديانات الوثنية ؛ وقد كانت آلهة الخلق المصرية تاسوعاً إلهياً.

(إن آتوم خرج من عماء المياه المسمى نون ، وأنجب بغير زواج الإله شو إله الهواء والآلهة تف نوت إلهة الرطوبة – اللذان أنجبا جب إله الأرض ونوت إلهة السماء– أما أبناء الإلهة نوت والإله جب هما أوزوريس وإيزيس ، وست ونفتيس) [4].

لماذا الواحد الخالق يخلق اثنان فقط؟!! ما الذي يجعله يتوقف عن إكمال الخلق؟!! أليس الذي يملك القدرة على خلق نفسه من العدم وخلق اثنين من لا شيء يستطيع أن يخلق باقي الكون ، دائماً ما يتكرر هذا المشهد في الديانات الوثنية الوضعية بل وحتى الفلسفية ، كان هناك واحد صدر عنه اثنان ، ومن ثم تختلف التفاصيل بعد ذلك،

---

(١) سورة القصص : آية ٣٨ .

(٢) هي باختصار فلسفة القائلين بحلول جزء من الله أو روح الله في أشخاص حسية موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج١، ص٥٤٦ .

(٣) ول ديورانت : " قصة الحضارات " ، ج٢ ، ص٣٨ .

(٤) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٦٧ .

فحين يُسألون عن آتوم[١]، هذا الذي ظهر من العماء ، ويقال إن حروف اسمه تعني الذي خلق نفسه بنفسه .

أما إسطورة الخلق الثانية فهي ذات سياق مختلف .

(الإله بتاح أو " لاهوت منفيس " بتاح هو الخالق لمدينة منف؛ تذكر- الأسطورة- إن خلق العالم خطط له عقل الإله ، وكانت وسيلة التنفيذ كلمة نطق بها ؛ قيل إن بتاح خلق من نفسه ثمانية آلهة أخرى) [٢].

نلمح بين السطور أمر حق أريد به باطل "وكانت وسيلة التنفيذ كلمة نطق بها" هل عرفوا سر الكلمة الخالقة؟!! من اين أتت إليهم تلك المعلومة ؟!! أيكون ذلك من بقايا ديانات سماوية ودعوات نبوية شهدتها المنطقة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[٣].

مظاهر توحيدية في مصر:

لم تستطع كل مظاهر الاعتقادات الوثنية أن تمحو الفطرة الدينية في نفوس المصريين القدماء ؛ فقد ظهرت من بين ثالوث وتاسوع ملامح أو لنقل بقايا فطرة دينية حقه؛ فقد آمن المصريين القدماء بعقيدة الإله الأكبر أو الإله الأوحد المتفرد بذاته.

(كان هناك وحدانية بدائية وحجة ذلك أن لقب "ور" ومعناه الواحد العظيم قد لقب به بعض الآلهة) [٤] .

ولست أستبعد وجود مثل تلك البقايا التي تُعد من نوع ما جاء به الأنبياء، كان أولها دعوة الملك مينا إلى عبادته وحده؛ وثانيها معرفة الكلمة الخالقة في قصة التكوين. وأعتقد أن لِلمحات الحق تلك سبب غير الفطرة ؛ فالفطرة قد تدل على

---

(١) " الحروف الأصلية في كلمة أتوم تعني الإله الذي أتم نفسه بنفسه ، أي أنه خلق نفسه أولاً ، ومن صفاته ، ذلك الذي جاء للوجود من تلقاء ذاته " كما قيل: " ذهب المصريين إلى أن آتوم الذي يعني اسمه " الواحد الكامل " ظهر إلى الوجود بأن أوجد ذاته" جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ص٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) سورة يس : آية ٨٢ .

(٤) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، مرجع سابق ، ص٧٤ .

الواحــد، لكن لا تدل على الكلمة الخالقة ، فأرض مصر أرض الرسالات منذ الأذل؛ فقد شهدت مولد عدد من دعوات أنبياء ربنا بالحق؛ وتلك الملامح ما هي إلا إرهاصات لتلك الدعوات، التي لابد أن تكون قد تركت أثر ولو طفيف يتداوله الناس.

أسماء أشهر الآلهة المصرية:

من أشهر الآلهة التي عُبدت في بلاد وادي النيل[١]، ما يلي:

- رع : إله هليوبوليس [٢] إله الشمس، ومن ثم توحد مع الإله آتوم في صيغة واحدة فأصبح " آتوم . راع ".
- بتاح : إله الخلق في منف ، وهو على صورة بشرية خالصة يعتبر خالق كل شيء من آلهة وبشر.
- آمون : إله طيبة هو إله الإمبراطورية الجديدة ، وله عدة ألقاب، "ملك الآلهة، الإله العظيم" .
- أوزوريس : إله الموتى ، ويتولى محكمة الحساب بعد البعث، ويعتبر محور الديانة المصرية ، وهو المسئول عن الحياة والموت.
- حوريس : الابن الذي انتقم لمقتل أبيه على يد عمه سيت، وانتصر عليه، وصاحب أشهر عقيدة ثنوية في مصر.
- سيت : إله الشر وقاتل أخيه ، ويعتبر العدو الأكبر لحوريس، وأصبح طرف الصراع بين الخير والشر.

النبوة على أرض مصر القديمة:

ذكر ربنا- تبارك وتعالى- في كتابه العزيز أنه ما من أمة على الأرض إلا وأُرسل إليها رسولا بشريعة ، وعدم علمنا بهم لا يعني عدم وجودهم ، وقد ذكرت آيات القرآن

---

(١) المعلومات الواردة عن الآلهة ، هي : من عدة مصادر " المعتقدات الدينية لجفري بارندر ، وقصة الديانات لسليمان مظهر ، وديانة مصر الفرعونية لأدولف إرمان ، وقصة الحضارات ول ديورانت ، بتصريف .

(٢) هي : المنطقة التي تتوسط وادي النيل ، والذي تشغله الآن مدينة القاهرة ، وكانت في السابق عاصمة البلاد منف " ديانة مصر القديمة لأدولف إرمان " ، ص٤٦ .

الكريم ما يدل على الأمرين معاً تأكيد إرسال الأنبياء إلى أمم الأرض قاطبة وجهلنا ببعض منهم ثانياً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[2] .

النبوات على أرض مصر لم تكن ضمن القصص التي لم يقصها الله علينا، بل كان لمصر شرف ما بعده شرف يُحق لها أن تفخر به إن أرادت أن تفخر، فهي أرض الرسالات ، فقد أثبت لنا التاريخ أن أول نبي كان على أرض مصر ، وهو نبي الله إدريس بن شيت بن آدم- عليهم السلام جميعاً-، فهو ثالث ذرية آدم عليه السلام [3]. وقد عرف باسم خنوخ .

(خنوخ هو إدريس النبي ، فكان أول بني آدم ، أُعطي النبوة ، وخط بالقلم؛ وحكماء اليونان يسمونه هرمس الحكيم) [4] .

هذا ما أشرت إليه سابقاً من أن دعوة التوحيد الزائفة التي دعا إليها الملك الفرعوني مينا ما هي إلا نتيجة لوجود أثر من الأساس التوحيدية في العقيدة؛ لقد دخلت مصر في دين الله وعرفت التوحيد الحق الموحى به من الله سبحانه وتعالى وليس توحيداً بشريا وضعياً. ولم تكن دعوة أول الأنبياء إدريس- عليه السلام- فقط ؛ بل توالت الرسالات الربانية وتتابعت النبوات ، وبوصول خليل الله إبراهيم- عليه السلام- وزوجته سارة

---

(١) سورة فاطر : آية ٢٤ .

(٢) سورة النساء : آية ١٦٤ .

(٣) (إدريس ـ عليه السلام ـ قد أثنى الله عليه ، ووصفه بالنبوة والصديقية ، وهو خنوخ هذا ، وهو في عمود نسب رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان أول بني آدم ، أُعطي النبوة بعد آدم ، وشيث ـ عليهما السلام ـ) ابن كثير البداية والنهاية ج١ ، ص٢٣٤ ، كما ذكر ابن كثير في بدايته ، ج١، ص٢٣٦ ، " زعم بعضهم أن إدريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل " ، وذكر روايتين عن ابن مسعود ، قال عنها البخاري : أن إسنادها حسن ؛ والرواية الأخرى لابن عباس . قال عنها : إسناده ضعيف .

(٤) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، ص٢٧ .

إلى أرض مصر [١] ؛ ومن ثم أيضاً دخول نبي الله يوسف الصديق- عليه السلام- [٢]، تلاه مولد موسى وهارون- عليهما السلام- على أرض مصر أيضاً [٣].

ومن بعد موسى كان لنبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ وأمه الصديقة وجود فترة من الزمن بأرض الكنانة [٤]. ومن ثم دخلها الإسلام أول مرة برسالة النبي محمد- صلَ الله عليه وسلم- التي بعث بها إلى ملك [٥] مصر آنذاك ، حتى فتحها جيش الفاروق بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص.

---

(١) كان لإبراهيم وزوجته سارة ـ علية السلام ـ قصة مع فرعون مصر وقتها ، انتهت بأن أهدى الملك لسارة جارية فوهبتها لإبراهيم ، وهي من أنجبت له نبي الله إسماعيل الذي من نسله خاتم الأنبياء محمد ـ عليهم صلوات الله وسلامه جميعاً ـ للمزيد من تفاصيل القصة .

أنظر : " الكامل في التاريخ " لابن الأثير ، ص٤٠ ، و " البداية والنهاية " لابن كثير ، ج١ ، ص٣٤٦ .

(٢) من أعظم القصص الإنسانية في حياة البشرية بأكملها هي قصة يوسف ـ عليه السلام ـ فهي للمتأمل قصة مليئة بالعظات والعبر ، جاءت في القرآن الكريم في سورة كاملة باسمه ورقمها ١٢ .

(٣) وتعد قصتهما من أكثر القصص أحداثاً وتشعبا ومن أكثرها تكراراً كذلك في كتاب الله قيل إنما وردت في خمسين سورة من كتاب الله وأطول السور التي وردت فيها هي : سورة القصص من آية ٣ـ٧٦ .

(٤) إن مريم حملت المسيح إلى مصر بعد ولادته بسبب الخوف من ملك بني إسرائيل ، فساروا إلى مصر وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة ؛ ثم عادوا إلى الشام ، للمزيد من تفاصيل القصة .

أنظر : " الكامل في التاريخ " لابن الأثير ، ج ١ ، ص١١١ .

(٥) يقال له المقوقس ، وقد قبل كتاب النبي الذي بعثه إليه وأهدى إليه المقوقس مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ـ صلى الله علية وسلم ـ ولمزيد من التفاصيل انظر " الكامل في التاريخ لابن الأثير " ، ج١ ، ص٣٢٦ .

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان مصر القديمة

لم يكن للعبادة الثنوية في مصر وجود يُذكر ، ولكن الفكرة الثنوية للألوهة كانت موجودة ، وهناك فرق بين الوجودين!!

فعبادة الأصلين خاصة لم يُمارسها المصريون القدماء ، لكنهم قسموا الآلهة إلى قسمين آلهة نافعة وآلهة ضارة ، بحسب تأثيرها في أحداث الكون ، فكانت تُعبد الضارة ليُتقى شرها، وإن كان ذلك يُعد مظهر من مظاهر العبادة الثنوية.

لكن ما أقصده أنه لم يكن للمعتقد الثنوي دور بارز من بين مظاهر العبادة الأخرى، فقد كان يُشار إليها ضمن الطقوس والعبادات إجمالاً وليست منفردة، لكني استطعت استنباطها من خلال المظاهر التعبدية التالية مؤكدة بنصوص.

الطوطمية "عبادة الأرواح":

هي البداية الفعلية لفكرة الثنوية في مصر القديمة .

(الأرواح التي كانت باغية أو غير صديقة والتي اعتبرها المصريون أرواحا شريرة ، وعبروا عنها بحيوانات شريرة أو زواحف) [١]. وذكر النص الأرواح الباغية أو غير الصديقة وبالمقابل لابد أن يكون هناك أرواح ضدها خيرة طيبة ، ومما يؤكد ذلك هي الصلوات التي كانت تقام لإتقاء شره.

(من برديات محفوظة في المتحف البريطاني أنهم كانوا يؤدون في مصر العليا صلوات خاصة تهدف إلى تدميرها) [٢].

الإله أبيب:

الثعبان الذي وجد على جدران المعابد عُرف أنه رمز الشر.

("أبوفيس، أبيب، أبيبي، آبيب" الأفعى الشريرة في الميثولوجيا المصرية القديمة ، وتعتبر رمز

---

(١) والاس بدج : " آلهة المصريين " ، ص٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٠٨ .

الشر ، وبذلك فهي عدو "رمزي الخير "رع وماعت"، ويجسد أبو فيس كل شر) [١].

وقد وصف بأنه ثعبان ضخم له حجم هائل، ويلتف حول نفسه عدد من المرات، وقد صرّح النص التالي أنه إله الشيطان.

(آلهة الشر عندهم " أبيب " الذي كانوا يرسمونه في صورة حية ملتوية تحمل في كل طية من جسمها مدية ؛ فلا يزال إله الشمس رع في حرب معها ، ومع شياطينها السود والحمر إلى أن يهزمها فهو يمثل آلهة الشر)[٢].

التاسوع الإلهي:

من أكثر ما اشتهرت به الديانة الفرعونية القديمة هو هذا التاسوع الإلهي، وهو يتكون من أربعة أزواج من الآلهة يرأسهم الإله الأعلى .

(كان البوت الأقدم يتكون من أربعة أزواج من الآلهة التي تم نسيانها، والتي أصبحت تمثل أفكار وعقائد اندثرت منذ أمد بعيد) [٣].

ويتكون هذا المجمع من: أقدم مجمع للآلهة يتكون من "نوت ونو" و "حيحوت وحيحو" و "كيكويت وكيكوى" و كيرهيت وكيره" [٤].

والشاهد هو ما ذُكر عن الزوج الثالث فقد قيل: (الزوج من الآلهة هو " كيكوى وكيكويت"، ويمكن التأكيد على أن هذين الربين يمثلان ذكر وأنثى قوى الظلام) [٥]. أي أن هناك من يمثل قوى الظلام في التاسوع الإلهي المصري القديم، وقد اندثر هذا ولم يعد له وجود وظهر تاسوعاً آخر الجديد.

---

(١) موقع ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org . مقال بعنوان : " أبو فيس " ، لم يذكر اسم هذا الإله في المراجع العديدة التي بحثت فيها ، قد يكون موجود لكن باسم آخر فلم أستطع تجاهل المعلومة .

(٢) موقع كابوس http://www.kabbos.com . مقال بعنوان : " عبدة الشيطان ١ " ، فقرة " الحضارة الفرعونية " بتصريف .

(٣) والاس بدج : " آلهة المصريين " ، ص٣٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص٣٢٤ بتصريف .

(٥) المرجع السابق ، ص٣٢٦،٣٢٧ .

الإله سيت:

الذي يمثل أشهر أسطورة عن الثنوية في مصر القديمة ، فقد ذُكر أنه يوجد لديهم إله للشر صراحة ؛ سيت هو رمز آلهة الشر عند المصريين ؛ وظهر كقائد للشر ضد أخيه بطل الخير حورس في أشهر ملحمة مصرية " إيزيس أوزوريس وحورس"، وقد كان لهذه العائلة الإلهية قصة طويلة ، وأحداث متشابكة عن صراع الخير والشر في العالمين الأرضي والسفلي "ما تحت الأرض".

وإن كان الصراع انتهى إلى القوتين اللتين تمثلان الخير والشر "حورس وسيت" إلا أنه ابتدأ قبل ذلك ؛ ويعد أوزوريس البطل الأول في قصة الصراع بين الخير والشر.

(قصة ملك طيب قتله أخوه الشرير، فأحضرت زوجته جثته ونجحت في أن ترد له الحياة ، ثم عكفت على تربية ابنه حتى إذا ما صلب عوده انتصر على قاتل أبيه) [(١)].
كانا أخوين أحدهما طيب والأخر شرير؛ تحايل الشرير على الطيب فقتله.

(كان أوزير إله النيل المبارك ؛ ومن ثم غضب ست إله الجفاف الخبيث من أوزير؛ لأنه يزيد بفيضه من خصوبة الأرض فقتله ، هذه أسطورة ذات معنى عميق بأن التاريخ ثنائي، فهو سجل النزاع بين الخلق والدمار ، وبين الخصب والجفاف ، وبين الخير والشر ، وبين الحياة والموت) [(٢)] .

وقد جاء في أحداث الأسطورة الدور الهام الذي لعبته الزوجة أوزيريس حين بحثت عن زوجها طويلاً حتى وجدته مقتولاً ، ومن ثم تحايلت على الموت بما تعرفه من طقوس سحرية حتى تُعيد له الحياة ؛ وبالفعل عاد وأنجبت منه "حورس" الذي أصبح إله الخير بعد ذلك ؛ عكفت الأم على تربية طفلها وتعليمه فنون القتال لينتصر على عمه إله الشر "سيت" كبر الطفل واشتد عوده ، ودخل في صراع مع عمه،

---

(١) أدولف إرمان : " ديانة مصر القديمة " ، ص١١١ بتصريف .

(٢) ول ديورانت : " كتاب قصة الحضارات " ، ج٢ ، ص١٥٩ .

فكانت بداية الصراع بين قوى الخير وقوى الشر، والتي عادة ما تكون سِجال حتى ينتصر إلــه الخير في النهاية. وبالفعل انتصر الإله حورس على عمه سيت ، وحُكم عليه بأنه قوى الشر الباغية ، وسُلب منه التاج الذي استولى عليه بعد أن قتل أخوه، قد تكون الأحداث غير منطقية إذا نظرنا لها بالمنطق العقلي ، لكن للأساطير منطق خاص بعيداً تماماً عن أي عقل.

وقد احتلت قصة الصراع الضدي بين حورس وسيت مكانة كبيرة في الديانة المصرية القديمة حتى أنها تحولت من أسطورة إلى عقيدة دينية ، فلا يُتخيل التاريخ الديني المصري القديم بدون تلك الملحمة ، وقد وصفت أحداثها بألفاظ أخرى تناسب موضوعنا الثنوي الإلهي فقيل :

(أسطورة " حورس وست " أو " الصراع بين حور وست" ، اقترنت هذه الأسطورة بالصراع الأزلي بين الخير والشر؛ فكلا المعبودين كانـــا بمثابـــة شريكين متساويين، أو خصمين متكافئين ؛ يتنافسان ، كان "حورس" يجسد الشرعية ، أما "ست" فهو يرمز للفوضى ، وعدم الشرعية ، ويبدو أن الصراع بين حور وست كان صراعاً حتمياً حتى يتم الحفاظ على توازن القوى في الكون) [(١)].

صحيح أن الإقتباس غير علمي فهو من موقع إلكتروني حديث ، إلا أنه وصف ذلك الصراع الدرامي بواقعية مناسبة لطبيعة العلاقة الأزلية بين قوى الخير وقوى الشر، فقد وضع كاتب النص القوتين في مقابل بعضهما البعض بشكل متساوٍ في القوى ومضاد في الأثر، وهذا ما تتصف به أي قوتين ثنويتين يكون لهمـــا الكلمـــة العليـــا في الكون في أي دين من الأديان الوضعية.

كما جاء في نص آخر: (مع حورس اندلعت الحرب ضد ست ، والمخطوطات تمتلئ بالإشارات للنصر المظفر الذي حققه إله النور ضد أمير الظلمات وشياطينه) [(٢)].

---

(١) من موقع بيبالكس http://www.bibalex.com . موضوع بعنوان : " تاريخ وآثار وحضارة مصر القديمة، أسطورة الصراع بين " حورس " و " ست " بتصريف .

(٢) والاس بدج : " آلهة المصريين " ، ص٥٦٨ .

ولقد كان للإله حورس صور عديدة في النقوش الأثرية القديمة المصرية.

(لكن الأشكال التي لاقت استحسان أكثر لدى المصريين كانت تلك التي يقاتل فيها كرب للنور ضد ست إله الظلمات ، أو تلك التي يصور فيها كإله للخير ضد إله الشر)[١]. فالفكرة الثنوية الكونية موجودة في قصص التاريخ الديني المصري؛ والصراع الأزلي بين قوى الخير والشر أيضاً موجود ، وقصة حورس وسيت أظهر مظاهرها.

وقد قيل عن هذه القصة أنها الأشهر في الصراع الأزلي بين قوى الخير وقوى الشر

(أشهر من مثّل الشر أو الشيطان في حضارة الفراعنة هو الإله "ست" الشرير الذي قتل شقيقه "أوزوريس" إله الخير والمحبة الذي أحبه الناس ، وكان "ست" يعد إله الأرواح الخبيثة ، كان المسئول عن كل الشرور التي تصيب أرض مصر وشعبها هو الذي أيبس الزرع بأنفاسه المحرقة) [٢].

ولم تكن قصة حورس وسيت وثنائية الخير والشر تلك من تأثير العقيدة الثنوية الإيرانية هذا أكيد ؛ فقد كانت سابقة في عمر الزمن على الثنوية الإيرانية. ولا يوجد دليل يؤكد وجود تأثير العقيدة الثنوية الفارسية على ثنوية الخير والشر المصرية؛ على الرغم من أن التاريخ أثبت أن ماني نبي المانويين قد ظهر في مصر، ووجدت بعض من رسائله التي كان يبشر فيها بفكره ، إلا أن التاريخ الفرعوني وملحمة "حورس وسيت" هي ذات تاريخ أبعد من ماني وقد تكون أقدم من زرادشت نفسه ، فالأسطورة السابقة خير دليل على أن التصوير الثنوي للصراع في الكون ليس ابن بيئة معينة في قانون الطبيعة الذي أحسن الشيطان استغلاله.

(الأسطورة السابقة تعتبر ذات أهمية كبيرة فمكوناتها مستقاه من أسطورة الطبيعة التي كانت منتشرة في العصور المبكرة، والخاصة بصراع الضوء والظلام ؛ ففي الأسطورة الأصلية للصراع بين رع وأبيب أو حورس وست) [٣].

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٧٢ .

(٢) من موقع كابوس http://www.kabbos.com . مقال بعنوان : " عبدة الشيطان ١ " ، مدخل تاريخي حول الشيطان والعقائد المرتبطة به .

(٣) والاس بدج : " آلهة المصريين " ، ص٥٨١ .

الخلاصة:

لقد حمد التاريخ للمصريين القدماء ذلك الكم الهائل من النقوش الأثرية التي اعتبرت بمثابة الصندوق الأسود للحضارة المصرية ؛ واعتبر كنز المصريين الدفين ؛ ففيها قصص حياتهم اليومية وأحداثهم السياسية ، وصراعاتهم الإلهية بتفاصيلها الدقيقة، وقد كان للحالة الدينية النصيب الأكبر والأوفر من تلك المعلومات.

وكان للدين أهمية كبيرة عند المصريين ؛ وموجود في كافة تفاصيل حياتهم اليومية حتى السياسية منها ، وقد لا تختلف الملامح العامة للدين المصري القديم عن ملامح الدين الوضعي القديم في أي مكان ، فيصح أن يقال أنه دين "المعتقد التعددي التفردي".

لم يبقى في التاريخ المصري الديني نوع من أنواع من العقائد والعبادات إلا وعُرف فيها ، بدأ من الطوطمية وعبادة الأرواح مروراً بعبادة الحيوانات وصولاً إلى مظاهر الطبيعة كما عبد المصريون ملوكهم وخير دليل على ذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر، وفيما يختص بصفات الآلهة فقد ألّه المصريون الطبيعة وانسنو الآلهة من خلال وجود إله لكل مظهر من مظاهرها وهو المسئول عنها ؛ أُعطي الصفات البشرية الكاملة للآلهة ما عدا الموت والفناء ، فقد كانت ذات حياة سرمدية لا تموت .

ولم تكن ديانة مصر ديانة ثنوية أصلية ، فقد قامت على التعددية في كافة مراحلها، لكن هذا لا يمنع ظهور الفكرة الثنوية في الآلهة الضدية ، فكان هناك آلهة للخير وأخرى للشر، وخير من يمثل ذلك كانت أسطورة "حورس وسيت" اللذين يمثلان طرفي الصراع المتناقضين قوى الخير والشر .

ولم يكن الدين في مصر القديمة وثني فقط ، فقد كان لديهم أيضاً آثار رسل وأنبياء حق من لدن رب العالمين ، فقد شهدت أرض مصر أكثر من رسالة سماوية بدءاً من إدريس، وإبراهيم ، وأعقبهم يوسف وإخوته ، ومن ثم موسى وهارون ، وأخيراً نبي الله عيسى- عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام- حتى دخلها الإسلام في عهد الفاروق عمر بن الخطاب وقائده عمرو بن العاص رضى الله عنهم جميعاً.

المبحث الثالث

الثنوية في أديان بلاد الهند القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- تمهيد .
- المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد الهند القديمة.
- المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد الهند القديمة.

(تمهيد)

يطلق عليها بلاد الهند[١] لكن الأصح والأدق أنها شبه القارة الهندية!! وذلك لاعتبارات عدة من أهمها كبر المساحة ؛ وتنوع التضاريس، والأهم من هذا وذاك المياه التي تحيط بها من جهاتها الثلاث ؛ مما ذكر في وصف الهند النصين التاليين :

- (الهند زُبدة جميع العوالم، وخلاصة ناطقة لجميع أدوار التاريخ، وصورة صادقة للأطوار المترجحة بين الهمجية الأولى والحضارة الحديثة) [٢] .
- (الهند من أولى المناطق التي احتلها الإنسان القديم الذي يسير على قدميه) [٣].

لا أستطيع أن أجزم بصحة ما جاء في النص الثاني إنما العُهدة على قائلها [٤] وبقدر ما كان المؤرخون يحمدون للمصريين القدماء تسجيلهم لأدق تفاصيل حياتهم، بقدر ما ضاقوا من إهمال الهنود لتاريخهم، وقلة المادة التسجيلية له [٥]. وقد أرجع بعضهم سبب الإهمال لنظرة الفرد في الهند للحياة وفكرة الزهد التي أسس عليها المجتمع الهندوسي؛ والتي كان ينظر للحياة فيها أنها مرحلة سيئة لابد من الانتهاء منها سريعاً؛ ليصل إلى الهدف الأسمى.

ومن حيث الموقع تنتمي الهند للقارة الآسيوية وتحديداً في الجنوب منها [٦]؛ وتُعتبر سلسلة جبال الهمالايا والتي تحوي أعلى قمة على سطح الأرض قمة إفرست من

---

(١) ذكر المؤرخون أن اسم الهند مشتق من نهر الأندوس اشتق اسم الهند، وسمي سكان هذه المنطقة الهنود أو الهندوس ، ويحتمل اشتقاق اسم الهند من اسم الإله أندرا...أحمد شلبي : " أديان الهند الكبرى الهندوسية "، مكتبة النهضة المصرية ، ط١١، ص ١٨-١٩.

(٢) غوستاف لوبون : " حضارات الهند " ، نقله للعربية : عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، ٢٠٠٩م ، ص٥ .

(٣) رالف لنتون : " شجرة الحضارات " ، ج٣ ، ص ١٣٨ .

(٤) لم أستطع تجاوز العبارة دون التعليق عليها ، من الواضح أنها صادرة من عالم يسير على خطى النظرية الداروينية التي تعتقد ـ مجازاً ـ أن جنسنا البشري الذي يسير على قدميه كان نتاج تطور جنس آخر يشبه الغوريلا ويسير على أربع وفي هذا خطأ جسيم وتكذيب .

(٥)(يصطدم أي باحث في التاريخ الهندي بحقيقة واضحة ، وهي عدم اهتمام الهنود أنفسهم بالتاريخ) شجرة الحضارات المرجع السابق ، ص١٦٤ .

(٦) مي السديري : " حضارات " ، ص١٤٦ .

أشهر معالمها الطبيعية، وحين الحديث عن الحدود نجد أن لها نوعين من الحدود الأولى طبيعية[١] والثانية سياسية[٢] .

وتقدر مساحتها بمساحة دول أوربا مجتمعة ما عدا روسيا. وقد أفرز هذا التنـــوع في التضاريس وتلك المساحة المترامية أعراق[٣] مختلفة من البشر منهم الأصليون ، ومنهم الغزاة الداخلون ، بالإضافة إلى ظهور جيل جديد هو نتاج الاختلاط، وقد تنوعت التركيبة السكانية بها تبعاً لتضاريسها المتنوعة ومساحتها الشاسعة.

(يمكن تقسيم الذين ندعوهم في أوربة بالهندوس إلى أربعة عروق مختلفة وهي: العرق الأسود ، والعرق الأصفر ، والعرق التوراني ، والعرق الآري . ونجم عن توالد هذه العروق الأربعة الكبرى على نسب متفاوتة مع تفاوت البيئات ظهور عروق ثانوية)[٤]

ذكر النص السابق أربعة أعراق رئيسية هي مكونات المجتمع الهندي :

١- العرق الأسود: هم السكان الأصليون[٥] وأُطلقت عليهم الحضارة الرافيديين[٦].
[٦].

٢- العرق الأصفر: يعد ذلك أول عنصر أجنبي دخل الهند قادماً من بلاد آسيا[٧].
وقد أسفر ذلك الاختلاط بين الأصليين والغزاة عن ظهور قدماء الدراويد[١].

---

(١) (تعتبر الهند من الناحية الجغرافية أكثر عزلة من أي جزء آخر آسيا ، فقد عزلتها جبال الهملايا الهائلة من ناحية الشمال عن بقية القارة ، وأصبحت لها حصناً ؛ والطرف الغربي صحاري ، وجبال بلوخستان ، والطرف الشرقي غابات ومستنقعات آسام المنيعة) " شجرة الحضارات لرالف لنتون" ، ج٣ ، ص١٣٢ .

(٢) (يجاور الهند ممالك بلوخستان وأفغانستان في الشمال الغربي والتركستان في الشمال والصين في الشمال والشمال الشرقي وبورما في الشمال الشرقي كذلك) " أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي " ، ص٢٠ .

(٣) مصطلح العرق تعني للإنسان معادلة لكلمة " الجنس " بالنسبة إلى الحيوان ؛ وهي لا تعدل كلمة " الأمة " فالأمة في الغالب عروق كثيرة جمعت بينها السياسة أو الجغرافية أو غيرها من الأسباب ؛ وتعتبر أن أهم الصفات التي تتميز بها العروق البشرية هي الصفات التشريحية كاللون الجلد ولون الشعر " حضارات الهند لغوستاف لوبون" ص٩٢ .

(٤) غوستاف لوبون : " حضارات الهند " ، ص١٠٠ .

(٥) السود هم أقدم من سكان الهند ، ومقسمون إلى فرعين منذ أقدم العصور : النيغريتو ذوو القامات القصيرة ، والشعور الصوفة ، والزنوج ذوو المثال الأوسترالي " حضارات الهند لغوستاف لوبون " ، ص١٠٠ .

(٦) أشارت الآثار المكتشفة في حوض نهر السند إلى نشؤ حضارة متقدمة في هذه المنطقة هي حضارة الرافيديين ، وهم سكان الهند الأصليين . " حضارات لمي السديري " ، ص١٤٦ .

(٧) بدا أول عنصر أجنبي في الهند أناس صُفر جُرد ، حضارات الهند لغوستاف لوبون ، ص١٠٢ .

٣- العرق التوراني[٢]: وهم قادمون من آسيا أيضاً.

٤- العرق الآري [٣]: وقد اعتبرهم المؤرخون صانعي تاريخ بلاد الهند.

يعتبر التراث الآري هو التراث الهندي الحقيقي الذي وصل إلينا ؛ على الرغم من عدم اختلاطهم بالسكان الأصليين محافظين بذلك على نقاوة عرقهم [٤]؛ إلا إنهم وهبوا شبة القارة الهندية لغتهم وثقافتهم وآدابهم ، بل وحتى أفكارهم الدينية ومعتقداتهم الصوفية التي ظلوا يتناقلونها فترة من الزمن شفهياً حتى استدعى الحال إلى كتابتها. ولم تكن تلك فقط التركيبة السكانية للهند ، فقد تعرضت شبه القارة الهندية لغزو آخر من قبل من يقال لهم " الراجبوت " [٥]كان لهم دور في العرق الهندي.

ولا نغفل أيضاً ذكر الفتوحات الإسلامية لشبه القارة الهندية، والتي بدأت مبكراً منذ عهد الخلفاء الراشدين [٦]. وقد كان للمسلمين شأن في بلاد الهند، شأن كل البلدان التي أناروها بنور الإسلام ، ودخلوها ليخرجوا أهلها من ظلمة العبودية والشرك إلى نور

---

(١) " أول ما أسفر عنه توالد غُزاة آسيا وسود الهند ظهور قدماء الدراويد الذين يعدون السكان الأصليين " ، حضارات الهند لغوستاف لوبون ، ص١٠٣ .

(٢) " ومن التورانيين أخذ سكان الهند نسب أجسامهم وتقاطيع وجوههم " ، حضارات الهند لغوستاف لوبون ، ص١٠٤

(٣) " هبط إلى بلاد الهند من معابر جبالها الشمالية قبائل من سلالات مختلفة ، هي التي كان مقدر لها أن تصنع تاريخ الهند ، وأديانها ، وثقافتها كان أولئك من ذوي القامات الفارعة والألوان الفاتحة ، وقد أطلقوا على أنفسهم لقب الآريين " أديان العالم لحبيب سعيد " ، ص٦٩ .

(٤) يكمن السبب الحقيقي الذي حال بين تزاوج الجنس الآري بالسكان الأصليين ، إنهم دخلوا الهند كمهاجرين وليسوا غزاة فاتحين ، وهناك فرق بين الحالتين ، فالمهاجر يصطحب معه أسرته فلا يحتاج إلى الاختلاط مع السكان الأصليين إلا نادراً ؛ أما الغازي فيكون جندياً بمفرده فإذا انتهت مهمته وأحب تلك الأرض كون أسرة فيها .

(٥) الراجبوت مِنْ السنسكريتي " أبن ملك " و هم مجموعة اجتماعية بارزة في الهند ، والنيبال ، وباكستان. ينحدرون مِنْ السلالاتِ الملكيةِ القديمةِ للمنطقةِ بين الهندوس ، سلالات الراجبوت لَعبتْ دور بارز في تأريخِ شمال الهند ، وتَنْسبُ الأسطورةُ إلى الراجبوت أصل يَنْجمُ عن بَعْض الآلهةِ الهندوسيةِ ؛ كُلّ الراجبوت ينحدرون إلى أحد الأجزاء الثلاثة من الأنساب العظيمة ، وهم كالتالي : نسب أجني فانشي : هم ينحدرون مِنْ أجني يعني إله النارِ الهندوسيِ . نسب صوريا فانشي : هم ينحدرون مِنْ صوريا يعني إله الشمسِ الهندوسيِ . نسب شاندرا فانشي : هم ينحدرون مِنْ شاندرا يعني إله القمرِ الهندوسيِ .

(٦) عصام الدين الفقي : " بلاد الهند في العصر الإسلامي " ، عالم الكتب ، ١٩٨٠م ، ص٩ .

الإسلام والهدى الرباني ؛ فمنذ أن ابتدأت الجيوش الإسلامية طريقها إلى شبه القارة الهندية لم يتوقف هذا السيل ما بين مد وجذر.

(لما سقطت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية حافظ خلفاؤها على بلاد الهند الإسلامية ، وعملوا على توسيع رقعتها إلى أن ضعفت الدولة العباسية ، وعجزت الحكومة المركزية عن السيطرة على أطرافها لذلك استقل حكام الأقاليم عن بغداد) [١]. فظهر على إثر ذلك عرق جديد نتيجة اختلاط المسلمين بالسكان الأصليين.

(بدأت غزوات [٢]- فتوحات- الشعوب الإسلامية للهند في القرن الحادي عشر من الميلاد ، وهذه الشعوب إذ كانت منتسبة إلى أصول شديدة الاختلاف من عرب وفرس وأفغان ومغول زاد اختلاط العروق السائدة لشمال الهند تعقيداً) [٣].

استمر الحكم الإسلامي على بلاد الهند فترة من عمر الزمن ليست قصيرة ، كان من القوة بحيث ترك أثره على الطبائع والعادات والتقاليد ؛ إلا أن هذا الأثر تلاشى تدريجياً حينما سيطرت على الهند فرقة من فرق الشيعة يقال لهم الإسماعيليون[٤]، ومن ثم عاود الحكم الإسلامي إحكام قبضته بقوة على شبه القارة الهندية بقيادة الغزنويين في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري [٥] وأصبح الدين الإسلامي هو دين الغالبية واعتنقه الكثير من السكان في تلك الفترة .

---

(١) عصام الدين الفقي : المرجع السابق ، ص١١ .

(٢) استبدلت كلمة غزوات إسلامية التي استخدمها المؤلف بكلمة فتوحات ، فلم يكن الإسلام في يوم من الأيام غازياً لبلاد ما ، فالغزو له آثار وويلات لم تكن يوم من أخلاق المسلمين الفاتحين في فتوحاتهم ؛ فالإسلام حين يدخل أرض فهو يفتح عليها طاقة من نور يخرجها وأهلها من الظلمات إلى النور " الباحثة " .

(٣) غوستاف لوبون : " كتاب حضارات الهند " ، ص١٠٨ .

(٤) ترتب على إهمال الخلفاء لبلاد السند نشاط الإسماعيليين بها ووجد فيها الدعاة الاسماعيليون استجابة قوية ، والتف حولهم القرامطة من البحرين ، وبلاد فارس) عصام الدين الفقي : " بلاد الهند في العصر الإسلامي"، ص١٢ .

(٥) عصام الدين الفقي : " بلاد الهند في العصر الإسلامي " ، مرجع سابق ، ص١٢ .

النظام الإجتماعي في الهند:

قبل أن أنتقل إلى الحالة الدينية في شبه القارة الهندية لابد أن أتطرق إلى ذكر نبذة عن أشهر نظام مجتمعي طبقي ظالم في تاريخ الإنسانية. فقد تميزت المجتمعات الهندية دون غيرها من المجتمعات الإنسانية- على حد علمي- بذلك النظـــام، عدّه البعض من أظلم ظلمات البشرية ؛ ليس للتفرقة التي يُحدثها بين البشر فقط، إنما لاستمرارية انتماء الفرد إلى طبقته من المولد وحتى الممات(١).

وجدير بالذكر أن بداية هذا النظام لم يكن من السكان الأصليين لشبه القارة الهندية إنما ظهر مع دخول الآريين بلاد الهند واستيطانهم بها(٢) ولمكانة الدين وأهميتـــه في حياة الشعب الهندي البسيط، فقد استخدمه الآريون في نظام الطبقات، فكان تقسيم الطبقات على أساس ديني ضمان لاستمرارية وعدم الاعتراض عليه(٣):

١- طبقة البراهمة: وهي التي خُلقت من فم الإله.

٢- طبقة الكشترية: وهي التي خُلقت من ذراع الإله.

٣- طبقة الويشية: وهي التي خُلقت من فخذ الإله.

٤- طبقة الشودرية: وهي التي خُلقت من قدم الإله.

---

(١)(إن لنظام الطبقات في بلاد الهند على ما هو عليه من صرامة وجمود أبعد الأثر في حياة الشعب الهندي ، فهو يقضي بإقصاء خمسين مليوناً من المنبوذين عن الحياة العامة إقصاءً تاماً ، وهو ظل قاتم يتبع المرء من يوم مولده إلى يوم حتفه) حبيب سعيد : أديان العالم ، ص٧٤ .

(٢) (يرجع هذا التمايز بين الطبقات إلى رغبة الغزاة الآريين في حفظ سلالتهم نقية فلا يدنسها الامتزاج بالسكان في الهند ، وهم يختلفون عن جنسهم أسمر منهم في اللون وأحط في درجة الرقي) مرجع سابق ، ص٧٢ .

(٣) (طائفة البراهمة " الكهنة " وطائفة الأكشترية " المقاتلة " وطائفة الويشية " التجار " وطائفة الشودرا " الزّراع " تشير هذه الأقسام إلى أصلها إشارة مفيدة ؛ فسنرى أن طبقة البراهمة آرية ، وأن طبقة الأكشترية راجيوتية ، وأن طبقة الويشية تورانية ، وأن طبقة الشودرا ممزوجة من التورانيين وسكان البلاد الأصليين) غوستاف لوبون : " حضارات الهند " ص١٠٠ .

المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد الهند القديمة

تعد دراسة الحالة الدينية لشبة القارة الهندية دراسة شيقة وغنية بالذات لمتخصصي الأديان ، نظراً لكل تلك الأفواج البشرية التي استوطنتها على مر العصور، باختلاف ثقافاتهم وأفكارهم . لقد كان ومازال للدين أهمية في حياة الشعوب لا يمكن إغفالها، أو تجاهلها ، فحياة البشر قائمة على أساس الدين سواءً كان دين حق أو دين باطل، فلم تعرف البشرية عصراً من العصور أنكر أهمية الدين في حياته إلا عصور الانحطاط الحديثة بما عرفته من مبادئ إلحادية.

(إن تاريخ البشرية زمناً لم يفكر فيه الإنسان بالإله، فالإنسان كان يحس دائماً بوجود إله ؛ لقد كان يدرك دوماً أن أحداً ما خلقه) (١).

ولا يختلف الوضع في شبه القارة الهندية عما سبق ذكره من أهمية الدين في حياة الشعوب ، لكن وجود كل تلك الأعراق المختلفة في الهند أفرز عقائد دينية متعددة ومختلفة أيضاً ، مما يوصف به العبادات في الديانة الهندية أنها عبادة تجسيدية، فلا معبودات غيبية تُعبد في الهند ، فلكل إله تجسيد معين ؛ بل عدة تجسيدات لكي يتمكنوا من عبادته.

العصور الهندية الدينية (٢):

قسم العلماء عصور الحضارة الهندية على أساس ديني إلى:

أولاً: العصر الويدي ، الذي يعود إلى ما قبل القرن الخامس عشر (ق.م) ويعد العصر الخرافي للهند.

ثانياً: العصر البرهمي ، الذي يبدأ بانتهاء العصر الويدي.

ثالثاً: العصر البدهي ، ويقصد به العصر البوذي نسبة إلى بوذا صاحب الديانة المشهورة.

---

(١) أ . س ميغوليفسكي : " أسرار الديانات القديمة " ، ترجمة : حسان إسحاق ، طبع ونشر : علاء الدين، ٢٠١٢م ، ص١٢١ .

(٢) غوستاف لوبون : " حضارات الهند " ، ص٢٠٨،٢٠٩،٢١٠،٢١١،٢١٦ .

رابعاً : العصر البرهمي الحديث ، وهو مزيج من المذاهب الويدية والمعتقدات البُدهية والخرافات .

خامساً : العصر الإسلامي الذي بدأ من القرن الحادي عشر وانتهى سياسياً في القرن الثامن عشر الميلادي [١] .

يلي تلك العصور ما يُعرف بالعصر الأوربي الحديث [٢] الذي بدأ بالبرتغاليين ومن ثم جاء الهولنديون الذين أعقبهم في السيطرة على شبه القارة الهندية الإنكليز ومن ثم نافسهم الفرنسيين .

أما بدايات الدين في الزمن السحيق كانت مختلفة عما استقرت عليه بعد ذلك، فالبداية الدينية في الهند كانت الرفض التام لكل ما هو غيبي لاهوتي يربط الإنسان بحياة برزخيه لا يمكن تجسيدها.

(منذ زمن سحيق ولدت في الهند فلسفة مادية ترفض اللاهوت والمثالية، وكان روادها يؤكدون واقعية العالم المعاش ويرون في وعي الحواس المصدر الوحيد للمعرفة، والوسيلة الوحيدة للإثبات والبرهنة ، وينكرون خلود النفس أو الروح والتقمص) [٣].

ومن ثم اتجه محور العبادة الهندية نحو منحنى آخر، وهو عالم اللاهوت الروحاني الغيبي وأصبح الهندي إنسانا متدينا يشغف بالروحانيات [٤] على الرغم من الشهرة الكبيرة التي تحتلها الديانة الهندوسية في الهند ، لكنها لم تكن هي البداية بحسب بعض المصادر، والبعض الآخر يذكر أنه لا دين معروف في الهند قبل الهندوسية.

(مع أن دين الكتب المقدسة " فيدا " قد اندثر تماما في بلاد الهند فإن الكتب ذاتها ما برحت موفورة الكرامة تتلى بعض آياتها) [٥].

---

(١) دام العصر الإسلامي الذي ذكرناه نحو سبع مئة سنة ، " حضارات الهند لغوستاف لوبون " ، ص٤١٦ .

(٢) غوستاف لوبون : مرجع سابق ، ص٢٣٨.٢٤٢ .

(٣) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج١ ، ص٢٢٢ .

(٤) حبيب سعيد : أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٧٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص٧١ .

لم تكن الهندوسية وحدها على خارطة الأديان في شبه القارة الهندية ؛ فقد كانت الهند مسرح لظهور عدة أديان قومية هندية نالت شهرة ومكانة في التاريخ الديني الهندي وكادت أن تسحب البساط من الهندوسية لولا تمتع الهندوسية بالحماية السياسية من كونها الدين الرسمي للدولة ؛ وقد كان لتلك الأديان أتباع لا يستهان بهم، وهي باختصار (١):

١- البوذية.

٢- الجينية.

٣- السيخية.

بما أننا في معرض التعريف بالحالة الدينية لشبه القارة الهندية سنجد أنه من المهم إلقاء نبذة مختصرة على تلك الأديان قبل التعمق في الديانة الهندوسية .

أولاً : الديانة البوذية (٢)

لم يكن مؤسسها يهدف إلى تأسيس دين (٣) في يوماً من الأيام ، فالبوذية القديمة لم تكن ديناً متكامل العناصر والمقومات ؛ فقد كان يدعو إلى حركة فكرية فلسفية للتعايش مع منغصات الحياة وآلامها وكيفية السيطرة عليها ؛ وقد اعتبرت من أفشل الحركات الدينية في تاريخ البشرية ، لأنه لم يغذ الاحتياج الدينية الفطري لأتباعه، والوقوف أمام الفطرة وتجاهلها لهو عبث العابثين .

مؤسس البوذية هو سدهارتا جوتاما الذي لُقب ببوذا بعد أن وصل إلى سر الحياة، واللفظ يعني "المستنير" ؛ وتنص فلسفته على أن الحياة ألم وتعب وشقاء وتعاسة،

---

(١) ترتيب الأديان هكذا هو من " فصول في أديان الهند ، وعلاقة التصوف بها " ، لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار البخاري للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ .

(٢) لمزيد من المعلومات حول الديانة البوذية .

أنظر إلى : " البوذية . تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفي بها لعبد الله مصطفى نومسوك ، مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٠هـ " و " أديان العالم لحبيب سعيد " و " حضارات الهند لغوستاف لوبون " و " أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي " و " مقارنة الأديان لطارق السعدي ، ص٢٣٧ " غيرها .

(٣)(قال جمع من المحققين : إن البوذية ليست بدين ، بل هي حركة عكسية قامت تعاند الهندوسية ، بما طرأ عليها من الخرافات والبدع ، ولمحاربة الطبقات المعروفة في الهندوسية) الأعظمي : " فصول في أديان الهند ، وعلاقة التصوف بها " ، ص١٣٩.

فإذا وضع الإنسان يده على مصدر الشقاء وعرف سببــه ، وكيف يقضي عليــه؟ يكون بذلك توصل إلى سر السعادة ، التي تخلصه من تكرار المولد ، وتوصله إلى النرفانا[١] وهي هدف البوذي من الحياة.

ثانياً: الديانة الجينية [٢]

اعتبر علماء الأديان الجينية ديناً هنديا قومياً ؛ فلم يكن لها وقع خارج الحدود الهندية ؛ يدعي أتباع الجينية أن ديانتهم قديمة قِدم الأزل ، وأن مؤسسها هو مجددها فقط. وكان معاصرا لبوذا في نفس الفترة تقريباً ، ويدعى "مهابير سوامي"، وهو أول ثلاثة وعشرين رسول إله الذين يعتقد بهم الجينيين . ويدعونهم "تير شنكر وهم رسل آلهة" ومن مفارقتهم اللامعقولة، إن هؤلاء الإلهيين الثلاثة وعشرين كانوا في فترة واحدة من الزمان، وما بين كل اثنين منهم يستغرق ملايين السنين. وعن تاريخهم يقول أحد كتابهم :

(إن هذه الديانة قديمة أزلية، لا بداية لها ولا نهاية، فكذلك الجينية) [٣].

ثالثاً: السيخية [٤]

نشأ مؤسسها قريباً من البيئة الإسلامية في الهند لأبوين هندوسيين ، ولازم عــدداً من المتصوفة المسلمين ، فأسس دينه على فكرة التمازج بين الأديان جميعاً ، فكان خليط من الإسلام والهندوسية والبوذية، وغيرها من أديان الهند ؛ ذاك هو المعلم " ناناك "

---

(١) هي : كلمة سنسكريتية مركبة من كلمتين " نر " ومعناها الانتهاء أو الانعدام و" فانا " أي الشهوة ، والمعنى: هو انتهاء الشهوة أو انعدامها وقيل : إن معناها الخمود أي خمود الشهوات . " البوذية . تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفي بها لعبد الله نومسوك ، ص٢٥٠ " وللمزيد من التفصيل انظر مجموعة مصطلحات بوذية ، ص٢٤٦ ، والفلسفة الهندية ، ص٣١٨ .

(٢) حتى في الهند لم يكن لها ذاك الانتشار لإلحادها ، وفحشها في نظام الحياة ، وانحصر أتباعها في منطقة " كجرات " لهم فيها معابد ضخمة ، ولمزيد من المعلومات حول الديانة الجينية .

أنظر إلى : " فصول في أديان الهند وعلاقة التصوف بها " للأعظمي ، ص١٥١ ، و " أديان الهند الكبرى " لأحمد شلبي ، ص١٠٤ ، و " مقارنة الأديان " لطارق السعدي ، ص٢٣٣" غيرها الكثير .

(٣) محمد ضياء الرحمن الأعظمي : " فصول في أديان الهند وعلاقة التصوف بها " ، ص١٥٤ .

(٤) من الديانات الهندية الحديثة نوعاً ما ، فقد كان ظهورها بعد دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية ، ولمزيد من المعلومات حول الديانة السيخية . أنظر إلى : " فصول في أديان الهند ، وعلاقة التصوف بها " للأعظمي ، ص١٦٥، و " معتقدات آسيوية " لكامل سعفان ، ص٢٣٦ وغيرها.

الذي ولد في مقاطعة البنجاب التي كانت تخضع للحكم المغولي الإسلامي. وقد أعجب بقوة الفاتحين من المسلمين فدرس الدين الإسلامي وتأثر به، ودعا إلى عبادة الواحد الأزلي الذي لا يوصف ؛ ليس لأنه غير موجود ولكن لأنه في كماله فاق تصورات العقول البشرية ؛ ومن آثار الدمج الواضحة بين الأديان في السيخية ما ذكره المعلم ناناك حول النرفانا البوذية وكيف أنه جعلها من منظور إسلامي.

(مقصد الحياة عند الهندوسية هو حصول النرفانا ، أي اتحاد الروح ببرهما والنجاة من جولانها وتنقلها ، فأخذت السيخية هذه العقيدة إلا أنها تأثرت بالإسلام ، فأضافت إليها إلا أن يشاء الله العليم القدير فينجيها من هذا التنقل بلطفه وكرمه) [١] .

الديانة الهندوسية

أشهر الأديان وأوسعها انتشاراً في شبه القارة الهندية ، وقد أُطلق عليها عدة أسماء فهي الديانة البراهمية ، ويقال أيضاً الهندوكية [٢]. ويقال أن كلمة هندوسية مرتبطة [٣] بما أطلق على شبه القارة الهندية من أسماء في الزمن السحيق ، أما البراهمية فهو من اسم الإله في اللغة السنسكريتية.

(براهما كلمة سنسكريتية معناها اسم الإله الخالق ، نجد في أسفار الفيدا وهو كتابهم المقدس ما يشير إلى أن براهما هو الإله الخالق الذي يرجع إليه الكل) [٤].

---

(١) محمد ضياء الرحمن الأعظمي : " فصول في أديان الهند وعلاقة التصوف بها " ، ص١٧٣ .

(٢) (هي ديانة الجمهرة العظمى في الهند ، وتسمى الهندوسية أو الهندوكية ، وأطلق عليها البراهمية ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما) أحمد شلبي : " أديان الهند الكبرى " ، ص٣٧ .

(٣) كلمة الهندوسية اشتقت من كلمة سند ؛ غيّر أهل فارس واليونان حرف السين إلى الهاء ، فقالوا الهند ؛ وكلمة " استهان " معناها المقر كانت ثقيلة عليهم ، فجعلوها " استان " بحذف الهاء فقالوا " هندوستان " أي مقر أهل الهند وإليهم نسب دينهم فقالوا : الهندوسية أو الهندوكية ، لكن اسم الديانة الحقيقي هو " ويدك دهرم " ، أو " آريا دهرم " أي الدين الآري ، أو " سناتن دهرم " أي الدين القديم " فصول في أديان الهند ، ص ١٦

(٤) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها " مطبعة الأمانة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ص٨٢ .

أ) النشأة والمؤسس:

ليس للتاريخ الهندوسي مرجع مكتوب وموثّق فهي ديانة بلا توثيق؛ فكل ما يقال عنها هو من قبيل الظن والحقائق شبة المؤكدة .

(يمكن القول : أن أساس الهندوسية هو عقائد الآريين بعد أن تطورت؛ بسبب اختلاط الآريين بشعوب كثيرة ، ثم تأثرت بسبب الاتصال بأفكار السكان الأصليين، وبفلسفات وأفكار نشأت في الهند في مراحل متباعدة من التاريخ) [١].

وهذا ما قصدته من وصفي لها أنها "ديانة بلا توثيق"، فلم تنشأ دفعة واحدة على يد مؤسس نادى بها، بل تكونت على فترات من التاريخ ؛ ونتيجة إضافات من حضارات وشعوب متعاقبة ؛ فما سجله التاريخ للديانة الهندوسية أنها بلا دين مؤسس.

(ليس هناك مؤسس للهندوسية يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها، فالهندوسية دين متطور ومجموعة من التقاليد والأوضاع تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم جيلا بعد جيل بعدما وفدوا على الهند) [٢] .

وإذا أخذنا رأي متخصص في وصف الأديان يصف الدين الهندوسي بقوله:

(من الصعب أن يطلق على الهندوسية ديناً بالمعنى الشائع؛ فالهندوسية أشمل وأعمق من الدين ؛ إنها صفة لملامح المجتمع الهندي بنظامه الطبيعي، ومكان كل طبقة فيه، إنها الحياة الهندية بأسلوبها الخاص الذي يعتبر في ذاته شعيرة من الشعائر ، إنها خليط يشمل الأمور المقدسة ، والأمور الدنيوية جميعاً) [٣].

فلم تكن الديانة الهندوسية تعنى بالأمور الدينية فقط ، بل قدمت للمجتمع دستور تنظيمي لمختلف نواحي الحياة السياسية والاجتماعية وأيضاً القوانين الاقتصادية التنموية.

---

(١) أحمد شلبي : " أديان الهند الكبرى " ، ص٣٨ .

(٢)أحمد شلبي : " أديان الهند الكبرى " ، ص٣٧ .

(٣) طارق خليل السعدي : " مقارنة الأديان ... دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية " ، دار العلوم العربية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ص٢٢٧ .

ب) فلسفة الدين الهندوسي:

إذا نظرنا إلى الفلسفة الدينية الي تقوم عليها الهندوسية نجد ملامح التصوف والزهد هي الغالبة عليها ، هي نتاج تراكم خبرات بشرية تصب في إطار واحد .

(تقوم الفلسفة البرهمية على الدعوة إلى الفناء في الخـــالق ، ولتحقيق ذلك ينبغـــي علـــى الإنســـان أن لا يستجيب إلى مطالب الجسم ، الأمر الذي يعني أن عدم تلبية تلك المطالب يؤدي إلى صفاء الروح التي تعتبر قبس من الخالق) [١].

ويُعد هذا أحد أهم الأسباب التي دعت الشعوب في الحضارة الهندية القديمة أن لا تهتم بحفظ تراثها كما هو دأب باقي الحضارات البشرية ؛ فالشعوب الهندية القديمة لا تعترف بالحياة إلا لتعبرها ، فهي وسيلة للوصول إلى الهدف وليست هدف بحد ذاته.

وهـذا هـو الأسـاس الـذي قـام عليه الفكـر الصـوفي فـي كافة الأديـان الـتي عرفـت الصوفية الدينية ؛ الزهد في الحياة ، والرغبة في التحلل والانطلاق للاتحاد مع براهما.

وقد يكون النص التالي من ابلغ ما وصفت به الهندوسية :

(الهندوسية ليست ديناً واحداً ولا عقيدة واحدة، إنها خليط من كل الأديان وكل العقائد التي اكتسحت البلاد مدى أجيال التاريخ، والهندوسية آوت تحت جناحيها كل الممارسات والطقوس الدينية وشبه الدينية، فتعدد الآلهة والوحدانية، ومذهب حلول الله في الكون، وإنكار وجود الله، هذه كلها قد أينعت وازدهرت تحت ظلال الهندوسية وباسمها؛ إنها تشمل أرقى وأطهر أوضاع العبادات، وأدنى وأحط العبادات؛ ولعل هـــذا هو الذي يجعل الهندوسية أكثر الأديان تسامحا في العالم) [٢].

هي دين المجْتَمِعَات المتفرقات ودين الأضداد المتناقضات في العبادات والمعتقدات، هكذا توصف الهندوسية باختصار ؛ ففيه الطقوس الدينية وشبه الدينية ، وفيه التعدد والتفرد في المعتقد الإلهي ، كما تقام فيها أسمى العبادات إلى جانب أحقرها وأدناها... ليس بعد الكفر إلا الضلال .

---

(١) مي السديري : " حضارات " ، ص١٥٢ .

(٢) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، ص٨٨ .

ج) أسس الدين الهندوسي

لم أشأ التعمق في عقائد الدين الهندوسي كثيراً ، فهو موضوع طويل ومتشابك وليس هاهنا محله ، لكني استعنت بالنص التالي الذي أجمل الأسس التي قامت عليها الديانة الهندوسية في أربعة أسس رئيسة [١] هي :

١- الأساس الأول : وحدانية الله ووحدة الوجود هي الأساس الأول من العقيدة البراهمية .

٢- الأساس الثاني : الإيمان بتناسخ أرواح الكائنات بحسب ما قدمته من أعمال .

٣- الأساس الثالث : رجوع الأرواح إلى خالقها فهي بعد أن انفصلت عنه لابد أن تعود إليه .

٤- الأساس الرابع: الكارما بمعنى الجزاء على الأعمال بالثواب أو العقاب وهو مقصور على الأرواح فقط .

ولكي نتعرف على الملامح الثنوية في الهندوسية لابد أن نتعرف على نظرتهم للخالق أولاً .

د) الإله في الهندوسية

كما ذكرنا أن الدين الهندوسي لم يكن نتيجة فِكر شخص واحد بل أشخاص، ذو اتجاهات دينية وفكرية مختلفة ، ما بين كهنة ومتصوفة وعلماء وفلاسفة أيضاً؛ لذا جاء كل شيء فيه متناقض بدءاً من الاعتقادات إلى الطقوس والعبادات .

(يوجد في الفكر الهندوسي نزعتان مختلفتان حول الإله وهما: نزعة الوحدانية ونزعة التعدد والأخيرة أقوى وأكثر انتشاراً ، في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحياناً للتوحد أو إلى اتجاه قريب منه ؛ فإذا دعوا إلهاً وتقربوا إليه وأثنوا عليه يغيب عنهم سائر الآلهة والأرباب ، ويصير إلههم هو ذلك الإله لا غير) [٢] .

---

(١) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها " ص ٩١-٩٣ بتصريف

(٢) طارق خليل السعدي : " مقارنة الأديان " ص ٢٢٩ .

فهم ينظرون للقوة الكونية التي يدعونها "البراهما" على أنها القوة الكونية المحركة لكل ما فيه وهي قوة واحدة ذات قدرات مختلفة ، فهي تتشكل بحسب الحاجة التي تستدعيها مجريات الأمور؛ إن كانت الحاجة تستدعي الخلق فهو الإله الخالق ؛ وإن كانوا في حاجة إلى حفظ فهو الإله الحافظ ؛ وإن احتاجوا إلى تدمير وهلاك فهو الإله الهالك المدمر وهكذا . تلك العقول الضالة لم ولن تستوعب وجود إله واحد قادر على كل شيء؛ فهم يقيسون قدرات الخالق بقدرات المخلوق ، وقدرات الإله بقدرات البشر.

الفطرة التي فطر الله الناس عليها موجودة ، والاعتقاد بوجود كائن أسمى فوق الكل موجود أيضاً ؛ لكن أصابها الانحراف فانتكست ، فخلطت فِكر سيء بآخر جيد، فكان نتيجة ذلك ما نقرأه في كتبهم من تُرهات يطلقون عليها عقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فالإله الواحد لديهم هو واحد حينما يتوجهون إليه بالدعاء، لكنهم في الأصل كُثر[١] .

هذا ما توصلت إليه عقولهم القاصرة حين خاضت في عالم اللاهوت الغيبي، وحين تجرؤا على قياس قدرة الخالق بقدرات المخلوقين فتلك مغالطة ؛ هم يحتاجون إلى ثلاثة آلهة رئيسة لتسير مهام الكون الكبيرة "خلق وحفظ وتدمير للأعداء"، فأصبح الثلاثة واحد.

وقد كان للإمام ابن حزم الظاهري رأي آخر في عقيدتهم نحو الإله وصفهم: (البراهمة هم قبيلة فيهم أشراف أهل الهند ، وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا) [٢].

لم أعثر على توضيح من ابن حزم ومقصده من عبارة "يقولون نحو قولنا". لكني عثرت عليه من مصدر آخر ، من قبل المؤرخ الكبير البيروني [٣] في كتابه [١]

---

(١)(جاء في الكتاب المقدس . الهندوسي . أن كاهناً توجه إلى الآلهة برهما وفشنو وشيفا ، وسألهم : أيكم الإله بحق ؟ فأجابوا جميعاً : اعلم أيها الكاهن إنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة ؛ فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق ، وحفظ ، وإعدام ، ولكنه في الحقيقة واحد ؛ فمن يعبد أحد الثلاثة ، فكأنه عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى) طارق السعدي : " مقارنة الأديان " ص٢٣٠ .

(٢) ابن حزم الظاهري : " الفصل في الملل والأهواء والنحل " ، دار المعرفة ، بيروت ، ج١ ، ص٦٩ .

(٣) هو : محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني ، من أهل خوارزم ، ولد سنة ٣٦٢هـ وتوفي سنة ٤٤٠هـ ، أقام في الهند بضع سنين ، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود وعلت شهرته ، صنف كتباً كثيرة متقنة منها " الآثار الباقية عن القرون

حين قال: (اعتقاد الهند في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحيّ المحي المدبر المبقى الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد ، لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء) [٢] .

ولست أرى دليل أو مستند يؤكد ما يذكره العالمان الجليلان إلا على نحو ما سبق، وأن مقصدهم رب الأرباب ، وليس توحيد الله.

هـ) الكتاب المقدس في الهندوسية:

الويدا أو الفيدا [٣] كتاب الديانة الهندوسية المقدس ، التي اجتمعت آراء المؤرخون على أنه ليس من وضع شخص معين ، فهو عبارة عن فلسفات وأفكار أشخاص مختلفين ، نقلت من جيل إلى آخر شفهياً حتى خُشي عليها من التحريف والضياع؛ فتم تسطيرها بين دفتي كتاب لا يُعرف متى .

(الويدا الكتاب المقدس الذي جمع العقائد والقوانين بين دفتيه ليس له كذلك واضع معين ، ويرى الباحثون الغربيون أنه قد نشأ في قرون عديدة متوالية لا تقل عن عشرين قرناً ، وقد أنشأته أجيال من الشعراء والزعماء الدينيين والحكماء الصوفيين) [٤]

ومما يؤكد هذا التباين الواضح بين الأفكار والمنهج المستخدم للتدوين من جزء لآخر، بل وفي أكثر من اتجاه ، بالنظر إلى الكتاب يجد أنه أجزاء عديدة تنقسم إلى قسمين رئيسيين ، وهما:

الخالية " و " الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب " و " تاريخ الأمم الشرقية " ومؤلفنا هذا " ، تحقيق : ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " انظر : ترجمته في" الأعلام للزركلي ، ج٥ ، ص٣١٤ .

(١) محمد بن أحمد البيروني : تحقيق : ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ، أو مرذولة ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الهند ، ١٣٧٧هـ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٠ .

(٤) أُختلف على اللفظ الصحيح ما إذا كان " ويدا " أو " فيدا " !! يقال إن الغرب هم من أطلقوا لفظ " الفيدا " وهو خطأ لأن حرف " W " ينطق في اللغة الشرقية بحرف " و " وليسا بحرف " ف " إذاً هو " ويدا " تبعاً لـ "W " وليس " V" ؛ وأصل كلمة الويدا في اللغة السنسكريتية تعني " المعرفة " .

(٤) أحمد شلبي : " أديان الهند الكبرى " ، مرجع سابق ، ص٣٧ .

- القسم الأول: سروتي أو شروتي.
- القسم الثاني: سمرتي.

القسم الأول (سروتي أو شروتي) :

يعتبر قسم السروتي هذا هو كتاب الويدا الحقيقي وقيل في حقه أنه " دستور النِحلة الهندوسية "، وهو عبارة عن أربع أصول يحوي الأصل الأول فقط على أربعة ويدات(١) :

- **الأصل الأول (سمهيتا)** : وهو عبارة عن مجموعة من الأذكار التي ترتل فتصل بالإنسان إلى حالة من الفناء في الحق ، ويحتوي هذا الأصل على أربعة فروع (٢).
- **الأصل الثاني (براهمانات)** : وهي عبارة عن شروح وتفسيرات للويدات .
- **الأصل الثالث (أرنيكات)** : وهي مكونة من إرشادات ملحقة بالبراهمانات أملاها النساك على تلامذتهم .
- **الأصل الرابع (أبانشادات)** : وتشمل الحكم التي تتعلق بالكون والإنسان والأمور الباطنية .

القسم الثاني (سمرتي)(٣):

يشمل قسم السمرتي كل الكتب الدينية ما عدا المجموعة الويدية السابقة ، كما ورد فيه شكل القوانين التنفيذية ، وهو مكون من عشرين مؤلفاً ، يسمى كل واحد منها باسم مؤلفه أهمها ما يعرف بـ " قوانين مانو" (٤).

---

(١) المعلومات الواردة في أقسام الكتاب الهندوسي المقدس متوفرة في عدة مراجع ومصادر ، مثل " شجرة الحضارات لرالف لنتون ، ج٣ ، ص١٥٣ ، و " النظام الطبقي في البرهمية ص٣٢ ، و " أديان الهند الكبرى " لأحمد شلبي ، ص٤٠.

(٢) أ – ريج ويدا : هو الأقدم استنادا إلى اللغة التي كتب بها وهو مجموعة من المدائح والصلوات التي تحمد بها الآلهة ، ب – آثارويدا : يقال له أيضاً آترويدا ، أكثره تعويذات ورقية وتمائم تدفع المصائب ووصفات طبية ، ج – ساما ويدا : هي مجموعة من الأغاني والأناشيد التي تردد أثناء الشعائر التعبدية ، د – ياجور ويدا : وينقسم إلى قسمين أحدهما أبيض والآخر أسود ، وهو خاص بالأناشيد التي تصحب القرابين التي يقدمها الكهنة للآلهة .

(٣) كلمة سمرتي تعني (التذكر) وهي مجموعة التعاليم التي أعيدت كتابتها عن طريق التذكر للتعاليم الموروثة شفهياً .

(٤) (إن قوانين مانو تمثل المرجع الأساسي بالنسبة للباحثين في هذا الدين ، وذلك لأنه الشرح الوحيد الكامل الذي يستوعب كل ما في الأسفار المقدسة من عقائد ، وعبادات وشرائع وأخلاق ؛ إن البراهميين يرفعون هذا الكتاب إلى منزلة التقديس لاعتقادهم أن كاتبه أحد الآلهة المنبثقين عن براهما الخالق) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية

لن أستطع أن أغلق ملف الديانة الهندوسية بدون الاشارة إلى عبادة الحيوانات، شأنها في ذلك شأن الأديان الوضعية الأخرى ، ومن أشهر الحيوانات التي عُبدت في الهند البقرة والثعبان والفيل وحتى القرد. ولكن البقرة كان لها تقديس من نوع خاص ولا يزال ، ولا أعتقد أن الموضوع بحاجة إلى التفصيل فيه أو التعليق عليه ، لذا سأكتفي بالنصين التاليين:

- (البقرة أكثر الحيوانات قدسية عند الهندي ؛ لا يجوز ذبحها ، ويجب أن تترك وشأنها تجوب شوارع المدن ؛ وذبحها يثير فيهم الرعب والفزع أكثر مما يثيره ذبح إنسان؛ ما تتمتع به البقرة كذلك يتمتع به القرد والثعبان) [١].
- (قيل في أساطيرهم أنها أقدس جميع الحيوانات- البقرة- كل جزء فيها يسكنه إله من الآلهة ؛ وذبح البقرة حتى اليوم من الجرائم الشنيعة ، وكثيراً ما آثار النزاع بين المسلمين والهندوس)[٢].

أشهر أسماء الآلهة الهندية:

استكمالاً لوصف للحالة الدينية العامة في الهند ، لابد من ذكر بعض أشهر أسماء الآلهة التي عُبدت في شبه القارة الهندية بشكل عام دون تخصيص دين على دين آخر[٣]:

- **أجنى** : إله النار هو أعظم المعبودات ، ويقوم بدور الرسول بين الناس والآلهة .
- **أندرا** : إله السموات الوسطى وإله السحب والعواصف ، وإلهاً للحرب أيضا .
- **رودرا** : إله العواصف الذي كانوا يخشون بأسه ، ووحدوا بينه وبين "سيفا" .

ولكل من تلك الآلهة عِدة أسماء وتجليات بحسب الحاجة إليه ، ورد ذلك في العديد من النصوص القديمة ، وقيل إن هذا أحد أسباب ضخامة العدد الذي ذُكر عن آلهة الهند، كما ذكر أيضاً أشهر ثالوث إلهي هندوسي عُبد في الحضارة الهندية القديمة [٤] :

في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها " ، ص٨٨ .

(١) كامل سعفان : " معتقدات آسيوية " ، ص١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

(٣) رالف لنتون : " شجرة الحضارات " ، ج٣ ، ص١٦٠ - ١٦١ ، بتصريف .

(٤) ذكرت هذه المعلومة في غالبية الكتب التي تحدثت عن الديانة الهندية مثل " شجرة الحضارات " لرالف لنتون ، ج٣ ،

- **برهما**: هو الخالق بين الآلهة الثلاثة ، ويقال : إنه بعد أن خلق العالم تنحى عنه .
- **سيفا**: هو أحد آلهة الثالوث ويسمونه " الإله الكبير"، وهو الإله المدمر الذي يصيب الناس بالمحن والبلايا ، وهو جالب الأمراض والموت.
- **فشنو**: هو الإله الحافظ هو دائما محسن جواد ، القيّم على المثل العليا وعلى تحقيقها، على نقيض سيفا؛ يرقب من علياء السموات ، وحين يرى شيئا يعرض الخير للخطر يستخدم كل قواه ونفوذه لإسنادها.

أفضل وصف يمكن أن أختم به موضوع أديان الهند القديمة هو النص الذي ذكره الإمام الشهرستاني [1] حين وصفهم قائلاً :

(الهند أمة كبيرة وعظيمة وآراءهم مختلفة، فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلاً؛ ومنهم من يميل إلى الدهر، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، ومنهم من يقول بملة إبراهيم- عليه السلام-، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها)

ص٢٠٦ ، و " أديان العالم " لحبيب سعيد ، ص٧٦ - ٧٨ ، بتصريف .

(١) الملل والنحل ، ج٢، ص ٢٥٠ ، بتصريف

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان الهند القديمة

شبة القارة الهندية بكل أديانها ومللها ونِحلها المتباينة المتنافرة لا تخلو من وجود مظاهر للعقيدة الثنوية هذا أمراً مؤكد ، إلا أن منهجية البحث قد تختلف عما سبقها.

(إن البحث في مسألة الإلوهية في الهندوسية من دون مبالغة أو مغالاة هو بحث في المتناقضات ، إذ تشتمل على أرقى الآراء الفلسفية وأسخف المذاهب الدينية، كالتجريد والتعدد والحلول وإنكار وجود الإله ، وعبادة الشيطان وعبادة الأبطال) (١).

وقد أثبت الشهرستاني– رحمه الله– وجود المعتقد الثنوي في الهند حين ذكرهم ضمن أصناف عبادات الهند (٢). وترتبط العقيدة الثنوية الدينية بفكرة الدين عن مصدر الشر في الكون ، والاختلاف الذي ذكرته في بداية المطلب هو البحث عن ملامح الثنوية في الهند كان نابعاً من نظرة الدين الهندوسي لمصدر الشر في الحياة.

فغالبية الأديان تنسب الشر إلى مصدر غيبي إما إلهي وإما ما ضد الإلهي، أي القوى المضادة لقوى الإله الخيرة ، لكن لدى الشعب الهندي الشر موجود لكنه من مصدر آخر غير ما يعتقده غيرهم .

(الصلة بين الرب والإنسان تنحصر في مشكلة الخير والشر ، وتُعلن الريج فيدا أن الوجود إنما الخير لا شر فيه ، وإن الشرير هو الذي لا يقوم بأداء الطقوس والخيّر هو الذي يأتمر بالطقوس) (٣).

إذاً فالإنسان هو مصدر الشر في الحياة حين يتبع رغباته وشهواته وملذات نفسه يعتبر هو مصدر الشر، والإنسان الذي يعصي الأوامر الدينية ولا يؤديها بانتظام يُصبح هو مصدر الشر. فإذا استطاع الإنسان التخلص من رغباته ، وإلزام نفسه بالطاعات

---

(١) عبد الراضي محمد عبد المحسن : " مشكلة التأليه في فكر الهند الديني" ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، ١٤٢٢هـ ، ص١٦ .

(٢)(الهند أمة كبيرة وعظيمة وآراؤهم مختلفة ، فمنهم البراهمة ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ص٢٥٠ ، قد سبق وأن ذكرت هذا النص في الصفحات السابقة إلا أني أرى إعادته هنا ضروري .

(٣) أبكار السقاف : " الدين في الهند والصين وإيران " ، ص٢٧ ـ ٤٤ .

يكون قد أقفل باب الشر وأغلق مصدره وإلى الأبد.

(ما الشر إلا رغبات هي وليدة هذه الشخصية، ومن ثم متى تحرر الإنسان من الأنانية أدرك: أن لا شيء هناك قط اسمه الشر ، إن الشر إنما مجرد ومحض وهم) [١].

هذه هي النظرة الأولية للفِكر الهندي عن مصدر الشر وكيفية التخلص منه وإلغاؤه نهائياً؛ فغاية الفرد الهندي من حياته هي "الراحة الأبدية" ، أياً ما كان اسم تلك الراحة التي يبتغون الوصول إليها ، فقد اختلفوا على اسمها ، ولم يختلفوا على مضمونها وهدفها .

ترى الهندوسية أن الراحة في "الانطلاق "، والبوذية ترى الراحة في "النرفانا".

(فشعوب الهند بحكم طبائعها وأمزجتها لا تجد إشباعا فيما تقدمه حياة الدنيا، فالحياة الجسمانية في تلك الشعوب ثانوية تفضلها العقل والروح) [٢].

وقد احتلت الأفكار الثلاثة التالية مركز الصدارة في العقلية الهندية الدينية [٣]:

١- **فكرة تجوال الروح**: يعتقدون أن الأرواح تنتقل من جسد إلى آخر سواءً كان في الإنسان أم الحيوان في طريقها إلى هدفها الأخير ، وهذه الفكرة تُعرف عادة بتناسخ الأرواح .

٢- **فكرة الأعمال "كارما"**: هي تابعة ومتممة لفكرة تجوال الروح تقوم النظرية على أن كل عمل يأتيه الإنسان له ثمرته حتما ، ويؤثر في مكانة الجسد الذي سينتقل إليه في تناسخه .

٣- **فكرة الانطلاق** : هي محاولة النفس الخلاص من دورات التجوال والتناسخ من نتائج أعمالها والوصول إلى الحياة الحقة هي استجلاء طلعة "براهما" التي لا تكتسب إلا بالاندماج فيه.

---

(١) أبكار السقاف : " الدين في الهند والصين وإيران "، مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٢) حبيب سعيد : " أديان الهند " ، مرجع سابق ، ص٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص٧٤ ـ ٧٥ ، بتصريف .

وقد تكون فكرة نيل الإنسان جزاء أعماله في الدنيا فكرة جيدة وصائبة للترويج لأي دين ؛ لكن لابد من تقديم رؤية متكاملة للأتباع والمريدين ، بحيث تكون منطقية ومرتبة بحسب الأحداث والنتائج ، وهذا ما لم يحدث في الفِكر الهندي.

وكما ذكرنا سابقاً أن الفكر الهندي يقوم على أسس ثلاثة ، أهمها بالنسبة لهم الأساس الثالث ، وهو "الانطلاق"، لأنه الموصل إلى الهدف "الاندماج مع براهما"، والمفاجأة الأليمة أن الوصول لمرحلة الانطلاق تلك لا دخل لها بالأعمال الحسنة أو السيئة للفرد في الحياة. فسلوك الإنسان واعماله تُحدد فقط مكانة الجسد في دورته التناسخية الثانية ، إن كان حسن السلوك مؤدي للفرائض سوف ينتقل إلى جسد إنسان كريم وعظيم ، بعكس ما إذا كان سيء الخلق والسلوك عاصي غير طائع سينتقل إلى أحط الأجساد ، وربما إلى أحقر الحيوانات كالفأر مثلاً.

ويأتي السؤال إذاً : ما هو الطريق الذي يوصل إلى الانطلاق والاتحاد مع براهما؟. والجواب : (يجيء الانطلاق عن طريق الاستنارة الإلهية ، وقد أفسد هذا ما في تحوال الروح من قيمة أدبية ؛ لأن الأهمية معلقة على فضائل التصوف والزهد ، وليست على الأعمال الصالحة ، التي لا ينشأ عنها إلا ميلاد أفضل ووجود أرقى من الوجود السابق الذي كان عليه الإنسان ؛ وليس للأعمال الصالحة شأن في الانطلاق المروم، إنما عن طريق التأمل والزهد تقف دورات الحياة ؛ ويتحد الإنسان بالله) [1].

إذاً لا عبادات ولا التزام بالفرائض ولا السلوك الصالح في الحياة يصل بهم إلى الانطلاق مع براهما ؛ لكن التصوف والزهد هو الذي يجعل الإله يختاره للاتحاد به.

لا يعتقد أني خارج عن سياق عنوان المطلب ، لكنها بداية لتتبع مظاهر الثنوية في الديانة الهندوسية ،

لابد من معرفة كيف ينظر الشعب الهندي إلى مصدر الشر. وإذا نظرنا للبدايات لم تكن للعبادة الثنوية نصيب كبير في بلاد الهند ؛ نظراً لرؤية الفرد في شبه القارة الهندية إلى الحياة الدنيوية وإلى مصدر الشر خاصة ، بما أن الإنسان هو مصدر الشر في الحياة،

---

(١) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٧٥ .

وقتل رغباته وغرائزه هو طريق الخلاص من الشر ، فلم يكن لديهم عقيدة مثنوية لإلهي الخير والشر ، لكن هل معنى ذلك عدم وجود العبادة الثنوية ؟!!

بلا كانت موجودة ولكن بصورة أخرى!!.

والغريب في الأمر أن الذين كتبوا عن أديان الهند قديماً وحديثاً ذكروا ضمن ما ذكروا العبادة الثنوية لكنها لم تحظ منهم بنصيب وافر بالدراسة والتفصيل ، فقد كان يُلمح إلى وجودها بدون تفصيل فيها كما فعل الإمام الشهرستاني حين ذكر أنه عرفت فيهم الثنوية وفقط ، فلم يذكر كيف أو متى ، كان هذا دأبهم جميعاً، ولم أعثر لذلك على سبب.

ولكني وجدت نصوص هي من عمر الزمن حديثة ، تُثبت معرفة الشعب الهندي بفكرة الثنوية الإلهية في الكون ، أذكر منها :

(على الرغم من كثرة العقائد والديانات التي مرت على الهند أو استقرت فيها، إلا أن الإيمان بثنوية الكون والخلق- الذي يعني عندهم ثنوية الآلهة-، يكاد يكون قاسماً مشتركاً بين معظم تلك الملل والعقائد والديانات ، خاصة وأن الهنود لم يسبقهم شعب قط في اعترافهم اعترافاً واضحاً بأن الشر يتوازن مع الخير) [(١)].

لقد كانت بلاد الهند رحبة الصدر تجاه كل ما هو ديني ؛ فقد استقبلت واستوعبت كافة الأديان والعقائد التي نشأت على أرضها ، أو حتى تلك القادمة من الخارج ؛ وكانت بعض معابدها تحوي آلهة أديان متعددة في وقت واحد ، فيتجه الزائر كلاً إلى مبتغاه.

(بالرغم من كون الآلهة قد تصل عددها إلى عدة ملايين ؛ هم في الحقيقة لا يعبدون، أو يبجلون هذه الآلهة بل يهابونها ويخشونها فجميع الشعائر والاحتفالات إنما تجنب غضبها ، واكتفاء شرها) [(٢)] .

---

(١) موقع كابوس http://www.kabbos.com . مقال بعنوان : " عبدة الشيطان (١) : مدخل تاريخي حول الشيطان والعقائد المرتبطة به ، الحضارة الهندية القديمة : الآلهة الهندية كالي ربة الموت .

(٢) كامل سعفان : " معتقدات آسيوية " ، ص١٧١ .

أعتقد أنه من قبيل المبالغة أن تكون عبادة كافة الآلهة في الهند هي لاتقاء شرها؛ والذي يثبت وجود الفكرة الثنوية للنظرة الإلهية في الهند هو تقسيمهم لمهام الآلهـــة، فمنها ما يُعبد اتقاء لشرها ومنها ما يُعبد لحمايتهم من تلك الشرور، فهناك آلهة للخير تحمي، وهناك آلهة للشر تُهلك.

(إندرا الأكثر شبهاً بالبشر بين آلهة الفيدا ليكون سيد الصاعقة يهزم الأعداء، ويحمي شعبه ، ويسيطر على قوى العماء والظلمة الكونية) [١] .

إذاً هناك قوى للعماء والظلمة تفتك بالبشر ، ولابد من التوجه لإله لحمايتهم منها، وهذا هو أساس المعتقد الثنوي في الكون ؛ وقد تناثرت بعض النصوص في المراجع والكتب التي عنت بدراسة الحضارة الهندية من كافة جوانبها عن أمر عبادة آلهة اتقاءً لشرها ؛ فالإيمان بالأرواح الشريرة أمر عام بين سكان بلاد الهند الأصليين .

(كان لكل شيء عندهم إله فقوى الطبيعة وآفاتها مثلاً مما يعبدونه، فهم يرون أن على رأس كل آفة عفريت لا بد من إجادة عبادته إذا أريد درء ما يحمله من الشرور) [٢]

وكذلك ورد صراحة عن الديانة الهندوسية أنها عرفت عبادة الشيطان التي تعتبر بحق عبادة ثنوية واضحة .

(الهندوسية ليست ديناً واحداً ، ولا عقيدة واحدة ، إنها خليط من كل الأديان، وكل العقائد التي اكتسحت البلاد مدى أجيال التاريخ، وعبادة الشياطين، وعبادة الأبطال ، وعبادة الأسلاف ، وعبادة قوى الطبيعة، وعبادة الله، وجميع هذه العبادات كلها نسجت في لحمة الهندوسية وسداها) [٣].

كما قيل أيضاً:

(للهندوسية أوضـــاع شتى تتفـــاوت بين فلسفـــة الحلـــول الإلهـــي في الطبيعـة، ثم تأخذ في الانحدار ، حتى تصل إلى عبادة الأرواح الشريرة) [٤].

---

(١) مرجع سابق ، ص١٥٧ .

(٢) غوستاف لوبون : " حضارات الهند " ، ص١٧٣. ١٧٤ .

(٣) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، ص٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص٨٧ .

ودائمـــاً مـا يتكـرر اسـم إلـه واحـد إذا ذُكـر إلـه الشـر هـو الإلـه "سـيفا أو شـيفا" بحسب بعض المراجع.

(شيفا : إله العنف والقسوة ، ومثير الحروب يصور وفوق رأسه عدد من الجماجم ، وتحيط به أرواح الشر) [١] .

وقد فسر لنا صاحب مقال وجهة نظره عن الثنوية الإلهية التي ادعى أنها واضحـــة في الهند بقوله:

(عبادة شيفا هي من أقدم وأعمق العناصر التي منها تتألف الديانة الهندية ، فعلى الرغم من أنه إله القسوة والتدمير وله القدرة على التحكم في المرض ، وهو إله مرعب، لذلك كان يجب استرضاؤه ، وتعدى الأمر ذلك حيث أصبح "شيفا" مركزاً للعبادة) [٢] .

من هذه الناحية تشابهت العقيدة الهندية مع غيرها من العقائد الوضعية الأخـــرى في تقسيم المهام الإلهية الكونية ؛ شيفا هو أحد آلهة الثالوث المقدس المكون من "براهما وسيفا وفشنو"، أخذ براهما دور الإله الخالق الذي انتهت مهمته بعد ذلك ، وأصبح من النادر أن توجه له عبادات ؛ فقد كانت معظم العبادات والطقوس تقام لإرضاء سيفا، وتُذبح القرابين اتقاء لشره ليس هذا فقط ، بل معه زوجته الشريرة أيضاً التي تجسدت صورتها في بشاعة متناهية ، لا بد أن تُعبد ويقدم لها فروض الطاعة .

(كالي هي زوجة شيفا ، وهي أيضاً موضع عبادة عند جماعات من الهنود، رغم أن صورتها عند عامة الناس شبح أسود بفم مفغور، وترقص على جثة ميتة ، وأقراطها رجال موتى ، وعقدها سلسلة من الجماجم ، وقد كانت عبادتها أيضاً ذات طقوس وحشية، كثيراً ما تتضمن تضحية بشرية ، بل إن جماعة "الخناقين" استمرت أكثر من ستة قرون تتعبد للإله كالي بخنق ضحاياها) [٣] .

---

(١) حسن نعمة : " موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة " ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ص١١٩ .

(٢) موقع كابوس http://www.kabbos.com . مقال بعنوان : " عبدة الشيطان (١) " : مدخل تاريخي حول الشيطان و العقائد المرتبطة به ، الحضارة الهندية القديمة : الآلهة الهندية كالي ربة الموت .

(٣) ومما يثير الانتباه أن بعض تلك الطقوس لا زالت تمارسها بعض جماعات عبدة الشيطان إلى يومنا هذا ، كطقوس

أكثر الأدلة والنصوص التي تحدثت عن مبدأ عبادة القوى الثنوية في الكون في الديانة الهندوسية بشكل محدد وصريح هي ذات تاريخ حديث من مقالات المواقع الإلكترونية ؛ ولم أتوصل إلى تعليل مناسب لذلك ، غير أن الديانة الهندية لم تعرف الثنوية التي تعتقد بالأصلين الضدين اللذين تدور بينهما رحى المعارك للسيطرة على الكون ، على الرغم من القرب الجغرافي من موطن العبادة الثنوية في بلاد فارس، إلا أن الهند لم تتأثر بها كثيراً ، فموضوع الثنوية في أديان الهند تتلخص في أن هناك قوى شريرة يمكن أن تؤذي ولاتقاء أذاها لابد من تقديم القرابين لها.

ومن وجهة نظرهم أن الإنسان هو مصدر الشر الرئيسي فلما نظلم الآلهة ونجعلها مصدر الشر ، فلم يهتم الكاهن الهندي أن يُفسر سبب الشر في الكون بتفسير غيبي غير ملموس ، فكان الإنسان بعصيانه للأوامر هو مصدر الشر ، وما وجود الإله سيفا وزوجته كالي إلا لتفسير شرور الكون الطبيعية المدمرة كالزلازل والفيضانات ، فهي أكيد ليست من فعل الإنسان ؛ بل وحتى هذه جعلوا الإنسان سبباً لها، فقد غضبت الآلهة من عدم إتباع الطريق الصحيح في الحياة .

وقد ذُكرت بعض قصص الصراع الأزلي بين الخير والشر في الملاحم والأساطير الهندية القديمة ، وعلى سبيل المثال ما ذُكر في أشهر الملاحم الهندية والتي تُعرف باسم الرامايانا [١].

(رامايانا : الكتاب عبارة عن قصة تاريخية بين رجل اسمه "راما" ، وبين ملك اسمه "رافان" حارب الرجلان وانتهت القصة بفوز راما وهي تشير إلى أمر مهم جداً،

التضحية الحيوانية والرقص على جثث الموتى ، والتزين بسلاسل وأقراط الجماجم ... الموقع السابق.

(١) أشهر الملاحم الهندية هي " الرامايانا و المهابهاراتا " تؤلف هاتان الملحمتان الجانب الأكبر من الأدب الملحمي عند الهندوس القدامى ، كما أنهما تعطيان صورة واضحة ومتكاملة عن الثقافة والحضارة الهندوسية ، وعن الحياة السياسية والاجتماعية ، بل أيضاً عن الدين والفكر في الهند القديمة ، يرى بعض الباحثين أنها ألفت باللغة السنسكريتية في القرن الخامس قبل الميلاد ، أي بعد مرور ما يقرب من ألف سنة على حدوثها ، وهي ككثير من الكتب الهندية القديمة لا يعرف مؤلفها على وجه التحديد .

وهو الحرب بين الخير والشر) [١].

ومن آخر الدلائل التي أوردتها لأثبت بها وجود ملامح ثانوي للعقيدة الثنوية في أديان شبه القارة الهندية بشكل عام ، هي فتوى إسلامية لسائل كان يسأل عن حكم المشاركة في أحد الأعياد الهندوسية ، وكان السؤال :

(هل ينبغي على المسلمين اللعب بالألوان في "عيد الهولي" الهندي ؟، وهو عيد ديني في الأصل ، ويعتقد أهله- الهندوس- أنه تمَّ في أيامه القضاء على آلهة الشرِّ من قبَل آلهة الخير، لأنهم يعتقدون أن النيران قد قضت على الشر وأهله) [٢] .

ولعيد الهولي هذا أكثر من رواية لكنها تدور جميعها في إطار واحد .

(هولي هو في الأساس احتفال بموسم الحصاد وخصوبة الأرض ووداع الشتاء واستقبال الربيع ، إلا أن له جذور دينية ويرتبط ببعض الأساطير الهندوسية ؛ ويُروى قصة إحراق "هوليكا" شقيقة ملك الشياطين "هيرانياكاشيبو" الذي منحه الإله "براهما" موهبة تجعل من المستحيل تقريباً أن يُقتل ، وقد مُنح ذلك بعد أن كفر عن سيئاته ، وطلب جزاء ذلك أن يصبح قتله مستحيلاً ، فلما صار له ما أراد طلب أن يتخلى البشر عن عبادة الآلهة وألا يعبدوا سواه)[٣].

تتشابه أحداث القصة السابقة مع بعض أحداث قصة إبليس في الملأ الأعلى، مع تغير في الأحداث والأسماء ، فكيف حدث التشابه بين قصة حدثت في الملاء الأعلى مع قصة في ديانة من وضع البشر ، من ينقلها غير الأنبياء الكرام أو الكتب المقدسة.

ولهذا دلاله هامة من حيث:

١- أن أرض الهند عرفت النبوات الحقة .

٢- أن المعتقد الهندي عرف الثنوية الإلهية التي يكون فيها مصدر الشر رباً مرهوباً .

---

(١) أبكار السقاف : " الدين في الهند والصين وإيران " ، ص٤٠ .

(٢) عثرت عليها في أحد المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية ، موقع الإسلام سؤال وجواب http://islamqa.info . عنوان : " حكم مشاركة المسلمين في العيد الهندوسي الهولي .

(٣) موقع موسوعة مسافر http://news.travelerpedia.net . مقالة بعنوان : " عالم من الألوان والبهجة في مهرجان هولي بالهند " ، نشرت بواسطة : غادة محمد ٢٠١٢/١٨/٠٣م .

الخلاصة:

الهند أمة عريقة وعظيمة كما ذكر الشهرستاني ؛ وعراقتها من قدمها فقد ذُكر أنه قد تكون أول البقع الأرضية التي سُكنت من قِبل البشر؛ وعظمتها بما تحويه من تراث اجتماعي وديني متناقض متعايش متناغم.

وأديان الهند في مجملها توصف بأنها دين المتناقضات ؛ فنجد فيها الانطلاق للاتحاد مع الإله ، ونجد فيها تقديس الحجر والفأر، ونجد المعبد الواحد يضم آلهة الهندوس بجوار آلهة البوذيين ؛ تُقدم القرابين للإله الخير شكراً وعرفاناً ، كما تقدم أعظم منها لإله الشر خوفاً واتقاءً ، كل ما في الهند متناقض بدءاً من ملامحها الجغرافية التي تجمع أعلى قمة جبلية مع أعظم منحدر سهلي؛ وتواجهك الأمطار والثلوج في مكان بينما يرزح أهل مكان آخر تحت شمس حارقة وجفاف قاتل ، ونستطيع أن نرى قصر التاجر الفاحش ثرائه وبجواره كوخ الفقير المعدم ، وكلاً راضٍ بطبقته ، فهي أوامر الآلهة ولا سبيل للاعتراض أو التمرد .

عرفت أديان شبه القارة الهندية الفكرة الثنوية لكن بصورة مختلفة؛ أشدها وضوحاً:

- **الإله سيفا أو شيفا** : إله الدمار الهالك وزوجته كالي التي ترقص على جثث الموتى.
- **عيد الهيولي أو عيد الألوان** : وهو احتفاء بانتصار الخير وقتل ملك الشر.

وعلى الرغم من مجاورتهم لبلاد فارس موطن الثنوية وبيئتها الحاضنة لها إلا أنها لم تتأثر بمعتقدهم عن عبادة الأصلين اللذين يحكمان الكون ، قد تكون فكرة التعددية وأن لكل ما في الكون إله يحكمه ويُعبد من أجله طغت على فكرة الإلهين الاثنين .

وفي وقت لاحق كان للثنوية الإيرانية وجود طفيف في الهند نتيجة هجرة جماعات الزرادشتيين من إيران والذين عُرفوا بالبارسيين بعد دخول الإسلام إلى بلاد فارس؛ فسكنوا بلاد الهند المجاورة ، ومارسوا فيها حرية دينهم في خضم كل تلك الأديان التي تُمارس على أرض الهند .

وقد تكون مادتي المعلوماتية هزيلة وضعيفة ، وذلك بسبب عدم توفر المناخ المناسب والأرض الرحبة للمعتقد الثنوي حتى ينمو ويبرز على السطح.

المبحث الرابع

الثنوية في أديان بلاد فارس القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد فارس القديمة.**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد فارس القديمة.**

(تمهيد)

أُطلق عليها بلاد العجم !! كما قيل هي أرض إيران ، وقيل أيضاً بلاد فارس القديمة ، كلها أسماء لمكان واحد ؛ هكذا كنت أعتقد قبل أن أبدأ ببعثرة أوراق التاريخ الجغرافي القديم لبلدان الشرق الأدنى فاكتشفت أن إيران وفارس اسمان استعملا للدلالة على قطر واحد ، ولكنهما ليسا مترادفين [١]. وأن اسم إيران أشمل وأعم من اسم فارس[٢] فقد قيل:

(سميت فارس نسبة إلى قبيلة فارس التي نزحت من مواطنها التي لا تبعد كثيراً عن إقليم فارس، وإيران أقدم في التسمية من فارس) [٣].

تقع بلاد إيران في القارة الأسيوية وتحديداً في شمال غرب شبه القارة الهندية ، فهي نقطة التقاء الشرق الأوسط بالشرق الأدنى ، وتتصل بحدود مع العراق وقريبة من دول الخليج العربي وتطل عليه ، كما تتصل بحدود مشتركة مع الهند ودول جنوب آسيا. ولم تدخل الأراضي الإيرانية التاريخ في زمناً سحيق ، فوعورة الهضبة الإيرانية كانت حائلاً من استيطان البشر منذ الأزل [٤].

لكن هذا لا يمنع أن الإمبراطورية الفارسية في وقت من الأوقات حققت ما لم تحققه مثيلاتها في ذات الزمن. وهي أرض وعرة ومنغلقة وهضبيه بركانية لست أجد فيها ما يسر الساكنين إلا أنها أرض غنية بالمعادن الطبيعية ، وقد اكتسب أهلها قساوتهم من وعورتها وصعوبة العيش فيها.

---

(١) سامي المغلوث : " أطلس الأديان " ، ص٥٩٧ .

(٢) (اسم إيران من أقدم الأزمان ، وأما فارس فاسم ولاية من ولاياتها الأولى ، ويسميه العرب بلاد العجم) شاهين مكاريوس : " كتاب تاريخ إيران " ، دار الأفاق العربية ، ١٤٢٤هـ ، ص١ .

(٣) أحمد عبد الغفور : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ، ١٤٠١هـ ، ج١ ، ص٢٣٦ .

(٤)(لم تستهو أقطار الشرق الأدنى بني آدم عندما كانوا يجتازونها ، ولم يغرهم شيء للاستقرار فيها ؛ وهكذا لم تظهر فيها حضارات متطورة إلا في زمن لاحق جداً ، ولم تبلغ قط أي من هذه الحضارات عظمة ، وقوة ومدى حضارتي مصر وبلاد الرافدين ؛ فلم تترك هذه الحضارات للخلف في الزمان والمكان إلا إرثاً أقل عظمة وكمالاً) موريس كورزيه : " موسوعة تاريخ الحضارات العام " ج١، ص٢٠٤ .

بالنسبة لمن سكنها بادئ ذي بدء قيل هي القبائل المهاجرة التي دخلت الهند [١]، واستقرت بها كانت قد مرت بإيران أولاً واستقر البعض منهم بها.

(في تلك البلاد التي تقع شمالي غربي الهند ، كان يعيش منذ عدة مئات من السنين شعب كان يتكلم لغة تشبه كثيراً تلك اللغة التي كانت سائدة في الهند وكان يؤمن بعدة آلهة تشبه آلهة الهند في ذلك الوقت ، لكنه يعيش في إيران) [٢].

لم تكن قبيلة فارس هي أول من استوطن الهضبة فقد سبقهم شعب يطلق عليهم الميديون [٣]، وقد تردد في أكثر من مصدر أن الميديون هؤلاء هم أنفسهم الآريون الذين دخلوا الهند وكونوا حضاراتها وذلك بدلالة النص التالي:

(وقد أخذ الفرس عن الميديين لغتهم الآرية ، وعنهم أخذوا قانونهم الأخلاقي الذي يوصي بالاقتصاد) [٤].

تاريخ إيران في مجمله يلفه الغموض..

(إن العلم بتاريخ إيران في أول أمـــره عسر لا يمكن الوصول إليه ، أكثر ما قيل عنه قبل حكم الملك كورش يعد بعضه أو أكثره من قبيل الأوهام والخرافات وقد لا تخلو من الصحة) [٥].

فعلياً تعتبر الدولة الفيشداذية الأولى هي التي رسمت ملامح الحضارة الإيرانية الدينية والتي لازالت بعض من تلك الملامح إن لم يكن كلها ســـاري وموجـــود حتى الآن، إلا أن الحقيقة التي أجمعت عليها الكتب التاريخية غير ذلك. فقد ذكرت أن البداية

---

(١) (يرجح كثير من الباحثين أن الأوربيين الذين نزحوا من وادي الدانوب ، وغزوا بلاد الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد قد تخلف فريق منهم عن الزحف إلى بلاد الهند ، وأقاموا في المنطقة التي نسميها اليوم " إيران " ، وكونوا فيها الشعب الفارسي الآري) إبراهيم محمد إبراهيم : "الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ص١٦١ .

(٢) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٢٧٨ .

(٣) (لم يكن الفرس أول شعب استوطن المرتفعات الإيرانية ، وأسس فيها مملكة ذات حضارة ، فقد سبقهم إليها الميديون الذين يمتون إليهم بصلات نسب عرقية وحضارية) سيف الدين الكاتب : " أطلس تاريخ العرب والعالم " ، دار الشرق العربي ، الطبعة الخامسة ، ١٤٣٣هـ ، ص١٤ .

(٤) ول ديورنت : " قصة الحضارة " ، ج٢ ، ص٤٠١ .

(٥) شاهين مكاريوس : " كتاب تاريخ إيران " ، ص٦ .

الفعلية للحضارة الإيرانية كانت من الدولـــة الأخمينية أو الكيانية باختلاف اللفظ، والتي كان " كورش " أو " قورش " على خلاف بين الكتب في الاسم أشهر ملوكها؛ لكنه لم يكن مؤسسها [١]. واعتبر المؤرخون الغرب أن هذه الدولة هي البداية الحقيقة للإمبراطورية الإيرانية ، فقد ذاع صيتها لديهم بما وصلت إليه من غزوات وبما ضمته تحت حكمها من دول وبلاد ، بعكس المؤرخين العرب الذي ابتدأ تاريخ إيران من الدولة الساسانية [٢].

وبعد الدولة الأخمينية دخلت إيران عصور النسيان والإهمال التاريخي فلم تكن بها أحداث رصدتها كتب التاريخ ، تلا تلك الفترة ظهور آخر مع الحكم اليوناني لإيران على يد الإسكندر الأكبر ، ومن ثم عادت إلى الانزواء تاريخياً بعد انتهاء الحكم اليوناني عليها فيما عُرف بفترة " ملوك الطوائف"، حتى ابتدأ تاريخ الدولة الساسانية.

(كان العرب من أيام القدم يخضعون يوماً للفرس ويوماً يستقلون، حتى إذا استتب الملك لآل ساسان في بلاد إيران جعلوا بلاد العرب من أملاكهم، وأقاموا ملوك الحيرة من العرب عمالاً على قبائلها، ويعد الملك أنوشيروان آخر ملك تولى أمور البلاد قبل الفتح الإسلامي) [٣].

---

(١) (قلنا إن الدولة الإيرانية الأولى انتهت بعزل آخر ملوكها لعدم جدارته ، وانتخاب أمير آخر اسمه كيقباد جد الدولة الثانية المعروفة باسم الكيانية ، ومن هنا يبتدئ تاريخ إيران الحقيقي)شاهين مكاريوس : " تاريخ إيران " ، ص١٣ .

(٢) فقصر أبو حمزة الأصفهاني وتاريخه أقدم التواريخ العربية في " الباب " بحثه على العصر الساساني ، وأغفل العصور التي سبقته قائلاً : بأنه لا سبيل إلى معرفة أحوالها ، لأن الكتب البهلوية قد ضاعت في الدمار الذي صحب الهجوم الإسكندري ، وكذلك نقل اليعقوبي هذه الأساطير إلا أنه صرح بأنها ليست من التاريخ في شيء ؛ وذكر ابن مسكويه في كتابة " تجارب الأمم " أنه لا يدخل في التاريخ إلا العصر الساساني " .. صالح صابر زغلول : " كورش الأكبر مؤسس الدولة الفارسية وأبو إيران " ، ص٢٦٤ .

(٣) شاهين مكاريوس : " كتاب تاريخ إيران " ص ٨٣ . ٩١. ٩٣ .

الفتح الإسلامي لبلاد فارس:

وصل المسلمون على أعتاب فارس ، وتحقق وعد رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الذي بشر به [(١)]، كان ذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تحقق الوعد وتم الفتح بعد خوض معركتين من أقوى المعارك وأخلدها على مر التاريخ :

- **معركة القادسية** [(٢)] : بقيادة الصحابي سعد بن أبي وقاص [(٣)] رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وجمعاً غفير من الصحابة.
- **معركة نهاوند**[(٤)] : بقيادة الصحابي نعمان بن المقرن [(٥)] رضي الله عنه.

---

(١) ورد في كتاب ابن الأثير " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، (وأما كسرى فجاءه كتاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . مع عبد الله بن حذافة فمزق الكتاب ، فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : " مُزق ملكه"، ص٣٢٧ .

(٢) معركة القادسية كانت سنة ١٦هـ على خلاف ما بين ١٥ و ١٤هـ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ج١ ، ص٤٣٠

(٣) هو : سعد بن مالك بن وهيب . وقيل ابن أهيب . بن عبد مناف . ينتهي .كنانة القرشي الزهري ، يكنى أبو إسحاق، أسلم بعد ست ، وقيل بعد أربع وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اخبر عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . أن رسول الله . صلى الله علية وسلم . توفي وهو عنهم راض ، شهد بدرا وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، كان فتح العراق على يديه ، كان أمير الجيش في القادسية ، وقد اعتزل سعد الفتنة ، فلا حضر الجمل ولا صفين ، ولا التحكيم ، كان آخر المهاجرين وفاة ، وقيل توفي سنة ٥٥هـ .

أنظر ترجمته في : " أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، ج ١، ص٣٩٠ ، و " الطبقات الكبرى " للزهري ، ج٣، ص١٢٧ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ، ج١ ، ص١٧٨٤ .

(٤) معركة النهاوند كانت سنة ٢١هـ ، على خلاف ما بين ١٨ أو ١٩هـ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ج١ ، ص٤٦٥ .

(٥) النعمان بن مقرن بن عائذ بن ميجا...بن عثمان بن مزينة ، كنيته أبو حكيم ، وقيل أبو عمرو المزني الأمير ، صاحب رسول الله . صلى الله علية وسلم . شهد الخندق ، كان إليه لواء قومه يوم فتح مكة ، ثم كان أمير الجيش الذين افتتحوا نهاوند ، كان أول قتيل قُتل النعمان بن مقرن فاستشهد يومئذ ، نعاه عمر على المنبر إلى المسلمين وبكى ، كان مقتله في سنة ٢١هـ ، يوم جمعة .

أنظر ترجمته في : " الإصابة في تمييز الصحابة " لابن حجر ، ج١١ ، ص٩١ ، و " الطبقات الكبرى " للزهري ، ج٥ ، ص١٤٦ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ، ج٣ ، ص٤٠٣١ .

بقيت إيران بعد ذلك تحت مظلة الحكم الإسلامي فترة طويلة من عمر الزمن، حتى كان آخر الدول التي حكمتها الدولة الغزنوية ومن بعدها الدولة السلجوقية التي ضعفت[١]. ومن ثم توالى على حكم البلاد عدة دويلات ؛ إلى أن وصل الحكم إلى الدولة الصفوية .

(انتهت مدة الدولة المغولية الأولى حتى صارت إلى قبضة الدولة الصفوية، وكانت العائلة الصفوية من عهد مؤسسها الشيخ صفي الدين عائلة علماء أعلام وأئمة كرام؛ ومن ثم وقعت في قبضة شرذمة من البرابرة وأهل غلظة من الأفغان) [٢].

(١) يجدر الإشارة إلى قوة عظيمة نشأت في بلاد إيران في أيام الدولة السلجوقية ، وهي طائفة الإسماعيلية أو الباطنية يُعرف رئيسها باسم شيخ الجبل ، ومؤسسها رجل اسمه حسن صباح رحل من إيران ، ولجأ إلى قوم من الإسماعيلية ، وهم أصحاب الديانات الباطنية ، ويعتبر هذا من أهم الأحداث التي تذكر عن إيران بعد انقراض الدولة السلجوقية ، تاريخ إيران ، ص١٣٠. ١٣١ .

(٢) شاهين مكاريوس : " كتاب تاريخ إيران " ، مرجع سابق ، ص ١٤٧-١٦١ . ما ورد في النص من وصف للدولة الصفوية يبقى رأي صاحب النص .

المطلب الأول: الحالة الدينية في فارس القديمة

كانت وما زالت إيرانا فيجا "أرض الآريين" باللغة الفارسية القديمة البيئة الحاضنة للأديان الثنوية وليس للفكرة الثنوية. وقد تبلورت الفكرة الثنوية التي تتبعنا منشأها سابقاً واتضحت معالمها وتراكبت صورها في بلاد فارس القديمة حتى أضحت ديناً بل عدة أديان حجزت لها مكان على الخارطة الدينية للبشرية.

كانت البداية طبيعية كبدايات شعوب الأرض قاطبة ، تقديس الطبيعة بكل مظاهرها ؛ فقد كانت حياة الفلاح الإيراني صعبة وشاقة فكان يطمح لمن يساعده على تجاوز عقباتها ، فلم يجد سوى الطبيعة ، وصاحب عبادة الطبيعة معتقد الطوطمية، ويوضح هذا النصين التاليين :

- (كان الدين الإيراني يعكس عز الإنسان في صراعه من الطبيعة ، وكانت القبائل تعبد الحيوانات المقدسة مثل الكلب والثور؛ وهذا من بقايا الطوطمية ، أما الآلهة الرئيسيون كانت تجسد قوى الطبيعة ، وكانت العبادات الأكثر انتشاراً هي الأرض والسماء والماء والنار) (١).
- (كانت المعتقدات الدينية لأهالي مادا وفارس تشبه المعتقدات القديمة الشائعة بين الشعوب الآرية الأخرى ، فعبد الآريون مظاهر الطبيعة ، ثم أخذوا يعظمون الشمس، ثم أحلوا النار محل الشمس ، وقد قسمت العقلية الإيرانية القدرة الإلهية إلى قدرتين متوازيتين فقدرة إله الخير تهب للبشر أفراح الحياة ، وقدرة إله الشر تتفجر منها الشرور بأصنافها) (٢) .

وفي حين ذُكِرَ في النصين السابقين تسلسل العبادات في إيران ، إلا أنه لم تتضح أسباباً لذلك التسلسل ؛ فكانت البداية من الطبيعة ومن ثم الطوطمية وبعدها تخصيص الشمس من دون مظاهر الطبيعة كلها بالتقديس والعبادة ، ولأنها بعيدة أحلوا النار محل

---

(١) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج١، ص ٢٠٤ .

(٢) صالح صابر زغلول : " كورش الأكبر مؤسس الدولة الفارسية وأبو إيران " ، ص٢٨٨ .

الشمس في العبادة وهكذا.

وإذا نظرنا للدور الذي لعبته الشعوب الآرية في منطقة الهضبة الإيرانية من الناحية الدينية لا أجد أي دليل تأكيد أو نفي عما إذا كانت هي منبع العبادة الثنوية أم لا؟. فالآريون [١] انتشروا في جميع أصقاع الأرض تقريباً فلما لم تنتشر فكرة القدرتين المتوازيتين المتضادتين إلا في إيران فقط؟!! ربما تكون فكرة القوتين الضدين كانت موجودة لدى فارس من قبل الآريين .

لم أتتبع الملامح الدينية للشعوب الإيرانية كما يقتضي عنوان المطلب ، لأن الدين في إيران ثنوي فكل الملامح الدينية ستكون ثنوية وهذا ما سيتضح لاحقاً.

المهم الآن هو تحديد مصدر عقيدتهم الثنوية والخلفية الدينية لها من أين بدأت؟. لقد كانت بدايات الدين بشكل عام في إيران من الدولة الفيشداذية الأولى التي يقال إنها هي التي رسمت الملامح الأولى للدين الإيراني ، والتي لازالت بعض من تلك الملامح إن لم يكن كلها ساري وموجود حتى الآن .

(أول من حكم بلاد إيران ملك اسمه كيومرث أو جيومرث ، خلفه حفيده الملك هوشنك ابن سيامك ، ويقال أنه هو الذي علم الناس عبادة الإله الخالق وهو الذي عرّف الناس بالنار وفائدتها ؛ فلما مات خلفه ابنه طهمورث ، ويروى أن عبادة الأصنام بدأت في أيام هذا الملك ؛ إذ صار الناس يصنعون تماثيل أقاربهم ويحفظونها عندهم تذكاراً، ثم صار أولادهم يوقرونها حتى عبدت) [٢] .

ويقال أن هذه الدولة حكمت إيران ٢٤٥٠ سنة ؛ وقد جاء في النص اسم الملك "كيومرث" ولكنه اختلف في تحديد من يكون [٣] ، ذكره الإمام الشهرستاني في حديثه

---

(١) السلالة الآرية ، وهي ليست في أوربا جنساً ، ولكنها تعبير لغوي فهم مجموعة من الشعوب موطنها واحد ، ولهم لغة واحدة هي اللغة الهندية الأوربية التي تعرف باللغة الآرية ، من كتاب الديانات والعقائد في مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور ، ص ٢٣٦ .

(٢) شاهين مكاريوس : " كتاب تاريخ إيران " ، ص١١.٧ .

(٣) الكيومرثية يقولون كيومرث هو آدم . عليه السلام . وتفسير كيومرث هو : الحي الناطق ، وقد ورد في تواريخ الهند والعجم أن كيومرث هو آدم . عليه السلام . ويخالفهم في ذلك أصحاب التواريخ الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج١ ، ص٢٣٣ .

عن فرق المجوس: (أصحاب المقام الأول كيومرث ، أثبتوا أصلين يزدان وأهرمن، وقالوا: يزدان أزلي قديم ، وأهرمن محدث مخلوق) [1].

أياً ما تكون حقيقة كيومرث هذا فقد كانت بداية الأصلين المعبودين من لدنه؛ ومن ثم خلفه حفيده الملك هوشنك الذي يقال أنه هو من علم الناس عبادة الإله الخالق، وهو الذي عرّف الناس بقدسية النار ، ويوضح النص أن انحرافات البشرية في العبادة تقريباً كلها كانت من إيران، فمن الاعتقاد بالأصلين إلى عبادة النار وتقديسها.

ولكن لقصة عبادة النار أحداث أخرى تعود إلى الجيل الأول من البشرية، وقد ذكرها ابن الأثير في تاريخه فيما يعرف بالروايات الإسرائيلية التي يمتلئ بها تاريخه:

(ذُكر أن قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أتاه إبليس فقال له: إن هابيل إنما قُبل قُربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها ، فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك ، فبنى بيت نار ، فهو أول من نصب النار وعبدها) [2].

أوردت النص السابق ولي معه مخالفة ، فقد جاء في الأحاديث النبوية عن رسولنا الكريم أنه بعد آدم عليه السلام وذريته كانت عشرة قرون على الحق والتوحيد حتى بدأت أولى بوادر الشرك في زمن نبي الله نوح عليه السلام بعبادة الخمسة الرجال الصالحين ، وتلك من الحقائق التاريخية المسلم بها لدينا مما لا يستدعي معه إلى اثبات أو دليل؛ وقد أوردت نص ابن الأثير من باب الدلالة على أن تقديس النار وتعظيمها عرفت قبل مجوس إيران ، وقد يكون به شيء من الصحة من حيث قدست النار ولكن لم تعبد مع الله ؛ فقد أجمعت كتب التاريخ أن غالبية العبادات الشركية كانت من أرض إيران.

كانت تلك ملامح عامة للحالة الدينية الإيرانية في الزمن السحيق ، لكن ما بال الأديان التي سطرها التاريخ بأسمائها ، والتي نشأت على أرض إيران؟.

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل " ج١ ، ص٢٣٣ .

(٢) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١، ص٢٦ .

حين أتى الإمام الشهرستاني على ذكر من له شبهة كتاب فَرّق بين نوعين منهم، فذكر المجوس وذكر أصحاب الاثنين ، وجعل لكل قسم منهم فرقاً تابعه له ، وقد انفرد الشهرستاني بهذا التقسيم دون غيره من علماء الأديان المسلمين ؛ ففي المصادر الأخرى لم يكن مثل ذلك التقسيم معروف ، فكلهم الزنادقة أصحاب الاثنين .

وقد ذكرت بعض المصادر تقسيم آخر مخالف لما أورده الإمام:

(الديانة الفارسية الأولى، كان الناس في هذه الديانة قسمان عامة وخاصة، فالعامة هم جماهير الشعب، ولهم عقيدتهم التي تختلف عما يدين به الخاصة) [١]. وذكروا:

- **عقيدة العامة** : يقوم أتباعها بعبادة العناصر الأربعة الطبيعية وأهمها النار ممثلة في كوكبيها "الشمس والقمر"، ثم العناصر الأخرى وهي الماء والتراب والهواء.
- **عقيدة الخاصة** : الملوك كانوا يعبدون الإلهين "ميترا" و"أناهيتا"، ويضعون على رأس هذه الآلهة الإله الأكبر "أهورامزدا" وهذا الإله لم يكن مرئياً ولا متجسداً ولم تكن النار إلا رمز إله فحسب [٢].

بداية الأديان المسماه في إيران كانت " الديانة المثرية " أو المترية ، وأشهر الآلهة هما الإلهان "ميترا وأناهيتا" كانا هما مظهرا الثنوية الأولى في إيران ؛ وتعد هذه من أوائل الأفكار التي عرفتها البشرية في تاريخها الديني على مر العصور، وقد ثَبُت أنها ديانة الآريين ، ونجد ملامحها أينما حل وارتحلوا.

(مثرا أكبر الآلهة في الدين السابق على دين الزرادشتي إنه إله الشمس؛ وهو في الديانة المثرية إله الشمس ورب الكون وخالق الإنسان وقاهر أهرمن ، ولا يسبقه في الوجود غير "الأبد" أو "الزمان" أب الأرباب عندهم وأب الوجود ؛ والإلهة أناهيتا هي إلهة المياه المقدسة) [٣].

---

(١) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ، ص ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣.١٦٥.

(٣) كامل سعفان : " معتقدات آسيوية " ، ص ٩٤.٩٥ .

ومن خلال تتبعي للنصوص التي ذكرت بدايات الديانات نجد أنها جميعاً تدور حول الاثنين [١]، فكأن هذا هو ما وجده الآريون حال دخولهم أرض إيران ، الطبيعة الخيرة والشياطين الـ " سادة ". وقد تداخلت النصوص فيما يخص الاسم الأول للدين في إيران بشكل يصعب معه التيقن بالصحة- سأكتب بما لم أتيقن منه- أن أرض إيران كانت مسرح صراع التباغض والحسد بين قابيل وأخيه هابيل ، وكان على أرضها بداية عبادة النار، ولا يستبعد أن تكون شهدت أيضاً ولادة فكرة الرب النِدِّي لله المرهوب على الأرض. وإلا لما كانت أديان إيران كلها من دون أديان الأرض قاطبة تقوم على أساس عبادة الأصلين ، وتكون تلك أظهر مظاهرها؟.

لقد تعددت الأسماء والأساس واحد ، فبخلاف الميثرائية وجد من يذكر عن ديانة الإيرانيين الأوائل أنها :

- **المجوسية الأولى**: قيل إنها (المجوسية الأولى أساس كل ديانات فارس الثنوية) [٢].
- **الزروانية** [٣]: قيل أنها أسبق من المجوسية (الزروانية أسبق عقيدة من المجوسية، وهو أصل مبدأ الخير، ومبدأ الشر المتكافئين) [٤] .

ذكر الشهرستاني في معرض حديثه عن بداية مذهبهم:

(الشخص الأعظم الذي اسمه زروان شك في شيء من الأشياء ، فَحدَّث أهرمن الشيطان يعني إبليس من ذلك الشك) [٥].

هذا ما ذكرته مراجعنا الإسلامية.

---

(١) (في تلك البلاد التي زحف إليها الآريين اتخذت تلك الشعوب عبادة تعدد الآلهة ، وأطلقوا على الآلهة الخيرة لفظة "النجوم اللامعة "، وعلى الشياطين لفظة "سادة ") حبيب سعيد: " أديان العالم " ص١٥٠ .

(٢) أحمد عبد الغفور : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ، ص ٢٤٢ .

(٣) (يعتبر الدين الزرواني هو أول دين للإيرانيين ؛ كان جماعة من الناس تؤمن بإلهين ، وكانوا يعتقدون بأن أحد هذين الإلهين خالق للخير ، والآخر للشر والأعمال المضرة)رؤوف سبهاني : " تاريخ الفلسفة في إيران " ، ص ٣٥ مصدر المعلومة من كتاب بلوتارخوس : " إيزيس وأوزيريس" ، طبع منشورات عزيزي ، ص ١٧. .

(٤) أحمد عبد الغفور : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ، ص١٤١

(٥) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج١ ، ص٢٣٤ .

أما المراجع الغربية فقد ذكرت نفس الأحداث لكن بصورة مختلفة:

(إن زرفان أراد أن ينجب ولداً ، وبعد أن ظل يقدم القرابين لمدة ألف عـــام تشكك في إمكانية تحقيق رغبته ، وفي اللحظة التي شك فيها تم الحمل في توأم " أهورامـــزدا وهو التجلي الواضح لكل ما هو خير، وأهرمن الشيطان وهو التجلي لشك زرفان) [1].

في حين جعلت الرواية الأولى الشيطان مخلوق من شك ، كانت الرواية الثانية تجعل الواحد انبثق عنه اثنان ، وهناك عدة نصوص تذكر نفس الأحداث إلا أنها تستبدل باسم زرفان اسم زروان مما جعلني استنتج أنهما ديانة واحدة باسمين مختلفين، غير ذلك ذُكر أيضاً الديانة المزدية ، إلا أن النصوص لم تحدد ترتيبها بين الديانات:

(سجلت يد الزمن في سجل الأديان "الدين المزدي" ترى أن هناك قوى متناقضة تسبب تصادما ونزاعاً بإلوهية منقسمة إلى ثنائية من نور وظلمة أو خير وشر) [2] .

ويرى علماء الأديان الغربيين أن نظرة الإيرانيين إلى الإله الخالق بهذه الصورة الثنوية تعتبر خالية من الخرافات وأقرب للصحة ، وقد أُعجب العلماء في الغرب بالفكـــرة، لكن السؤال الذي يجب طرحه على أحدهم وينتظر الإجابة عليه :

لم الواحد يخلق اثنان ومن ثم تتوقف القدرة الفاعلة الخالقة لديـــه بعـــد ذلك ؟!! ولم تكون قدرة مخلوقاته الفاعلة أقوى تأثيراً وفاعلية من قدرته؟!!.

أول الديانات التي اتخذت صفة الديانة الرسمية على أرض إيران كان الدين الزرادشتي ومن ثم المانوي [3] وكان بينهما ما يُعرف بالديصانية والمرقيونية.

(نشـأت في فـارس ديانـات أخـرى، ولكنهـا ثنويـة كالـديانات السـابقة منهـا: الديصانية، المرقيونية وهي سبقتا المانوية) [4].

---

(١) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص١٤٥ .

(٢) إبكار السقاف : " الدين في الهند والصين وإيران " ، ص٢٤٩.٢٥٥ .

(٣) سيكون للزرادشتية والمانوية ذكر مفصل في المطلب القادم .

(٤) أحمد عبد الغفور : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ، ص٢٧٦ .

الدين الديصاني [(١)]:

ذكرهم الشهرستاني ضمن القائلين بالثنوية إنما بعد المانوية ، وفي النص السابق ذكرها قبله ، وإن كنت لا أعني بالترتيب فليس ثمة تأثير بين السابق واللاحق، فكلاهما قالا بالأصلين. وقد أثبت الديصانية أصلين : النور والظلام ، وفرقوا بينهما في القدرة الفاعلة ، فحين أن النور يفعل الخير قصداً واختياراً بخلاف الظلام الذي يفعل الشر طبعاً واضطراراً فهو مجبور على ذلك ولا يصدر منه الخير قط .

وعن صفاتهما زعموا أن النور حي عالم قادر ومنه الحركة والحياة ؛ والظلام ميت جاهل عاجز موات لا فعل له ولا تمييز. وحين سؤالهم عن الميت العاجز: كيف يخلق الشر والقبح؟، زعموا: أن الشر يقع منه طبعاً وخرقاً بدون أن يختار. وعن المزاج والخلاص زعموا أن تمازجهما جاء من رغبة النور في إصلاح الظلام فدخل فيه ليستخرج ما يصلح منه لعالم النور، فتشبث به الظلام فترة من الزمن ، فصار يصدر من النور أموراً قبيحة اضطراراً لا اختياراً ؛ وجعلوا للنور فعلاً اختيارياً وفعلاً اضطرارياً.

الدين المرقوني [(٢)]:

هم أصحاب مرقيون الذين أثبتوا أصلين النور والظلمة وأصل ثالث لازماً لهما ليعدلهما، وهو دين خلط بين النصرانية والمجوسية ، فيصح أن نطلق عليه "الثنوية المنصرة"

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج٢ ، ص٢٥٠ كل ما سيأتي من أقوال أتباع هذه الديانة من نفس المصدر، بتصريف .

(٢) الديانة المرقيونية ضمها أغلب علماء الأديان إلى الفرق المسيحية المنشقة وعدوها من الفرق الثنوية المسيحية ، وليست من أديان إيران ؛ وذلك بسبب أنه في القرن الثاني خلال حكم الدولة الساسانية انتشرت الطوائف النصرانية في العراق وإيران ، وتم تهجير بضع مئات الألوف النصارى من سكان سوريا وتوطينهم في فارس ، التي أصبحت الملاذ لكثير منهم بعد الخلافات التي دبت بينهم في المجمعات التي كانت تعقد ، والتي تم بعدها الفصل بين الكنيستين الشرقية والغربية ، ولكل منها أتباع ؛ وذكر النص التالي : " كانت المجموعات المسيحية ، أو المجموعات المتأثرة بالمسيحية تخوض في مجالات مع المسيحية الأرثوذوكسية ، ولا سيما في العراق ، ويجب التذكير بإتباع الباردايصان والماركيونيين " ، فارس القديمة ليزف فيزهوفر ، ص٢٤٢ ، وسيأتي على ذكرها في الفصل الرابع في مبحث النصرانية) الشهرستاني : "الملل والنحل " ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

أو نقول "النصرانية المتمجسة" هؤلاء زعموا أن الأصلين قديمين متضادين، أحدهما النور والثاني الظلمة والثالث المعدل الجامع بينهما.

وعن طريقة المزج بينهما زعموا أن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع، وحين سؤلوا عن صفات الجامع زعموا عن الجامع دون النور في المرتبة وفوق الظلام، وحصل من الامتزاج والاجتماع هذا العالم ، ولما سؤلوا عن سبب وجود المعدل وما الحاجة إليه؟!! قالوا : إنما أثبتنا المعدل لأن النور الذي هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشياطين هذا أولاً ؛ ثانياً فإن الضدين يتنافران طبعاً ويتمانعان ذاتاً ونفساً، فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما ليُخلق منهما هذا العالم؟.

أي أنهم وجدوا الحل في المعدل ليكون بمنزلة دون النور وفوق الظلام ، فيقع الامتزاج منه ؛ وقيل إن الخلاص هو في وجود هذا العالم ليستخلص النور ما خالط من أجزاءه في الظلمة.

الدين المزدكي(١):

ظهر الدين المزدكي بعد الدين المانوي بل قيل أنه منشق عنه ؛ فقد قال مزدك بنفس قول المانوية إلا في خلاف بينهما حول صفات كل من النور والظلمة (٢). ظهر مزدك هذا في أيام ملك يقال له قباذ ، ودعاه إلى مذهبه فأجابه ، ولما تولى ابن الملك قباذ الملك أمر بقتله لما شاع في البلاد من انحلال أخلاقي ، وفساد مالي نتيجة دعوته الشيوعية التي تُعتبر الصورة القديمة للمذهب الاشتراكي الشيوعي(٣).

---

(١) هم : أصحاب مزدك المولود في نيسابور ،كان مانوياً ، وانشق وقال : بثلاثة أصول للعالم بدلاً من أصلين " الماء ، النار ، التراب " قال إن الناس لن تنعقد لهم السعادة إلا إذا كانت لهم متع الدنيا شركة فيما بينه كشركتهم في الماء والنار ؛ قتل سنة ٥٢٣م ، والمزدكية في تقويمها ليست سوى فلسفة شيوعية وإباحية ، فوضوية عدمية ... موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص ١٣٠٧ .

(٢) في حين يرى ماني أن الأصلين متماثلان في كل الصفات إلا أن أحدهما نور ، والثاني ظلمة ، يرى مزدك عكس ذلك ، المعلومات الواردة من " الملل والنحل للشهرستاني " ، ج١ ، ص ٢٤٩ ، و " فارس القديمة"، ليزف فيزهوفر ، ص٢٤٥ ، بتصريف .

(٣) الشيوعية : نظام اجتماعي لا طبقي ، الملكية فيه عامة ، ولكل فرد نصيب في الثروة العامة ... وهي تنظر إلى المال والملكية ، هما جذور كل الشرور ، ويعد أول من دعا إليه أفلاطون في كتابه " جمهورية أفلاطون " ، الذي يعد أولى

مذهبه في الأصول ثلاثة إنها: الماء والأرض والنار ، ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر، فما كان من صفوها فهو مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر.

وعن صفات النور والظلمة والمزاج والفِصال قالوا:

(النور عالم حساس ، والظلام جاهل أعمى ، وإن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار، وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار.

كل تلك الديانات إيرانية المنشأ إلا أن تأثيرها تجاوز حدود دولة إيران ؛ فقد ظهر أثرها على بعض الأديان إن لم يكن كلها ، وخير شاهد على ذلك ما ذكرته عن منشأ المرقيونية وأنها خليط من النصرانية والزرادشتية نتيجة اختلاط الشعوب. وقد أثرت الديانات الفارسية في ديانات البشر حتى السماوية منها ، فقد دخلت في اليهودية والنصرانية ، ثم دخلت في الإسلام من خلال فِكر بعض المذاهب والفرق الإسلامية [1]. فقد عمل بعض مؤسسي الأديان الإيرانية القديمة ، وخاصة ماني على نشر مذهب الاثنين في الدول المجاورة وغير المجاورة.

الكتاب الفارسي المقدس:

لم أسمع عن كتاب مقدس في إيران بخلاف الأفستا ؛ ففيه أخبار عقيدة الأولين والآخرين ، وهو مرتبط بالديانة الزرادشتية إلا أن له صبغة فارسية قديمة يحتوي على العقيدة المجوسية التي سبقت الزرادشتية . عند من جزم بنبوة زرادشت ذكر أن الأفستا أُنزل عليه؛ ومنهم من قال هو كتبه بإملاء إلهي غيبي؛ كما قيل بل كتبه أتباعه من بعده.

(أشهر كتاب ينسبه المؤرخون إلى زرادشت هو "الآفستا"، لكن البعض يرى من غير حجة أن الآفستا تم تدوينه بعده) [2].

ومرد هذا الخلاف يعود إلى أمور عِدة أهمها الغزو اليوناني لبلاد فارس، وما حل بها من دمار وحرق لكل ما هو مقدس.

مصنفات الشيوعية ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١، ص ٨٢١ـ ٨٢٦ .

(١) أحمد عبد الغفور : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ، ص ٢٨٤ .

(٢) محمد ضاهر : " الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر ؟ " ، ص ١٠١ .

(وقد فقدت جميع نسخ الأبستاق بعد غزو الإسكندر لفارس سنة ٣٣٠ قبل الميلاد، وفقد معها التفاسير والمؤلفات التي كانت تشتمل على شيء من أجزائه، وظلت بعد ذلك نصوص الأبستاق أو بعضها في حوافظ الموابذة [١] يتناقلونها ويتناقلها الناس عنهم مشافهة، فلابد أن يكون قد داخلها من جراء ذلك كثير من التحريف، والتغيير، والزيادة) [٢].

وما أريد التنبيه عليه هو أن بعض ما جاء في الأفستا من نصوص تكاد تتطابق مع بعض الحقائق الإسلامية ، مما جعل بعض المفكرين يؤيدون فكرة نبوة زرادشت، فقد جاء فيه بعض من صفات الخالق- جل وعلا-، كما وردت بعض التفاصيل عن دور الإنسان في حياته ، وجاء فيه تفاصيل تخص قيام الساعة والحساب والجزاء.

ولابد لوجودها من تعليل غير ما ذُكر عن نبوة زرادشت فلم أقتنع بهذا السبب، والتعاليل المعقولة والمقبولة لدي هي:

- بحسب ما جاء في روايات ابن الأثير أن أرض إيران قد شهدت إقامة الجيل الثاني أو الثالث من ولد آدم ، وتلك المشابهة هي من بقايا ما كانوا عليه.
- أن فقد الأفستا ومن ثم إعادة كتابته مرة أخرى كان في زمن لاحق لظهور الأنبياء فكان هذا هو سبب وجود تلك المعلومات المشابه للحقيقة .

وقد وصفت الكتاب أنه "خليط أديان وآثار أقوام" يدعمني في ذلك النص التالي: (في وسع الدارس أن يجد في أجزائها ما يجده في الريج فيدا من آلهة. ويَعثُر أيضاً على فقرات من أصل بابلي ، مثل: خلق الدنيا ، وغضب الخالق على خلقه ، لكن الفكرة السائدة فيه هي ثنائية العالم الذي يقوم على مسرحه صراع بين أهورامزدا أهرمان) [٣].

احتوى الأفستا على خمسة أجزاء [٤] مقسمة إلى ثلاث مجموعات[١].

---

(١) اسم يطلق على رجال الدين المجوس .

(٢) علي عبد الواحد وافي : " الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام " ، ص١٣٥ .

(٣) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٢ ، ص ٤٢٧ .

(٤) (أليسنا : ويقال له أليزنا وهو كتاب الطقوس والكلمة تعني " العبادة أو التسبيح " ، فهو يحتوي على طقوس وترانيم يرددها الكهنة أثناء إقامة الشعائر الدينية ؛ الجاثا : وهو أقوال وأناشيد زرادشت وترانيمه ؛ ال يشت : وهي نشيد في

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في بلاد فارس

ليس في إيران ملامح ثنوية في الأديان!!

لأن أديان إيران كلها ثنوية ، فقصة الخلق لديهم ثنوية ، وتدبير الكون وتكوينه وانشائه تقوم على الثنوية، والقوى المؤثرة في الكون هي ثنوية ، فملامح أديان إيران كلها ثنوية وتلك هي صبغتها العامة وذلك هو أساسها ، فكيف يسعني أن أتحدث عن ملامح الثنوية في الديانة الإيرانية.

سأختار أشهر ديانتين إيرانيتين ليكونا محور التفصيل فيهما الديانة الزرادشتية والديانة المانوية .

أولاً: زرادشت والزرادشتية

الزرادشتية هي الديانة الأشهر بعد المجوسية في الزمن القديم في إيران، وقد كانت الدين الرسمي للدولة الساسانية الفارسية .

أ) مؤسس الزرادشتية:

ما سطرته صفحات التاريخ عن مولد زرادشت لا يختلف عما كتب في قصة مولد أي زعيم ديني من قِبل أتباعه ؛ فدائماً ما يصاحب مولده معجزات باهرات وخوارق للعادات ، حيث تهلل الملائكة فرحاً وسروراً وتهرول الشياطين خوفاً وجزعاً، فهو ليس بشر ومولده لا يمكن أن يكون كمولد أي بشر؛ فتكون القصة أساطير خرافية وأحداث خيالية.

مدح الملائكة وفيه نبوءة عن نهاية العالم ؛ال ونديداد : يتناول قضايا فقهية وقوانين أخلاقية ؛ ال وسبرد : وهو يتعلق بالطقوس الدينية) رؤوف سبهاني : " تاريخ الفلسفة في إيران " ، ص ٢٣ ، بتصريف .

(١) الزند : وهو الشرح المباشر ويقال إنه من عمل زرادشت نفسه ؛ البازند : وهو شرح الزند أي تفسير التفسير؛ الإبادة : وهو تفسير للبازند ، وقيل هو : تفسير " تفسير التفسير " ؛ وقد قام به الزرادشتيون أنفسهم .إبراهيم محمد إبراهيم: " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ، ص ١٧٩. ١٨١ ، بتصريف .

فعلى سبيل المثال ما جاء في النص التالي من أحداث:

(في إحدى جوانب تلك المدينة البعيدة " أذربيجان " كان يعيش رجل اسمه "بوروزهازيو" مع زوجته الحسناء "دوغدوما"، وذات يوم بينما كان الرجل يرعى ماشيته في الحقل، إذ تراءى له شبحان نوريان اقتربا منه وقدما إليه غصناً من أغصان نبات الهوما المقدس ، وأمراه أن يحمل الغصن معه إلى داره ويقدمه لزوجته ؛ لأنه يحمل كيان الطفل الروحاني ؛ وصدع الرجل بالأمر ومزج الغصن باللبن وشربه هو وزوجته ؛ فحملت الزوجة وليدا هو "زارافوشترا" الذي نسميه الآن "زرادشت"، وولد الطفل) [(١)].

قصة حمل مقدسة لطفل مقدس- على حد زعمهم- لابد أن تصاحبها الروحانيات والمخلوقات النورانية لحمايته [(٢)].

عاش زرادشت إلى أن تُوفي مقتولاً في حرب قامت بين إيران وجارتها طوران؛ كان النصر فيها للطورانيين وكان في السابعة والسبعين من عمره [(٣)].

ب) نشأته وبدأ تكليفه بالدعوة:

لم يدر جدل وخلاف بين علماء الأديان حول شخصية مؤسس ديانة كما دار حول تصنيف ما قام به مؤسس الزرادشتية ، فلم تكن أفكاره هي محل الخلاف، بل دوره الذي قام به وما هو المسمى الذي يُطلق عليه بمقتضى ذلك الدور، فكثيراً منهم قالوا نبي ومنهم من قال مصلح ديني ، ولكلا الطرفين استدلالهم.

(بدأ زرادشت حياته طبيباً بارعاً وحكيماً وفيلسوفاً حاول الوصول إلى سر الكون بالنظر والتأمل العقلي، ومسيرة حياته لا تختلف عن كثير عن حياة المصلحين أمثال بوذا

---

(١) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٢٨٢ .

(٢) (تروي الأقاصيص الفارسية أن نبياً عظيماً في إيرانا . فيجو موطن الآريين القديم قبل ظهور المسيح بمئات السنين . ، لما ولد قهقه عالياً من أول يوم ولد فيه ففرت من حوله الأرواح الخبيثة التي تجتمع حول كل كائن) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٢ ، ص٤٢٤ .

(٣) (إن زرادشت قد قتل عن ٧٧ سنة من قبل الطوراني في معبد للنار في بلخ ، عندما كان يصلي أمام النار ، حين شن الطورانيون هجوما على الزرادشتيين للقضاء على الديانة الجديدة التي انتشرت انتشاراً واسعاً) الحسيني معدى : " الأساطير الفارسية " ، ص ٥٢ .

وكونفوشيوس من حيث الاعتكاف في الكهوف والمغارات من أجل التأمل والتفكير العميق) [(١)].

وصل إلى مرحلة زهد فيها كل ما حوله ومن حوله ، فتصوف وتارك وراءه كل دنياه في رحلة بحث عن الحقيقة.

(لما بلغ العشرين من عمره مال إلى العزلة وترك الصخب وعاش في الصحراء، وتنقل بين بلاد إيران باحثاً عن الفضيلة والحكمة ، وظل على هذه الحال عشر سنوات بلغ بها الثلاثين من عمره وبلغ قمة الصفاء الروحي، وأصبحت نفسه مؤهلة لحمل الرسالة؛ فقيل أنه نزل عليه الوحي وهو على شاطئ نهر في أذربيجان على هيئة عمود من نور نزل من السماء) [(٢)] .

وقيل أنه قبل نزول الوحي عليه كان يحدث زوجته قائلاً [(٣)]: "سأذهب بعيداً لأعيش ناسكاً فترة من الوقت ، أفكر خلالها في الخير والشر، فربما تبينت مصدر العناء في العالم". وانطلق زرادشت إلى جبل سابلان ، وقد عزم على ألا يعود قبل أن يكتسب الحكمة التي ينشدها ويصل إلى الهدف الذي يريد ، وظل أياماً وأسابيع وشهوراً يفكر، ويحاول أن يفهم سر العالم ، لكنه لم يستطع أن يجد في كل ما فكر فيه من تجارب مرت به ، وخبرات اكتسبها ما يُفسر له عالم الخير والشر.

وذات يوم بينما هو جالس أمام كهفه أخذت الشمس تغوص خلال ذلك في المغرب وراء الأفق ونشر الظلام جناحيه على الوادي تحته ، وعلى حين فجأة قفز زرادشت وقد ملأه فرح غامر، لقد أمسك بيدية سر الحكمة التي يبحث عنه، فكما أن اليوم يتألف من النور والظلام ، فالعالم أيضاً فيما بدا لزرادشت يتألف من الخير والشر، وبدا واضحاً كل الوضوح لزرادشت أن العالم تحكمه قوتان إحداهما للخير والأخرى للشر، وقال زرادشت: إن أهورامزدا [(٤)] هو قوة الخير ، وأن أهرمان [(١)] هو قوة الشر.

---

(١) مجدي كامل : " زرادشت الذي حير العالم وحقيقة الزرادشتية "، دار الكتاب العربي ، ٢٠١١م، ص ١٣ .

(٢) إبراهيم محمد إبراهيم :" الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ، ص ١٧١ .

(٣) سليمان مظهر : مرجع سابق ، ص ٢٨٦- ٢٨٧ ، بتصريف .

(٤) أهورامزدا : إنه الإله المطلق في الميثولوجيا الزرادشتية تفيض عنه كل الموجودات ، وهو عالم الغيب حاضر في كل مكان

وردت أحداث هذه القصة في معظم الكتب التي جاء فيها اسمه إنما بروايات مختلفة، لكن المغزى منها كان واحد وهي الإشارة إلى نبوته ، وأنه تجلى له كائن نوراني كلمه وطمأنه وعرفه عن نفسه ، وأنه أحد الكائنات الستة التي تحيط بالإله الواحد أهورامزدا؛ ومن ثم أخذ به إلى السماء ليتلقى الوحي الرباني مباشرة من الواحد الأحد(٢).

تتشابه تفاصيل هذه القصة مع وقائع المعجزة المحمدية في ليلة الإسراء والمعـــراج، إنما بتغير يناسب واقع القصة في البيئة الزرادشتية ؛ وقد يكون في ذلك توضيح لما سبق الإشارة إليه في المطلب السابق حول كل المتشابهات الواردة في الأفستا.

لم يؤمن به غير قليل من بني قومه ، فلما اصابه اليأس انطلق إلى البلاد المجاورة لعله يجد أصداء نصر واستجابة ، وبالفعل وجدها في خوارزم القريبة واعتنق ملك خوارزم وزوجته الديانة الزرادشتية وناصروها ، وخاض الحروب من أجلها وانتصر الملك الخوارزمي مع الزرادشتية وانتصر بها مما فتح لها باب الانتشار والانتصار.

ج) الدين الزرادشتي:

نال الدين الزرادشتي حظاً وافراً من الدراسات الغربية لم ينلها أي دين فارسي آخر، ويعود ذلك إلى إعجاب علماء الأديان الغربيين للفكر القائم عليه ، فهو كما قالوا مبتكر فكرة الوحدانية الثنوية كما يطلقون عليها ، لم يكن ذلك المصطلح مقبول لدى علماء المسلمين فالوحدانية ضد الثنوية والضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، إما توحيد وإما ثنوية، لكن ثنوية توحيدية ليس من منطقنا الإسلامي.

(يتميز المعتقد الزرادشتي بابتكاره لمفهوم الوحدانية الثنويـــة ؛ وصفـــة الثنويـــة هنا لا تلغي صفة الوحدانية ولا تتعارض معها بل يتلازمان — من وجهة نظر علماء الغرب – فأهورامزدا واحد لا ثاني له في الألوهية ، خالق كل ما هو خير وحسن ، ولكنه ليس

وهو الواحد الخالق الكبير قدس في الهضبة الإيرانية قبل زرادشت ، وهو مركبة من ثلاث كلمات هي " أهو " " را " " مزدا " ومعناها على التوالي " أنا . الوجود . الخالق " أو " أنا خالق الكون " ، من " الديانة الزرادشتية لنوري إسماعيل " ، ص٣٥ ، و " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " لجفري بارندر الهامش، ص١٤٠ .

(١) أهرمن : تعني الخبيث أو القوى الخبيثة " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " لجفري بارندر الهامش،ص١٤٠ .

(٢) فراس السواح : " ميلاد الشيطان " بدون بيانات ، ص ٤ ، بتصريف .

مسؤولاً عن وجود الشر في العالم لم يرتض وجوده ، وستشهد نهاية هذا التاريخ غلبة جند الحق على جند البهتان ، واختفاء الشيطان إلى الأبد) [(١)].

هذا ما تعنيه الوحدانية الثنوية التي دعا إليها زرادشت في دينه كما فسرها الكاتب فراس السواح ذو الفكر العقلاني المفرط وليس هو الوحيد فقد كان هناك العديد ممن كتبوا عن الزرادشتية كان لهم نفس الانطباع ، والنصين التاليين يوضحان ذلك :

- (إن الوحدانية تتمثل في الديانة الزرادشتية من الناحية اللاهوتية ، والاثنينية تتمثل من الناحية الفلسفية ؛ من الناحية اللاهوتية أنه يعطي أهورامزدا حق الألوهية وحده دون سواه ، ومن ناحية فلسفية أن العالم تتنازعه وتتحكم فيه قوتان تتصارعان) [(٢)].

الكلام لا ينضبط من الناحية العقلية ، ما هو حق الألوهية هذا الذي يعطى لأهورامزدا، ومن ثم العالم تتنازعه قوتان ، فحق الألوهية حق لا يعطى إلا لواحد لا ينازعه فيه أي قوة.

- (لم ير التاريخ القديم إلا دعوتين تدعوان إلى التوحيد في العالم الوثني ، وهما دعوة إبراهيم عليه السلام من الشعوب السامية ، ودعوة زرادشت من الشعوب الآرية ؛ وقد ظن الناس أن الدين الزرادشتي قام على الألوهية الثنوية أي الاعتقاد بوجود إلهين اثنين في الكون: إله للخير وإله للشر، كما كان المجوس يعتقدون قبل زرادشت، ولكن ثبت بعد البحث والتحقق أن هذا الظن ليس من الحق في شيء. لقد قال زرادشت بأصلين كونيين : أصل الخير وأصل الشر، ولكنه لم يقل بإلهين متوازيين فقد أنكره إنكاراً تاماً) [(٣)] .

في هذا النص تجاوزات من الكاتب لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهلها، فقد ساوى بين دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي عرف الله وحده وعبده وحده بوحدانية مطلقة لا ينازعه فيه شريك ولا نديد وبين دعوة زرادشت ذات التوحيد الثنوي المزعومة، فكيف هي تلك الوحدانية ذات الأصلان. لقد تجاوز الكاتب في تشبيه الدعوة

---

(١) فراس السواح : " ميلاد الشيطان " ، ص ٤ .

(٢) أحمد عبد الغفور : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ، ص٢٥٣ .

(٣) صالح صابر زغلول : " كورش الأكبر مؤسس الدولة الفارسية وأبو إيران " ، ص ٢٩٠ .

الحنيفية الإبراهيمية بالدعوة الوثنية الزرادشتية هذا أولاً، وثانياً تمجيده لزرادشت حينما رفض فكرة الإلهين للكون وقبل بفكرة الأصلين ، ولست أرى الفرق بينهما. فكلها أقوال تمجد الدعوة الوحدانية الثنوية في الزرادشتية ، وتقدم التعليلات المناسبة لذلك الجمع بين الضدين؛ قول حق يراد به باطل. صحيح أن كل الأديان السماوية يوجد لديها مكان للشيطان إنما ليس هو أصل الأشياء، وليس له قدرة تقف في مواجهة قدرة الله.

لست في معرض الحكم على صحة المعتقد الزرادشتي من عدمها، إنما لي غاية أخرى وهي توضيح المبدأ الثنوي الذي قامت عليه الديانة الزرادشتية ، والذي يتمثل في تحويل الشيطان من مخلوق مطرود ملعون إلى أصلاً قادر مرهوب ، بل ويكون في موضع الندية والمحاربة مع الإله الواحد.

إن غالبية النصوص التي عثرت عليها في المراجع التي تحدثت عن الديانة الزرادشتية كانت تتحدث بلسان زرادشت وعن فكره وليست من أقواله، بل هي أقوال علماء حاولوا أن يشرحوا ويفسروا دعوة زرادشت كل بحسب وجهة نظره؛ أعتقد أن حقيقة دعوة زرادشت ضاعت كما ضاعت أصول كتبه.

وينبغي أن نضع **خطان** تحت كل ما ورد عن زرادشت من أفكار تخص دينه:

- **الخط الأول**: أن أقواله في كتبه وكتبه فقدت وأعيد كتابتها من قِبل غيره بعد عدة قرون.
- **الخط الثاني**: أن الذين تحدثوا عن دينه نقلوا وجهة نظرهم هم لما جاء فيه.

وذلك يجعلنا نأخذ حقيقة الدين الزرادشتي على محمل شبه اليقين ، وليس اليقين بكل ما جاء عنه ، فقد تضاربت الأقوال وتناقضت الأحكام الصادرة بحقه منهم من قال: توحيد ثنوي ، ومنهم من قال ديانة مثنوية ؛ ومنهم من عده نبي ديانة سماوية حُرفت وهكذا.

يمكن أن نستجلي وضوح بعض الحقيقة من تفاصيل بعض الأسس التي قامت عليها الديانة الزرادشتية ، ولا يتسع المجال إلا لإلقاء الضوء على بعض منها فقط، قد يضع أيدينا على منهج المعتقد الثنوي فيها أهي خالصة أم مختلطة.

د) الثنوية في الزرادشتية :

نظرة زرادشت إلى قصة خلق العالم والبدايات الكونية نظرة تفردية لأهورامزدا على أنه الخالق الواحد وهذا أمر لا جدال فيه ؛ لكن شاب تلك النظرة قصور قد لا يكون ملحوظاً من قبل البعض، وهو بالضبط ما رأيته من وجهة نظري أنه عين الثنوية .

خلق "أهرمـن" أو الشيطان بمفهومنا ؛ فكل ما ورد عن زرادشت أنه يمجد الخالق الواحد الذي ليس في ملكه ند ولا ضد ، وأنه خلق الخير وسانده في مقابل قوى الشر، ولكن: من الذي خلق قوى الشر تلك؟ لم يتطرق زرادشت إلى تلك النقطة فقد كان الشر موجود.

(أول ما خلق الله من الملائكة بهمن ، وخلق بعضهم من بعض ، كما يؤخذ السراج من السراج من غير أن ينقص من الأول شيء ، وعلم أورمزدا أن إبليس سيتحرك من ظلمته ، فأعلم الملائكة بذلك ، وبدأ بإعداد ما يورطه ، ويدفع شره وأذاه عن عالمه، ويبطل إرادته) [(١)].

وهذه هي البدايات فخلق أورمزدا هو الخلق النوراني ، ولكن إبليس كان موجوداً وله أذى وإرادة. هذا ما قصدته من قولي أن الأساس الذي قامت عليه الزرادشتية هي الثنوية الكونية الفاعلة المؤثرة ، وليست وحدانية انبثق عنها ثنوية. فقد كان الشيطان منذ البدء وله إرادة فاعلة مؤذية ضارة أراد خالق النور أن يحمي عالمه منه ، وقد جاءت تلك التفاصيل بصورة أخرى من منظور آخر أحدث زمناً وبطريقة تفكير عقلاني.

(في البدء لم يكن سوى الله- أهورامزدا-: وجود تام وألوهية قائمة بذاتها مكتفية بنفسها ؛ ولكن هذه الألوهية اختارت أن تخرج من كمونها وتُظهِر سواها إلى الوجود، فكان أول خلقها روحان هما "سبنتا مانيو" و "أنغرا مانيو"، ولكي يكون لهذين الروحين وجود حقيقي مستقل عن خالقهما ، خصهما الله بالحرية التي استخدماها منذ صدورهما، فاختار سبنتا مانيو الخير واختار أنغرا مانيو الشر) [(٢)] .

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج١ ، ص٢٤٢ ، بتصريف .

(٢) فراس السواح : " ميلاد الشيطان " ، ص ٥ .

لقد كان النص الأول من كتاب الامام الشهرستاني بينما النص الثاني من كتاب فلسفي ديني والفرق ظاهر للأعيان قبل الأذهان. هناك فرق بين النظرة الإسلامية والنظرة العقلانية لقصة بدأ الخلق لدى زرادشت، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: أيهما تمكنت من نقل المقصد الحقيقي الذي كان يقول به زرادشت؟

فكلاً من المؤلفين رواها بنظرته هو وطريقة تفكيره ومنهجه ، فهل نقلا وجهة النظر الأصلية أم لا؟، ذلك السؤال الذي لن يتمكن أحد من الإجابة عليه سوى زرادشت نفسه.

فكر ثنوي ، أمر لا جدل فيه ؛ فمن ينظر إلى العالم بأن خالقه واحد ويحكمه اثنان هو ثنوي المعتقد لا يمت للوحدانية بصلة ، فينبغي أن نربأ بالوحدانية الإلهية ونترفع بها من أن تطلق على أي معتقد دون الدين الحق ، فلم يخرج معتقد الزرادشتية عن سواه من المعتقدات الوضعية الأخرى التي تحدثت عن واحد انبثق منه اثنان.

(النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك يزدان وأهرمن ، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما) [١].

هذا هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه جميع من آمن بفكرة الثنوية الإلهية ، تنزيه الخالق عن فعل الشرور ، والشر حقيقة قائمة وموجودة ، إذاً لابد أن يكون لها مصدر آخر غير إله الخير ، فوقع المحظور وجود قوة ضدية شريرة في مواجهة قوى الخير.

وعن تصور الديانة الزرادشتية للعالم .

(تاريخ العالم هو تاريخ الصراع بين الله والشيطان ينقسم هذا التاريخ إلى أربعة فترات تمتد كل منها إلى ثلاثة آلاف سنة: في الفترتين الأولى والثانية كان الله والشيطان يجهزان قوتهما ، أما في الفترة الثالثة فقد اشتبكا في الصراع ، وفي الفترة الأخيرة سوف ينهزم الشيطان في النهاية) [٢].

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج١ ، ص٢٣٧ .

(٢) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص١٤١ .

لقد حدث خلط كثير في مقاصد الديانة الزرادشتية ومفاهيمها؛ بحيث اختلطت أصولها مع دخيلها ؛ فحين أجد النصوص التي تذكر أن أهورامزدا هو المسؤول عن كل الخلق وعن مصدر الخلق ؛ أجد في المقابل من النصوص ما تؤكد غير ذلك وأن الشيطان موجوداً وله فاعلية مؤثرة .

(قد أمر أورمزدا بسد الثقوب التي صعد منها إبليس، فبقي داخل السماء منقطع عن أصله وقوته ؛ فانتصب لمنابذة أورمزدا ، ورام الصعود إلى الجنان ؛ فدفعه عن ذلك آلاف السنين ، ثم أعلمه أنه يروم ما لا يقدر عليه ، واتفق الأمر بينهما واشترط إبليس لنفسه وشياطينه ثمانية عشر شرطاً ، فتمت البيعة وأقاما عليها ؛ ودفعا سيفيهما إلى عدلين، على أن يقتلا من رجع عن شرطه) [(١)].

أين الوحدانية والتنزيه لإله قصر علمه عما يدور في ملكه، وأين الوحدانية في جعل إله الكون له قوة ضدية مخلوقة في مقابل قوته الخالقة، بل ويتم بينهما اتفاق ومعاهدات وتوضع الشروط فتتم البيعة على أساسها، إذاً مصدر الشر هذا هو جوهر وله كيان مستقل. ومما نقل عن الديانة الزرادشتية أيضاً:

(الكلمة الأولى الزائفة هي القول بأن الشر يأتي من الخالق ، فالله لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر؛ لأن الشر جوهر مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله ، والشيطان أهرمن المسؤول عن كل شرور العالم وعن الأمراض والموت ، وبما أنهما جوهران متعارضان أساسيان فهما لا محالة يشتبكان في صراع) [(٢)].

ثنوية إلهية لقوتين ضدين يدخلان في صراع تظهر آثاره على العالم في صور خيرات أو شرور. فكيف يكون إله العالم السيد المهيمن الأول والأخر؟، ويوجد قوة تعارضه، هذه ألوهية ناقصة لا أثر للتوحيد فيها ، أستطيع أن أطلق عليها تجاوزاً تفردية كنظرة الأديان الوضعية إلى إله تطلب منه حاجة ، فهي تتوجه إليه بكل ألقاب التفرد والتوحد، وكأنه لا رب في الكون سواه ولا إله للعالم غيره .

---

(١) الشهرستاني : مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٤٢ ، بتصريف .

(٢) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص١٤٠ .

هـذا مـا قـام بـه زرادشـت مهمـا حـاولوا أن يُظهـروا غـير ذلـك. فزرادشـت ينظـر لأهورامزدا نظرة تفرد وتوحد ؛ فهو إله الخير ومعينه وناصره ، ويتشبث بعبادته ويستزيد فيها ليستطيع أن يقاوم قوة الشر الغاشمة التي تعمل بمعزل عن أهورامزدا.

وأما الشائع عن عبادة النار في الديانة الزرادشتية فقد قيل أنها ليست عبادة بمفهوم العبادة، لكنه تقديس:

(أما قول البعض أن الزرادشتية هي عبادة النار كما تدعيه بعض الأديان فهي محض افتراء ، فقد احترمت النار في الزرادشتية لأنها مبعث النور الإلهي، وكان لاحترام تلك النعمة الإلهية معابد خاصة ، ومراسيم جميلة جعلت من تلك الطقوس السمة الرئيسة للديانة ، وليس ما يعبدونه) [(١)].

كما يقال أن لتقديس النار في الزرادشتية سبباً آخر، فقد كان منتشر في ذلك الزمن العبادة الإلهية المتجسدة في مظاهر ملموسة ، وكان زرادشت يدعو إلى عبادة أهورامزدا الإله الغيبي ؛ لذا حاول مجاراتهم فيما يعبدون حتى يقنعهم بدعوته.

(من أجل أن يتمكن الناس من تصور هذه القوة الغيبية الخفية ، وحتى تتقرب إلى أذهانهم فقد رمز إلى أهورامزدا برمزين ماديين مشاهدين تقوى عقول أتباعه على إدراكهما ، هذان الرمزان هما: الشمس والنار:

- الشمس: هي في السماء تمثل روح أهورامزدا في صورة يستطيع الناس إدراكها، إذ هي كائن يفيض بالخير، ولا تستطيع نزعات الشر الاقتراب منها.
- النار: هي في الأرض العنصر الذي يمثل للناس القوة العليا، المطهرة المهلكة النقية التي لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد) [(٢)].

هـ) أماكن انتشار الزرادشتية:

اعتبر علماء الأديان الدين الزرادشتي دين منغلق لا يدعو الغير إلى اعتناقه.

(يعود السبب الرئيس لقلة عدد أفراد هذه الطائفة إغلاقها باب الدعوة،

---

(١) " العقيدة والقانون في فلسفة زرادشت " ، بدون بيانات ، ص١٩ .

(٢) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٣١٠-٣١١ ، بتصريف .

حيث لا يدخل في عِداد أتباعها أشخاص من معتقدات أخرى، وقد أكد على هذه المسالة زعيمهم الروحي الذي تحدث عن هذا الموضوع قائلاً: "السبب في ذلك هو أننا لسنا كالأديان نقبل بانتماء الآخرين إلى ديانتنا، فالديانة الزرادشتية لا تقبل بانضمام أي فرد آخر إليها ما لم يكن من أبوين مجوسيين) [١].

وهذا ما جعل أعداد متبعيه تتناقص تدريجياً ، وعلى الرغم من أن إيران هي الموطن الأساسي للدين الزرادشتي إلا أننا نلاحظ محدودية وجودهم فيها حالياً.

والوجود الأكبر للزرادشتيين اليوم هو في شبه القارة الهندية ، بداية من الفتح الإسلامي لبلاد فارس، وتسموا هناك بالبارسيين حيث

(تعتبر الهند الموطن الثاني للزرادشتية بعد إيران وعددهم في الهند يفوق عددهم في إيران) [٢].

و) قالوا عن زرادشت:

طال الخلاف كل ما يخص زرادشت والزرادشتية بدأً من كونه شخصية حقيقة أم أسطورية ، وصولاً إلى حقيقة دعوته أهي توحيدية أم ثنوية ، مروراً بأحداث مولده ونشأته ، وكل ما صاحب دعوته ، فمن هو زرادشت هذا؟.

من الذين جاؤوا على ذكره من المؤرخين المسلمين .

(قال المسعودي: "الأشهر من نسبه أنه زرادشت بن أسبيمان ، وهو نبيُّ المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس واسمه عند المجوس: بستاه، وفي هذا السياق أيضاً، قال ابن الأثير: "أما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان، وأنّه نزل على الملك من سقف إيوانه وبيده كرة من نار يلعب بها ولا تحرقه...) [٣].

---

(١) رؤوف سبهاني : " تاريخ الفلسفة في إيران " ، ص٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٩ .

(٣) رؤوف سبهاني : " تاريخ الفلسفة في إيران " ، ص٢٠ ، المسعودي في مروج الذهب ، ص١٥٠، وابن الأثير نقلاً عن جيلاني سعيد : " تطور الديانات " ، ص٥١ .

وقالوا عنه أيضاً:

(كان زرادشت مصلحاً لديانة أخلاقية تقليدية ، ولا ننسى تأثير الطقوس والأساطير البابلية ، والكادية والأشورية والميتانية في تكوين الزرادشتية ، لدينا معطيات تاريخية ضئيلة تظهر العلاقة الوثيقة بين الزرادشتية والمعتقدات السابقة عليها) (١).

كلها وجهات نظر قد يكون لها سند أو لا يكون ، لكن الخلاف حول حقيقة شخصية زرادشت خلص إلى ثلاث آراء (٢):

- **فريق ينكر وجوده:** وأنه شخصية أسطورية ولا يقدم هذا الفريق بين يدي مذهبه دليلاً يعتد به.
- **فريق يؤكد وجوده:** وأنه شخصية حقيقية ، بعضهم قال: هو إبراهيم الخليل، وليس لهذا الرأي أي سند يعتد به ، بل أدلة كثيرة تتضافر ببطلانه.
- **الفريق الثالث:** هم الذين ذهبوا إلى تقرير حقيقية شخصية زرادشت، وأنه غير إبراهيم الخليل، لكنه ليس نبي مرسل.

وإني لأجد الرأي الثالث هو الأقرب للصواب من وجهة نظري ، فقد قيل عنه: (أن الكتاب القدماء الذين أوصلوا إلينا هذه الأساطير من يرون أن زرادشت لم يكن مؤسساً لديانة جديدة بكل معنى هذه الكلمة بقدر ما كان مصلحاً مُرمِّماً لديانة سابقة)(٣). بالنسبة لما ذكر من آراء حول شخصية زرادشت فله تفسير وتفنيد يوضحه:

أصحاب القول الأول:

أنه نبي مرسل هو أضعف الأقوال عندي، وقد استدلوا بالآية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ

---

(١) نوري إسماعيل : " الديانة الزرادشتية مزديسنا " ، ص٣١ .

(٢) علي عبد الواحد وافي : " الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام " ، ص١٢٧-١٢٩ .

(٣) " جاء في كتاب " الديانة الزرادشتية أو اليزيدية " لبهمن سوراجي ، ترجمه إلى العربية : توفيق الحسيني ، تحت عنوان: " زرادشت مصلحاً " ، إن زرادشت مصلحاً عظيماً ، كما يزعم الدكتور / جيجر ، والدكتور / أ . و . وست " الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر " ، لمحمد ضاهر ، ص٣٥ .

عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾[١] .

وسبب تضعيفي لهذا القول أن ربنا- تبارك وتعالى- حين أرسل لنا آخر رسله، وأنزل إلينا آخر كتبه كان ذلك ليبعد عنّا الشبهات وكثرة القيل والقال والخوض فيما ليس لنا به علم ، وقد جاء في القرآن الكريم ما أراد ربنا منا معرفته وأخفى عنا ما لم يرد لنا معرفته ، وحين أخبرنا عن وجود رسلاً آخرين لا نعلمهم ولم يقصصهم علينا ، كان ذلك بغرض الإيمان بهم إجمالاً حتى وإن لم تصلنا أخبارهم هذا ما قرره ربنا- تبارك وتعالى- فلما يُعلمنا ربنا برسول لم يُعلم به نبينا محمد- صل الله عليه وسلم- .

أصحاب القول الثاني:

إنه مصلح لديانة قديمة لست أميل إلى هذا القول أيضاً ؛ فهو لم يأت على ذكر أي ديانة قد جاء لكي يحيها ويجددها ، أو ذكر اسم لنبي يسير على خطاه، مع أن أمانة المصلح الحق تقتضي منه ذِكر اسم من يريد أن يحيي سنته ، ويقوم ما اعوج من دينه، وهو لم يفعل ذلك.

أصحاب القول الثالث :

إنه مدّع للنبوة وهذا هو الأرجح عندي ، فهو زرادشت الحكيم الذي أُلفت فيه الكتب ونُوقشت فيه الرسائل العلمية على مستوى العالم ، وأُطلق عليه "زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين" [٢]، ولم يكن سوى حكيم. ومما يقوي لدي صحة هذا الرأي أن الموطن الذي ظهر فيه كان إيران وإيران مجاورة للعراق والعراق مهد خليل الله إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام ، والنبوة الحق لا تموت تعاليمها وعقائدها وإن بهتت وانحرفت ، يبقى منها بعض آثارها ، وهذا ما حدث مع زرادشت في تشابه بعض ما جاء به مع التعاليم الحقة ، وقد وجدت النص التالي الذي يؤيد ما انتهيت إليه من رأي.

---

(١) سورة النساء : آية ١٦٤ .

(٢) هذا اسم كتاب من تأليف : الدكتور / حامد عبد القادر ، لم أستطع الحصول على نسخة منه ، إلا أن الدكتور/ محمود ابن الشريف ، قد أورد منه نصوصاً عدة ، في كتابه " الأديان في القرآن " .

(نخلص القول بأن: تشويشاً ولبساً كبيران يلفان عقيدة الزرادشتية ، وإن كان يظهر فيها بعض من التوحيد ، ويبدو أن زرادشت قد وقف على عقائد المناطق المجاورة وكان منها الحنيفة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام في الصحف، وبسبب ذلك ظهرت هذه الملامح من التوحيد في عقيدة زرادشت، ولعل ظهور زرادشت في منطقة مجاورة للأرض العربية مهد رسالات السماء هو الذي لعب دوراً في معتقدات وأفكار زرادشت)[1].

وقد أوصى كاتب النص السابق بما فيه الصواب من وجهة نظره التي أوافقه عليها: (أن الأصوب بل الأسلم والأحوط أننا نرى أنه إذا كان الله سبحانه لم يخبر نبيه عليه السلام بنبوة بعض الأنبياء الذين لم يذكرهم في القرآن ؛ فلا نقطع على وجه الصحة أو التأكيد ، فليس من المعقول أن يخفى نبأ نبوة زرادشت عن محمد- صل الله عليه وسلم- ونعلمه نحن دون محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ، ولكن نقول آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن كان المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم، وإن لم يكونوا أنبياء فلا ندخل في أنبياء الله تعالى من ليس منهم) [2].

لا أعتقد بعد هذا النص أن هناك مجالاً للمزيد من الآراء إلا إذا ظهرت قرائن جديدة في نفس الموضوع تجعلنا نعيد النظر في تلك النبوة.

فإذا كان الخلاف قد صاحب الديانة الزرادشتية من مؤسسها وحتى فكرها، تأتي الديانة المانوية على العكس من ذلك تماماً فهي بالإجماع ديانة ثنوية .

ثانياً: ماني والمانوية:

اكتسبت الديانة المانوية مكانة وأهمية بين أديان إيران القديمة، من حيث إنها نصبت نفسها سفيرة المعتقد الثنوي للعالم ، وحامل لواء الدعوة إلى الاعتقاد بالأصلين القديمين الأزليين النور والظلمة. فلم يكتف ماني بن فاتك بنشر تعاليم دعوته داخل إيران والأقطار المجاورة لها فقط ، بل قام برحلات خارجية إلى البلاد القريبة والبعيدة للترويج

---

(١) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص٩٢ .

لنبوته الباطلة ؛ لم يكن هذا كل شيء بل قام بإرسال تلاميذه في رحلات تبشيرية للدعوة إلى الدين المانوي على غرار ما يقوم به المبشرون النصارى ؛ ونستطيع اعتبارهـا سبب من الأسباب المباشرة في انتشـار المعتقـد الثنوي واختلاطه بفكر الأديان الأخـرى، ولقد أُعتبرت من أطول الأديان الوضعية زمناً تقريباً.

(نشأ هذا الدين في بلاد الرافدين ، ويعتبر من الأديان الأساسية الرئيسة في العالم، وقد عاش مدة تقارب الألف عام ، إلا أنه اختفى اليوم من العالم كلياً) [(١)].

أ) مؤسس المانوية:

هو ماني بن فاتك ولد بعد ميلاد المسيح بقرنين من الزمان تقريباً ، وكلمة ماني بالفارسية تعني الشيء الفريد النادر" [(٢)]، ادّعى النبوة وأنه الفارقليط [(٣)] الذي أخبر عنه نبي الله عيسى عليه السلام ، والغريب في الأمر أن ماني الذي دعا للمعتقد الثنوي الفارسي لم يكن فارسي الأصل ولا المولد ، وبرغم ذلك اعتبر معظم علماء الأديان المانوية من الديانات الفارسية الثنوية.

وعن أحداث مولده نجد أن هناك خلاف ما بين المولد الفارسي أو العراقي.

---

(١) رؤوف سبهاني : " تاريخ الفلسفة في إيران " ، ص٣٩ .

(٢) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص١٥٠ الهامش .

(٣) الفارقليط أو البارقليط : هو لفظ يوناني اختلف فيه النصارى على أقوال ترجع إلى ثلاثة أوجه :

قالوا أنها : الحامد والحمد ، والقول الثاني وعليه أكثر النصارى أنه المخلص فالمسيح نفسه يسمونه المخلص ، والثالث قال بعضهم أنه المعزي ، لكن أكثر النصارى على أنه المخلص وفي الإنجيل الذي بأيديهم أنه قال : إنما أتيت لأخلص العالم ومن النصوص التي جاء بها ذكر " البارقليط " [إن البارقليط روح الحق الذي يرسله أبي بإسمي هو يعلمكم كل شيء] يوحنا ١٤ / ١٦ ، وجاء أيضاً [إني سائل أبي أن يبعث إليكم بارقليطاً آخر يكون معلم الأبد وهو يعلمكم كل شيء] يوحنا ١٤ / ١٦ ، وقد حرف النصارى معنى البارقليط إلى أنه روح القدس وغير ذلك لأبعاد اللفظ عن المعنى الحقيقي له وهي البشارة العيسوية بالنبوة المحمدية ، فمن دلائل النص الثاني أنه يبعث بارقليط ثاني والصفات الواردة لا تنطبق على روح القدس أنما يقصد بها رجل ثاني يأتي بعد الأول ولم يكن معه في حياة المسيح ، الحديث في هذا الموضوع يطول وليس هاهنا موضوعه أنما هو للفائدة . كتاب " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى " لابن القيم الجوزية " ، تحقيق ودراسة : محمد أحمد الحاج ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٢٣ . ٣٢٩ بتصريف .

- (ولد ماني في إحدى قرى ولاية بابل ، وكان دينه بابلي وثني ، وفي سن الرابعة رحل أبوه إلى إحدى قرى ولاية ميسان في جنوب العراق ، هناك نشأ ماني على الدين الصابئي ، وفي سن الشباب أخذ ماني يتنقل في أنحاء الرافدين واستقر في بابل أعلن نبوته وتكوينه للدين المانوي) [١].
- (مؤسس الديانة المانوية هو ماني بن فتك الذي ولد في مدينة بابل ، وسميت هذه الديانة باسمه ، وهي من الديانات الفارسية القديمة ،كان أبوه من فرقة الصابئة المندائية فأمه وأبوه من عائلة الإشكانية الفارسية ، في بعض مصادر تشير أن أصل والده هاجر إلى العراق)[٢].

واتفق النصان السابقان على الأصل العراقي لماني ، وقد انفردا بذلك من دون الكتب التي ذكرت الأصل لفارسي له ، ولست أرى أنه أمراً ذا أهمية فقدكانت فارس خاضعة للحكم البابلي والآشوري في فترة من التاريخ ، وكذلك خضعت بابل في يوم من الأيام للحكم الفارسي .

لم يكن هناك الكثير الذي يُذكر عن اسمه ونسبـــه غير ما ذكرت. فقد أجمعت النصوص على هذا الاسم بلا خلاف يُذكر تقريباً ، كما أُحيطت قصة الحمل به وولادته بقصص وأساطير كما حدث مع من سبقه أمثال بوذا وزرادشت وغيرهم[٣]. وحين بلغ ماني من العمر سن البلوغ أخذه والده ليعيش معه في مجتمع المتدينين أمثاله حتى

(١) موقع إلكتروني لدورية باسم " ميزوبوتاميا ... بلاد النهرين " ، دورية موسوعية تعني بإحياء الهوية الوطنية تصدر عن مركز دراسات الأمة العراقية صاحب الامتياز ورئيس التحرير: سليم مطر http://www.mesopot.com/old . موضوع بعنوان : " المانوية البابلية أساس التصوف العراقي " ، بقلم : سليم مطر .

(٢) موقع إلكتروني بعنوان منتديات عنكاوي http://www.ankawa.com . موضوع بعنوان : " دراسة قصيرة عن الديانة المانوية " ، بقلم : يوحنا بيداويد ، بتاريخ ٢٠١٠/١٠/١١ م زمن ٠١:٢٩ am .

(٣) (عاش في حوالي عام ٢٠٠ بعد الميلاد أمير فرثي اسمه فتق كان من أصل أشكاني عاش في مدينة همذان ، وكان متزوجا من سيدة حملت اسم مريم ، وهي تسمية يهودية ـ مسيحية ـ وقد حملت مريم بولد سمته ماني) جيووايد نغرين : " ماني والمانوية ... دراسة لديانة الزندقة ، وحياة مؤسسها " ، نقله إلى العربية ، وقدم له وزاده بالملاحق : سهيل ذكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ص٣٩ـ٤٠ .

يكتسب العلم الديني باكراً ، وقيل خوفاً عليه مما أخبره به الكهان والعرّافين عن كون هذا الطفل سيكون له شأن ديني كبير.

(نشأ ماني في جنوبي بلاد بابل وسط طائفة غنطوسية [١] معمدانية ، هي بلا شك الطائفة المندعية [٢]) [٣].

ب) دعوته وأفكاره:

من الغريب وعلى غير المعتاد في مدعي النبوات أنهم ينتظرون سن النضوج حتى يعلنون نبوتهم صراحة ، لكن ماني بحسب رواية له عن نفسه أن أول وحي له كان في الثانية عشر من عمره مبكراً جداً.

(ادّعى ماني النبوة ولاقى ترحيبا من ملك ساساني منحه الحرية في نشر تعاليمه في أنحاء إيران ؛ وقد اعتنق ماني الديانة المسيحية لفترة وقام بالمقارنة بين المسيحية والمجوسية واخذ منهما ما أعجبه فيهما وخرج بديانته الجديدة ، بالإضافة إلى تأثره بالبوذية والزرادشتية) [٤].

فما الذي بقي من الديانات لم يتأثر بها ماني " نصرانية ومجوسية وبوذية وزرادشتية"؟، هذا عدا التربية الدينية في وسط الديانة المندائية اليهودية، والتي بالطبع

---

(١) الغنطوسية هو : مصطلح عام يطلق على سلسلة عريضة من نظم التأملات الدينية التي تتماثل في نظرتها إلى أصل الإنسان . وهي تعد هرطقة من الهرطقات المسيحية ، وهي سابقة على المسيحية . وجميع الديانات الغنوصية تعتمد عقيدة الخلاص (الفداء) وأداة الخلاص هي (غنوص) التي تعني المعرفة أو (العرفان) ، وهذه المعرفة تهتم بفهم الأشياء المقدسة وكيفية الخلاص ، والغنطسة لا تتحصل عن طريق العقل ، وإنما من خلال نوع من الإلهام الداخلي ... " ماني والمانوية لجيووايدنغرين ، ص٢٠٩ .

(٢) المندعيين هي : طائفة معمودية صغيرة يعيشون في البطاح المليئة بالمستنقعات الواقعة حول شط العرب ، وهم من أتباع الطائفة " المعمودية الغنطوسية " لديهم العديد من التقاليد اليهودية وتفسير مرجعها أصلها يهودي وتراثها رافدي نسبة إلى بلاد الرافدين ، ومظهر خارجي إيراني عنطوسي جيووايد نغرين : مرجع سابق ، ص٣٠ ، لمزيد من الديانة المندائية .

أنظر : " المثولوجيا المندائية " خزعل الماجدي ، دار نينوى ، ١٤٣٠هـ .

(٣) جيووايد نغرين : " ماني والمانوية " ، ص٤٢ .

(٤) رؤوف سبهاني : " تاريخ الفلسفة في إيران " ، ص٤١ ـ ٤٢ .

تركت أثراً منها على أفكاره؛ فماذا فعل ماني بكل تلك الأديان المحيطة به.

(شرع في سن العشرين في إقامة دينه الجديد ، نال حظوة الملك الساساني "شابور الأول"، وأعلن أنه جاء ليتمم عمل زرادشت وبوذا والمسيح فهؤلاء شذرات ناقصة في الحقيقة ؛ وحد آلهته بوصفه "رسول النور"، فإذا ما وجه خطابه إلى المسيحيين فهو المخلص يسوع ، وعندما يخاطب الزرادشتيين فهو الإنسان الأول "أهورامزدا ") (١).

كما إدعى ماني أنه أتى ليكمل ما في دعوات الأنبياء من نقص، كان يعترف بها ولكنه يصفها بالناقص ، لم يكن يعمل على اكمالها بقدر ما عمل على المزج فيما بينها فقد كان يختار أفضل ما الدعوة من وجهة نظره لتكون أركان دعوته الجديدة.

(اعترف ماني بقيمة الديانات السابقة عليه ، ولكنه اعتبرها مؤقتة وغير كاملة ولذلك أعطى لنفسه لقب "خاتم الأنبياء"، وكان مشروعه يقوم على صياغة ديانة شمولية تحتوي على الأفكار الدينية القديمة ، وتتجاوزها في تركيب جديد قادر على اكتساب الجميع إلى عقيدة موحدة) (٢).

لم يكن يختار أفضل ما في الدين بشكل عام ، لكنه كان يختار أهم ما كان يجذب أتباعها إليها ، ليضمن انضمامهم إليه وتقبل دعوته ؛ هذا منهجه في كسب تأييد كل من حوله ؛ فكان يخاطب كلاً بلغة دينهم ومصطلحاتهم. وقد قيل في وصفها :

- (احتوت تعاليمه على ضرب من مزج الأديان والآلهة حتى يحدث لون من المصالحة الفكرية بين الطوائف الدينية التي تعج بها الإمبراطورية الفارسية) (٣).
- (زعم ماني أن الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام استخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية) (٤) .

---

(١) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص ١٥٠ .

(٢) فراس السواح : " دين الإنسان ... بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني" ، دار علاء الدين، ط٤ ، ٢٠٠٢م ، ص١٠٣ .

(٣) كامل سعفان : " معتقدات آسيوية " ، ص ١٣٨ .

(٤) إسحاق الوراق : " الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين " ، نسخة محملة ، بدون بيانات ، ج٩ ، ص ٣٩٢ .

- (دعا إلى دين يجمع بين الأديان كلها ، فقد وكل إليه أن يوضح تعاليمها التي أصابها الأتباع بالنقض والاضطراب كان يفسر كل ما في الحياة من اضطراب وتناقض بأنه صراع بين النور والظلمة ، بين أهورامزدا الإله وأهرمن الشيطان ،كانت الثنائية محور تعاليم ماني) [1] .

ج) فلسفة الدين المانوي:

حتى نتعرف على حقيقة فلسفة وفكر الدين المانوي ليس لنا سوى مصدرين اثنين وهما ما قاله أصحاب الدين نفسه وما قالوه العلماء عنه.

فماذا قال علماء الأديان عن فلسفة الديانة المانوية؟.

(المانوية توجد فيها من التعاليم "المسيحية، واليهودية والبوذية والزرادشتية"، وظهرت في الفترة الفاصلة بين ظهور المسيحية والإسلام ، والفكرة الأساسية في مذهبه تقـــول: بأن الكون قائم على مبدأين اثنين هما الخير والشر ، وهما أزليان أبديان متساويان في كل شيء ، ولا ينتصر أحدهما على الآخر) [2].

قد تكون هذه نقطة الخلاف الجوهرية بين المانوية والزرادشتية فقط بل مع غالبية الأديان الفارسية ، فالثنوية لا تقول بالمساواة التامة بين النور والظلمة في كل شيء عدا المانوية هي التي تقول بأنهما : أصلين أزليان لا فرق بينهما إلا في التضاد. وفي الزرادشتية نظرة تفردية ثنوية للإله ؛ في حين أن المانوية نظرتها للإله ثنوية خالصة.

ومن النصوص الأخرى التي توضح بعض المفاهيم التي قامت عليها المانوية ، والتي انفرد بها: (المانوية مذهبه يخالف مذاهب المجوس الأقدمين في زعمه أن آدم من خلق الشيطان لا من خلق الله– وتعليله لذلك– أن الشيطان كلما استطاع أن يختله من نور السماء ، فلما بصر به الملائكة ولمحوا فيه قبس النور ذهبوا يستخلصونه من قبضة الشيطان ليرتفعوا به ، ولا يزالون يعملون في استخلاصه حتى يرجع إلى السماء) [3].

---

(١) كامل سعفان : مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

(٢) رؤوف سبهاني : " تاريخ الفلسفة في إيران " ، ص٤٠ .

(٣) عباس العقاد : " نشأت العقيدة الإلهية " ، ص١٠٦ .

وقد جاء في تعريفها في الموسوعة الفلسفية بالنص التالي:

(المانوية فرقة غنوصية كانت أخطر البدع التي تعرضت لها المسيحية ، وأطولها عمراً؛ ذلك لأنها استمرت من القرن الثالث وحتى القرن الثالث عشر ، وأهم أركانها قولهم بالثنائية أي بإلهين إله النور وإله الظلام، واختلفت عن الفرق الغنوصية المسيحية الأخرى بقولها: إن الإلهين منفصلان تماماً وموجودان منذ الأزل ، وكان ماني يقول أنه: النبي الرابع والأخير سبقه المسيح وزرادشت وبوذا ولكن كتبه وكتب المانويين اندثرت ولم نعثر عليها إلا من خلال ما كتبه الآخرون عنها ، وأخصهم ابن المقفع وابن النديم) (١).

أما ما قاله ماني عن دينه وتعليل عمله مع الأديان أنه جمع الديانات الثلاثة "الزرادشتية والبوذية والنصرانية" في دين جديد بصيغة جديدة ؛ حيث أخذ ثالوث النصرانية وتناسخ أرواح البوذية وثنوية الزرادشتية.

(يصف ماني بنفسه ذلك الطابع العالمي لتعاليمه فيقول: " كما أن نهراً يرفد آخر لتكوين تيار دافق"، كذلك صبت الكتب القديمة في كتاباتي فشكلت حكمة كبرى لا مثيل لها في الأجيال السابقة) (٢).

وإن كان أخذ من الأديان أفضلها ، فقد أقام دينه على مبادئ أديان فارس.

(تكمن الثنائية في قلب تعاليم ماني فالله أب العظمة يعارضه أمير الظلام ، والاثنان عنصران أوليان) (٣).

ومما ذكره الشهرستاني عن أصل زعمه في دينه: (زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين، أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان ولم يزالا وأنهما: قويين دراكين)(٤).

وفي حين يُقدس زرادشت جسد الإنسان كما يقدس روحه، يرى ماني أن جسد الإنسان خلق شيطاني ظلماني لابد من العمل على التخلص منه والعودة الأصل، في هذا شابه مذهب الهندوسيين.

---

(١) موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص ١٢٢٥.١٢٢٤ .

(٢) فراس السواح : " دين الإنسان ... بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني " ، ص ١٠٣ .

(٣) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص ١٥٠ .

(٤) الشهرستاني : " الملل والنحل" ، ج١ ، ص ٢٤٤ .

(تقرر المانوية أن إله النور والخير قد خلق الإنسان من النور؛ فكان في أول أمره نورانياً شفافاً ؛ غير أن إله الشر والظلمة قد عمد إلى خلق جسم الإنسان من مادة كثيفة لتكون سجناً للروح الإنسانية النورانية ؛ وكان هذا الجسم هو سبب الشقاء الذي يعاني منه الإنسان ولا سبيل إلى الخلاص منه إلا بالعمل على إفناء هذا الجسم والتخلص منه، فنادت بالزهد والتقشف وحرمت الزواج للقضاء على النسل) (١).

ولم يكن فكرها الثنوي هو الذي جعلني اختار الحديث عنها ؛ فكل أديان فارس ذات معتقد ثنوي إلهي على اختلاف صوره وأشكاله. لكن كان لدور السفيرة الثنوية للأديان الأخرى الذي تقلدته ، فكانت سبب مباشر لتأثر بعض الأديان اللاحقة لها بفكرة الثنوية الإلهية.

د) انتشار الدعوة المانوية خارجياً:

لم تبدأ المانوية من بلاد فارس كما هو المفروض ، فقد شذت المانوية في موطن البدايات كما شذت من قبل في الأفكار ، فلسبب ما أُبعد ماني عن بلاد فارس فبدأ يدعو لدينه في الهند.

(لم يبدأ نشاط ماني التبشيري في بابل كما هو متوقع بل في الهند حيث مكث فترة ثم عاد، ومن هناك بدأ بإرسال حوارية شرقاً وغرباً تحت حماية الملك الفارسي "شابور" الذي سمح له بنشر تعاليمه بحرية في كل مكان) (٢).

لقد كان طموح الرجـــل كبير، ولم تكن أحلامه ديانة فارسية قومية فقط بل أكبر من ذلك.

(أراد مـاني أن ينشـر دينـاً عالميـاً ؛ وقـد طـابق بـين مذهبـه بمهـارة وبـين الآراء والمصطلحات الدينية عند مختلف الأمم) (٣) .

---

(١) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ، ص ١٩٦ .

(٢) فراس السواح : " دين الإنسان " ، ص١٠٤ .

(٣) موقع إلكتروني بعنوان : منتديات عنكاوي http://www.ankawa.com . موضوع بعنوان : دراسة قصيرة عن الديانة المانوية ، بقلم : يوحنا بيداويد ، بتاريخ ٢٠١٠/١٠/١١م ، زمن ٠١:٢٩ am .

كان لابد لهذا الانتشار من دعم سياسي وسلطة تحميه ، وقد كان من الذكاء بحيث زاوج دعوته وبين السلطة الحاكمة آنذاك ، فقد جاور أحد الملوك وعمل على صداقته حتى اكتسب منه تأييداً كبيراً لدعوته ودعماً له ، مما أتاح له القيام ببعض الرحلات بنفسه وبعضها الآخر من تلاميذه فيرسل بعضهم للشرق ، ويرسل آخرون للغرب [١]. على سبيل الاختصار يقال:

- وصلت الديانة المانوية إلى منطقة الأردن.
- حواري ماني الذي كان يسمى توماس قد بشر بالإنجيل المانوي في الضفة الغربية.
- إن اثنين من حواري ماني قد جرى إرسالهما على التعاقب إلى سورية ومصر.
- ومن مصر انتشرت الديانة المانوية إلى أفريقيا وإسبانيا.
- كما انتشرت من سوريا عبر آسيا إلى اليونان وايطاليا.

وهناك العديد من الشواهد الأخرى في المراجع الدينية التي ذكرت الدين المانوي تذكر تلك الرحلات إلى مواطن أديان العالم المختلفة.

- (انتشرت المانوية في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية، وفي بلاد العرب، والهند والصين حتى وصلت إلى فرنسا [٢] في العصور الوسطى) [٣].
- (انتشر مذهب ماني، وقام برحلات تبشيرية في الهند، والصين، وفي بلدان فارس، واتبعه كثيرون وبقيت المانوية أكثر من ألف سنة ثم قضي عليها) [٤].
- (كانت الديانة المانوية وصلت إلى نهر جيحون وعبرته ؛ وقد صدر مرسوم إمبراطوري صيني ضد المانوية جاء فيه: "إن عقيدة مار ماني عقيدة فاسدة تماماً وهي تتخذ اسم البوذية بشكل زائف وتضلل الناس ، وينبغي حظر هذا رسمياً) [٥].

---

(١) جيووايد نغرين : " ماني والمانوية " ، مرجع سابق ، ص ١٥١.١٥٢ .

(٢) عرفت في فرنسا فرقة باسم " الألبجنسي" ، مجموعة من الأعضاء انشقت عن المسيحية ، وبشرت بتعاليم ماني الثنائية في الفترة من القرن الحادي عشر حتى الثالث عشر ، وجاءت التسمية من مقاطعة آلبي ، " المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، لجفري بارندر ، ص ١٥١ الهامش ، وقد سبق التعريف بهذه الفرقة في مطلب عبدة الشيطان .

(٣) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص ١٥١ .

(٤) أحمد عبد الغفور : " الديانات والعقائد في مختلف العصور " ، ص ٢٦٢ .

(٥) جيووايد نغرين : " ماني والمانوية " ، مرجع سابق ، ص ١٦٨.١٦٩ .

وبالرغم من ذلك فقد تمتعت المانوية بمكانة كبيرة في الصين ، وتأثرت الديانة الصينية بالفكر الثنوي الكوني [١].

- (يروي الجغرافي ابن رسته خبراً عن وصول البعثات المانوية إلى مكة من الحيرة) [٢].

إلا أنه من الملاحظ أن نشاط المانويين في بلاد العرب قد توقف بظهور الإسلام وانتصاراته المتعددة التي هدم بها معقل الدين الثنوي كاملاً ببلاد فارس وليس المانوية فقط؛ لذا أجد أن المرويات والأخبار عنهم قد هدأت في عهد الخلفاء الأربعة ، وكذلك في عهد الدولة الأموية إلا من ذكر يسير.

(في أيام ملوك بني أمية فإن خالد القسري كان يعني بهم؛ كان الجعد بن درهم زنديقاً، وطال حبسه على يد خالد؛ ويقال أن آل الجعد رفعوا قصته إلى هشام بن عبد الملك يشكون طول حبس الجعد، فقال: أهو حي بعد وكتب إلى خالد في قتله، فقتله يوم الأضحى) [٣].

مع بداية العصر العباسي وتساهل بنو العباس مع كل ما ينتمي إلى بلاد فارس.

(ذكر المسعودي أن ابن المقفع قد ترجم العديد من كتب ماني ، فتوفر طوال العصر العباسي أدب عربي مانوي غني) [٤] .

وقد استغل المانويون هذا التساهل بزيادة في الانتشار والمكنة ؛ فقيل إنهم تقلدوا أعلى المناصب في الدولة، ووصلوا إلى منصب وزير لكن بعض من حكام الدولة العباسية تنبه إلى خطرهم واجه ذلك بحزم وضراوة شديدين.

(في سنة ١٦٣هـ بدأت حملة المهدي العنيفة على الزنادقة؛ بالقبض على كل الزنادقة، وأمر بقتل بعضهم وتمزيق كتبهم، واستمر الاضطهاد، حتى بلغ غايته في الفترة ما بين ١٦٦هـ) [٥].

---

(١) سيكون تفصيل ذلك في الصفحات التالية عند الحديث عن الأديان الصينية القديمة ، ومظاهر الثنوية فيها .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣

(٣) ابن النديم : " الفهرست " نسخة إلكترونية محملة بدون بيانات تعريفية ، ص ٣٣٦.٣٣٥ .

(٤) جيووايد نغرين : مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

(٥) عبد الرحمن بدوي : " من تاريخ الإلحاد في الإسلام "، سينا للنشر ، ، ١٩٤٥م، ط٢، ١٩٩٣م ، ص٤١ .

وقد أنشئت محكمة خاصة لمحاكمة المانويين ، كانت تضع شروط للمقبوض عليهم أن يقوموا بها حتى يُخلى سبيله.

(كما تم إنشاء محكمة تحقيق تحت إشراف محقق رئيس عرف باسم " صاحب الزنادقة " لاتخاذ خطوات لازمة ضد جميع الهرطقة ، وضد المانويين قبل كل شيء) [١].

وبعد كل تلك القوة والحصانة التي تمتعوا بها فترة من الزمن بمساعدة ملوك الفرس؛ جاء الإسلام لينهي تلك الأسطورة الخرافية التي طافت الدنيا شرقها وغربها عربها وعجمها ؛ ليدعو الناس إلى الإيمان ، أما المانوية لا تعدو أن تكون هرطقات فلسفية وتعليلات كلامية البسها لباس الوحي السماوي وجمّلها بالدعوة الإلهية حتى تنطلي على أصحاب العقول النيرة قبل الجاهلة. ثم لا تلبث حتى تتضح سفاهتها؛ فقد اشتهر عنهم تأويل الحقائق وتلوينها ليقنعوا بها العالم بأسره ، كما حدث مع القديس أوغسطين الذي صاحبهم عمراً ، وما لبث أن تبين سفاهة فكرهم فغادرهم ناقماً عليهم مشهراً بهم في أكثر مؤلفاته.

(قد جاء في النقد الساخر لهم أن حكمتهم لم تكن فلسفة بل تعليلات كلامية)[٢] واختفت الثنوية المانوية من على خارطة الأديان.

(تقهقرت واندثرت الديانة المانوية ، أهم الأسباب عدم وجود تجديد فيها، فانقرضت في الغرب بسبب عجزها في مناقشة علماء اللاهوت المتدربين فلسفياً على عكس المانويين ؛ وفي الشرق الأوسط انقرضت بسبب انتشار الإسلام ؛ وفي الشرق الأقصى انقرضت بسبب مخالفتها ومعارضة البوذيين والكنفوشيين والمغول لها) [٣].

هـ) الكتب المقدسة المانوية:

لم يترك ماني كتاباً واحداً سجل فيه أفكاره وتعليلاته عن الكون والحياة، بل ترك عدة كتب. فقد كان اهتمام ماني وعنايته بمخطوطاته وكتبه اهتماماً ملحوظاً ، فقد كان

---

(١) جيووايد نغرين : " ماني والمانوية " ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٣) موقع إلكتروني بعنوان منتديات عنكاوي http://www.ankawa.com . موضوع بعنوان : دراسة قصيرة عن الديانة المانوية ... بقلم يوحنا بيداويد ... بتاريخ ٢٠١٠/١٠/١١م ... زمن ٠١:٢٩ am .

يختار أفخم أنواع الورق والمداد التي تُكتب بها ؛ كما أنه عني بزخرفة مخطوطاته ورسائله بزخارف وألوان تسر الناظرين- كما قيل- فلم يصلنا أياً من تلك الكتب والمخطوطات.

لكن تمكنت فرق من البعثات الاستكشافية الحديثة في عهد قريب من العثور على بعض أوراق البردي التي تخص تعاليم الديانة المانوية في حملة تنقيب عن الآثار في دولة مصر؛ إلا انها كانت مهترئة بسبب ما تعرضت له من عوامل الزمن فقد كانت أطرافها ملتصقة وحروفها باهتة ، وقد قالوا عن كتب ماني:

(لم تكن الكتب المانوية مكتوبة بعناية وموضحة بدقة ، فحسب بل تم إعدادها بشكل رائع ، وبكل طريقة ممكنة) [١].

وقيل أيضاً:

(من الصعب جداً حصر الكتب الرئيسة التي وضعها ماني أو تلاميذه عن ديانتهم بسبب كثرتها، ومن ثم شبه اندثار الديانة نفسها ، وأغلبها كتبت باللغة السريانية لكن أهمها- على الإطلاق- كتاب كلافيا، وهي تعاليم ماني التي جمعت بعد موته باللغة القطبية، يقال انه منقول عن اليونانية ، وهذه على شكل خطب ووعظ كتبها ماني بنفسه حسب المناسبات ...) [٢] .

وإن كنا نبغي الاختصار سوف نذكر ما عُثر عليه من بقايا، وأجزاء كتب ومخطوطات ماني [٣] :

١-مجلد باسم "الشابورقان" الذي أوقفه ماني على الملك شابور الأول [٤].

٢-كتاب " الانجيل الحي " ، وقد قسم إلى اثنين وعشرين سفراً عثر على قطع منه في الصين [٥] .

---

(١) جيووايد نغرين : " ماني والمانوية " ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(٢) موقع إلكتروني ، بعنوان : منتديات عنكاوي ، http://www.ankawa.com ، موضوع بعنوان : دراسة قصيرة عن الديانة المانوية ، بقلم : يوحنا بيداويد ، بتاريخ ٢٠١٠/١٠/١١ م ، زمن ٠١:٢٩ am .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢-١٠٦ ، بتصريف .

(٤) عرض ماني عقيدته فيه ، وكذلك حوى تصور متداخل للكون ، ويتضح بشكل خاص للإيمان بالآخرة .

(٥) هذا الذي أعلن فيه أنه الفارقليط ، ويفترض أن ماني قصد أن يكون نظيراً لإنجيل عيسى .

٣- كتاب "كنز الأحياء" وهو كتاب يشبه كتاب "الكنز" للطائفة المندعية، وقد وجدت بعض من فقراته لدى البيروني والقديس أوغسطين.

٤- "سفر الأسرار" واشتمل على ثمانية عشر باباً، وفيه هجوماً على أتباع الديصانية.

٥- "سفر الجبابرة " وقد كان حظ هذا السفر أفضل من غيره حيث عُثر على قطع كبيرة وجيدة منه في الصين تم جمعها في مجلد واحد.

الخلاصة:

إيرانا فيجا كما جاءت في المراجع القديمة وتعني "أرض الإيرانيين"، سبق هذا الاسم اسم بلاد فارس تاريخياً ؛ تضاريسها الجغرافيا الطبيعية جعلتها من أكثر الأماكن صعوبة في السكن ، لذا تأخر عمر حضارتها ؛ هذا ما ذكرته الكتب الغربية ؛ لكن بالعودة إلى مرجع في التاريخ العربي "الكامل في التاريخ" أجد أن أرض إيران سكنت مبكراً جداً وليس كما يذكرون.

وأديان إيران مجوسية ، والمجوسية قائمة على الثنوية الإلهية ؛ فكل ما أتى من أديان بعد ذلك ارتكز على ذات المعتقد ؛ حتى الديانة المختلف عليها الزرادشتية ، غالبية علماء الأديان الغربيين أفردوا لها وصفاً خاصاً مستحدثاً ، فهي ديانة التوحيد الثنوي؛ وهذا ليس له محل في تصنيف أدياننا ، فهي إما توحيدية أو ثنوية ، فالوصفان متناقضان لا يجتمعان فلا بد أن توصف بأحدهما فقط ؛ وقد رجحت بعد البحث ثنويتها التي ذكرها القلة القليلة من الكتاب ؛ فهي وإن كانت توجهت في اعتقادها بالتفرد لألوهية أهورامزدا إلا أنها اعتقدت بقدرة الشيطان المتصدية لقدرة إله الخير لتخرب له عالمه ؛ فتوحيدها الذي يدَّعون زائف ، فما من توحيد يدَّعي أن الخالق الأعلى يحاول أن يحمي عالمه من شرور الشيطان ويتعاهدا فيما بينهما على التعايش السلمي.

وأتى بعدها أديان أخرى بدأت داخلياً وانتهت داخلياً أيضاً ، عدا المانوية التي لم يدر حولها أي خلاف لا في المعتقد ولا في المؤسس ولا حتى على فسادها فهي ديانة ثنوية خالصة ، والغريب فيها هو طول عمرها ؛ فقد عد ماني نفسه النبي الرابع بعد بوذا وزرادشت وعيسى علية السلام ، فأخذ من كل الأديان من حوله عوامل الجذب والتفضيل لدى الأتباع وصاغ منها دينه الجديد ؛ وبذلك ضمن كثرة الأتباع وغزارة المريدين ، وقد أخذ على عاتقه وتلاميذه مهمة نشر هذا الدين عالمياً ؛ فقام برحلات دعوية تبشيرية بنفسه أحياناً وأحياناً أخرى يرسل من ينوب عنه من تلاميذه وحوارييه؛ وهكذا انتشرت العقيدة الثنوية التي تأثر بها أديان العالم بعد ذلك.

المبحث الخامس

الثنوية في أديان بلاد اليونان القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد اليونان القديمة.
- المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد اليونان القديمة.

(تمهيد)

الحضارة اليونانية أو كما أُطلق عليها في الماضي الحضارة الإغريقية، لم يعدها التاريخ من حضارات الزمن القديم ؛ لكن على الرغم من حداثة عمرها من عمر الحضارات البشرية إلا أنه كان لها شأن لا يستهان به في حقبة تاريخية قديمة.

أُطلق على شعوبها الإغريقيين وعرفوا باليونانيين، كما وُصفت حضارتهم بالحضارة الهللينية [(١)] ومن ثم تغير اسمها إلى الحضارة الهليسينية[(٢)]، كانت موطن الفلسفة والفلاسفة ، ومنها صدر للعالم أفكارا ونظريات كانت وما زالت نبراساً في هذا المجال. فقد ملأ فلاسفتها العالم بمؤلفاتهم وأثروا العلم بنظرياتهم ، كما غيروا الكثير من المسارات العلمية والعملية بأبحاثهم وعلومهم ، سواءً أخطئوا أو أصابوا يكفيهم أنهم عَلِموا فعَمَلُوا وعَلّمُوا.

لكن أي بقعة من الأرض سكن أولئك الفلاسفة؟ ومن أي جهة من العالم انطلقوا فأثروا وأثمروا ؟!!

اليونان ليست دولة واحدة ، وإنما هي عبارة عن ثلاث مناطق متجاورة تحوي تضاريس متنوعة وارخبيل متناثر في البحر، ولكل منطقة من هذه المناطق حدودها وشعوبها وحضاراتها.

---

(١) هيلين : اسم الشعب الذي يسكن أرض هيلاس (الأرض اليونانية) ، واليونان : هو الاسم الذي أطلقه العرب على الهيليين ، حين هاجرت قبيلة هللينية تسمى قبيلة " أيونيا " إلى آسيا الصغرى ، فجاورت العرب، وأصبحت قريبة منهم ، فأصبح العرب يطلقون على أهل البلاد الأصلية وهم : الهيلين الذين هاجرت منهم هذه القبيلة اسم أيوني (يوناني) من موقع جامعة الملك سعود http://faculty.ksu.edu.sa ، بقلم : جمال خالد الطريفي.

(٢) الحضارة الهليسينية نشأت من مزيج من الحضارة اليونانية والحضارة الشرقية القديمة ، وكانت في عهد الإسكندر الأكبر. وقيل إنه : العصر الذي يمتد ما بين وفاة الإسكندر الأكبر وحتى قيام الإمبراطورية الرومانية على يد الإمبراطور أوغسطس . " الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني " لأبي اليسر فرج ، ص٣٨ " أطلس تاريخ العالم الإسلامي " ، لسيف الدين الكاتب " ، ص٢٩

(لا يمكن الحديث عن تاريخ الإغريق كوحدة بل الواقع أن تاريخ الإغريق هو تاريخ مجموعة من المدن والدول) [(١)].

بداية نقول أنها تقع في القارة الأوربية وتحديداً في الجنوب الشرقي للقارة [(٢)]. وقد أتاح لها موقعها كشبه جزيرة أن تكون نقطة اتصال وتواصل بين الحضارات والثقافات والديانات بين بلاد الشرق وبلاد الغرب خاصة وهي تتوسط ثلاثة بحار "البحر المتوسط والبحر الأدرياتيكي وبحر إيجة".

(قد ساعد الموقع الجغرافي اليونان على أن تقوم بدور المستورد والموزع لحضارات الشرق في باقي أنحاء القارة الأوروبية) [(٣)].

برز من بين أجزاء اليونان الثلاثة شبه جزيرة البلقان التي تنقسم بدورها إلى ثلاثة أقسام كبرى [(٤)] تضم المنطقة الشمالية [(٥)] والمنطقة الوسطى [(٦)] والمنطقة الجنوبية [(٧)]، وقد أطلق على اليونانيين أسماء عدة منها على سبيل المثال:

---

(١) فوزي مكاوي: " تاريخ العالم الإغريقي وحضارته " ، دار الرشاد الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ، ص٧ .

(٢) (تقع اليونان في شبه جزيرة جنوب شرق قارة أوروبا ؛ وهي أرض جبلية في معظمها تسودها بعض الأراضي السهلية القليلة تحدها من الشمال دولة مقدونيا ، ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط وجزيرة قبرص ، ومن الشرق بحر إيجة الذي يفصل بينها وبين آسيا الصغرى ، ومن الغرب البحر الأدرياتيكي الذي يفصل بينها وبين شبه الجزيرة الإيطالية، وعاصمة اليونان حاليًا أثينا) من موقع جامعة الملك سعود ، http://faculty.ksu.edu.sa . بقلم : جمال خالد الطريفي ، ب . ت .

(٣) سيد أحمد الناصري : " الإغريق تاريخهم وحضارتهم " دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، ص٩ .

(٤) حسين الشيخ : " اليونان " ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون بيانات ، ص٦. ٨ ، بتصريف .

(٥) تشمل مقدونيا وهي الأشهر في المنطقة لدورها التاريخي وقد سكنها شعب ذو أصول مختلفة ، كانت مهداً لدولة مقدونيا التي أخضعت بلاد اليونان ، فيما بعد وانطلق منها الاسكندر المقدوني في فتوحاته الشهيرة .

(٦) وهي عدة أقاليم أهمها فوكين الذي اشتهر بمدينة دلفى والتي اعتقد اليونانيون القدامى أنها مركز الأرض كذلك تقع مدينة طيبة التي نازعت أثينا واسبرطة زعامة بلاد اليونان في وقت من الأوقات ، وفي أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من المنطقة الوسطى يقع إقليم أتيكا أشهر وأقوى أقاليم هذه المنطقة حيث تتوسطه مدينة أثينا .

(٧) وهي تتصل بالمنطقتين الشمالية والوسطى عن طريق برزخ كيرنثة وقد أهّلها موقعها الجغرافي للقيام بدور هام في تاريخ اليونان يوجد بها إقليم أليس الذي اشتهر بمدينة أوليمبيا مهد الألعاب الأوليمبية ، وحيث أقيم معبد الإله زيوس الذي حوى تمثاله الشهير من الذهب والعاج .

- **هيلاس:** اسم الأرض اليونانية .
- **الإغريق:** الإسم الذي أطلقه الرومان عليهم .
- **اليونان:** الإسم الذي أطلقه العرب عليهم [١].

ومن خلال التأريخ السكاني لبلاد اليونان وُجد أن هناك شعوب قديمة وشعوب أخرى موغلة في القدم ردها الباحثون في هذا المجال إلى العصر الحجري [٢] .

(المرحلة الأولى من الحضارة الإيجية في اليونان نتيجة ثقافات عالية التطور في العصر الحجري الأعلى ؛ السكان الإيجيين كانوا قد أتوا من آسيا الصغرى) [٣]. تلا العصر الحجري زمنياً ما يُعرف بالعصر البرونزي [٤] وقد كان سكانه من ذوي الأصول الآسيوية أيضاً [٥]. لكن ماذا عن السكان الأصليين للأرض اليونانية؟.

(أثبتت الحفائر الأثرية وجود سكان ببلاد اليونان منذ العصر الحجري القديم، وإبان العصر الحجري الجديد، ثم دخل اليونان مهاجرون لا نعرف هويتهم أطلق عليهم

---

(١) (وقد أطلق اليونان على أنفسهم تسمية الهيلينيين ، أما الرومان هم من أطلقوا عليهم تسمية الإغريق ، أما تسميتهم باليونانيين، فمرجعه إلى اللغات السامية القديمة) أحمد على عجيبة: "دراسات في الأديان الوثنية القديمة "، ص١٤٥.

(٢) العصر الحجري هي : فترة من عصور ما قبل التاريخ استخدم فيها الإنسان أدوات حجرية لأول مرة في تاريخه وأيضا في صنع الأسلحة وأنظمة الدفاع ، وذلك بسبب حدتها وصلابتها ، واستمر العصر الحجري حوالي ٢.٥ مليون سنة، وينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة : العصر الحجري القديم الذي بدأ مع ظهور الإنسان واستمر حتى ١٠٠٠٠ عام ق.م، والعصر الحجري الحديث الذي بدأ قبل ١٠٠٠٠ واستمر حتى ٤٠٠٠ عام ق.م ، والعصر الحجري والمعادن الذي بدأ قبل ٤٠٠٠ عام ق.م وهو الفترة الانتقالية ما بين العصر الحجري والعصر البرونزي عندما تعرّف الإنسان على المعادن ، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، http://ar.wikipedia.org . مقالة بعنوان : العصور التاريخية ـ العصر الحجري .

(٣) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج١، ص ٢٦٤. ٢٦٦ .

(٤) عصر البرونز : هو عصر ظهور علم الفلزات وصهر المعادن لأول مرة في تاريخ الإنسان ، وبدأ هذا العصر أولاً في الشرق الأدنى حوالي ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد وحتى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وانتقلت المعرفة إلى أوروبا بعد ذلك بقرنين . واستمر العصر البرونزي حتى القرن التاسع قبل الميلاد ... موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org . مقال بعنوان : العصور التاريخية ـ عصر البرونز .

(٥) (الموجات البشرية التي سكنت بلاد الإغريق منذ عصر البرونز كانت غالباً ذات أصول أسيوية) فوزي مكاوي : " تاريخ العالم الإغريقي وحضارته " ، ص١٥ .

الإغريق اسم "البيلاسجيون" وأنهم يتكلمون لغة ليست هندوأوروبية) [١].

أطلق على أول الشعوب المهاجرة لليونان اسم "البيلاسجيين" واعتبروا السكان الأصليين لبلاد الإغريق ، وهم ليسوا من أصول الهندوأوروبية ؛ هذا ما ذكره المؤرخ هيرودوت ، لكن النص التالي يذكر غير ذلك :

(من هم اليونانيون؟، هم من الشعوب الهندوأوروبية ارتحلوا باتجاه حوض الدانوب الأسفل، واتجهت مجموعة منهم نحو بلاد اليونان؛ أما المنطقة الوسطى من غربي آسيا الصغرى فقد سيطرت عليها قبائل أخرى، هي الأيونيون الذين لعبوا دوراً مهماً في تاريخ البلاد اليونانية ، وأنشئوا المدن، وأهمها "أثينا ، اسبرطة ، طيبة") [٢].

وقد تضاربت النصوص في أصول الشعب اليوناني هل هي هندوأوروبية أو ليست هندوأوروبية ؛ وإن كان ذلك ليس بأهمية فما يعنينا في الموضوع المعرفة وليس التوثيق.

الحضارات اليونانية القديمة:

ظهر جيل جديد من الحضارات القديمة في اليونان [٣]، منها:

- الحضارة الكوكلادية في جزر بحر إيجة.
- الحضارة المينوية على حضارة كريت.
- حضارة العصر الهيلادي.
- حضارة طروادة [٤].

---

(١) سيد أحمد الناصري : " الإغريق تاريخهم وحضارتهم " ، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) حسن نعمة : " ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١٠٠ ، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

(٣) فوزي مكاوي : " تاريخ العالم الإغريقي وحضارته " ، ص ٢٥ .

(٤) تقع طروادة بآسيا الصغرى بالقرب من مضيق الدردنيل وبحر إيجة ، واشتهرت بسبب الإلياذة " الملحمة الشهيرة " وقد بقيت مجهولة حتى أعتقد الناس بأنها مجرد أسطورة لكن في عام ١٨٢٢م كان أول تنبأ بوجود حقيقي لمدينة طروادة في موقعها ، وقد أدت الحفائر إلى الكشف عن مراحل هامة من تاريخ آسيا الصغرى . " تاريخ العالم الإغريقي وحضارته " لفوزي مكاوي ، ص٤١ " ، و " تاريخ اليونان " لمحمد كامل عياد ، ج١ ، ص٧٨ ، وغيرها الكثير .

الحضارات اليونانية الجديدة:

التاريخ اليوناني المكتوب رصد ظهور حضارتين متزامنتين في نفس الزمن تقريباً، ينحصر الفرق بينهما أن إحداهما أجنبية عن اليونان بينما الثانية يونانية أصلية وهما:

- **الحضارة الكريتية** : ويقال لها الحضارة الإيجية نسبة إلى بحر إيجة وهي الحضارة المينوية [١] أو الميسينية أيضاً.
- **الحضارة الموكينية** : نسبة إلى مدينة موكيناي ويقال أنها ابنة اليونان ، وجذورها جذور السكان الأصليين[٢].

ومن أهم العوامل التي أدت إلى انتهاء الحضارتين هو دخول القبائل الدورية إلى اليونان الذي أعلن فعلياً انتهاء ذلك العصر.

(شهدت اليونان فترة من التدهور والانهيار لمدة قرنين من الزمان ؛ ولعل أهم أحداث هذه الفترة هو تطور النظام السياسي [٣] الذي أسفر عن ظهور نظام دولة المدينة؛ مما أدى إلى ظهور مجموعة من المدن القوية مثل أثينا واسبرطة) [٤].

---

(١) نسبة إلى بيت مينوس ، وهو البيت الحاكم الذي سيطر على الجزيرة لفترة طويلة ، " اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري للطفي عبد الوهاب ، يحي دار المعرفة الجامعية " ، ص٧٥ .

(٢) (الحضارة الموكينية تمتاز بأنها الأصلية ، وأتت بعد الحضارة الكريتية ، وقد سيطرت على بلاد اليونان من قصة حرب طروادة ، وقد بدأ التدهور فيها حين بدأت القبائل الدورية القادمة من الشمال في تحطيم الحضارة الموكينية ، وبقايا الحضارة الكريتية) القبائل الدورية التي يقال إنها هي الشعوب الهندو أوروبية القادمة من الشمال ، والتي حطمت الحضارتين الكبيرتين . ممدوح مصطفى ، إبراهيم السايح : " مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية " ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٩٨م ، ص١٠.

(٣) ظهر نظام الديمقراطية لأول مرة في تاريخ البشرية ، وهو يعني حُكم الشعب لنفسه ، وبذلك يتميز عن الحكم الديكتاتوري أو الثيوقراطي " الحكومة الدينية " بأنه حكم الأغلبية ، وهو يقوم على المناقشة التي يشترك فيها كل المواطنين الأحرار والاقتراع المباشر ، ومن ثم قامت أشكال متعددة من الديمقراطية تشترك في صفات وتختلف في صفات، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٦٠٤ـ ٦٠٥ .

(٤) ممدوح مصطفى ، إبراهيم السايح : مرجع سابق ، ص٢٠ـ٢١ ، بتصريف .

العصر الهيلينى [١] :

من أزهى العصور التي مرت على اليونان كان العصر الهيليني؛ كانت تقع في الشمال من اليونان بلدة مقدونيا [٢] التي كانت تعتبر مدينة بدائية بالقياس بتلك المدن، لكن لوحظ على المقدونيين توجه أنظارهم نحو الإمبراطورية الفارسية ، والتي كانت من اتساعها في تلك الحقبة التاريخية تعتبر الإمبراطورية لا تغيب عنها الشمس[٣]. وكان الكثيرون من ملوك مقدونيا ينظرون بإعجاب إلى الإمبراطورية الفارسية [٤].

الإسكندر المقدوني [٥] :

انتهت حروب اليونان الخارجية ؛ لتبدأ بعدها الحروب الداخلية بين اليونانيين أنفسهم والصراع على السيطرة الكاملة على الجزر اليونانية ، في ذلك الوقت اعتلى سدة الحكم الإسكندر المقدوني ، الذي استطاع أن يخضع اليونان كلها تحت حكمه،

---

(١) هو : عصر المستعمرات والممالك الإغريقية ، وهو يبدأ منذ أن جرد الإسكندر الأكبر جيوشه لغزو العالم ، وحتى اجتياح الجيوش الرومانية ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص١٥١٣ .

(٢) التي كانت مسقط رأس الإسكندر المقدوني الذي كان له دور كبير في تقريب الثقافات والديانات الفارسية إلى الثقافات والديانات اليونانية ، مما أحدث بينهما تأثر وتمازج .

(٣) وقد كانت تلك الفترة خلال حكم الملك قورش، ذلك الملك الذي ملأت انتصاراته وغزواته الحربية صفحات التاريخ في تلك الحقبة الزمنية.

(٤) أبو اليسر فرج : " الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني " ، عين للدراسات ، والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م ، ص١٦ .

(٥) الإسكندر الثالث المقدوني ، المعروف الإسكندر الأكبر ، ولدى العرب عرف بالإسكندر ذي القرنين ، هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق ، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ ، وُلد سنة ٣٥٦ ق . م ، وتتلمذ على يد الفيلسوف أرسطو ، وحين بلغ عامه الثلاثين كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم ، فقد كان مولعاً بعصر البطولات ومن هذا الاقتداء أراد الإسكندر أن يصنع إمبراطورية ، ويُعد أحد أنجح القادة العسكريين في مسيرتهم ، لم يهزم في أي معركة خاضها على الإطلاق ، مُنح حق قيادة جيوش بلاد اليونان كلها، فاستغل ذلك ليُحقق أهدافه التوسعيّة ، وانطلق في عام ٣٣٤ ق . م في حملة على بلاد فارس ، فتمكن من دحر الفرس وطردهم خارج آسيا الصغرى ، ثم شرع في تحطيم الإمبراطورية الفارسية الأخمينية ومن الإطاحة بالشاه الفارسي . لترجمته انظر : " الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني " لأبو اليسر فرج ، ص٢٢ ، وموقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة . http://ar.wikipedia.org . مقال بعنوان : الإسكندر الأكبر ، وموقع المعرفة http://www.marefa.org ، بنفس العنوان .

ومن ثم اتجه ناحية بلاد فارس ليبسط نفوذه عليهم ، كما كان الفرس يسطون نفوذهم على اليونان في السابق [1]. وقد قيل إن المزج الذي أحدثه الإسكندر المقدوني بين الحضارة اليونانية والحضارة الفارسية أسفر عن ظهور الحضارة الهلنستية واندثار الحضارة الهللينية ، التي أعلنت أفول شمس اليونان وشروق شمس الرومان.

(١) (في أثناء الحرب وبعد وقف القتال ، حاول الإسكندر بطريقة بدائية أحياناً صهر اليونان والفرس في بوتقة واحدة كان يشجع الزواج المختلط ، واتخذ الإسكندر لنفسه زوجتين أميرتين فارسيتين) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج٢ ، ص٣٩ .

المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد اليونان القديمة

لم أقرئ في المراجع التي ذكرت الحضارة اليونانية مصطلح "الدين اليوناني"!!

لكن هذا لا يعني أنه ليس هناك دين ، فلم توجد بعد تلك الأمة التي تحيا بلا دين فهو الغريزة والفطرة وهو الملاذ والملجأ في الشدائد والملمات ، ولن تستقيم حياة بشر بدون أن يتجهوا لإله ويقيموا شعائر تعبدية حتى ترتوي الغريزة الدينية بداخلهم. لكن مقصدي من العبارة الافتتاحية هو أنه لم ألمس فيما كتب عن الحضارة اليونانية مقومات الدين الأساسية التي تجعلنا نطلق على ممارساتهم الدينية مسمى دين، بنوا المعابد نعم وعرفوا الآلهة نعم الكثير من الآلهة ، وكان لهم طقوس دينية يومية يؤدونها، لكن كل هذه الأمور لا تكفي ليطلق على ما لدى اليونانيين مصطلح دين.

وبالطبع مقومات الأديان الوضعية تختلف عن مقومات الأديان التوحيدية في جملة القواعد التي يجب أن تقوم عليها ، إلا أن هناك أساسيات لابد من توفرها فيما يمكن أن يطلق عليه مسمى دين ؛ وبخلاف ذلك قد يطلق عليه أي مصطلح آخر كثقافة مجتمع أو تراث أمة أو حتى عادات شُعوبية .

ومن وجهة نظري أن أي دين لا بد أن تتوفر فيه ثلاثة أشياء [1]:

١- نظرة القدسية والمهابة للمعبود.

٢- شخص يتولى القيادة في أمور الدعوة وينصرها.

٣- كتاب مقدس فيه أدعية وتلاوات تقام بها العبادات والصلوات.

وهذا ما لم أجده فيما كتب عن التراث الديني في اليونان ، فلا هيبة أو قدسية لأيٍّ من تلك الآلهة العديدة التي تمتلئ بها أساطير اليونان الدينية هذا أولاً ؛ لم يأت ذكر لنبي مرسل أو حتى مدعٍ لنبوة أو مؤسس حركة دينية دعوية هذا ثانياً ؛ وأخيراً فقد خلا تاريخ اليونان الديني من ذكر كتاب ديني مقدس. وكتب الأساطير أو الملاحم اليونانية عن الآلهة لا يمكن أن تعد بأي حال من الحوال كتب مقدسة ، حتى تلك المعابد الكثيرة التي

---

(١) معروف أن أركان الدين الأساسية عابد ، ومعبود ، وطقوس تقام بينهما .

اهتموا ببنائها وزخرفتها لم تكن أماكن عبادة، بل كانت بيوت للآلهة يُحتفل بهم فيها بأن تقام لهم مآدب الطعام ويُقدم بها الخمور.

آلهة بلا قدسية تلك هي آلهة اليونان:

(إن اليونانيين لم ينظروا إلى آلهتهم على أساس التقديس ؛ ولذلك تجاهل الفلاسفة تلك الآلهة) (١).

هكذا وصفت العلاقة بين اليونانيين وبين آلهتهم ، كان البحث عن دين صحيح بكامل عناصره الأساسية في آخر اهتمام المواطن اليوناني ؛ فقد كان يكفيه أن يتعرف على القوة الغيبية المسؤولة عن الكون ، ويتعرف على الآلهة البشرية في هيئتها واحتياجاتها الإلهية في الحياة والخلود، لم يعرف المجتمع الديني اليوناني المعتقد التفردي للآلهة قط.

(كان لكل أسرة في أيام اليونان القديمة إلهها الخاص، كان لكل جماعة أو قبيلة أو مدينة إلهها الخاص بها، وأول الأعمال الدينية الأساسية التي تعمل في البيت أو في المدينة إيقاد نار للإله ، والاحتفاظ بها لا تنطفئ أبداً، ويقرب للإله القربان من الطعام والخمر قبل كل وجبة) (٢).

كما كان لكل فرد في بيته إله أيضاً ،كل ذلك جعل قيام فكرة الاتفاق على قدسية إله واحد أو مجموعة من الآلهة هو أمر شبه مستحيل ، وقد ثبت عن الشعب اليوناني أنه عرف أنواعاً من الطقوس والعبادات ؛ لكنها كانت على سبيل التوارث والعادات وليست على سبيل التدين والعبادات (٣). ومن يقرأ في كتب التاريخ الديني اليوناني يعلم مقصدي من تلك البداية عن دين اليونان.

---

(١) مي السديري : " حضارات " ، ص٨٥ .

(٢) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... حياة اليونان " ، ج١ ، م ٢ ، ص٣١٧-٣١٨ ، بتصرف .

(٣) (في نواحي البلقان ظهرت ومضات المعتقد الديني تكحل العيون منذ ستة آلاف سنة ق . م . كان الدين قبسات من الشمال والجنوب ، لا كتاب سماوي ، ولا شريعة معينة ، ولا فكرة خاصة ، فرضت عليهم ، إنما قد انبجست من أعماق ذلك الشعب الآمن المتنوع الجنسيات أفكار دينية مختلفة تتلاءم مع مشاعرهم ، لم يتعد إيغال تلك الأفكار حياة الإنسان على الأرض ، أولى آلهتهم الأم الكبرى ، ثم آلهة الشجر سيدة الحيوانات الضارية) سامي أبو شقرة : " موسوعة الأديان " ، ج٢ ، ص٤٩٧-٤٩٨.

ملامح التطور الديني في اليونان:

من سمات الأديان الوضعية التطور وهذا أمر مؤكد فهي من وضع بشر، وأديان اليونان كغيرها من الأديان الوضعية مرت بمراحل تطور ، اختلفت فيها نظرة الفرد اليوناني للدين ، كما كان للموقع الجغرافي أثر كبير في هذا التطور نتيجة التواصل مع الغير.

ويمكن تقسيم الحالة الدينية في اليونان إلى ثلاثة مراحل رئيسة على النحو التالي:

- مرحلة عبادة الطبيعة والآلهة الأم.
- مرحلة عبادة آلهة الأولمب.
- مرحلة العبادة الصوفية السرية.

المرحلة الأولى: عبادة الطبيعة والآلهة الأم.

كما هي بداية الإنسان في أول اهتماماته بالدين توجه نظره نحو الآلهة التي يجد لها أثر في حياته اليومية وتعينه عليها.

(في اليونان كل شيء وكل قوة في الأرض أو السماء وكل نعمة أو نقمة وكل صفة، ولو كانت رذيلة من صفات الإنسان تمثل إلهاً في صورة بشرية عادية) [(١)].

وفي النص التالي إشارة واضحة إلى ظهور عبادة قديمة في اليونان تشبه ما تعارف عليه علماء الأديان الغربيين إنها عبادة الطبيعة :

(لقد كان الأقدمون يؤلهون الكواكب والأرواح والبشر والأصنام ، ولقد رأينا ذلك كله عند اليونان ولكن في أسلوب يوناني ، فالآلهة عند اليونان قد صاغها خيالهم في أشكال بشرية لا تمتاز في صفاتها عن البشر، غير أنها قد بلغت درجة الكمال) [(٢)].

لم يكن هناك كمال للآلهة إلا في الحياة السرمدية الأبدية فقط، فأين الكمال في آلهة تتقاتل وتتناحر ، آلهة تتآمر وتشن الحروب والغزوات ، آلهة تغضب وتحزن، إلى آخر ذلك مما امتلأت به كتب الأساطير اليونانية.

---

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... حياة اليونان " ، ترجمة : محمد بدران ، ج ١ ، مجلد ٢ ، ص٣١٨ .

(٢) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ، ص٢١٣ .

(تعتبر المثولوجيا اليونانية غنية بالأساطير التي تعبر عن تصورات اليونانيين الدينية؛ كان لكل مظهر أو صفة أو قوة أو حرفة إله خاص بها أو حارس لها، كما كان لكل إله أسطورة تفسر سبب وجوده ، وتفسر طقوس عبادته وتكريمه ، ومجموعة كل هذه الأساطير كونت عقيدة اليوناني وفلسفته وتاريخه) [١].

هذا هو أبلغ وصف حصلت عليه للدين في بلاد اليونان القديمة قبل أن تتصل بجاراتها من دول آسيا الصغرى وإفريقيا ، وتقتبس منها أفكاراً وآلهة جديدة تصبغها بالصبغة اليونانية .

وإذا بدأنا في ذكر الآلهة التي عُبدت في اليونان يأتي في مقدمتها الأم، فقد اهتم اليوناني بمصدر الحياة الأم فالولادة ضد الموت والأم قوية لأنها تلد.

(كان يرى في الإلهة الأم الحقيقة الأساسية من حقائق الطبيعة ، وهي أن الموت عدو الإنسان الألد تغلبه قدرة الأم الخفية على التناسل ، وهو لذلك يؤله هذه القدرة، فالإلهة الأم تمثل له مصدر الحياة بأجمعها) [٢].

ويتراءى لي أن عبادة الإلهة الأم هي الدين الأصلي لشعوب اليونان أصحاب الأرض فقد وجدت ملامحها في حضارات اليونان كلها [٣].

تلى ذلك مرحلة أشد تركيزاً وأعمق لفهم ماهية الدين ، وهي عبادة آلهة الأولمب.

المرحلة الثانية: عبادة آلهة الأولمب

تطورت نظرة الإنسان اليوناني إلى الدين نوعاً ما وانتقل بفكره الديني نحو الآلهة ، وتُعد تلك المرحلة جديدة وغريبة على الدين اليوناني بعد عبادة الطبيعة والإلهة الأم.

---

(١) حسن نعمة : " ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١٠١ .

(٢) ول ديورانت : مرجع سابق ، ص٢٩ .

(٣) (الدين المسيني على قدر ما تكشّف لنا من مقدماته قوية الدلالة على أنه نشأ من الدين الكريتي ، أو كان قوى الصلة به ، نجد عبادة أم إلهة ممثلة في إله غلام لعله ولدها ، وقد بقيت الأم الإلهة في بلاد اليونان) ول ديورانت : مرجع سابق ، ص٦٥ .

(الموقع الجغرافي الطبيعي لبلاد اليونان قد ساعدها كثيراً على اتصالها بالعديد من الأمم ، فاليونان قريبة من شمال أفريقيا ولاسيما مصر بلد الحضارة العتيقة ، ولقد أجمعت المراجع التاريخية على أن اليونان قد اكتسبت بذور دينها عن مصر والهند والصين وفارس، فالأصول شرقية ولكن جاءت الصياغة في أسلوب يوناني) [(١)].

ومن مظاهر هذا التأثير أن عُرف مجمع الأرباب أو آلهة الأولمب الاثنا عشر التي قال عنها المؤرخون إنها إحياء للتاسوع الإلهي المصري بملامح يونانية.

(الحق أن الديانة اليونانية ليست إلا بعثاً جديداً للتاسوع المصري القديم وللآلهة الثانوية ، إن فينوس إله الجمال هي نفسها أسماء لإيزيس المصرية ، وأن سيرابيس إله المحصولات هو أوزوريس ، وزفس الذي هو جوبتير إله البحار هو أيضاً آتون وآمون) [(٢)].

وتقول أسطورتهم أنهم عائلة إلهية واحدة مكونه من ثلاثة إخوة اقتسموا الكون فيما بينهم بالقرعة ، وكان أكبرهم زير نساء تزوج بأكثر من واحدة وكلهن إلهات، وأنجب البنين والبنات فكونوا ما يُعرف بآلهة الأولمب الصغرى.

تلك صورة مختصرة ومقتضبة عن آلهة الأولمب ، والنص التالي يورد لنا تفصيل أكثر: (كانوا أعضاء عشيرة إلهية ، وكانوا قد اقتسموا الكون والأرض ، وتبقى ملكهم المشترك، والآلهة الكبار هم ثلاثة إخوة: زيوس إله الرعد، بوزيدون إله البحر ، أدينوس إمبراطور جهنم) [(٣)].

لم تكن البداية من هؤلاء الأخوة ، بل البداية من الجيل الأول للآلهة وهما: الوالدان " كرونوس وريا " ومن ثم تكونت آلهة الأولمب.

(تولى الحكم ابن كرونوس الأكبر، وهو زيوس أمير الآلهة ، وكان كرونوس قد أنجبه بعد زواجه من أخته ريا ، وكذلك أنجب منها بوسيدون رب البحار ، وهاديس رب العالم الأسفل) [(٤)].

---

(١) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ، ص٢١٣ .

(٢) إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة " ص٢١٤ .

(٣) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج١ ، ص٢٧٨ .

(٤) سيد أحمد الناصري : " الإغريق وتاريخهم وحضارتهم " ، ص١٢ .

ويلي الأبناء الثلاثة الذين يمثلون الجيل الثاني ، أبناءهم من الجيل الثالث.

(ثم يأتي الجيل الأصغر من الآلهة أبناء زيوس ، وكانت آلهة الأولمب ليست فقط إنسانية الشكل ، بل يمتازون بهيئة ارستقراطية يعيشون حياة البذخ)[(١)] .

من خلال تتبعي لقصص وأساطير الأديان القديمة كان هناك دائماً أمر مشترك بينهم ؛ وهما القصتان اللتان تحكيان قصة خلق الكون وقصة دمار الكون فيما يعرف بالطوفان حتى وإن اختلفت بعض التفاصيل ؛ لكن هذا لا ينطبق على الحضارة اليونانية، فقد خلت الأساطير اليونانية من قصة الخلق لأن الأرض كانت موجودة قبل الآلهة، فمن الذي خلق الكون قبل تلك الآلهة.

(ليس في أساطير اليونان ذكر لخلق العالم فقد وجدت الأرض قبل أن توجد الآلهة، ولم تخلق الآلهة الإنسان من حمأ، بل خلقته من تزاوج الذكور بالإناث) [(٢)].

وعلى الرغم من تأثير تلك الآلهة على حياة المواطن اليوناني وأنها قادرة على المنح والمنع ، إلا أنها لم تكن ذات قدرة واستطاعة مطلقة ، فدائماً ما يكون هناك قادر غيبي وقوة خفية غامضة.

(مع كل هذا فإن قوة الآلهة كانت محدودة إلى حد كبير، وكان هناك أقوى من زيوس، أي قوى القضاء والقدر التي لا ترحم، وهذه لا تقف وحدها بل تعمل معها قوى خفية غامضة) [(٣)].

فالآلهة اليونانية عاجزة أمام ما يعرف بقوة القضاء والقدر التي لا ترحم، ذلك الإحساس الذي لم يستطع المواطن اليوناني أن يفسره أو يضع له اسماً هو الفطرة الحاضرة الغائبة الحاضرة في النفوس كإحساس خفي يرفعها فوق الآلهة ، وغائبة من حيث الوصف، فلم يكن لها صفة في الدين اليوناني سوى الغيبية الفوقية وإنها أعلى وذات قدرة حرة لا تخضع لإرادة أحد فهي مطلقة المشيئة بعكس الآلهة [(٤)].

---

(١) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

(٢) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... حياة اليونان " ، ج١ ، م٢ ، ص٣٢٩ .

(٣)حبيب سعيد : " أديان العالم " ، ص٥٣ .

(٤) كان اليونانيون يضعون القدر ، أو الأمور التي لا مفر منها في مكانة أعلى من الآلهة أنفسهم) ممدوح مصطفى ،

وتبرز الفطرة هنا ليست كدين بقدر ما هي إحساس داخلي بوجود موجود فوق كل الوجود ، هذا الإحساس الذي سجله مؤرخو الأديان جميعاً بلا استثناء في كتبهم وأنهم لاحظوه في كافة الشعوب بمختلف حضاراتها وعقودها ، لكنهم لم يستطيعوا تبريره وعجزوا تعليله لكن القرآن الكريم لم يعجز عن وصفه وبدقة فهو من لدن حكيم عليم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[١] .

قسم بعض الباحثين [٢] آلهة اليونان تقسيماً غريباً نوعاً ما وعلى غير المعتاد، فذكر أن آلهة اليونان تصنف إلى ثلاثة فئات وهي كالتالي :

- **آلهة كبار** : وهم آلهة الأولمب .
- **آلهة صغار** : وهم آلهة الأرض وما تحت الأرض ، وآلهة الأسلاف والأبطال، وكانت منتشرة بين الفقراء.
- **آلهة صوفية** : وهذه الآلهة التي بعثت بعد الموت ، ظهرت بعد أن تطورت المفاهيم الدينية لدى اليونانيين.

وقد ذكرنا النوعين الأول والثاني فيما سبق ، بقي أن نتباحث في المرحلة الثالثة من مراحل التطور الديني لدى اليونان.

المرحلة الثالثة: الآلهة الصوفية.

انتشرت هذه العبادة بين الطبقات الوسطى وظهرت في فترة متأخرة من تاريخ اليونان قادمة من جهة الشرق وبلاد آسيا الصغرى ، وقد لاقت ترحاباً لا بئس به لدى اليونانيين.

إبراهيم السايح : " مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية " ، ص١٠٢ .

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .

(٢) حسن نعمة : " ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١٠١-١٠٢ .

(الديانات السرية ظهرت متأخرة في بلاد اليونان في عصر الاستنارة ، ويرجع ذلك إلى زيادة الاتصالات بين اليونانيين والشرقيين، وهي ديانات تقوم على الاحتفالات الدينية السرية ، وفيها تقام الطقوس والعبادات السرية التي ترمز إلى موت الإله وبعثه، وتدور الفكرة حول الخلاص والفداء) [١].

يتضح لنا تأثير الديانات الشرقية وخاصة الدين النصراني في هذه المرحلة ، ففكرة الخلاص والفداء هي من أصول الدين النصراني المحرف ؛ وكذلك قيام الآلهة بعد الموت تشبه ما يعتقده النصارى من قيام المسيح بعد موته. وهو تطور غير مسبوق في الفِكر الديني اليوناني القائم على النظرة السرمدية للآلهة ؛ على الرغم من أن الباطل لا يُعَلَل أو يُعَلِل لكن هذا هو السبب في تغير النظرة السرمدية إلى موت وبعث.

ومن ثم انتقلت اليونان إلى عصر جديد كلياً ، فيما يُعرف بعصر الفلسفة [٢]، حيث خاض الفلاسفة بحوراً شتى من العلوم والصحيح أنهم ما تركوا بحراً من بحور العلم لم يغوصوا فيه ، ولست في معرض مناقشة صحة نظرياتهم من هرطقتها لكن الشاهد من ذلك أنهم تحدثوا في نشأة الكون.

(بدأت الفلسفة اليونانية بنظرية وحدة الكون من عنصر واحد ، وقد قال بعضهم: إن هذا العنصر هو الماء وقال آخرون : هو الهواء ، وقال غيرهم : هو النار، وقد اتفق الجميع على أن هذا العنصر يتضمن قوة إبداعية إلهية) [٣].

وقد أطلق البعض على تلك القوة الإبداعية الإلهية تعبير القوة الخلاقة [٤]، وقد مرت العلوم الفلسفية اليونانية[٥] بثلاثة أدوار [١]:

---

(١) أحمد على عجيبة : " دراسات في الأديان الوثنية القديمة " ، ص١٥٨ .

(٢) الفلسفة باليونانية : محبة الحكمة . والفيلسوف هو : فيلا المحب . وسوفا : الحكمة ، أي هو محب الحكمة ، " الملل والنحل للشهرستاني ، ج٢ ، ص٥٨ " .

(٣) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

(٤)(إن القوة الخلاَّقة هي : " إله واحد أعظم من جميع الآلهة والناس ، لا يحاكي الإنسان الفاني لا في شكله ، ولا في عقله ، يرى كل شيء ، ويعرف كل شيء ، ويسمع كل شيء ، ولكن الناس أرادوا أن يروه على شاكلتهم فصنعوا له أجساماً بشرية ") حبيب سعيد : " أديان العالم " ص٥٥ .

(٥) أساطين الحكمة اليونانية هم سبعة وهم : طاليس أو تاليس الملطى ، أنكساغورس ، انكسيمانس ، أنبادقليس ،

- **دور النشوء:** هو الدور الذي سبق سقراط [٢]، وقد وضعت فيه أسس الفلسفة.
- **دور النضوج:** هو دور السفسطائيين [٣]، وكان سقراط أحد فلاسفته، وبذرت فيه بذور الفلسفة ملأ هذا الدور أفلاطون وأرسطو.
- **الدور الثالث:** استفاد من الدورين السابقين وفيه ارتقاء الفلسفة إلى مقام التصوف.

ومع ظهور عصر الفلاسفة ظهرت مفاهيم وأفكار جديدة وخوض في أمور غيبية فانحدر الفكر الديني ولم يرتق حين خاض في كينونة المحرك الأول الغيبي ؛ فانتقل الوصف من تخيل قوة غيبية إلى الحالة اللادينية أو لا أدريين [٤] والتي تعني عدمية وجود محرك وعدم دراية به ، وقد مرت العلاقة بين الدين والفلسفة بثلاث مراحل [٥]، وهي:

- المرحلة الأولى: مهاجمة الدين كما حدث قبل عهد السقراطيين [٦].
- المرحلة الثانية: استبدال قانون طبيعي بالدين ، كما فعل أرسطو وابيقور [٧].
- المرحلة الثالثة: العودة إلى الدين مثل الرواقية [٨] وظهرت الأفلاطونية الجديدة [١] والنصرانية.

فيثاغورس ، سقراط . " الملل والنحل للشهرستاني ج٢ ص٦١ .

(١) مي السديري : مرجع سابق ص٨٥ ، بتصرف .

(٢) هو : سقراط بن سفر نيسقوس الحكيم ، ولد سنة ٤٧٠هـ ، كان قبيح المنظر قصير بدين دميم ، كان مفكر دقيق الملاحظة، كان يعلن أنه ليس حكيماً بل فيلسوفا محباً للحكمة ، اعتبر أعمق فلاسفة اليونان تأثيراً في الفكر اليوناني ، وبه ينقسم تاريخ الفلسفة إلى ما قبل سقراط وما بعده ، فقيل عنه : إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، أي من البحث في الأفلاك إلى البحث في النفس ، حكم عليه بالإعدام ، وشرب كأس السم حتى الثمالة للمزيد من ترجمته . " الملل والنحل " للشهرستاني ج٢ ص٨٣ و موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج١ ، ص٧٣٦ .

(٣) هم : أصحاب مدرسة فلسفية وجدوا في القرن الخامس وأوائل الرابع ق . م في اليونان ، وكان مركزهم أثينا وعملياً كان السوفيسطوس من الحكماء المكشوف عنهم الغيب أصحاب الرؤى ولما شن كل من أفلاطون وأرسطو حرباً عليها أصبحت عنوان المغالطة والجدل العقيم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة،ج١، ص٧٥٨ .

(٤) من موقع الأطلس التاريخي للبحر المتوسط . http://explorethemed.com .

(٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ... حياة اليونان " ، ج ٣ ، م٢ ، ص ١٨٨ .

(٦) نسبة إلى سقراط الفيلسوف .

(٧) أثيني ولد بساموس وتعلم بها ، افتتح مدرسته المشهورة باسم الحديقة ؛ لأنه كان يؤثر أن يجالس مريديه في حديقته دون حجراتها ، تقوم فلسفته الطبيعية على الإقرار بحقيقة المعطيات الحسية ، ويجعلها أساس كل معرفة ، ويرجع نشأة المعاني الكلية إلى تكرار التجربة ، وعندئذ نثبتها في ألفاظ ، ويعتقد أنه لا يفوز بالحياة الخيرة إلا الفيلسوف . للمزيد من ترجمته أنظر : " موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٨٥. ٨٧ .

(٨) نسبة إلى رواق بوليجنوتس المزدان بمختلف اللوحات ، وسمي لذلك رواق المصور بأثينا الذي اتخذه زينون مقراً له يجتمع فيه ،

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان اليونان القديمة

من الصعب ملاحظة مظاهر ثنوية في الدين اليوناني القديم !!

لكن ذلك لا يعني عدم وجود الفِكرة الثنوية التي تنص على التقسيم الضدي للآلهة إلى نوعين ثنويين آلهة خيّرة وأخرى شريرة ، فقد كان هناك آلهة العالم السفلي والتي كانت مسؤولة عن قوى الظلام والشر وكانت هناك آلهة مسؤولة عن حماية البشر أي خيرة . كانت تلك هي البدايات تأليه لكل شيء ومن بينها القوى الشيطانية المعاديـــة.

(هكذا كانت عبادة الأفاعي التي تمثل القوى الشيطانية) [٢].

كما جاء في الأساطير :

(خطف ابنة ديمتر كوري من قبل قوى الظلام العائشة في أعماق الأرض) [٣].

وظهر هذا التقسيم الثنوي للآلهة في مجمع آلهة الأولمب أيضاً:

(نحن ثلاثة أخوة أبناء كرونوس وريا...ولأدينوس مملكة الظلمات) [٤].

وإن كنت لست مع هذه الأمثلة فهي لا تمثل المعتقد الثنوي للآلهة بقدر ما تعبر عن تقسيم ثنوي كوني طبيعي ، لكن مجرد اعتقادهم بوجود قوى للظلام هذا يعني وجود ضدها من قوى النور ؛ والعجيب في الأمر أن اليونانيون فرقوا في أوقات تقديم القرابين والطقوس التعبدية لكلا النوعين أيضاً ، فقد اختصوا آلهة الخير بعبادة النهار، وآلهة العالم السفلي بعبادة الليل.

فدعي أصحابه بالرواقيين ، وأطلق عليهم الإسلاميين أصحاب المظلة ، والرواقية فلسفة عالمية، وفدت إلى أثينا مع الأجانب من غير اليونانيين . موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٦٦١ـ ٦٦٣ .

(١) الأفلاطونية المحدثة أسسها أفلوطين وجعل مقر مدرسته في روما ، فلسفته جماع للأفلاطونية والأرسطية والمشائين والرواقية والفيثاغورية تدعو إلى إله واحد تُشق منه كل الموجودات أو تفيض منه ، تحتل مدرسة الإسكندرية مكانة خاصة في تاريخ الأفلاطونية ، يمكن تعريفها بأنها فلسفة دينية ، أخذ منه كلاً من القديس أوغسطين والكندي ، كما حاول ابن سينا التأليف بين الأفلاطونية والأرسطية " موسوعة الفلسفة والفلاسفة"، ج١، ص١٦١ـ١٦٤ .

(٢) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ص٢٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٤) المرجع السابق .

(كان هاديس من آلهة العالم الأسفل التي تتم عبادته ليلاً مصحوبة بأناشيد وطقوس ملؤها الرهبة والهلع) [(١)].

وأذكر نصاً آخر يبين أقدمية فكرة الآلهة السفلية قبل آلهة الأولمب، تلك الآلهة التي تعيش في باطن الأرض:

(كانت أكثر الآلهة رهبة تعيش تحت الأرض التي كان اليونان يعبدونها ليلاً عبادة مصحوبة بأناشيد وطقوس تنم عن التوبة والهلع ، كانت هذه الآلهة هي المعبودات الحقيقية الأولى لبلاد اليونان ، وكانت أقدم من معبودات الهيلينيين) [(٢)].

وقد جاء في وصف هذه الآلهة السفلية الشريرة :

(أن أعظم هذه الآلهة الأرضية يصور في صورة أفعى رهيبة ، كان هاديز رب ما تحت الأرض، وكان أشد من بلوتو رهبة الإلهة هكتي ، وهي روح خبيثة تخرج من العالم السفلي، وتسبب البؤس والشقاء بعينها الحاسدة الشريرة) [(٣)].

ورد في النص أسماء عدة لآلهة الشر التي تصيب الإنسان "هاديز، بلوتو، هكتي" فلابد من استرضائهم ليلاً اتقاء لشرها ودفعاً لأذاها ، هذا دلالة على أن المواطن اليوناني قد عرف عالم الشياطين ، وأنه ضار و لابد من العمل على استرضائه.

وقد عتقد اليونانيون بوجود الشياطين، ولكي يطردوها عمدوا إلى طقوس خاصة، منها حرق البخور [(٤)]. كما ورد كثيراً ذكر آلهة الظلام وعمالقة العالم السفلي في أشهر ملحمتين في التاريخ الأدبي وهما "الإلياذة والأوديسة" [(٥)] ضمن أساطير الحرب بالطبع

---

(١) حسن نعمة : " ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١٠٥ .

(٢) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... حياة اليونان " ، ج ١ ، م ٢ ، ص٣٢٥ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) حسن نعمة : " ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١٠٣ .

(٥) الإلياذة والأوديسة قصيدتان آبدتان عن العهد القديم الهليني ، بقلم : هوميروس ترسمان لوحة بليغة عن حياة الشعب اليوناني منذ فجر تاريخه من القرن ١٢٠٨ قبل الميلاد ، وهي تشغل أحد أهم الأمكنة في الأدب العالمي ، وقد عُرفت الإلياذة بهذا الاسم نسبة إلى اليون عاصمة مدينة طروادة ، وهي ملحمة شعرية تحكي قصة الأيام الواحد والخمسين الأخيرة من السنة العاشرة لحصار الإغريق الآخيين لطروادة ، وهي : علامة تاريخية في الآداب الإغريقية ، أما الأوديسة تتحدث عن مغامرات أوديسيوس أثناء عودته للوطن . " تاريخ العالم الإغريقي وحضارته " لفوزي مكاوي

في مقابل آلهة النور. كما كان للفلاسفة خوض في مسألة مصدر الشر تلك وكيفية القضاء عليه ، وقد ذُكر أن أشهر المقولات في ذلك هي المفارقة المنطقية -كما يطلقون عليها في الكتب- التي عُرفت اليوم بلغز إيبيكوروس [١].

(سواء أكان الله يريد القضاء على الشر ولا يقدر على ذلك، أو يقدر لكن لا يريد ذلك ، إذا كان يريد ذلك لكن لا يستطيع فإنه ضعيف ، وإذا كان يستطيع ذلك لكن لا يريد القيام بذلك فإنه شرير ، وإذا كان الله يستطيع محو الشر وكان حقاً يريد القيام بذلك لماذا إذن يوجد شر في العالم؟) [٢].

ليست مفارقة منطقية ، بل هي لا منطقية نابعة من نفس تائهة بين ظلمات الأفكار تُصارع فطرة إلهية في النفس البشرية عن وجود الله وقدرته اللامحدودة وسيطرته على كل ما في الكون ، في نفس الوقت تحاول إعمال العقل فيما لم يُخلق له ولا قدرة له عليه لذا ضل وأضل.

لست أجد المزيد من أمثلة للملامح الثنوية الإلهية في أديان اليونان القديمة، وإن كنت أعجب من عدم انتقال أي مظهر من مظاهر الأديان الفارسية الثنوية إلى الحالة الدينية في اليونان على الرغم من اتصال كل من مملكتي الفرس والإغريق اتصالاً مباشراً حربياً وسياسياً- كما ذكرنا سابقاً -، فقد ذُكر أن الإسكندر الأكبر المقدوني صهر كلاً من الحضارة الفارسية والحضارة اليونانية في بوتقة واحدة حتى في المصاهرة والنسب، إلا أنه ومن خلال بحثي لم أعثر على ذلك الأثر المتوقع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم أعثر على ذكر لرحلات ماني الدعوية للتبشير بالعقيدة المانوية الثنوية في أرض الإغريقيين.

، ص٦٦ ، و " الحضارات القديمة " ، ف . دياكوف ، س . كوفاليف ، ج١ ، ص٢٥٠ .

(١) إيبيكوروس هو : ذاته الفيلسوف الشهير أبيقور صاحب المدرسة الأبيقورية الشهيرة في الفلسفة ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٨٥-٨٦ .

(٢) من موقع الأطلس التاريخي للبحر المتوسط ، http://explorethemed.com .

الخلاصة:

كان ما سبق ملخص عن بلاد اليونان القديمة والحالة الدينية فيها؛ فلم أتجاوز الحقيقة حين قلت أن دينهم لا دين. فقد كان الدين في البداية صورة لا معالم لها، فلا نظام كهنوتي ولا أماكن تعبدية لها قدسية ، فلا تتعدى وظيفة الكاهن تنظيم الاحتفالات وتقسيم القرابين ، فلا فرق بينه وبين الرجل العادي.

ثم كانت البداية من عبادة مظاهر الطبيعة بالتزامن مع تقديس الإلهة الأم، ومن ثم انتقلت إلى مرحلة متطورة في الاعتقاد الديني ، وهي أسطورة مجمع آلهة الأولمب بصفاتهم البشرية وحياتهم السرمدية كما رسمها هوميروس (١) الشاعر الإغريقي في ملحمتيه. ولم يعرف الدين في اليونان فكرة الكتاب المقدس يوماً ما ؛ وفي المقابل لم يرفضوا أي ديناً قط ، فقد كانوا يرحبون بكل الآلهة بل ويعترفون بهم جميعاً ، بالرغم من وجود إله خاص بكل مدينة لكن لابد أن يكون بالتزامن مع الاعتقاد بالعائلة الإلهية الكاملة أيضاً، وللمواطن اليوناني أن يعتنق ما طاب له من دين .

تطورت معتقداتهم الدينية وأفكارهم التعبدية ، حتى انتهت إلى نكران الإله وتأثيره المباشر على الكون ، كانوا قديماً يعتقدون بوجود إله ، لكنهم حين تطوروا أنكروا وجود الإله ، إن كان ذلك تطور فما هو الانحطاط والتدهور؟. ومع غزوات الإسكندر لبلاد الشرق أصبحت النظرة إلى الدين أكثر جدية بتأثير من أديان الهند ومصر ومن ثم ظهرت ملامح النصرانية المحرفة لديهم ، قد بقي الوضع الديني في اليونان هكذا حتى ظهر الاتجاه الفلسفي اللاديني .

أما بالنسبة للمظاهر الثنوية في أديان اليونان فقد تمثلت في وجود آلهة الظلام والعالم السفلي بالطبع في مقابل آلهة النور ، وعرفت القوى الشيطانية ، وأثرها السيئ فكان لابد من استرضائها بالقرابين والطقوس تناسبها فكانت تتم ليلاً بمصاحبة ابتهالات مرعبة.

---

(١) هومر هو : ذاته هوميروس : أشهر شعراء الدنيا القديمة مؤلف ملحمتي الإلياذة والأوديسة ، إغريقي يوناني عاش في القرن التاسع أو الثامن ق . م تعكس أشعاره الفلسفة اليونانية ، وكان تصور هومر للإنسان بسيطاً كتصورات الشعبية ، التي كانت في اليونان في ذلك الزمن ، من مأثورات هومر في الحكمة " من لا يفعل الشر فهو إلهي " ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص١٤٩٣-١٤٩٤ .

المبحث السادس

الثنوية في أديان بلاد الرومان القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- تمهيد .
- المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد روما القديمة.
- المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد روما القديمة.

(تمهيد)

انتهت الإمبراطورية اليونانية وبدأت الإمبراطورية الرومانية!!

تسلمت روما زمام الأمور في المنطقة من اليونان ، وفرضت سيطرتها على كامل الإمبراطورية اليونانية بما فيها دول آسيا الصغرى ، فكان بين الدولتين أمور كثيرة مشتركة ومعالم حضارية وفكرية ودينية متشابهة هذا بالإضافة إلى مجاورتهما بجانب بعضهما البعض في الموقع. وعلى الرغم من أن روما مدينة ضمن مدن شبه الجزيرة الإيطالية إلا أن شهرتها فاقت الدولة الأم ، حتى أن الإمبراطورية نسبت إليها [١].

وأصحاب الحضارة الرومانية هم سكان مدينة روما اللاتينيين أنفسهم، لذا سميت الإمبراطورية باسمهم هذا سبب ، أما السبب الثاني يعود للطبيعة الجغرافيا الصعبة للدولة الإيطالية ، فقد كانت كثيرة الجبال شديدة الوعورة ، ووقوع مدينة روما في وسطها أتاح لسكانها تحويل مدينتهم الصغيرة إلى دولة عظمى ذات سيادة على دول الجوار.

تقع إيطاليا في القارة الأوروبية ، تحديداً في جنوب منتصف القارة ، وتحيط بها البحار من ثلاث جهات ، وقد أتاح لها ذلك الموقع الاتصال بدول حوض البحر الأبيض المتوسط ذات الحضارة العريقة ، وأن يكون لها كذلك حدود مشتركة مع دول أوروبا النصرانية من جهة أخرى.

وقد وصف ذلك الموقع قديماً بطرق مختلفة عما وصفته الكتب الحديثة؛ فقديماً قالوا:

(تقع إيطاليا في شبه جزيرة الأبنينس محاطة من جهاتها الثلاث ببحار) [٢].

---

(١) (إن تاريخ إيطاليا القديم هو تاريخ روما نفسها ، وتاريخ الرومان الذين وطدوا حكمهم في إقليم لاتيوم ، وراحوا يتطلعون إلى ما حولهم من أقاليم ، ولهذا كان لزاماً علينا أن نتتبع تاريخ مدينة روما ذاتها) محمود إبراهيم السعدني : " حضارة الرومان منذ نشأتها ، وحتى نهاية القرن الأول الميلادي " ، عين للدراسات والبحوث الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، ص٥٥ .

(٢) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج٢ ، ص٤٥٣ .

وحديثاً قالوا:

(تمتد شبه جزيرة إيطاليا في عرض البحر الأبيض المتوسط فتقسمه مع جزيرة صقلية إلى حوضين : شرقي وغربي ، كما تتوسط سواحل أوروبا) (١).

أما عاصمتها فهي قديماً وحديثاً لم تتغير مدينة روما التي نسبت إليها الإمبراطورية الرومانية (٢)، وتذكر الأساطير أن بناء مدينة روما يغلب عليه الطابع الإلهي الخيالي، فتتحدث الأسطورة عن أخوين توأمين من أحفاد الإله مارس أحد آلهة الرومان ، حملت بهما أمهما سفاحاً ، ومن ثم حين وضعتهما ألقت بهما في النهر ، فقذف بهما النهر على شاطئه فقامت ذئبة بإرضاعهما (٣).

تعتبر الفترة الذهبية لمدينة روما هي التي بدأت فيها بالتوسع وبسط نفوذها الخارجي بعد الداخلي ، فقد توسع الحكم الروماني توسعاً هائلاً وامتد حتى شمل مناطق عدة من حولها في الناحيتين الشرقية والغربية ، إلا أن قانون التدافع والتطور ما كان ليترك روما تسيطر على كل تلك الدول إلى الأبد ؛ فقامت حروب كثيرة من أجل الاستقلال، وبالفعل استقلت الدول وتفككت الإمبراطورية الرومانية.

والأمر الوحيد تقريباً الذي لم يتغير هو احتفاظ مدينة روما بمكانتها قديماً وحديثاً، ففي القديم كانت مركز الحكم السياسي وعاصمة الإمبراطورية ، وفي الحديث مركز الحكم الديني وعاصمة الدولة الإيطالية ، ومما ساعد روما على ذلك وجود قلب الدين النصراني بها والكرسي البابوي العالمي لدول أوروبا "مدينة الفاتيكان".

الفاتيكان:

تقع دولة مدينة الفاتيكان (٤) في قلب مدينة روما وتعتبر مركز القيادة الروحية

---

(١) إبراهيم رزق الله أيوب : " التاريخ الروماني " ، الشركة العالمية للكتاب ، ص١٣ .

(٢) (روما هي عاصمة إيطاليا والمدينة الأكبر في البلاد ، كانت عاصمة المملكة الرومانية ، وإحدى أماكن ولادة الإمبراطورية الرومانية) موقع ويكيبيديا. http://ar.wikipedia.org/wik.مقال بعنوان : "روما"، بتصريف.

(٣) سيف الدين الكاتب : " أطلس تاريخ العالم الإسلامي " ، ص٣٠ .

(٤) تعتبر الفاتيكان أصغر دولة في العالم ، واسمها مشتق من اسم إحدى تلال روما ، وقيل عن قصة بنائها : بني الإمبراطور كاليجولا على هضبة الفاتيكان القديمة مسرحًا خاصًا شبيهًا بالكولوسيوم ، حيث كانت تقام فيه مباريات

للكنيسة الكاثوليكية في الوقت الراهن [١]، أما بالنسبة لمن سكن الأرض الإيطالية فقد سطر لنا التاريخ أسماء ثلاث أعراق بشرية سكنت شبه جزيرة ايطاليا القديمة [٢]:

- **سكان ايطاليا القديمة :**

١- **التيراماري** [٣]: وقد ظهروا في العصر البرونزي.

٢- **الفيلانوفا** [٤]: وقد ظهروا في العصر الحديدي.

- **سكان ايطاليا قبل منتصف الألف الأول ق.م :**

وهم الإيطاليون موزعين كالتالي: اللاتين ، الكمبانيون ، الأومبريون ، السامنيون.

- **غير الإيطاليين وهم :**

الليجوريون في المنطقة الشمالية والأتروسكيون.

ولم يتبقى من تلك الأسماء في صفحات التاريخ سوى اسمين فقط وهما: اللاتين وهم الإيطاليون الأصليين ، والأتروسيكيون وهم الوافدون، وقد تغيرت التركيبة السكانية

وأعمال عنف ضد المسيحيين تؤدي إلى موتهم ، وذلك في عهد الإمبراطور نيرون ، وقد ألحقت بها مقابر لدفن ضحايا الإعدام ، أول كنيسة في الموقع تم تشييدها على النمط الروماني التقليدي للكنائس عام ٣٢٦م تكريمًا للشهداء المسيحيين بشكل عام ، وللقديس بطرس الذي شهد الموقع صلبه ، ودفنه بشكل خاص ، وقد استطاع الباباوات في الزمن القديم من انتزاع حكمها من حاكم إيطاليا آنذاك ، وذلك بتوقيع ثلاث اتفاقيات كان من أهم بنودها ، أن يكون الفاتيكان بحدودها الحالية جزء مستقل عن الدولة الإيطالية ومُدار من قبل البابا ، وقد عرفت هذه الاتفاقية باسم "اتفاقية لاتران" ؛ وفي العصر الحديث يعتبر البابا هو رئيس دولة الفاتيكان ، وهي سياسياً تعتبر دولة مستقلة لها حكومتها الخاصة ونظامها السياسي وعملتها ، ومن الناحية الدينية تعتبر مركز السلطة العليا للكنيسة الكاثوليكية ، وتحتوي دولة مدينة الفاتيكان على قصر الباباوات وكنيسة القديس بطرس إلى جانب حدائق ومتاحف ومكتبات ، واعتبرت أصغر دولة مستقلة في العالم من حيث المساحة وعدد السكان أيضاً ؛. وقد أدرجت الفاتيكان على لائحة اليونسكو كإحدى مواقع التراث العالمي " موسوعة الأديان " لأسعد السحمراني ، ص٣٨٤ .

(١) (تعتبر الفاتيكان ، واحدة من ثلاث دول أخرى في العالم محتواه في دولة أخرى ، أي أنها لا تمتلك حدود برية أو بحرية مع سواها) إلى جانب الفاتيكان فهناك " سان مارينو " ، المحتواه في إيطاليا أيضاً ، و " ليسوتو " المحتواه ضمن جنوب أفريقيا من موقع ويكيبيديا : http://ar.wikipedia.org/wik . مقال بعنوان : الفاتيكان .

(٢) إبراهيم رزق الله أيوب : " التاريخ الروماني " ، ص٢٠١٨ ، بتصريف .

(٣) الكلمة تعني الشعوب الملتصقة بالأرض ، ويعود في الأصل إلى شعوب البلدان الشمالية. المرجع السابق ، ص٢٠١٨

(٤) ظهر هذا الشعب في بداية الألف الأول ق.م ، ولعلهم جاؤوا من منطقة نهر الدانوب. المرجع السابق ، ص٢٠١٨ .

في إيطاليا حتى كان القرن الثامن ق. م [١]، حيث عُرفت عناصر بشرية أخرى كان لها دورها في تطوير الحضارة في شبه الجزيرة الإيطالية وهم:

- **الأتروسيكيون:** كانوا أصحاب حضارة شرقية في معظمها.
- **اليونانيون:** الذين سكنوا جنوب إيطاليا وشمال صقلية.
- **عنصر جديد:** دخل إلى شبه الجزيرة الإيطالية من الشمال عند نهر الدانوب.

ويعتبر الأتروسيكيون هو الأكثر إثاراً للجدل من بين تلك الشعوب، وذلك بسبب غموض جذورهم الأصلية ومن أين جاءوا؟.

(يقول هيرودت: إنهم جاؤوا من ليديا) [٢].

سبق أن أشرت إلى أوجه التشابه بين الحضارتين اليونانية والرومانية، وقد أرجعت ذلك إلى سببين ،كانت المجاورة في المكان أحدها والثاني أن كلاً منهما قد حكمت الأخرى في فترة من فترات التاريخ الذهبي لها. ولكن ظهر من خلال النصوص أن هناك أمراً ثالث وهو اشتراكهما في العرق السكاني المكون للشعبين [٣].

قيل إن الشعوب الإتروسكانية هم الذين بنوا مدينة روما بعد أن دخلوا إيطاليا من جهة آسيا الصغرى ، وكانت هي الشعوب التي سادت العالم في فترة من فترات التاريخ القديم.

---

(١) محمود إبراهيم السعدني : " حضارة الرومان منذ نشأتها ، وحتى نهاية القرن الأول الميلادي " ، ص٢٤. ٢٥ .

(٢) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص١١١ .

(٣) (أصل الرومانيين قبائل هاجرت من شمال بحر قزوين ، بعضها هاجر إلى سهول أوربا الوسطى ، وأغار بعضها على شبه جزيرة البلقان ومنها كانت البداية لليونانيين ، وبعضها إلى شبه جزيرة إيطاليا ، وهذا يعني أن اليونان والرومان من أصل واحد ، وهو الشعوب الهندوأوروبية ، وهي أصل سكان أوروبا اليوم) أحمد على عجيبة : " دراسات في الأديان الوثنية القديمة " ، ص١٧٥ .

المطلب الأول: الحالة الدينية في روما القديمة

كانت الوثنية هي السائدة في الإمبراطورية الرومانية في بداية نشأتها وطوال فترة حكمها. الوثنية بكل صورها وأشكالها من عبادة آلهة الطبيعة ، ومظاهر طوطمية، وعبادات معنوية وما إلى ذلك ، لكن بمرور الزمن ومن خلال الأحداث التاريخية الحربية التي عاشتها الدولة الرومانية واتصالها بدول الشرق تطورت النظرة الدينية لديهم ، وتعرفوا على الأديان السماوية " اليهودية والنصرانية" لذا يمكن تقسيم الحالة الدينية التي كانت سائدة في الدولة الرومانية إلى مرحلتين وهما:

- مرحلة ما قبل الدين النصراني.
- مرحلة ما بعد الدين النصراني.

أولاً: الحالة الدينية ما قبل الدين النصراني

ليس هناك وصف أبلغ ممن وصفها بأنها بيئة وثنية بكل ما في الكلمة من معانٍ.

(لم تكن تلقى الحكومة الرومانية بالاً لما قد يعتنقه المواطن من مبادئ، وطالما أنه كان يسهم في الاحتفالات الرسمية للدولة يكون له مطلق الحرية أن يتعبد أي آلهة أخرى، على ألا تكون عبادته من العبادات التي تعتبر هدامة تخريبية) [1].

قد كان هذا بالضبط قانون الدولة الرومانية مع مواطنيها ، اعتقد بأي معتقد شئت ومارس ما طاب لك من العبادات من أي دين أخترت ، شرط أن تُوقر وتحترم آلهة الدولة الرسمية المعتمدة وتحضر مراسم الاحتفالاتر، مثلما كان يحدث مع الإغريق اليونان.

ومعتقدات الدولة الرومانية هي التي كانت تسود في رومانية آنـــذاك وهــي خليط من معتقدات ثلاثة شعوب وهي: معتقدات الشعب الإتروسكي، ومعتقدات الشعب المجاور، ومعتقدات الرومان أنفسهم [2]. فهذا ما تفرضه طبيعة وضع الإمبراطوريـــات

---

(١) أ . ب . تشارلز ورث : " الإمبراطورية الرومانية " ، ص١٧٤ .

(٢) (إن الديانة الأصلية للرومان هي ديانة الأرواح وقد تكونت هذه الديانة من معتقدات إتروسكية وإغريقية ورومانية) مي السديري : " حضارات " ، ص١١٢ .

التي تحكم مساحات شاسعة ، والدين الوضعي بطبعه متطور ومُتأثِر بما يجد عليه من معتقدات.

وإذا نظرنا إلى الآلهة الرومانية القديمة نجدها تتكون من ثلاث مجموعات [(١)]:

١- مجموعة من الآلهة تحمل أسماء إتروسكانية خالصة.

٢- مجموعة من الآلهة استعاروها من جيرانهم الإيطاليين.

٣- مجموعة من الآلهة أخذوها من المستعمرات اليونانية.

وبالنظر إلى الصورة العامة للمعتقدات الدينية في بلاد روما القديمة نجدها لا تختلف عن معتقدات البشرية القديمة ، ففيها المعتقدات الوثنية وبها تعدد الآلهة، كما كان لديهم ثالوث إلهي وهناك اعتقاد بإله أسمى وقوى عليا أيضاً. لعل النصوص التالية توضح تلك الملامح:

- (من جهة الديانة هي تمت إلى ديانة بلاد ما بين النهرين في هذا الخضوع والخشوع والاستسلام المطلق لمشيئة القوى العليا التي تحركها مقاصد خفية) [(٢)].
- (ثلاثية الألوهية الأسمى: تينا " جوبتير" أوني " جونون " ومترفاً " منيرف"، تشغل المقام الأول، مع الإيمان بما لا يحصى من الأرواح الطيبة والشريرة) [(٣)]. ومن ثم اتجه الاعتقاد بوجود الأرواح وتأثيرها في الكون.
- (عبد الرومان في أول الأمر العديد من الآلهة والأرواح والأشباح ، وفسروا وقوع الظواهر الطبيعية بأنها من عمل هذه الأرواح) [(٤)]. ومن بعد الأرواح الكثيرة العامة اتجهت العبادات إلى "العبادات المنزلية ".
- (العبادة المنزلية أعظم شأناً عند الرومان منها عند أي شعب آخر؛ عبادة "فيستا" التي لم يكن مذبحها سوى الموقد المنزلي الذي لا ينطفئ ناره، وعبادة جن العائلة

---

(١) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص١١١ .

(٢) أندريه إيمار ، جانين أوبوايه : " تاريخ الحضارات العام " ، ج٢ ، " روما وإمبراطورتيها " ، ص٣١ .

(٣) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج٢ ، ص٤٦٥ .

(٤) أحمد على عجيبة : " دراسات في الأديان الوثنية القديمة " ، ص١٧٨ .

الذي غالباً ما تمثله حية ، فلم تهمل العبادة شتى قوى المنزل وحياته) [(١)].

يرسم لنا النص الأخير صورة واضحة من عالم المعتقدات الدينية الرومانية القديمة، فنجد المعتقد الطوطمي بجوار عبادة النار وتقديسها ، كما كان للآلهة التي تُعين الأسرة في الحياة اليومية دور بارز في الاهتمام والتبجيل. وإن كنت لا أجد أي منطـق عقلي ولا حتى عاطفي في عبادة آلهة العائلة تلك ، فأين القيمة التقديرية التقديسية للفكرة الدين؟. وما هذا الانحطاط بوظيفة وكينونة الآلهة؟، لعمري إن هو إلا ضلال الشيطان للعقول البشرية [(٢)]. بالإضافة إلى ذلك كان لدى الرومان معتقد في آلهة سماوية غيبية، لكنها لا تتمتع بما تتمتع بها الآلهة الأرضية من اهتمام ومكانة. وهذا ما اعتبره مظهر تعبدي خاصة بالشعب الروماني الاستعانة بقوى غيبية لقضاء المهام العائلية.

(إذا كانت الأديان غير الرومانية تتطلع إلى السماء فإن الرومان أنفسهم لم يكونوا ينكرون أن فيها هي الأخرى آلهة ، ولكن المحور الذي كانت تدور حوله أعظم مظاهر تقواه وإيمانه ، وأخلص كفارته هو الأرض أم حياته ومصدرها) [(٣)].

ومن الملاحظ على مسلك الرومان تجاه آلهتهم أنهم لم يُجسدوا أربابهم أو يؤنسونهم، بل العكس من ذلك كانوا يطلقون عليها "ممينا" أي الأرواح [(٤)]، وأن من يأخذ الدور الأبرز هي الآلهة التي تعين على أداء العمل وتحقيقه ، القوة الحيوية والطاقة الخفية وهو أمراً معنوياً غير محسوس [(٥)].

---

(١) أندريه إيمار ، جانين أوبوايه : " تاريخ الحضارات العام " ، ج٢ ، " روما وإمبراطورتيها " ، ص٢٠٢ بتصريف .

(٢)(كانت الأسرة الرومانية ، هي المركز الذي يلتف حوله الدين ، كان كل جزء مهما صغر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعالم الروحي ، كان هناك " إللار " الذي يحرس الحقول والمباني ، و" البينات " التي تحمي ما تجمع الأسرة في مخازنها وأصونتها ، وكان في المزرعة إله معين لكل عمل وكل بقعة ، " بالس " للمرعى و " زحل " للزرع) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية " ، ج١ ، م ٣ ، دار الجيل ، ١٤٠٨هـ ، ص١٢٢ .

(٣) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية " ، ج١ ، ص١٢٤ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) أندريه إيمار ، جانين أوبوايه : " تاريخ الحضارات العام " ، ج٢ ، " روما وإمبراطورتيها " ، ص١٩٩ .

ومن أكثر ما يؤثر على تغير المعتقدات الدينية هي حالة الحكم السياسي في البلاد؛ وقد كان طابع الدولة الرومانية طابع حربي قتالي، فالحروب التي خاضوها والانتصارات التي حققوها أدت إلى تحور كبير في المعتقد الديني لديهم.

(أخذ دين الدولة يهوي إلى الدُنى وأصيب بنكسة وأمسى مجرد أوضاع شكلية جافة لا حياة فيها ، وصارت روميا إلهاً تعبد ذاتها) [١].

رُفع الإمبراطور إلى مكانة أعلى من مستوى الشعب ، وعبد الرومان إمبراطورهم وانتصاراته ومجدوا قوته ، حيث أن إحدى المظاهر التعبدية البارزة لدى الرومان هي عبادة القوة والإرادة التي تعين على تحقيق الأهداف ، والظاهر أن ممثل الإرادة هو الإمبراطور الذي حقق النجاحات لذا كان هو أول الأهداف للعبادة والتقديس.

أما الطبقات المثقفة من الشعب فقد صوبت أنظارها تجاه العقول اليونانية الفلسفية؛ وانخرطت في طريق الإلحاد والمذهب الحلولية أو الحالة اللادينية، لكنها لم تلق رواجاً إلا في أوساط المثقفين وذلك لصعوبة استيعابها[٢] .

وعلى إثر الانتصارات الحربية والاختلاط بالشعوب الأخرى تفتحت مدارك الرومان الدينية ، وعقدوا المقارنة بين ما لديهم وما لدى جيرانهم من عقائد ، فشعروا بالعاطفة الدينية تتحرك داخلهم ، فلم تعد تكفيهم تلك العقائد الجافة التي يمارسونها؛ فاتجهت أنظارهم صوب اليونان تارة وصوب المشرق تارة أخرى.

(لقد كانت الإمبراطورية الرومانية تربة صالحة لأن تزدهر فيها الديانات الشرقية واليونانية على السواء ، فكلما احتكوا بقوم أخذوا ديانتهم وعبدوها مع آلهتهم تارة، وأضفوا عليها الطابع الروماني تارة أخرى) [٣].

بالطبع كانت آلهة اليونان الأولمبية هي المرحلة الأولى التي تلقاها الرومان بصدر رحب، وعبدوها كما هي بدون أن يُضفوا عليها طابعهم، ومن ثم تلا ذلك الديانات

---

(١) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٦٢ ـ ٦٤ .

(٢) (كان الاجتياح الروماني لبلاد الإغريق سبباً في نقل بعض آرائهم إلى روما ، وكما كان اجتياح الرومان للبلاد الآسيوية والإفريقية سبباً في نقل بعض المذاهب إلى روما) مسعود حايفي : " مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان " ، ص٣٤ .

(٣) أحمد على عجيبة : " دراسات في الأديان الوثنية القديمة " ، ص ١٨٣ .

المشرقية.

(عندما تسربت إلى البلاد أديان جديدة من الشرق المغلوب كان أول ما تضعضع في الدولة الرومانية هو الدين الرسمي) [١].

بالطبع كان لابد أن يتهاوى ويتضعضع فلم يكن دين بمعنى دين ، فهو أوهن من أن يتماسك ويصمد ، أما أديان دول الشرق غالبيتها بقايا أديان سماوية وإن كانت محرفة. فما هو ذاك الشيء الذي وجده الرومان في الديانات الشرقية؟، وما الذي استهواهم فيها؟، لدرجة أنهم بدلا من أن يفرضوا وهم المنتصرون دينهم ومعتقدهم على الشعب المهزوم، حصل العكس وتأثروا هم بعقيدتهم[٢]. لقد تركت حياة الحروب والغزوات التي عاشها الشعب الروماني فترة طويلة أثراً بالغاً عليه حتى في العقيدة الدينية فأصبحت مادية جافة تصب في اكتساب خدمات نفعية من الأرواح أو الآلهة للفرد في حياته اليومية أو في غزواته وحروبه ؛ فتاقت نفوس الرومان إلى دين حقيقي يعتنقونه ويتلمسون فيه الخلاص والنجاة ويشبعون به الجانب الروحي لديهم فجاء الخلاص.

(كان في العالم القديم قولاً شائعاً "من الشرق يجيء الخلاص"، ولم يقصد الأقدمون بكلمة الشرق الهند والصين واليابان ، بل شرقهم وهو الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط الذي نسميه اليوم الشرق الأدنى الذي يضم مصر والعراق وبلاد فارس؛ فوقعوا- الرومان- تحت تأثير سحر عبادات الشرق فتهافتوا علي) [٣].

وبذلك انتقل الدين الروماني من حالة الدين الجاف إلى الدين الروحاني الذي تمثل في الديانات المشرقية بمختلف مصادرها ، تلقاها الشعب الروماني بلهفة وترحاب أكثر من تلك الأفكار الفلسفية التي وفدت إليهم من فلاسفة الإغريق.

ذلك أنه من صعوبة الفلسفة اليونانية فقد علت فوق مستوى إدراك الفرد العادي؛ واختص بها طبقة من المثقفين فقط ، أما ما جاء من الشرق فقد كان يناسب كافة

---

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج ١ ، م ٣ ، ص ١٣٤ .

(٢) (وجد الرومانيون في الأديان الشرقية الحاجة الروحية التي افتقدوها) أحمد على عجيبة : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٣) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٦٥ بتصريف .

طبقات الشعب وفي مستوى إدراكهم الديني ، فقد تقبله الأمي والمثقف الكبير والصغير التاجر والجندي على خط القتال ؛ وقد احتلت آلهة المشرقيين مكانة لدى المواطن الروماني لم يسبق لها مثيل [١].

أشهر آلهة الرومان [٢]:

- **جوبتير**: إله السماء والبرق والرعد والمطر وإله النور أيضاً ولا يُعرف له أصل تاريخي.
- **مارس** : بمثابة أباً للشعب الروماني مهمته حماية الجيوش الرومانية.
- **فستا** : إلهة نار الموقد التي لا تنطفئ.
- **مينيرفا** : آلهة من كانوا يعملون بعقولهم وبأيديهم وهي تمثل القدرة والإرادة.

وتلا فترة انتشار الأديان الشرقية في الإمبراطورية الرومانية مرحلة جديدة من الأديان، عمت أرجاء الإمبراطورية الرومانية وهي الأديان السماوية المحرفة.

ثانياً: الحالة الدينية ما بعد النصرانية.

لا يعني وصول الدين النصراني المحرف إلى روما أنه تم القضاء على كافة الديانات الوثنية المنتشرة فيها ، فقد بقيت الوثنية جنباً إلى جنب مع الدين النصراني الذي لم يكن طريقه ممهد منذ البداية في دول أوروبا والبحر الأبيض المتوسط ، وسط الأديان الوثنية المدعومة من قِبل الأباطرة والإمبراطوريات العظيمة في ذلك التاريخ . ونستطيع القول إنه كان طريق يعج بالأشواك المؤذية من الجانبين ؛ ويعتبر أهم الأسباب التي أوجدت تلك الصعوبات التي واجهتها النصرانية في البيئة الرومانية هي تجربة الشعب الروماني مع الأديان التوحيدية من قبل التي لم تكن تجربة ناجحة أو مثمرة .

فقد وصل الدين اليهودي قبل الدين النصراني إلى الأراضي الرومانية؛ لكنه كان

---

(١) (حطت في رومية آلهة وعبادات شرقية بلغت شأناً رفيعاً في نفوذها وقوة تأثيرها نذكر منها : " أدونيس من سوريا ، وايزيس وأوزريس من مصر ، ومثرا من بلاد فارس ") المرجع السابق ، ص٦٢ .

(٢) أسماء الآلهة ومهامها من مراجع متعددة مثل : أ . ب . تشارلز ورث : " الإمبراطورية الرومانية " ، ص١٦١ ، مصطفى عبده : " الوثنية والأديان " ، ص ٥٠ ، حبيب سعيد : " أديان العالم " ، ص ٥٨ .

دين الأوامر الشاقة والشعب المقيت[١].

وقد ترك ذلك انطباع سيء لدى الرومان لكل من يدعو إلى دين سماوي، بالإضافة إلى شخصية اليهودي البغيضة التي أثرت على تلقي الدين اليهودي بالقبول والترحاب من قِبل الرومان ، فتنحى اليهود وتقدم النصارى ، وقد بدأ ذلك بوصول بطرس الرسول [٢] إلى روما، ويقال إنه أول من أدخل النصرانية إلى الإمبراطورية الرومانية وأنه مات مصلوبا في موقع مدينة الفاتيكان.

(لسنا نعرف متى شق بطرس طريقه إلى روما؟، أو المراحل التي وصل بها إلى تلك المدينة؟ يؤرخ تاريخ وصوله إليها عام ٤١م- يقال- بأنه كانت له اليد الطولي في إنشاء الجالية المسيحية في عاصمة الدولة الرومانية- تقول الرواية- وأن بطرس صُلب ، وتحدد إحدى القصص المتأخرة حلبة نيرون القائمة في الفاتيكان موضعاً لقتله ؛ وفي هذا المكان شيدت كنيسة القديس بطرس) [٣].

ولم يتمتع النصارى بحياة الأمن والأمان في ظل الحكومة الروماني الوثنية.

(أصبح الجهر بالمسيحية خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد جريمة يعاقب عليها القانون ؛ وذلك لأنه حين دخلت المسيحية إلى أوروبا في منتصف القرن الأول بعد الميلاد ، رفض معتنقوها أن تصنف مع الأديان الأخرى ، فساء ذلك جمهور الوثنيين الرومان وساءهم عزلة المسيحيين وتعاليهم وثقتهم بأنفسهم، فناشدوا حكامهم أن يعاقبوا

---

(١)(كان الكثير من الرومان في لهفة لإيجاد دين جديد ، واجتذبت معابد اليهود أنظارهم ، حيث استمعوا إلى التعاليم التي تدعو إلى عبادة إله واحد ؛ لكن اليهود أصروا على أن الذين يعتنقون اليهودية لا بد أن يتبعوا شريعتهم وعاداتهم، وكان صعباً على الرومان أن يتبعوا جميع طقوس اليهود) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٤٢٦.

(٢) بطرس اسم يوناني معناه صخرة أو حجر كان يُسمى سمعان ، ومدينته صيدا ، فلما تبع يسوع سمي كيفا ، وهي كلمة أرامية معناها صخرة ، يرجح أنه كان تلميذ ليوحنا المعمداني " النبي يحيى" قبل مجيئه إلى المسيح ، فقد كان يذكر اسمه دائماً أولاً عندما يذكر أسماء الرسل ، وفي الكتاب المقدس تظهر صفاته الحسنة ، وأنه هو الذي قاد التلاميذ إلى سد الفراغ في عدد الرسل بانتخاب بديل ليهوذا ، وواصل رحلاته التبشيرية هو وزوجته من مكان لآخر حتى استشهد ، ذهب بطرس إلى رومية ؛ واستشهد فيها وقد كتب الرسول رسالتين : الأولى كتبت من رومية لأنها كانت حينئذ نبع الاضطهادات على المسيحيين والرسالة الثانية رعوية موجهة إلى كل المسيحيين في كل مكان ، تحذرهم من التعاليم الزائفة ، وتحثهم أن يتمسكوا بالإيمان ، ويثقوا فيه ؛ لترجمته أنظر : " قاموس الكتاب المقدس " ، ص١٢٢ ، بطرس

(٣) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج١ ، م ٣ ، ص٢٤٥.٢٤٧ .

الذين يهينون الآلهة الرومانية) [1].

ظهر على النصارى ترفع وتعالي بدينهم السماوي وكتابهم المقدس ، وأبوا أن يكونوا ضمن تلك المنظومة الوثنية ؛ فقد كانوا أتباع رسول حق ولديهم كتاب مُنزل ويمارسون تعاليم سماوية صحيحة- آنذاك من وجهة نظرهم- وكان هذا أحد أسباب اضطهادهم. أما السبب الآخر فهو إحساس حكام الإمبراطورية بزعزعة مكانتهم في المجتمع الروماني بسبب انتشار النصرانية بين الخاصة والعامة من الناس ؛ فقد تعود الحاكم أن يكون هو ممثل الإله على الأرض وله الكلمة العليا وإليه تتجه القرابين والطقوس التعبدية؛ وحين يأتي دين يترفع عن ذلك وتكون الكلمة العليا فيه للبابا الذي يمثل دور الوساطة بين الثالوث المقدس والناس ينبغي للإمبراطور أن يُعيد النظر في هذا الدين وأتباعه؛ فأضحت مهمة ممارسة لتبشير النصراني والإعلان عنه بمثابة توقيع وثيقة حكم تعذيبي ينتهي غالباً بالإعدام.

ولكن الحياة ليست على وتيرة واحدة دائماً ، فلم تكن حياة النصارى في رومانية على وتيرة واحدة من العذاب أو النعيم ، فقد كان القرنين الأول والثاني سنين عصيبة على من عُرف عنه معتقده النصراني ، وعلى الرغم من فترات الاضطهاد الطويلة التي عانى منها النصارى فقد كانت هناك فترات راحة لكنها لا توازي شيئا إذا ما قورنت بما لاقوه من عذاب ، واستمر ذلك إلى ثلاثمائة سنة أو يزيد ، عُذب النصارى واضطهدوا حتى وصل بهم الأمر إلى الإعدام ، كما نُسبت إليهم كافة الكوارث الطبيعية والمصائب والهزائم الحربية.

وفي القرن الثاني للميلاد كانت هناك حرية في ممارسة الشعائر الدينية؛ حتى كان النصف الأول من القرن الثالث الذي أعلن عن وجود روما النصرانية [2]، وبعد طول اضطهاد استطاع النصارى أن ينتزعوا حق ممارسة عباداتهم بحرية ، بل

---

(١) مسعود حايفي : " مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان " ، ص٣٥ .

(٢) (في عام ٣١٢م أصبح قسطنطين إمبراطور روما مسيحياً ، وجعل المسيحية دين الدولة الرسمي ، وبهذا انتهى اضطهاد المسيحيين) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٤٢٧ .

وأصبحت النصرانية في عهد الإمبراطور قسطنطين دين الدولة الرسمي.

(قبل أن ينتصف القرن الثالث كان مركز البابوية ومواردها المالية قد بلغا من القوة حداً بأن أصبحت عاصمة الإمبراطورية عاصمة الديانة المسيحية ، وأمدت المسيحية روما بالنظام كما أمدتها بلاد اليونان بفلسفتها الدينية ، فلم يلبث الأساقفة لا الحكام الرومان أن صاروا هم مصدر النظام ومركز القوة والسلطان ، وقصارى القول إن روما قضت نحبها وهي تلد الكنيسة) [١] .

وهوت القوة الإمبراطورية السياسية الوثنية الحاكمة لتحتل مكانها القوة الدينية النصرانية البابوية الحاكمة أيضاً.

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان روما القديمة

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٣ ، م ٣ ، ص٣١٨ ، بتصريف .

تردت الحالة الدينية في الإمبراطورية الرومانية إلى أدنى مستوياتها قبل وصول الدين النصراني ، وعندما وصلت النصرانية تبدل الحال. من قبل ذلك تطور المعتقد الديني للرومان بوصول العديد من الأديان الوافدة وما صاحبها من آلهة جديدة، حتى عمت النصرانية أرجاء العاصمة الرومانية ، واعتبرت روما قبلة العالم وقلبه الديني النابض فكانت روما النصرانية . كل هذا لم يمنع وجود ملامح ثنوية في الممارسات الدينية في روما الوثنية قبل النصرانية وبعدها أيضاً ، فقد أظهرت الاكتشافات الأثرية وجود بعض ملامح ثنوية.

(فقد كشفت أعمال التنقيب عن ألواح كتب عليها لعنات، وروعي في دفنها أن تكون أوجه الألواح المكتوبة متجهة إلى الأسفل كي يتسنى للأرواح الشريرة أن تقرأ الرسالة المكتوبة في يسر، وذلك لأن أهل العالم القديم كانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً في وجود مثل هذه الشياطين الشريرة ، كما أنهم كانوا يرهبونها أشد الرهبة) [١].

الشاهد من النص "آمنوا بوجود عالم سفلي تسيطر عليه الشياطين الشريرة كانوا يرهبونها أشد الرهبة"، وأن لها قوة يمكن الاستفادة منها في بعض الأعمال المؤذية، كان ذلك في الزمن غير المكتوب ، فلم تنسب تلك الألواح إلى حضارة ما. ولكن التاريخ المكتوب يذكر أن آلهة الإتروسكيون تتكون من ثلاثة مجموعات المجموعة الثالثة منها كانت آلهة العالم السفلي وهي الأهم بالنسبة لهم.

كما تميز معتقد الرومانيين في الاعتقاد أن روح الميت مصدر الشر في العالم، ولابد من استرضائها.

(من أهم الأرواح التي عبدها الرومانيون أرواح الموتى ، وكانوا يطلقون على الموتى اسم الإلهة "مانيس"، وكانوا يقومون بالطقوس من أجل إرضائها واتقاء شرها ، وكانت تشغل هذه العبادة مكاناً كبيراً في حياة الرومان الدينية ، وترجع أصولها إلى المفاهيم الرومانية التي تنص على أن روح الميت يجب إرضاؤها حتى لا تغضب) [٢].

---

(١) أ . ب . تشارلز ورث : " الإمبراطورية الرومانية " ، ص١٦٨ .

(٢) أحمد على عجيبة : " دراسات في الأديان الوثنية القديمة " ، ص١٨٠ .

كانت تلك ثلاث ملامح لممارسات ثنوية في العبادات الرومانية القديمة ، ومع الاتصال بالأديان الشرقية بكل ما تحمله من معتقدات أضحت تلك الملامح أشد وضوحاً وأقوى ظهوراً.

(من بين العبادات الشرقية العديدة التي حظيت باهتمام كبير من جانب الرومانيين، عبادة مثرا الفارسي وهو إله الشمس ، ثم ظهر في روما على أنه الشمس التي لا تقهر- كما راقت لهم- عبادة إيزيس المصرية) [١].

كانت هذه هي بداية ظهور الملامح الثنوية في روما. كما عرفت أيضاً عبادة ميثرا الفارسي في روما ، ومعلوم ما تقوم عليه أديان بلاد فارس من ثنوية اعتقادية للقوى المؤثرة في الكون ، ولم يكن نصاً وحيداً ذلك الذي ذكر الإله ميثراً، بل نصوص عديدة ومن مصادر متنوعة ذكرت تأثر الرومان بالأديان الفارسية القديمة.

- (غزت المعتقدات الفارسية بلاد الرومان وأُدخلت عبادة الإله مترا إله النور الفارسي، والذي استمرت عبادته في روما) [٢].
- (حمل جنود الجيش السوري المنتصر إلى روما والأقاليم العبادة الإيرانية لمثرا) [٣].
- (الإله ميترا هو إله فارسي، المنشأ ومن المرتبة الثانية بين آلهة الإيرانيين القدامى، ارتبط اسمه بالنظام الكوني، وقد انتشرت عبادته فعمت جميع أنحاء الجمهورية، وقد كان له أتباع ومريدوه الكثر في روما) [٤].
- (جاءت من بارثيا عدوة روما عبادة إلهة من إلهات الشمس هي "مثرا"، وكان عُبادُها يعتقدون أنهم جنود في الحرب الكونية العظيمة ، حرب الضياء على الظلام، وحرب الخير على الشر، فأعجبت به الفيالق الرومانية المرابطة عند الحدود النائية)[٥].

---

(١) أحمد على عجيبة : " دراسات في الأديان الوثنية القديمة " ، ص١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) حسن نعمة : " موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ومعجم أهم المعبودات القديمة " ، ص٨١ .

(٣) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج٢ ، ص٦٧٧ .

(٤) أندريه إيمار ، جانين أوبوايه : " تاريخ الحضارات العام " ، ج٢ ، و " روما وإمبراطوريتها " ، ص٤١٥ .

(٥) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج ٢ ، م ٣ ، ص٣٥٧ .

وبارثيا هي بلاد فارس ، وقيل إن صفات ميثرا كانت رجولية خشنة راقت للجنود الرومان المرابطين على خط القتال فهم جنود وهو إله حرب فراقت لهم عبادته.

- (كانت عبادة مثراس الإله الذكر تنتقل في هذه الأثناء من فارس إلى أقصى تخوم الإمبراطورية الرومانية ، وكان مثراس هذا في الدين الزرادشتي ابن أهورا مزدا إله النور، وكان هو أيضاً إلهاً للنور، وأنه يقود الحرب العالمية ضد قوى الظلمة أهرمان أمير الظلام ، انتشرت هذه الأساطير في غربي آسية ، وانتقلت منه إلى أوروبا "متخطية بلاد اليونان") [1].

وما لم أجد له تعليل فيما رجعت إليه من كتب هو تفسير العبارة الأخيرة من النص السابق " انتشرت هذه الأساطير في غربي آسية وانتقلت منه إلى أوروبا متخطية بلاد اليونان" لماذا تخطت بلاد اليونان ؟!!

على الرغم من حرص الإسكندر المقدوني من صهر الشعبين اليوناني والفارسي في بوتقة واحدة ، حتى كاتب النص نفسه "صاحب قصة الحضارة " لم يعلل سبب هذا التخطي ، لكني قد عللته بسبب البيئة الفلسفية التي كانت سائدة في اليونان، فلم تكن أسطورة القوى الثنوية الخرافية تلقى رواجاً.

كما كان للاتصال بالمصريين تأثير واضح على الرومان في انتشار إسطورة إيزي، واحتلت تلك الإلهة مكانة كبيرة لديهم.

(منذ أن صارت مصر إقليماً رومانياً انتشرت عبادة إيزيس "سيدة الكون"، "ملكة السموات" بسرعة في روما) [2].

العقيدة المانوية في روما:

ذكرت- في المطلب السابق- أن الدين النصراني كان له في روما ملحمة دامية

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، م ٣ ، ص١٤٨- ١٤٩ .

(٢) ف . دياكوف ، س . كوفاليف : " الحضارات القديمة " ، ج٢ ، ص٦٧٦ .

حتى تمكن من انتزاع مكان الصدارة من الأديان الوثنية وتمكن بعد ذلك من إلغائها، فأصبحت تعرف بروما النصرانية بدلاً من روما الوثنية في كتب التاريخ الديني لها. ومما سبق ذكره أيضاً النشاط الدعوي التبشيري لماني بن فاتك نبي الديانة المانوية المزعوم، والذي كانت الكنيسة النصرانية تعتبره من الهرطقات الدينية الكافرة.

(ظهر في القرن الثالث خطر جديد في بلاد الشرق يهدد كيان المسيحية، ذلك أن شابا صوفيا فارسيا يدعى ماني أعلن أنه المسيح المنتظر، وأخذ ماني عقائده من الزرادشتية والمثراسية واليهودية ، فقسم العالم مملكتين متنافستين وهما: مملكتا الظلمة والنور. وقال: إن الأرض تتبع مملكة الظلمة وإن الشيطان هو الذي خلق الإنسان) [(١)].

انتشرت دعوة ماني الثنوية المتنصرة بين القساوسة فقد كان يدعو باسم المسيح ولوحظ انشقاقات في صفوف الكنيسة النصرانية ، وتمثلت في ظهور اتجاه يعتبر العالم عالمين والإله إلهين ؛ وقد مهد ذلك الطريق أمام ظهور فرق نصرانية قائمة على أساس مثنوي تعرضت لبعضها بالذكر فيما سبق [(٢)].

الخلاصة:

ليس من المبالغ إن أطلقنا على روما أنها مجّمع الأديان!! فلم يبق دين لم يكن له

---

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٣ ، م٣ ، ص٢٩٥ .

(٢) في مبحث ملامح الثنوية في أديان بلاد فارس القديمة ،كما سيتضح ذلك أكثر وبالتفصيل في الفصل الرابع المبحث الثاني الثنوية في الدين النصراني . بإذن الله . .

من أهلها حظ ونصيب.

البدايات كانت طوطمية ورهبة أرواح الموتى ، كما ظهرت آلهة الطبيعة وآلهة الأسرة التي تساعد في أداء المهام اليومية في المنزل وخارجه ، فبرزت من بينها تقديس روح القوة والإرادة المعينة على تحقيق الصعاب ، مما جعل روما تتجه إلى إمبراطورها العظيم فتعبده.

ومن صفات الرومان أنهم لا يصدوا أي دين وافد جديد عليهم ، فكانت البداية بالنظريات الفلسفية اليونانية والتي انتشرت بين طبقات المثقفين فقط فتبنوها وألحدوا مع فلاسفتها ، وثنت بدول الشرق حيث اعتنقوا أديانهم وقدسوا آلهتهم التي أشهرها مثرا الإله الفارسي الذي كان عضواً في حرب كونية بين مملكتي النور والظلام فأضاف وثنية على وثنية . حاول اليهود أن ينشروا دينهم بين الرومان فشلوا ، أوامر دينهم شاقة وصعبة وشخصيتهم مقيتة ، لكن نجح النصارى فيما فشل فيه اليهود .

ولكن طريق النصارى لم يكن ممهداً ، فاضطهدوا وسُجنوا وعُذبوا ومن ثم أُعدموا، وكان من يُعلن نصرانيته يوقع وثيقة إعدامه ، حتى جاء النصر باعتناق الإمبراطور قسطنطين للدين النصراني وإعلانه أنه الدين الرسمي للدولة ، والهضبة التي كانت بالأمس مقبرة النصارى أصبحت هي ذاتها اليوم قلب روما النابض "دولة مدينة الفاتيكان"

وفي خضم كل تلك الأحداث الدينية وجدت الملامح الثنوية من دعوة ماني نبي المانوية المزعوم ، تخطت هرطقات ماني اليونان ووصلت إلى روما ، قدم ماني نصرانيته الثنوية أو ثنويته المنصرة حين اعتبر نفسه خليفة للمسيح ، وتبنى منهجه بعض القساوسة فظهــرت بوادر الانشقاقــات بينهم ، كما ظهرت فرق نصرانية تدعو إلى مثنوية القوى المتحكمة في الكون ؛ وإن كانت ليست الصورة النمطية للثنوية الإيرانية فهما ليسا إلهين متناقضين ، إنما هما إلهين ثنويين لهما تأثير في الكون. وقد أقلقت تلك الدعوة النصارى أنفسهم واعتبروها هرطقات ذهنية أكثر من أن تكون دعوة دينية.

المبحث السابع

الثنوية في أديان بلاد الصين القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد .**
- **المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد الصين القديمة.**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد الصين القديمة.**

(تمهيد)

الصين من أكبر دول العالم اليوم مساحة إن لم تكن أكبرها على الإطلاق،

فهي تحتل ربع إجمالي مساحة آسيا ونفس المساحة الكلية للدول الأوربية الثلاثين، كما تعد أكثر مناطق الكرة الأرضية سكاناً ، فأرضها تضم أكثر من مليار نسمة أو يزيدون ؛ وتمتلك أطول سواحل بحرية ولها أكثر حدودٍ مع دول الجوار، فبلاد الصين تحوز على العديد من الأولويات ومراكز الصدارة والأكثرية بين الدول ، ولديها أيضاً لغة من أصعب لغات العالم وأعقدها .

تلك هي جمهورية الصين الشعبية هكذا يطلقون عليها اليوم.

بداية تقع الصين في قارة آسيا وتحديداً في الجزء الشرقي منها [(١)]، وتعد الحضارة الصينية من أقدم الحضارات بالنسبة لدول تلك المنطقة، وقد ازدهرت في حوض النهر الأصفر الخصب الذي يتدفق عبر سهل شمال الصين، فهي بوابة آسيا الشرقية، ويعود تاريخ حضارتها إلى خمسة آلاف سنة، وقد وصفت أنها حضارة محلية محضة [(٢)].

تمتعت الحضارة الصينية بميزة لم تتمتع بها حضارة قديمة من قبل وهي الاستمرارية والصمود؛ فهي لم تندثر كما اندثرت الحضارات القديمة كالفرعونية والبابلية مثلاً، فالأسس التي أقام عليها الصينيون حضارتهم هي نفسها التي تقوم عليها الحياة في بلاد الصين اليوم بشيء من التطور.

واعتبر العارفون ببواطن الأمور أن الذي ساهم في ذلك هو إغلاق الحضارة الصينية أبوابها أمام أي اتصال مباشر مع الغرب ، بالإضافة إلى توجسهم من تقبل أي حضارة أو فِكر أجنبي يحاول الاقتراب منه.

فكان يشترط أن يصبغ كل شيء بالصبغة الصينية حتى يُصبح فِكر صيني خالص؛ فدائماً ما كان ينشدون النقاوة لحضارتهم المحلية. وزيادة على ما سبق كان الاعتزاز الشديد والإعجاب الأشد من قبل الصينيين أنفسهم بحضارتهم وتمسكهم بها جعلها

---

(١)(تقع الصين في الجزء الشمالي من نصف الكرة الشرقي ، وتحتل القسم الشرقي من قارة آسيا ، وتطل على الساحل الغربي للمحيط الهادي) شيوى قوانغ : " جغرافيا الصين " ، ترجمة : محمد أبو جراد ، طبع في : جمهورية الصين الشعبية ، نشر : دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م ، ص١ .

(٢) مي السديري : " حضارات" ، ص١٨٤ بتصريف .

موضع تقدير واحترام من قبل الأجيال التالية مما أدى إلى استمراريتها.

وقد أورد صاحب قصة الحضارة سبباً آخر من أسباب تلك الديمومة وإن كانت بفعل الطبيعة ليس من فعل البشر .

(فقد استمتعت بلاد الصين بعزلة كانت هي السبب في حظها النسبي من السلامة والدوام والركود وعدم التغير) [١].

تمثلت تلك العزلة التي ذكرها بتضاريس طبيعية وعرة حباها الله إياهم [٢].

عُرفت الصين قديماً بعدة أسماء ، قالوا أن اسمها هو "شنج كيو" والتي تعني حرفياً "مملكة الوسط"، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم مركزاً للكون. وقد بني الصينيون سوراً اعتبر من أحد عجائب الدنيا السبعة القديمة الباقية حتى اليوم وهو ما يعرف بـ "سور الصين العظيم" [٣] ويقع في العاصمة بكين [٤].

تعددت الروايات التي تحدثت عن الأصول العرقية للشعب الصيني فمنهم من قال إنها عروق كثيرة من أجناس شتى جمعتهم وحدة الأرض؛ ومنهم من قال لم يسكن الصين إلا الجنس المغولي الصيني، ولا راجح بينهما وإن كنت مع الرأي الثاني.

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ... الشرق الأقصى الصين " ، ج٤ ، م١ ، ص١٢ .

(٢) (فيها كل المناظر الطبيعية المختلفة التي يمكن أن تهبها إياها الشمس الساطعة ، وشعاب الجبال الوعرة ، والأغوار العميقة ، ويجري في قسمها الجنوبي الخصيب نهر " يانج . دزه " الذي يبلغ طوله ثلاثة آلاف ميل وفي الشمال ينحدر " الهوانج " أو النهر الأصفر ، على هذين النهرين ، وعلى ضفتي نهر الرأي وغيره من المجاري الواسعة بدأت الحضارة الصينية) ول ديورانت: "قصة الحضارة. الشرق الأقصى الصين"،ج٤، ص١٢.

(٣) قامت الصين ببناء سورها المشهور بغية حماية حدودها من البرابرة الذين كانوا يهاجمونها من الشمال من وقت إلى آخر وكان ذلك عام ٢٠٠ ق . م ، في عصر الإمبراطور شاي هونج شي ، وقد استغرق بناؤه وقتاً طويلاً ، بلغ عشر سنوات ، وبلغ طوله أربعة ألاف وثماني مائة واثنين وسبعين كيلو متراً ، الأمر الذي يجعله أطول سور في العالم ، وقد أمر ببنائه زعيم عائلة تسين " حضارات لمي السديري " ، ص٢٠٧ .

(٤) يقع سور الصين في مقاطعة "خبي" وتتسم هذه المقاطعة أهمية جغرافية ، لأنها تحيط بالعاصمة بكين ، تحدها الجبال في الغرب والبحر في الشرق ، ويوجد بها أشهر الممرات الاستراتيجية العديدة في تلك الجبال : شيفنغكو وفوبيكو وشانهايقوان ، ويبدأ السور العظيم من عند شانهايقوان المعروف باسم " الممر الأول تحت السماء " شيوى قوانغ " جغرافيا الصين " ، ص٩٤ . ٩٥ .

- (ليس في الناس من يعــرف من أين جـــاء الصينيون ، أو إلى أي جنس ينتسبــون أو متى بدأت حضارتهم في الزمن القديم) [١].
- (كـان حـوض النهـر الأصـفر الكبـير ملتقـى لتجمعـات بشريـة ضـخمة متسـربة مـن جنوبي القارة ومن إندونيسيا وسواها بين الأعوام "١٠٥٠. ١٤٥٠" قبل الميلاد)[٢].
- (الصين يجب أن نشبهها بأوروبا بأكملها، لا بأمـــة واحــــدة من أممهـــا فليست هـي موطنـاً موحـداً لأمـة واحـدة بـل هـي خلـيط مـن أجنـاس مختلفـة الأصـول متباينـة اللغات غير متجانسة في الأخلاق والفنون) [٣].

لست مقتنعة بما جاء في النص السابق من تعريف التركيبة السكانيـــة لبـــلاد الصين أنهـا خلـيط مـن أجنـاس مختلفـة ، فلـم يكـن علـى أرض الصـين حضـارة سـوى الحضـارة الصينية ، فالباحـث في عمـق الفلسفـة الصينية وأفكارهـا الدينيـة والاجتماعيـــة لا يلمـح أي تباين أو اختلاف بينها بما يدعونا للقول إنها إفرازات أمم شتى وثقافات متعددة.

وقد حددت أعمال التنقيب الأثري عن عمر الحضارة الصينية على وجه التقريب، فدلت الكشوف على أن ثقافة تنسب إلى العصر الحجري الحديث وجدت في تلك البلاد متأخرة بألفي عـام من مثيلتها في عصر ما قبل التاريخ في مصر وسومر. من أبرز صفات الشعب الصيني تدوين تراثه وتاريخه مما جعل المؤرخون يصفونها بأنها جنة التاريخ.

كان نظام الحكم في بلاد الصين ملكي أسري ، فحين تعتلي أسرة ما سُدة الحكم يتوارث أفرادها الملكية جيل بعد جيل، حتى يفنوا أو تُزيحها من الحكم أسرة أقوى منهـا، وبقي هذا النظام سائد حتى تحولت إلى حكم جمهوري في أوائل القرن العشرين[٤].

المطلب الأول: الحالة الدينية في الصين القديمة

---

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... الشرق الأقصى الصين " ، ج٤ ، م ١ ، ص١٣ .

(٢) سامي أبو شقرة : " موسوعة الأديان " ، ج٢ ، ص ٣٣٦ .

(٣) ول ديورانت : مرجع سابق ، ص ١٤.١٣ .

(٤)(تحرك المثقفون بزعامة " صان بات " قاموا بتحويل الصين إلى جمهورية عام ١٩١١م ، حيث تخلصت من الاستعمار الخارجي ، والاحتلال الياباني ، وبعدها نشأت جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م بزعامة ماوتسي تونج) المرجع السابق .

قام الفِكر الديني في الصين منذ القدم على نظريات ومسائل فلسفية عقلانية غاية في الصعوبة والتعقيد، لم يكن دينهم صعباً ولم تكن عقيدتهم عسيرة ولا طقوسهم التعبدية شاقة وطويلة، بل على العكس تماماً كانت غاية في اليسر والسهولة مقارنة بالأديان الأخرى، لكن الصعوبة تكمن في القاعدة الفكرية التي قامت عليها تلك العقيدة.

نستطيع أن نقول أن لب العقيدة وفلسفتها في حد ذاته هو الصعب، وبتوضيح أكثر كانت نظرة الشعب الصيني إلى دور الدين والآلهة في حياتهم نظرة مختلفة عن سواهم من البشر. لقد كانت العقلية الدينية الصينية لغزاً محيراً للعلماء الدارسين حتى أتت عليهم فترة اعتقدوا فيها أن الصين أمة بلا حضارة وبلا تاريخ ، لكن تطور طرق الاتصال وفتح الصين أبوابها للغرب للإطلاع على تراثهم الفكري والثقافي أسهم كثيراً في تغير تلك النظرة لهم ، كما أسهمت حركة ترجمة الكتب في ذلك أيضاً.

(لقد استبان مما كشفوا عنه أن أخص ما امتازت به النفس الصينية أنها أقدر النفوس على تحويل النظريات الخلقية إلى أخلاق عملية ، ففلسفتها تقوم على السلوك القويم للإنسان) [1].

ليست فلسفتها فقط هي التي تقوم على السلوك القويم للإنسان ، بل دينها يقوم على الخلق القويم للإنسان ، وتربيتها لأبنائها تقوم على غرس الخلق القويم في سلوك الإنسان ، فالأخلاق السوية المثالية هي أساس البيئة الصينية قديماً وحديثاً ؛ ومن أخص ملامح الحالة الدينية في الصين أنهم لا يعترفون بأهمية وجود رسل أو أنبياء ، فرسلهم حكماؤهم وأنبياؤهم فلاسفتهم.

من وجهة نظرهم أن الحياة إذا قامت على أسس صحيحة لا تحتاج إلى نبي بقدر ما تحتاج إلى حكيم مربي يقوم على تربية النشء على الخلق القويم ومراقبة ذلك بدقة.

هذا الذي ورد عنهم يجعلني أجزم أنهم لم يقرؤوا يوماً قصة نبي أو درسوا سيرة رسول حق من رسل ربنا- تبارك وتعالى-، فقد كانت مهمة الرسل الأولى التي بعثوا بها

---

(١) محمد أبو زهرة : " مقارنات الأديان ... الديانات القديمة " ، ص٨٠ .

هو تعليم الناس توحيد ربهم ومن ثم تربيتهم وتهذيب أخلاقهم على الخُلق القويم، وقد صدق ربنا- تبارك وتعالى- حين وصف نبيه في كتابه العزيز.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[(١)] .

كما وصفته السيدة عائشة – رضي الله عنها- "أنه كان خلقه القرآن"، وحتى تضح الصورة بطريقة صحيحة لابد من تسلسل البدايات الدينية للشعب الصيني ، حتى قبل عصر الفلسفات والفكر العقلي ، قبل أن يُعمل الإنسان عقله فيما لم يخلق من أجله، قبل أن يجني عليه البشر ليكون الجاني والمجني عليه في آن واحد.

مظاهر العبادة الصينية القديمة:

بعد الدراسة المتعمقة والواعية في مظاهر وملامح المعتقدات والعبادات في بلاد الصين قديماً ، وجدت أن لديهم ثلاثة مظاهر دينية تعتبر هي الأبرز من بين المظاهر التعبدية الأخرى:

- أولاً : عبادة الطبيعة "السماء وما فيها".
- ثانياً : عبادة الروح "الأسلاف وغيرهم".
- ثالثاً : عبادة الأرواح " روح كل الموجودات".

أولاً: عبادة الطبيعة "السماء وما فيها".

بداية الدين في الصين لا تختلف عن بدايات الأديان الوضعية التي رصدها الباحثون في فترة ما قبل التاريخ كما أطلقوا عليها ، فكانت الطبيعة بمظاهرها القوية المدمرة هي ما لفت نظر الإنسان القديم لعبادتها والاعتقاد بقوتها المؤثرة في حياته اليومية، سواءً انبهر بها أو خاف منها فالأمر سيان النتيجة في النهاية واحدة أنه تعبد لها.

- (كان الصينيون الذين عاشوا منذ عدة آلاف من السنين عبدة الطبيعة تماماً كأغلب الشعوب القديمة ، وأهم عناصر تلك العبادة الخوف من خوارق الطبيعة، وعبادة الأرواح الكامنة في الأنحاء. فكانوا يعبدون الشمس والمطر وما في السماء من قوى

---

(١) سورة القلم : آية ٤ .

خفية قادرة ومن هنا عبدوا الريح والرعد والأشجار ، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن تعبد) [١].

كانت هذه هي البدايات التعبدية القديمة غالباً لكن اختلف الصينيون عن غيرهم في خشية السماء.

- (لم يكن دين سكان الصين البدائيين يختلف بوجه عام عن دين عبدة الطبيعة، وأهم عناصره الخوف من الطبيعة ، وعبادة الأرواح الكامنة في جميع نواحيها، وخشية السماء وعِبادتها ، وإجلال ما فيها من شمس وأمطار وقوى خفية) [٢]

كانت السماء محط أنظارهم ففرضوا أن هناك قوة محركة فيها تؤثر على مجريات الأمور في الأرض فخافوا منها وعبدوها ، فقد كانت الحياة اليومية للمواطن الصيني هي جُل اهتمامه ، وما توجهه لإله بالدعاء إلا لتحسين معيشته على الأرض، ومن خلال النص التالي تتضح النظرة الفلسفية الصينية لفكرة القوى المنشئة:

(هم لا يفترضون قوى مغايرة للعالم هي المنشئة له والمدبرة لأموره ، يقولون أن العالم فيه جانب مادي وجانب روحي هو القوى فليس عندهم منشئ ومنشأ بل المنشئ لديهم من ذات المنشأ) [٣].

هذا عمق فلسفي لتعليل الأشياء ، فليس لديهم كائن يَخلق ولا كيان يُخلق، فالعالم ذاته وجد هكذا بقسميه المادي والروحي ، فهم الخالق والمخلوق في آن واحد.

(لم يأخذ الصينيون عبر تاريخهم مسألة تشخيص الألوهية بشكل جدي، ولم يظهروا ميلاً لاعتبار الكون مخلوقاً من قبل ملك سماوي يتحكم فيه، بل لقد رأوا فيه ما يشبه الجسد الحي الذي يقوم على تنظيم نفسه وفق آلية ضبط ذاتية) [٤]. كان لديهم "تيان" رب الأرباب [٥].

---

(١) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص١٨٧ بتصريف .

(٢) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ص٢٥٦ .

(٣) محمد أبو زهرة : " مقارنات الأديان ... الديانات القديمة " ، ص٨٩ .

(٤) فراس السواح : " دين الإنسان " ، ص٢٣٦ .

(٥) (كانت الطريقة التي عرف بها الصينيون تيان إله الآلهة هي التسلسل المنطقي ، المطر الذي تشتد حاجتهم إليه ينزل

اكتسب المجتمع الصيني ثقافته الدينية من مبدأ العقلانية والملائمة ، ومن مجموعة تسلسلات عقلية منطقية في الربط بين القوى الغيبية المؤثرة ، وبين مجريات الأحداث الكونية اليومية.

(أقر الصينيون أن بداية البدايات ومصدر كل ما هو موجود على الأرض يقع هناك في السماء ، لم يختلقوا أي شيء بخصوص ما يجري فيها، كم من الآلهة هناك؟، وكيف تجري علاقتهم؟ ولم ينشئ الصينيون أي أساطير عن طريقة عيش الآلهة والصراع بينهم)[١].

ولمكانة السماء العظيمة والمهيبة في الصين انتسب إليها حكامهم ونسبت إليها الأرض أيضاً ، ولم أستطع الوصول في تاريخ العبادة الأولية إلى أبعد من ذلك فقط السماء بكل ما تحتويه.

ثانياً: عبادة الروح "الأسلاف وغيرهم"

يعتبر هذا هو التطور الطبيعي في عبادات البشرية الأولى ، تبدا بالطبيعة يليها المعتقد الطوطمي متزامناً مع عبادة الطبيعة ، ليعتبر هو المظهر الثاني من مظاهر العبادة في الدين الصيني القديم.

(أول عبادات أهل الصين في القديم البعيد "كوي" أي روح الأسلاف، يتبعها عبادة "شين" روح القوى المعنوية التي تملك الخير والشر) [٢].

وقد سبق أن تحدثنا عن عبادة الأسلاف ، لكن ما هي " شين " تلك المسمى روح القوى المعنوية التي تملك الخير والشر ؟، لم يقدم كاتب النص تفسير أوضح من ذلك فقد تكون من جنس ما أُلّه في بلاد روما القديمة من عبادت الإرادة والقوى المعنوية التي تعين الإنسان على أداء مهامه والقيام بأعماله.

من السماء ، والسحب التي تحمل المطر تأتي من السماء ، الرياح التي تدفع السحب تهب من السماء ، الرعد والبرق اللذان يفتحان السحب موجودان في السماء ، إذن فمن المؤكد أن تيان رب الأرباب موجود هو الآخر في السماء) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص١٨٨ ـ ١٨٩ .

(١) أ . س . ميغوليفسكي : " أسرار الديانات القديمة " ، ص٣٢٦ .

(٢) سامي أبو شقرة : " موسوعة الأديان " ، ج٢ ، ص ٣٣٩ .

(شاعت في أوساط الشعب دوماً تصورات محددة عن الروح والحياة الأخرى، ولكن العقلانية الصينية أوقفت امتداد مثل هذه الرؤى فلم تتحول إلى رؤى رائدة في المجتمع)(١).

وهذا يناقض ذلك!! المنهج العقلاني الذي انتهجه الصينيون يبتعد كل البعد عن مسار الرؤى التخيلية لمصير الروح في الحياة الآخروية ، ما كان وارد في طقوسهم طرق العبادة الصوفية ، ولم يدر بخلدهم أن يتحدوا يوماً مع إله أو يفنوا فيه، لكن عبادة الأسلاف عندهم تعني تقديس واحترام روح الميت من الآباء والأجداد، وأُلحق بها روح العظماء والحكماء والأباطرة.

(لم يكتف الصينيون بهذه العبادات بل عبدوا أرواح أسلافهم أيضاً، ولم يكتف الناس بعبادة أرواح آبائهم وأجدادهم ، بل وعبدوا أرواح كبار الحكماء، والأبطال الوطنيين) (٢).

والنص التالي يبين تعليل عبادة أرواح الأسلاف:

(كان الاعتبار مفروض لكل ميت ؛ لأن بعد الوفاة يتحول المتوفي إلى روح صرف لها سلطة كبرى على سلالتها ، وعلى الأهل أن يقدموا القربان لدى كل وفاة، وتكون هذه الأرواح تحت إشراف الإله "تي") (٣).

وبدء بالاحترام إذاً ومن ثم تحول إلى عبادة وتقديس.

ثالثاً: عبادة الأرواح "روح كل الموجودات".

من مظاهر العبادة الصينية القديمة أيضاً والتي تخص عالم الأرواح عبادة روح كل الموجودات إلا أن لها رؤية مختلفة نوعاً ما ، فليس المقصود بها أرواح الأسلاف أو الأرواح التي في السماء ، بل أرواح كل المتحركات المؤثرات في الطبيعة والتي ليس لها سبب

---

(١) أ . س . ميغوليفسكي : " أسرار الديانات القديمة " ، ص ٣٥١

(٢) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص١٨٩ .

(٣) سامي أبو شقرة : " موسوعة الأديان " ، ج٢ ، ص٣٣٦ .

واضح ظاهر ، فقد آمنوا بوجود روح داخل كل شيء وهي المحركة لكل شيء.

(آمن أهل الصين القدماء بوجود حاكم أعلى واحد فوق كل الأرواح اسمه "شانج تي"، وهو القوة العليا المسيطرة على العالم، لكنه لم يكن الإلـــه الأعلى والأعظـــم في اعتقـاد الصينيين ، فالإله الأعلى اسمه "تيان" هو السماء) (١).

إضافة إلى ما ذكرت من عبادات في بلاد الصين القديمة ، كان هناك اتجاه آخـــر وإن لم يكن بارزاً مثل سابقه وهو ما يعرف بـ"الشامان".

(كان التراث الديني الصيني يتألف من عنصرين متمايزين تماماً:

- **العنصر الأول** : عبادة السماء والأسلاف المقدسين حيث كان الأمراء والطبقات الأرستقراطية يقومون في هذه العبادة باسترضاء السماء والأسلاف ويلتمسون عون الموتى الأقوياء.
- **العنصر الثاني** : عالم السحر والعرافة الذي يمثل فيه الروح الوسيط أو الشامان حلقة الوصل بين البشر والأرواح) (٢).

ولقد ركزت النصوص منذ البدايات على المبدأ العقلاني والأخلاقي الذي قامت عليه الحالة الدينية في الصين ، لكن لكل قاعدة شواذها فلـــم يكن المجتمـــع الصيني هو مجتمع المدينة الفاضلة على طول الخط ، ولم يكن ذو عبادة عقلانية أخلاقية منضبطة دائماً وفي كل الأوقات. فقد كان لعالم السحر والشعوذة وجود في الصين، وهذا يخالف ما ألزم به الصينيون أنفسهم به من العبادات الدينية السببيـــة، فأمور السحـــر أبعـــد ما تكون عن العقلانية السببية.

لم تبق الحالة الدينية في الصين على حالها بل تطورت إلى معالم دينية تنظيمية أكثر من ذي قبل ، تمثل ذلك في ظهور ثلاثة أديان جديدة أساسية وأديان أخرى فرعية. الاثنان الأساسيان الأولان هما : محليان قوميان "الكونفوشية والتاوية" (٣)، والثالث وافد

(١) الحسيني الحسني معدى : " الأساطير الصينية واليابانية " ، ص٢٠ .

(٢) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٣٣٨ .

(٣) سيكون لهما تفصيلاً مفرداً في الصفحات التالية .

أجنبي من دول الجوار وهو "الدين البوذي" [١]، بالإضافة إلى "النسطورية النصرانية والمانوية والمزدكية" وأخيراً الإسلام.

قد يعتقد البعض أن الشعب في الصين ينقسم إلى ثلاث مجموعات دينية بحسب تلك الأديان ، ولكن الوضع الديني في الصين أيضاً ليس كأي وضع في أي بقعة أخرى من العالم.

(في تلك البلاد ثلاثة أديان: الكونفوشية والبوذية والتاوزمية ، وليس مستطاعاً أن نقول إن بعض أهلها كونفوشيون والبعض الآخر بوذيون وغيرهم تاوزميون ، وذلك لأن الصيني قد يكون كنفوشياً وبوذياً وتاوزمياً في وقت واحد) [٢].

لا يمثل الدين للفرد في الصين مجرد معتقد لتأدية الطقوس فقط ، ولكنه حالة حياتية تعبدية يعيشها المواطن ، وهي في نظرهم نهجاً تربوياً أخلاقياً إلزامياً لابد من إتباعه، فهو يطبق تعاليم كونفوشيوس في الأخلاق وتعاليم التاوية في الاستسلام للطبيعة ، ويحج إلى المعبد البوذي في أوقات محددة لتقديم القرابين وهذا لا يشكل لديه أي تعارض.

وسأبدأ بالحديث عن الدين الوافد " البوذية " على اعتباره مما ذكرنا سابقاً .

الدين "البوذي" وطريقة دخوله إلى الصين:

لم يرد في الكتب تحديد تاريخ مؤكد لوصول الدين البوذي لبلاد الصين .

(ففي عام ٦٥م سجل وجود جماعة بوذية في بلاط أحد الأمراء ، ولكن قبل ذلك كان الجنود والرسل الصينيون قد خدموا في البلاد البوذية ، وفي عام ١٦٦م أقام الإمبراطور مراسم تاوية وبوذية في القصر الإمبراطوري ، فكان ذلك بمثابة إعلان رسمي عن مقدم البوذية إلى الصين) [٣].

لاقت البوذية شعبية كبيرة حين قدومها بلاد الصين ، لأنها استطاعت أن تقدم تعليلات وتحل الكثير من المعضلات التي عجزت عن حلها الأديان الصينية التي كانت

---

(١) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٣٠٦ .

(٢) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص١١٢ .

(٣) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٣٤٧-٣٤٨ .

موجودة آنذاك " الكونفوشية والطاوية" كما أنها أجابت على أسئلة واستفسارات كان يُرفض مجرد الخوض فيها عن أن يُجاب عليها كمصير الروح بعد الموت مثلاً.

(كان الصينيون يريدون أن يعرفوا ما حدث لأسلافهم بعد الوفاة ، ولم تكن الداوية ولا الكونفوشيوسية لترد على الأسئلة الخاصة بذلك ، ولهذا عندما سمع الصينيون بعقيدة تفسر الحياة بعد الموت وتفسر النرفانا أرادوا أن يزدادوا بها علماً) (١).

وكما ذكرت سابقاً لا شيء في الصين غير صيني حتى الدين ، فحين وفدت البوذية إلى بلاد الصين على يد المرسلين الهنود والحجاج الصينيون الذين ذهبوا إلى الهند وعادوا بها لم تبق بوذية بوذا بل أضحت بوذية صينية خالصة (٢).

لقد حاول أتباع الحكيم كونفوشيوس القضاء على الفكر الأجنبي الوافد على ثقافتهم الدينية ، فقد أتى ذلك الدين بأمور غير معتاد الخوض فيها في المجتمع الصيني، لكنهم لم يفلحوا.

(حارب أتباع الكونفوشيوسية العقيدة الوافدة حرباً شديدة ، ولكن البوذية انتصرت بعد أعوام من الكفاح ، وانتشرت في جميع أنحاء البلاد ، ولم يكن الشعب الصيني قد تخلى عن الداوية أو الكونفوشيوسية بل أضاف عقيدة جديدة) (٣).

وهكذا تزاملت الديانات الثلاثة في بلاد الصين ، بل احتلت موقع الصدارة فيها من حيث الوجود وعدد الأتباع ، هذا لا يعني عدم وجود أديان أخرى إلا أنها لم تلق ذات المكانة ولا الترحيب ، فقد وصل المبشرون النصارى بالمذهب النسطوري (٤) إلى بلاد

---

(١) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٢٤٦ بتصريف .

(٢) (بوذية الهند لا إله لها ، ولكنها حين انتقلت إلى الصين مالت إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة بوذا واحد منها ، وأشهر تلك الشخصيات في بلاد الصين من يدعونها " كوان ين " وهي عندهم إلهة الرحمة يرفعون إليها الابتهالات في المعابد البوذية) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص١٢٦ .

(٣) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، مرجع سابق ، ص٢٤٨بتصريف .

(٤) نسبة إلى نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس الميلادي ، وقد ذهب إلى أن الطبيعيتين الإلهية والبشرية ظلتا منفصلتين في المسيح ، وهما جوهران أقنومان طبيعتان : جوهر قديم وجوهر محدث ، إله تام وإنسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث ، لكنهما صارا مسيحاً واحداً ، وطبيعة واحدة ، وأن القتل والصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته ، وألف مذهباً أثار الكثير من الجدل بين الكنائس المسيحية

الصين.

(دخلت المسيحية الصين على يد النساطرة عام ٦٣٦م تقريباً، ومن ذلك الحين ظل المبشرون اليسوعيون يبذلون أقصى جهودهم) [١].

ليست النصرانية وحدها من طرقت أبواب بلاد الصين فقد كان للمانوية والمزدكية الفارسية حضور أيضاً [٢]، كما كان للعرب أيضاً قبل الإسلام وجود من خلال رحلاتهم التجارية إلى الهند ومن ثم وصل الإسلام إلى بلاد الصين.

(لقد دخل الإسلام إلى الصين في وقت مبكر جداً ، وتشير الآثار المكتشفة على أن الإسلام قد دخل الصين في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان) [٣].

على الرغم من بواكير وصول الإسلام إلى بلاد الصين ، إلا أنه لم يكن له ذلك الأثر المرجو ، فما كانت التعاليم الإسلامية من نوع الدعوات التي من الممكن أن تصل إليها أيدي فلاسفة الصين لتحويلها إلى دين إسلامي صيني ،كما حدث مع البوذية مثلاً [٤].

كان ذلك عرض مجمل للأديان التي عرفتها بلاد الصين بحسب ترتيبها التقادمي من الأقدم فالأحدث.

ولكن حديثنا لم يُستوف ومعيننا لم ينضب بعد ، من أجل التعرف على الحالة

للمزيد . أنظر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب لجفري بارندر "، ص٣٦١ الهامش ، و" موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج٢ ، ص١٤٢٠ .

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج ٤ ، م١ ، ص٢٦٤ .

(٢) (في القرن السابع الميلادي ، وبعدها بقليل المانوية وكذلك المزدكية) وقد خلط الكتاب في الهامش بين المزدكية ، وبين المزدية الزرادشتية ، وقال : إنهما واحد ، والصحيح أن الزرادشتية هي امتداد للمزدية ، وليست المزدكية ، فالمزدكية ديانة ظهرت مؤخرا بعد ماني بن فاتك ، وكانت قائمة على الثنوية ، ومبادئها شيوعية في النساء ، والمال صاحب ظهورها فساد كبير حتى قُضي عليها... جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٣٦١.

(٣) مي السديري : " حضارات " ، مرجع سابق ، ص٢١٠ .

(٤) وقد قُدر عدد المسلمون في الصين اليوم بحوالي خمسة عشر مليون مسلم ، إلا أن الغالبية العظمى منهم من الأجانب المستقرين في الصين ، ومما يُعجب له أن كتابات المؤرخين العرب عن أخبار بلاد الصين شبه معدومة ، فلم يذكرها على حد علمي إلا " ابن النديم في الفهرست " و " وأبي زيد الحسن السيرافي في سلسلة التواريخ " ، وحتى ذلك الذكر لم يكن شاملاً تاماً فقد خلا من كونفوشيوس وهو أشهر من علم في رأسه نار في الصين .

الدينية في بلاد الصين القديمة لابد من التوقف عند الديانتين الأصليتين في بلاد الصين:

- **الوقفة الأولى** : مع الكونفوشية.
- **الوقفة الثانية** : مع التاوية أو الطاوية.

أولاً: الكونفوشية أو الكونفوشيوسية [١]:

لم تكن الكونفوشية دعوة دينية في بدايتها ، فقد وصفها الباحثون بأنها مشروع إصلاحي تربوي اجتماعي أكثر مما هو دعوة دينية [٢].

(لقد سيطرت الكونفوشية سيطرة شاملة على ما يسود في بلاد الصين من سياسة وفكر وثقافة وقيم وطقوس بشكل لم يتحقق مثيله لأي مذهب آخر من المذاهب المماثلة [٣]، وهذا ما قصده الباحثين حينما وصفوها بالمشروع الإصلاحي المتكامل.

أ) مؤسسها:

كونفوشيوس هذا هو اسمه بعد أن صار المعلم الأول والحكيم الأوحد ، من مسيرة حياته وجهوده كان يمكن أن يُطلق عليه النبي كونفوشيو إذا وجد في بيئة غير بلاد الصين لكن تاريخ الصين الديني خلا من ذكر الأنبياء والنبوات.

(أثبت الصينيون أنه لا لزوم لرجال الدين والمعابد والطقوس لكي يكون الشعب متديناً ، إنما المهم هو أن تبني مجتمعك على قوانين الفضيلة والعدل) [٤].

فمن وجهة نظرهم أنــه لكــي تطبق القوانين لا يحتاج إلى رجال دين بقدر ما تحتاج

---

(١) ديانة نسبت إلى كونفوشيوس ، وهي المدرسة الأولى في ترتيب المدارس الفكرية الصينية القديمة ، والاسم صيغة لاتينية من اسم كونج فو تزو ، ويعني الأستاذ أو المعلم فو ، يعتبر واحد من قلائل الحكماء الذين طبعوا البشرية بطابعهم وأثروا الفكر الإنساني ، والكونفوشية فلسفة ومذهب تربوي من أكبر المذاهب في العالم للمزيد .

أنظر : " موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج٢ ، ص١١٣٧ ، و " ترجمان الأديان " لأسعد السحمراني ، ص١٧٠

(٢) (الكونفوشية بلور صياغة مشروعها الديني الإصلاحي كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد ، ولكنها ليست من ابتكاره ، بقدر ما هي صياغة لما كان يسود الصين من فلسفات وأفكار لهذا التزمها أهل الصين ، وبات يصعب الحديث عن الصين بدون الكونفوشيوسية) الحسيني الحسني معدى : " الأساطير الصينية واليابانية " ، ص٦ .

(٣) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص١٩٥ .

(٤) أ . س . ميغوليفسكي : " أسرار الديانات " ، ص٣٤٨ .

إلى مربي حازم لتربية نشء يلتزم بتلك القوانين بشكل صارم لا تهاون فيها ، وهذا ما كان يقوم به معلمهم الأول كونفوشيوس ؛ فلم يدّع الحكيم في يوم من الأيام النبوة بل كان مربياً ومصلحاً اجتماعياً كما لعب دور سياسياً أيضاً.

فمن هو ذاك النبي الغير متنبي وذاك الرسول الغير مرسل؟.

- (يتألف اسم كنفشيوس من لفظين : كونج وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وتوتس ومعناه الرئيس أو الفيلسوف، فإسم كنفشيوس يعني رئيس كونج أو فيلسوفها أو حكيمها) [(١)].
- (ولد كنفشيوس في مدينة "تشوفو" التابعة لإمارة "لو" من أسرة عريقة ، وكانوا يسمونه "كونغ- فو- تسو "، ثم حُرف إلى كونفوشيوس. وتوفي في ٤٧٩ ق.م، ويوجد قبره في بكين ، وقد نسجت حوله القصص والأساطير الكثيرة) [(٢)].

والأساطير التي كتبت عنه بعد موته تماثل ما كتب عمن سبقه ممن لم يكونوا أنبياء ثم أصبحوا بعد موتهم ، ففيها المعجزات الباهرات وخوارق العادات. فهو ذو نسل إلهي أو نفحة روحانية من روح الإله وغير ذلك ، ولكن الحقيقة أنه كان طفلاً طبيعياً وولد ولادة طبيعية ، كانت حياته شاقة فقد تربى في كنف والدته فقط بعد وفاة والده عن عمر سبعين عاماً وتركه ابن ثلاث سنوات ، واهتمت والدته بتعليمه وتدريسه بشكل جيد لما رأت لديه من استعداد فطري للتعلم ونهم شديد للقراءة وبخاصة الكتب القديمة منها، سار كونفوشيوس في مسارين معاً الدراسة والعمل حتى يؤمن له ولوالدته حياة كريمة [(٣)].

وحين ذاع صيته استخدمه الحكام آنذاك وتولى القضاء حتى ليقال أن الأحوال الأمنية قد صلحت وأن موجة من الشرف والأمانة قد سادت [(٤)]، وحينما يتحدث عن

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل... الباب الأول فيما فات " ، الشهرستاني ذكره من أرباب الديانات القديمة " ، ج٢ ، ص١٩ .

(٢) الحسيني الحسني معدى : " الأساطير الصينية واليابانية " ، ص١٧ .

(٣) (في السابعة عشرة أكمل تعليمه ، كان أول عمل له محاسبا في مجال الحبوب ، وقد أداه بذكاء ومهنية عالية شغل وقت فراغه بتدريس وتعليم الأولاد الذين يلعبون في المروج ، شحذ فطنة تلاميذه بكشفه عيوبهم ، وحثهم على زيادة نباهتهم) لمحات عن أديان العالم ، ترجمة : صادق الركابي ، ص٢٩٦ ـ ٢٩٨ .

(٤) يقال إنه : لما رقي وزيراً للجرائم كان مجرد وجوده كافياً لقطع دابر الجريمة ، وفي ذلك تقول السجلات الصينية : "

نفسه كان يؤكد دائماً أنه ناقل وليس واضع ، فما الذي كان ينقله المعلم؟.

ب) أفكار كونفوشيوس:

كان كونفشيوس يؤكد دائماً أنه لم يأتي بالجديد بقدر ما أعاد صياغة وتفسير القديم كانت حِكم المعلم الأول مستقاة من التراث الصيني القديم، قام فقط بتبسيط قواعدها وتسهيل فهمها للأجيال الصاعدة.

(لم يأت كونفوشيوس بدين جديد أو شريعة أخلاقية جديدة للعالم، بل جاء بصيغة جديدة للمبادئ الأساسية للأخلاق والآداب الإنسانية) [(١)] .

أخذ كونفوشيوس على عاتقه تجميع ما في التراث وتحويله إلى مادة تُدرس للنشء، فقد كان يدعو إلى منهج تطبيقي ينتهج مبدأ الجدية والصرامة في التلقي والتطبيق، فأصبح لديه جيل من القادة والموظفين الذين يطبقون تلك النظم الأخلاقي بدقة وبدون رقيب.

(حسب رؤية كونفوشيوس إن المواطن المثالي يجب أن يتحلى بميزتين أكثر أهمية بين الميزات الأخرى ، وهما :

- الحس الإنساني : يشمل محبة البشر والرأفة والتواضع والعدل ونكران الذات من مثل ما كان يتحلى بها الأقدمون وحدهم .
- الإحساس بالواجب : عد الإحساس بالواجب التزاماً أخلاقياً يفرضه المرء على نفسه بنفسه ولا يفرضه عليه أحد) [(٢)].

من نظر إلى الكونفوشية على أنها دعوة دينية وصف عمل كونفوشيوس الحكيم أنه نقلة نوعية مختلفة في مجال الأديان ، فقد حول اهتمام الدين من الطبيعة ومظاهرها إلى التركيز على إصلاح المجتمع بكافة طبقاته ، صحيح أن المعلم الأول اهتم بالتربية،

لقد استحت الخيانة واستحى الفساد أن يطلا برأسيهما واختفيا، وأصبح كونفوشيوس معبود الشعب " ، قصة الحضارة الشرق الأقصى الصين ، لول ديورانت، ج٤ ، م١ ، ص٤٦ .

(١) لمحات عن أديان العالم ، مرجع سابق ، ص٢٩٥ .

(٢) أ . س . ميغوليفسكي : " أسرار الديانات " ، ص٣٣٧ . ٣٣٨ .

لكنه لم يكن ملحداً. لقد كان المعلم يؤدي طقوسه الدينية ويخشى الشياطين ويهاب من روح الشر ويتمتم بما يحميه منها، وقدس آلهته القديمة ووقرها إلا أنه كف لسانه وفكره عنها، فمنهجه دنيوي، وليس ديني [١].

"كان موقفه من المسألة اللاهوتية الدينية موقف الاحترام والتبجيل مع التعظيم والتوقير بدون الخوض والتفكير" فقد كان يخوض وتلاميذه في كل شيء ليجعلوه موضوع نقاش وجدال إلا موضوع الدين والآلهة ، وجاء عنه أنه كان يتجنب الدخول في مناقشات تتصل بالكائنات الإلهية غير المنظورة ، بل وكان يرفض الرد على أي أسئلة تتعلق بالإله أو السماء أو الحياة الأخرى ؛ فلم يكن يدعو لدين جديد أو يأمر بطقوس تعبدية غير اعتيادية بل كان يعيد تربية المجتمع على أساس الفضائل الكريمة.

إلا أن الفطرة التي تبحث عن الدين في أي شيء وفي كل شيء جعلت الصينيين اعتبرو دعوته ديناً جديداً بعد موته ، وبتطور الأديان الوضعية أصبحت الكونفوشيوسية دين منظم له معابده وإلهه الذي تُقدم بين يديه القرابين ، وأصبح يوم ميلاد كونفوشيوس موعداً يُحج فيه إلى المعبد الأشهر في الصين ، وهكذا تحولت تعاليم كونفوشيوس التربوية إلى تعاليم دينية إلهية يجب أن تُتبع وتُحترم.

ج) كتب الكونفوشيوسية:

لم يحرص كونفوشيوس على تدوين فلسفته وتعاليمه ، بل فعل ذلك تلاميذه بعد وفاته، وقد جُمعت تلك الأقوال في مجموعتين من الكتب ضمت الأولى منها: خمسة كتب[٢] نقلها كونفوشيوس من تراث الأقدمين ، وضمت الثانية : شروحات تلاميذه.

---

(١)(أحيا كونفوشيوس التعاليم الدينية القديمة ودون أصولها ، ولم يتعرض في دراسته الخاصة لمناقشتها وعقيدته هي ما كان يعتقده الصينيون القدماء) محمد أبو زهرة : " مقارنات الأديان ... الديانات القديمة " ، ص٨٨ .

(٢) الكتب الخمسة هي : كتاب الأغاني والشعر ، كتاب التاريخ : هو عبارة عن وثائق تاريخية عن الصين ، كتاب التغيرات : وهو عن تطور الحوادث الإنسانية بأسلوب فلسفي ، كتاب الربيع الخريف : وهو كتاب تاريخي ، كتاب الطقوس : فيه وصف للطقوس الدينية ، الكتب الأربعة هي من الشروحات التي دونها التلاميذ بعد موت معلمهم

(الكونفوشيوسية هي الدين الرسمي في الصين حتى عام ١٩١٢م، حينما تنازل امبراطور الصين عن العرش وقامت الجمهورية الصينية فاختفت الكونفوشيوسية رسمياً)[(١)].

ولم تقتصر دعوة كونفوشيوس التي تحولت إلى دين بعد موته على بلاد الصين فقط بل كانت سفيرة الصين للبلاد المجاورة ، حيث لاقت ترحاباً كبيراً في اليابان بشكل خاص وفي البلاد المجاورة بشكل عام.

تعاليم كونفوشيوس باقية إلى اليوم ، وإن لم تكن في شكل دين رسمي لكنها باقية في مناهج المدارس وباقية في تربية الأبناء وباقية في نفس كل مواطن صيني ، فقد غدت الصين اليوم شيوعية ليس لها دين رسمي إطلاقاً.

ثانياً: التاوية (أو الطاوية):

من حيث الوجود تعتبر الطاوية سابقة للكونفوشية على أرض الصين ، ولكن الكونفوشيوسية اشتهرت أكثر في كتب التاريخ ، وقد تعددت أسماء الدين الطاوي في الكتب والمراجع ليس إلا اختلاف ناقلين مترجمين .

هذه هي التي تستحق أن توصف بأنها دعوة دينية على الرغم مما تنطوي عليه من فكر فلسفي ديني معقد ، فقد كانت نفوس الصينيين تفتقد إحساس التصوف الديني وتشمئز من النزعة العقلية الجامدة التي تسود العقائد الكونفوشية ، وتتوق إلى عبادة تروي الغريزة الدينية لديها ، ومن أجل هذا عمد بعض الفقهاء الشعبيين إلى عقيدة "لودزه" [(٢)]، فصاغوها تدريجياً في دين جديد[(٣)]

كان يُطلق على مؤسسها المعلم العجوز "لاوتسو"[(٤)].

وتشمل : كتاب الأخلاق والسياسة ، كتاب الانسجام المركزي ، كتاب المنتخبات ، كتاب " منسيوس " وهو مجموعة كتب... محمد رضا القهوجي : " مقارنة الأديان " ، ص٢٩١ .

(١) محمد رضا القهوجي : " مقارنة الأديان " ، ص٢٩٣ .

(٢) تفرد هذا النص بذكر اسم مؤسسها بهذا اللفظ " لودزه " ، فقد أجمعت غالبية النصوص أنه " لاو تسي " ، أو بنهاية حرف الواو " لاو تسو ". أما اسم الدين فقد تعددت فيه الترجمات ما بين "تاوية " و "طاوية " و " داوية" و " تاوزمية ".. وهكذا .

(٣) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٤ ، م١ ، ص٢٥٩ بتصريف .

(٤) (الطاوية أو التاوية أو الداوية ، مؤسس هذه الديانة هو " لاوتسو " ، وكان قبل كونفوشيوس ، ومعنى اسمه المعلم العجوز ، والطاوية معناها السبيل أو الطريق) أسعد السحمراني : " موسوعة الأديان " ، ص٣٤٧ .

أ) مؤسسها:

قيل اسمه "لاو تسو" و "لاو تسي"، وقيل أيضاً : "لاوتز"، وجاءت أيضاً "لاو- تسزي" وغيرها ، ولكنها كلها تُشير إلى رجل واحد ؛ وقد سجل التاريخ لقاء المعلمان العجوز لاوتسو والشاب كونفوشيوس في مرات قليلة ، جمع بينهما الفكر الفلسفي وافترقا في المقصد وطريقة التطبيق.

(أساس التعاليم الطاوية وضعها رائدها الأول "لاو- تزيه"، الذي ولد قبل كونفوشيوس، ويعني اسمه السيد الكبير ، وقد اتصف بذكاء أكبر من المألوف) [١] .

ليس هناك الكثير ليُذكر عن حياة مؤسس الطاوية ، فكل ما ذُكر عنه كان يلفه الغموض حتى ظن البعض أنه شخصية خيالية من صنع رواة الأساطير وليس لها وجود على أرض الواقع ؛ ولولا وجود ذلك الكتاب الذي قيل إنه كتبه بنفسه لما تأكد وجوده.

والقصة باختصار أن "لاو- تزيه" شعر بالاستياء من مكائد السياسيين وفسادهم، فقرر ترك الصين والعيش في مكان منعزل بريف بعيد ، وعند وصوله إلى الحدود تعرف عليه أحد الجنود وسأله الحارس عن وجهته فلما أخبره بعزمه يعتزل الحياة طلب منه أن يكتب له كتابا يوصيه فيه [٢]، فأطاع المعلم وقام بكتابة كتابه الوحيد وسلمه لذلك الجندي ومن ثم اختفى ولا يعرف أين مات ولا متى.

ب) أفكار لاوتسي:

لم يدعو لاوتسي إلى دين جديد ولكن حدث لدعوته ما سبق وأن حدث لدعوة كونفوشيوس ، تحولت أفكاره بعد موته إلى دين ، فما تركه لم يكن يمت للدعوة الدينية بصلة إلا أنه كان في الإطار الغيبي ، فقد كانت له رؤيا فلسفية للكون والحياة. وحين البحث عن ماهيتها قالوا:

(التاوزمية دين صيني أسسه فيلسوف اسمه "لاوتز"، ويقوم على مبدأين:

---

(١) لمحات عن أديان العالم ، ترجمة : صادق الركابي ، ص٣٢٠ .

(٢) (أنت ذاهب للاعتزال أرجوك أن تؤلف لي كتاباً ، كتب لاو . تزيه كتاباً بجزأين حول " تاو " و" تيه " ، بلغت كلمات الكتاب حوالي خمسة آلاف كلمة ، لمحات عن أديان العالم ، ص٣٢٠ .

الأول أن القانون السماوي الأعظم هو أصل الحيـــاة والنشاط لجميـــع الموجـــودات في السماء والأرض، ولكنه ليس متعاليا على الموجودات بل هو فيها نفسها وهو ليس شخصا وليست له فردية منفصلة عن الأشياء التي هو ســـر حياتهـــا ووجودهـــا. والمبدأ الثاني: الاستقبال أي أن الأشياء تستقبل حياتها ونشاطها وشكلها ولونها بفضل الاستقبال)(١).

وفي حين وجه كونفوشيوس نظرة تلاميذه إلى الإنسان وابتعد عن كل ما هو كهنوتي غيبي ، جاءت فلسفة المعلم لاوتسي على النقيض تماماً من ذلك ، فقد اتجـــه بنظره نحو السماء وأنها هي القوة والنشاط لجميع المخلوقات ، وتلك القوة ليست شيئاً منفصلاً عن الموجودات بل هي عين الموجودات . وذكر أن الأشياء التي نراها في الحياة من حولنا هي كالمرآة التي تستقبل أشعة الشمس وتعكسها شمس أيضاً ، فهي تعطي تلك القوى شكلها والقوى تعطي الأشياء قدرتها.

وقالوا أيضاً:

(الداوية عقيدة وضع أسسها حكيم صيني هو لاوتسي، واسمه يعني "الفيلسوف العجوز"، وهذه العقيدة قريبة الشبه من مذهب وحدة الوجود الذي يوحد الخالق والمخلوق إذ هما شيء واحد ، أو أن الداوية قريبة من مذهب الحلول أي أن الخالق يحل في كل الموجودات) (٢).

هذا هو الوصف الأمثل لها ، إنها شيء قريب من مذهب الحلـــول والاتحـــاد وأن الخالق حال في كل الموجودات ، وما من شيء في الوجود إلا هو صورة من مجسدة من صور الإله ، وحين سُأل عمن هو "داو" هذا قال:

(داو هو البداية العظمى لجميع الأشيـــاء في العالم ، وأن الناس الذين يريـــدون أن يحيوا حياة صالحة يجب أن يتبعـوا "داو"، ويؤمن لاوتسي أنه ليس من الضـــروري أن يتعلم الناس شيئا من أجل أن يعرفوا طريق الله ، ومعنى ذلك أنه من واجب الصالحين

---

(١) الشهرستاني : " الملل والنحل ذيل الملل والنحل " ، ج٢ ، ص٢٦ .

(٢) حسن نعمة : " موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١١٣ .

أن يكونوا جهلة) [١].

اعتقد أنهم يقصدون من " داو" هو "طريقة التفكير" الواجب اتباعها، ولكن بالنظر إلى المراد منها فهي تعني "طريقة الامتناع عن التفكير".

وتقوم الفكرة الطاوية على احتقار العلم والتعليم ، وأن التفكير أمر سطحي لا خير فيه ، وأن الجدل والنقاش يضر الحياة أكثر مما ينفعها ، وأن المعرفة طريق الهلاك، ويعترف الطاويون بجمال الحياة في الجهل وعدم العلم فلتسيرهم الطبيعة وفق الآلية المقدر لها[٢].

ولست أرى فيها أي نوع من أنواع الفلسفة ، فما هي إلا دعوة لحياة الجهل والركادة واللاإرادية ، كما أستطيع أن ألمح بها ملامح صوفية من مثل أولئك الذين يهيمون بحياة الاتكالية ويعشقون التأمل في الملكوت بدون عمل أو عبادة. ويقال إن العصر الذي شهد ظهور لاوتسي وكونفوشيوس هو عصر الفلسفة والاستنارة في بلاد الصين ، لكن والحق يقال إن كانت بلاد الصين قد اقتصرت في فلسفتها على لاو تسي بدون كونفوشيوس ما كانت أصبحت ما هي عليه اليوم.

(تتركز معظم أفكاره حول طبيعة السبب الأول المعروف باسم تاو أو "طاو"، وتتمحور فلسفته حول مفردتي "تاو" و"تيه" أي الطريق والفضيلة ، فهو يرى أن المجتمع كان طاهراً في البداية لأن الناس يعرفون التاو وكان العالم سعيداً ، ولكن عندما اكتسب الناس المعرفة تعقدت الحياة وأصبحت زاخرة بالشقاء) [٣].

تاو أو طاو هو القوة التي تقف وراء كل ظواهر الطبيعة، وإذا قسنا هذا الأمر بمقياس الأديان الصحيحة يعد "تاو" هذا في مقابل الخالق الأول ورب الأكوان "الله"، فهو المسؤول عن الكون والطبيعة ، ولكن الفلسفة عند المعلم مضطربة في شرحها ، ففي حين يذكر أن الطبيعة خلقت الطبيعة والإنسان ، ثم يناقض ويقول التاو : هذا هو العدم وهو مصدر الإبداع ولكن العدم ليس فراغاً.

---

(١) الحسيني الحسني معدى : " الأساطير الصينية واليابانية " ، ص٢٣٢.٢٣٣ .

(٢)(تدعو العقيدة الطاوية الإنسان إلى الابتعاد عن العلم ، والعمل ، والحكيم هو من ينبذ العقل ولا يعمل شيئاً) مي السديري : " حضارات " ، ص١٩٦ .

(٣) لمحات عن أديان العالم ، ص٣٢٠ . ٢٢٣ بتصريف .

(التاو لا يمكن وصفه بصيغ الإثبات ، بل بصيغ النفي، فنحن لا نستطيع أن نقول ما هو؟، بل ما الذي ليس هو ؟، إنه اللاشيء الذي تحتاجه كل الأشياء لتكون ذات فائدة) [١].

وقد صاغ لاوتسي فلسفته بنفس المنهج التي انتهجه من سبقه من مؤسسي الأديان الوضعية ، فقد كان في البدء واحد وهو الذي خلق ثان ومن الثاني خُلق العالم [٢]. وحتى يُقرب معنى فلسفته من أذهان العامة قام بضرب مثال فقال إن القدرة الموجودة في الماء والمأخوذة من الطاو تجعله يستسلم لما يجري له ، فتجد الماء يصل إلى أماكن يصعب على غيره الوصول إليها فقط لأنه استسلم واستكان وهدأ ، لم يتعلم ولم يُقاوم . إنها نظرة فلسفية خاصة بالمعلم العجوز ؛ كان يعلم الناس كيف يتركوا الحياة تسير بهم في أبسط صورها.

وهناك من عرفها أيضاً ببساطة أكثر فقال:

(فكرته الأساسية عبر عنها بكلمة "تاو" أن المثل الأعلى في تعاليمه هو أن يسمح الإنسان للطبيعة أن تعمل في حياته كيفما تشاء) [٣].

بعد وفاته...

(تحولت التاوية من نظرية فلسفية تقوم على أساس الحدس الصوفي إلى ديانة للخلاص ، ومن مسألة تأمل شخصي إلى كنيسة منظمة ذات نظام كهنوتي، أي تحولت إلى ديانة على نحو ما كانت عليه البوذية) [٤].

قد ظل هناك اعتقاد سائد في المجتمع الصيني أن لاوتسي هو معلم بوذا الحكمة، وأن البوذية ما هي إلا صورة معدلة من التاوية وافدة من الخارج. ولم تكن الكونفوشية

---

(١) فراس السواح : " دين الإنسان " ، ص٢٤٦ ـ ٢٤٨ .

(٢)(يبدو أن صدور الأشياء عن التاو الفارغ لا يتم على درجة واحدة بل على درجتين ، فالمجهول بلا اسم ينتج معلوماً وهذا المعلوم ينتج الآلاف المؤلفة : والآلاف المؤلفة من أشياء هذا العالم قد ولدت من شيء ، والشيء قد ولد من لاشيء) المرجع السابق .

(٣) حبيب سعيد : " اديان العالم " ، مرجع سابق ، ص١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٤) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٣٤٤ .

طرفاً في هذا الصراع ، فقد بقيت راسخة الأقدام عقيدة للمثقفين وعِلية القوم في المجتمع الصيني ؛ كانت تمثل لهم التراث الكلاسيكي القديم للحكمة الصينية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

أشهر الآلهة في بلاد الصين:

كان لدى الصينيين عدة آلهة محلية بالإضافة للأجنبية الوافدة ، وأقيم لها معابد وتحتوي على هياكل تقام فيها الصلوات وتقدم بين يديها القرابين ومن أشهرها [1]:

- **الين واليانغ** : الين مؤنث مظلم ويرمز إلى الأرض وهو متوحد مع الأبالسة، أما اليانغ فهو مذكر إيجابي وهو يرمز إلى السماء .
- **تشاى** : هو الابن الأثير في البدء كان خلية واحدة ثم انقسم إلى الين واليانغ بفعل تدخل القوة طاو ، ومنها بدأ الخلق بالظهور وذلك بظهور اثيرين متضادين.
- **تومو** : ربة تمثل نجمة الشمال وهي مركز النظام النجمي وكل النجوم تدور حولها.
- **تيان** : الإله الأعلى ومعنى اسمه السماء وهو سيد الآلهة.

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان الصين القديمة

الفلسفة الصينية قامت على النظرة الثنوية للأحداث الكونية في أساسها والتي تحدث بفعل قوتين في الكون متضادتين في الصفات ومتكاملتين في الأفعال. ولم تكن أديان بلاد فارس هي مصدر تلك الفكرة على الرغم من وصولها لبلاد الصين؛ ففكرة الثنوية الصينية موجودة منذ القدم في التراث الصيني فيما عرف بثنوية الين واليانغ .

---

(١) حسن نعمة : " ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١١٤ .

(يقوم الفكر الصيني منذ أقدم الأزمنة على النظر إلى الحياة والإنسان والوجود بأكمله على أنه نتاج حركة قوتين ساريتين في كل مظاهر الوجود هما الـ "يانغ" والـ "ين"، الموجب والسالب ، المذكر والمؤنث وهاتان القوتان عبر تعارضهما متعاونتان ، ولا قيام لأحدهما في معزل عن الأخرى ، فهما أشبه بالقطب السالب والقطب الموجب في قضيب المغناطيس) [١].

ترى الثنوية الصينية أن كل قطب من القطبين لا يقوم بمعزل عن القطب المضاد له، ولكل قطب منهما صفات مضادة لصفات القطب الآخر، وتلك الصفات هي التي تحدد نوعية ما ينتج عنه من مظاهر الكون .

- فإذا غلب اليانغ الموجب على الين السالب نتج عن ذلك كل ما له صفة موجبة.
- وإذا غلب الين السالب على اليانغ الموجب نتج عن ذلك كل ما له صفة السالب

وعلى ذلك يقوم نظام الكون ، فكل ما فيه من موجودات هي نتائج أقطاب الخير والشر التي تمثل النور والظلام ، الحياة والموت ، الذكر والأنثى. وتعتبر تلك صورة للفكرة الثنوية مغايرة عما هي عليه في بلاد فارس من فكرة القوتين المتضادتين المتحاربتين، فتشبيه الفكرة هنا بقضيب المغناطيس فيه تقريب أوضح للصورة ، فهما قطبان متجاذبان لا متنافران، الين واليانغ في كون واحد لا نتاج لأحدهما دون وجود الآخر.

وكما ذكرت أن الثنوية الصينية على النقيض تماماً من الثنوية في إيران من حيث العلاقة بين الضدين ، ففي إيران هما مُتحاربان يحاول أحدهما أن يلغي وجود الآخر لكي يستحوذ على الكون بمفرده . ونستطيع القول : إن الثنوية الصينية هي الأقرب والأبلغ في التعريف بالثنوية الكونية الحقيقية القائم عليه نظام الكون بالفعل من قبل الخالق جل وعلا ، فالكون قائم على وجود الأضداد وتفاعلها مع بعضها البعض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ويكمن الفرق بينهما أن قانون الكون الضدي الذي يقوم عليه الكون هو من قبل الخالق تعالى لكن قطبي الثنوية في الصين هما القوتان الخالقتان

(١) لاو تسو : " التاو ... تي . تشينغ ... أنجيل الحكمة التاوية في الصين " ، ص٩ . ١٠ .

لما في الكون.

وأسطورة الخلق الصينية القديمة التي تنسب أمر فصل السماء عن الأرض إلى "بانكو" الذي كان داخل البيضة ، ورد فيها ذكر القوتين العليا الصافية والسفلى الكدرة أي سالبة وموجبة .

(لقد كافح بانكو لعشرات الآلاف من السنوات من أجل خلق السماء والأرض التي كانت مفقودة تماما ، والذين قد فصلوا إلى الأبد إلى قوات "ين" التي تمثل الظلام وقوات "ينج" التي تمثل الضوء) (١).

تعتبر فكرة ثنوية الكون قديمة في الفلسفة الصينية ففي حين نشأ الكون من القوى الثنوية المتضادة كان في الكون الطبيعة المتضادة أيضاً .

(منذ وقت مُمعن في القدم كان الصينيون يعبدون الطبيعة ، وفي تلك الأيام كانوا يعتقدون أن كل شيء في الطبيعة له روح ، فقسموا أرواح الطبيعة إلى مجموعتين : أرواح خيرة تفعل الأشياء الطيبة للناس، وتسمى "شين"، وأرواح اسمها "كوى" وأن الشر مصدر الأرواح الشريرة المسماة "كوى ") (٢).

لقد استوعب الصينيون عقيدة الثنوية بمفهوم عقلي على أنها أمر كوني بحت بعيد كل البعد عن أي نظام كهنوتي أو قوى لاهوتية غيبية ، أي أنه لم يطلب يوماً من أحد أن يُعبد الين شكراً وعرفاناً أو أن يقدم قرباناً لليانغ حتى لا يغضب ويأمن شره، وحين تكلم الصينيون عن الين واليانغ كان حديثاً فلسفياً قائماً على منهج عقلاني يفلسف ما حوله ليقدمه في صورة معقولة ومقبولة ، ولم يكن مقصدهم استشعار عظمة الين أو الوقوف بجانب اليانغ لينتصر ويسود الكون المحبة.

(ينتقل المعتقد عند الكونفوشية- بعد الإنسان- إلى الثنائية التي تحكم نظام

---

(١) الحسيني الحسني معدي : " الأساطير الصينية واليابانية " ، ص٢٤ .

(٢) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

الأشياء ومن ثم إلى العناصر الخمسة ومتعلقاتها ، فهي أساس الحركة في السنن الكونية، الكون عندهم دينامي متحول وصيرورة لا تتوقف من ذلك نشأ مفهوم "يان يانج".

١- **الـ "يانج"**: يدل على الطرف المضيء الجبار القاسي والمذكر.

٢- **الـ "ين"**: يدل على الطرف الآخر المظلم البارد العذب والمؤنث.

وقد اختير هذان الطرفان لأنهما مختلفان تماماً ومتكاملان إنهما يحكمان الأرض) [(١)]. فثنوية الصين نظام يقوم عليه التحولات الكونية وصيرورة الزمن التي لا تتوقف. وما فهمته من وصفه بأنهما يحكمان العالم ، أي وفق تكوينهما وتغلب قوة أحدهما على الآخر تصير كل الأشياء في الكون من موجبة وسالبة .

ويعتبر كتاب التغيرات المسمى "إي- جنج " [(٢)] أقدم وثيقة ورقية مكتوبة حفظها التاريخ التراث الصيني القديم ، والذي استمد منه كونفوشيوس معظم آدابه وحكمه، وقد جاء فيه أن الثنائية الرمزية المعروفة باسم "الين واليانغ" هي مصدر الحقائق الكونية.

(أن الأثنينية المتناقضة في الحقائق الواقعية ، أن اليانج والين أي الفاعلية والانفعال يمتزجان في كل مكان امتزاج الذكورة والأنوثة ، وأن "اللى والجي" أي القانون والمادة يتعاونان معاً للتحكم في جميع الأشياء وإكسابها صورها) [(٣)]. ليس هذا كل شيء فلابد للإثنان من واحد أول ... (لكن من فوق هذه الصور شيء يجمعها ويؤلف بينها وهوالتاي جي أي الحقيقة المطلقة ، أو قانون القوانين غير البشري وأن هذه الحقيقة المطلقة هي التنين أو السماء)[(٤)].

وبتفكيك النص السابق إلى صورة بسيطة ميسرة قريبة من الأذهان أقول:

- أن هناك قوة عليا تعرف باسم "التاي جي أو الحقيقة المطلقة".
- ويأتي من بعدها القوتين المتضادتين في الكون "اليانج والين أو الفاعلية والانفعال"

---

١) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان" ، ص١٨٠ - ١٨١ .

٢) تقول الرواية أن هذا الكتاب قد كتبه ون وانج أحد مؤسسي أسرة جو في سجنه وإن أبسط مبادئه مستمدة من فوشي الذي عاش قبله بزمن طويل ... ول ديورانت : " قصة الحضارة " ج٤ ، م١ ، ص٢٧ .

(٣) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ج٤ ، م ١ ، ج ٤ ، ص١٦١ .

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ج٤ ، م ١ ، ج ٤ ، ص١٦١ .

- يمتزجان مع بعضهما البعض مع محافظة كلاً منهما على طبيعة تناقضهما.
- من هذا التمازج يتم "التحكم في جميع الأشياء واكسابها صورها".

إن الين واليانغ متناقضان نعم ومتضادان هذا صحيح ، لكنهما ليسا طرفين خصمين في حرب كونية ، بل على العكس لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا نتاج لطرف منهما في ظل غياب وجود الطرف الآخر ، فالوصف الصحيح لهما أنهما متكاملان في الفعل والإنتاج وبدون وجودهما معاً سينتهي هذا الكون ، وبحسب ما تقوله الداوسية "الطاوية":

(إن انشطار النور والظلام إين وإيان والموجب والسالب ، كان أمراً ضرورياً لكي تتحقق الحركة " إين أحياناً وإيان أحياناً) [(١)].

كما هي النظرة الثنوية الكونية مختلفة في التراث الصيني ، كذلك اختلفت نظرتهم إلى مفهوم الخير والشر.

(الخير والشر إن هما إلا لفظان تسمى بهما الأشياء حسب ما فيها من نفع أو أذى للفرد ، أو لبني الإنسان- وحين سُئل عن مكان وجود الخير والشر- قال : الخير والشر لا يوجدان قط في الأشياء نفسها بل يوجدان في العقل)[(٢)].

وقد يكون في منطقهم بعض الصحة، فحقيقة الكائنات وأفعالها ليست في حد ذاتها خير أو شر، فبحسب توجيه الإنسان لها تكون ، وبحسب الأثر الباقي وراءها تصنف.

وقد تحدث الطاويين وأسهبوا في وصف فاعلية الين واليانغ في الكون حتى أنهم جعلوا لهم رمزاً شكلياً يُعرف به ، وله مكانة قدسية نوعاً ما ، وقد اتخذ ذلك الشعار حلية يتزين بها ممن هم من فئة الشباب وغالبيتهم لا يعرفون دلالاتها.

---

(١) أ . س . ميغوليفسكي : " أسرار الديانات القديمة " ، ص٣٦١ .

(٢) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٤ ، م ١ ، ص١٦٤ .

(يرمز للتاو في الفكر الصيني بدائرة فارغة هي المبدأ الأول قبل ظهور الموجودات، وأيضاً بدائرة يتناوب فيها الأبيض والأسود أو اليانغ والين هي المبدأ الأول بعد ظهور الموجودات التي نجمت عن دوران القوتين القوة الموجبة يانغ، والقوة السالبة ين فإذا غلب اليانغ كان الشيء ذا طبيعة موجبة وإذا غلب الين كان ذا طبيعة سالبة) [١].

أي في كل شيء إيجاب شيء من السلب وفي كل شيء سلب شيء من الإيجاب. وأن حدود الدائرة الفارغة تمثل الكون قبل أن تُخلق به المخلوقات في حالة العماء – كما يطلق عليها الفلاسفة – ومن ثم صدر عن العماء القوتان المتضادتان الين واليانغ واللذان كان ارتباطهما ببعض هو سبب وجود كل الموجودات في الكون بنوعيها السالبة والموجبة ، إذا غلب اليانغ ظهر كل ما هو إيجابي في الكون ، وإذا غلب الين ظهر كل ما هو سلبي فيه .

إنها هي ذاتها ملامح الفكرة الثنوي الكونية في كل مكان وزمان ، لكن لابد لها من سمة جديدة ومختلفة حتى تناسب بيئتها الجديدة ، ففي حين كانت أقطاب الثنوية الفارسية في حالة صراع دائم تبقى أقطاب الثنوية الصينية في حالة تصالح وتعاون دائم. (هذه الأقطاب ليست في صراع مع بعضها من أجل سيادة واحدها على الآخر وإلغائه، "كما هو الحال في الفكر الثنوي الشرق أوسطي، حيث يتصارع الحياة والموت، الخير والشر، الرحمن والشيطان، سيت وحورس، أهورامزدا وأهريمان، بل إنها تنشأ معاً، ويتخذ كل ضد معناه من ضده، حيث لا نور بلا ظلام، ولا خير بلا شر) [٢].

ومن ناحية فلسفية نقول : أنه لا يتطابق المفهوم الذي تقدمه التاوية مع أي مفهوم آخر عما نعرفه من صفات للألوهية الخالقة للعالم ؛ فالصينيون عبر تاريخهم لم ترق لهم مفهوم الإلوهية المشخصة المفارقة للعالم بشكل جدي ، ولم يكن في تصورهم إله يتربع على العرش ويكون بيده خلق الكون وتسيره ، فالكون لديهم يسير وفق نظام ثنوي منضبط ولا نهائي. فكل ما كان في الكون وما هو كائن وما سيكون في حالة تناوب

---

(١) فراس السواح : " دين الإنسان " ، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٢) فراس السواح : " لاوتسو التاو تي ـ تشينغ انجيل الحكمة التاوية في الصين " ، ص١٠ .

تلقائي. فإذا بلغ اليانغ أعلى قمة له في الارتفاع تحول إلى الين ، حتى إذا بلغ الين أدنى نقطة له في الانخفاض تحول إلى اليانغ مرة أخرى ، وهكذا إلى مالا نهاية في دورة دائبة؛ وهذه الدورات هي التي تنتج موجودات الكون بنوعيها المتضاد.

وقد كان عامل البعد الجغرافي بين موطن الحضارة الصينية وموطن حضارات الشرق الأدنى سبباً في عدم انتقال الأفكار وتبادلها ، فلم نر مثيل لفكرة الين واليانغ في تلك الحضارات لا في بابل ولا مصر ولا فارس وحتى الهند وهي عنهم ليست ببعيدة.

وقد عُرف عن بلاد الصين أنها من أصعب البلاد تقبل لكل ما هو غري ، وإنه من أكثر الشعوب تمسكاً بأساطيرها وحكمة فلاسفتها ، ومن أشدها إظهاراً للاكتفاء بما يتوفر لديهم ؛ ومما يؤكد أهمية فلسفة الين واليانغ وجودها في كل كتب الأديان الصينية وبتعبيرات مختلفة. وقد نسب بعضهم فكرة "الين واليانغ" إلى الطاوية بالذات، حتى أصبحت علماً عليها . إلا أن بعض المصادر الأخرى تؤكد أن الين واليانغ هو تراث فلسفي صيني قديم قبل كونفوشيوس وقبل لاوتسي، لكنه لم يرد عن كونفوشيوس أنه تحدث فيه لأنه لم يتطرق إلى الحديث عن أمور كونية غائبة مؤثرة ، فقد تجنب الخوض فيه طوال عمره.

أما لاوتسي فقد كان هذا هو مجال فلسفته ، الغيب الكوني وكيف يعمل ودور الإنسان فيه ؛ فقد حث لاوتسي أتباعه على الاستسلام للطبيعة الخالقة ، فلها نظام تسير عليه وتعرف عملها "الين واليانغ" وأن معارضتها لن تجر على الإنسان غير الهلاك.

(في الفلسفة الصينية القديمة كان المحور الأساس الذي قامت عليه هذه الفلسفة هو تقسيم كل ما هو موجود إلى مبدأين متعاكسين : المبدأ الذكري "إيان" إيجابياً الذي ارتبط بالشمس وكل ما هو مضيء ، والمبدأ الأنثوي "ين" الذي ارتبط الأنثوي بالقمر وكل ما هو مظلم كدر ؛ ولكن المبدأين حسب هذه الفلسفة كانا مترابطين ومتفاعلين بانسجام تام ، وكل ما هو موجود ليس سوى ثمرة هذا التفاعل) [(١)].

وقد قيل إن تاريخ ظهور نظرية الين واليانغ كان قرابة القرن الرابع قبل الميلاد؛ ومعلوم

---

(١) أ . س . ميغوليفسكي : " أسرار الديانات القديمة " ، ص٣٣٣، ٣٣٤ .

أن فلسفة زرادشت التي اعتبرت العلة الأولى لمثل هذا النوع من النظريات كانت في القرن السادس ق.م. ولست ممن يعتقدون بوجود تأثير بشري في تماثل النظريتين، ولا أملك سوى تعليل واحد من وجهة نظري ، إن هي إلا وحدة الضلالات الشيطانية والتي أفرزت في بلاد فارس ثنوية يزدان وأهريمان وأفرزت في بلاد الصين ثنوية الين واليانغ.

أعلم أني سبق وأن ذكرت أن أديان بلاد فارس قد وصلت إلى الأراضي الصينية، إلا أن هذا لا يعني أن فلسفة اليانغ والين هي من آثارهما ، فقد وصل إلى الصين تجار ودعاة دين فارسيين في تاريخ لاحق لما في التراث الصيني عنهما.

(في عام ٦٣١م وفد أحد السحرة المزدكيين إلى الإمبراطور فاستقبله عاهلها، واستقبلت البلاد بعده في عام ٦٧٧ ملك فارس اللاجئ فيروز الثالث، وتتابعت القوافل المشردة من بينها من يؤمن بالنسطورية والمانوية ، وفي هاتين الديانتين وميض من الأفستا غير مستهجن على الصينيين ، فغرست هنالك بذور تلك الديانات بدءاً من مطلع القرن الثامن للميلاد) [١].

وقد وصفهم النص أنهم أتوا بأفكر غير مستهجنة ؛ فالصينيون نفورون بطبعهم من كل ما هو غريب والفكر الثنوي ليس غريباً عليهم ، وفكرة الين واليانغ معروفة في تراثهم وإن اختلفت بعض التفاصيل.

(قد دخلت المانوية الصين بمثابة طريقة للحركة التوفيقية، حتى أنه جرى إقرار كتابين من كتب ماني في العقيدة الطاوية) [٢].

وصلت المانوية إلى بلاد الصين عن طريق البعثات التبشيرية التي كان يرسلها ماني، واستطاع المبعوث المبشر أن ينتزع موافقة الإمبراطور في بناء معبد لكي يتمكن من أن يقيم فيه طقوسه التعبدية ، وتمتعت المانوية بمكانة عالية داخل الصين في القرن الحادي عشر وحتى القرن الرابع عشر للميلاد ، حتى أنه تم اعتماد كتابين من كتب ماني ضمن

---

(١) سامي أبو شقرة : " موسوعة الأديان " ، ج٢ ، ص٣٥٤ـ ٣٥٥ .

(٢) جيووايد نغرين : " ماني والمانوية " ، ص١٦٩ـ ١٧٠ .

التراث المكتوب للعقيدة الطاوية ، ولكن الديانة المانوية لم تستطع أن تصمـــد طويـــلاً في بلاد الصين فهي ديانة أجنبية ولم تصطبغ بالصبغة الصينية.

ومن ثم ظهرت حركة جديدة تتبنى فكرة ثنائيــة "الين واليانــغ" ولكن باسم جديد ؛ ونستطيع اعتبارها المظهر الثاني من مظاهر المعتقد الثنوي بعد تطورهـــا.

(قامت حركة فلسفية كان لها أثر في التاريخ الديني حركة الكسمولوجيين) [1].

رائد تلك الحركة ومنظم فكرها هو "تسو ين" وكان ذلك في أوائل القرن الثالث ق.م. وقد عرف أتباع مدرسة تسو ين باسم مدرسة "ين يانج" ، وكلمة "ين" تعني حرفياً الجانب المظلم كما تعني كلمة "يانج" الجانب المشمس.

(وردت كلمتي الين واليانج كمقولتين في النظرية الكسمولوجية الثنائية أي: النور والظلمة ، والذكر والأنثى، ويعدان مبدأين كسمولوجيين كونيين تنتج ظواهر الكون كلها من خلال التفاعل بينهما) [2].

الخلاصة:

على الرغم من حضارتها الوليدة مقارنة بحضارات بلاد الشرق ، ولكنها بالنظر إلى الدول المجاورة لها تعتبر من أقدم الأراضي سكناً من قِبل الجنس البشري تلك هي الحضارة الصينية. كانت سر الأسرار بالنسبة للغرباء عن أرضها ، وصف بأنه تراث منغلق على نفسه، لم يفتح أبوابه للدارسين المتخصصين للإطلاع عليه إلا منذ وقت من عمر الزمن وذلك حين ترجمت كتب التراث الصيني فوجد الباحثون ما لم يكن يتوقعون .

لقد وجدوا فكراً مختلفاً وفلسفة مختلفة وكذلك نظرة على الكون والعالم مختلفة أيضاً

---

(١) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٣٣٧ .

(٢) المرجع السابق .

ولست في معرض دراسة كل ذلك ، فما يعنيني منها هو ما يتصل بالتراث الديني الثنوي فيه ، ذلك هو ما تناولته بالتفصيل .

الدين في الصين إجمالاً يمثل سلوك حياة وليس أوامر تعبدية ؛ فقد عني الحكيم الأول كونفوشيوس بتربية النشء أكثر من عنايته بزيارة المعابد وتقديم القرابين فقد حوّل أنظارهم من النظر والتأمل في الطبيعة الخالقة إلى النظر في السلوك الإنساني الفاعل فهو الأهم في المنظومة الحياتية المعيشية اليومية ، فكانت دعوته على عكس دعوة المعلم الأول لاوتسي ، التي قامت على مبادئ صوفية تتمثل في استسلام الإنسان " للتاو" وأن يتركه يعمل به ما يشاء ، فهو يسير وفق ترتيب كوني منظم .

اشتهرت الصين بثلاث اديان اجتماع معاً فأصبح الفرد الصيني "كونفوشيوسي في تربيته وطاوي في سلوكه وبوذية في عبادته" لكن ذلك لايعني أنه لم تعرف الثنوية !!

عرفت الفكرة الثنوية بصورة تختلف في ملامحها عن الثنوية الفارسية ، ألم أقل أن كل ما هو على أرض الصين صيني ، كذلك الفكرة الثنوية على أرض الصين هي ثنوية صينية تُعرف بقوى "الين واليانغ"، فكل ما في الكون من موجودات هي نتاج تفاعلهما معاً، وحركتهما الدائمة هي لازمة للاستمرارية الكون وصيرورة الأحداث. الكونية بنوعيها الخيرة والشريرة ، الاختلاف الملحوظ في فلسفة الثنوية الصينية "الين واليانغ" أنها ليست في حالة صراع على البقاء إنما تعاون للبقاء.

ولا يمكن أن تكون بتأثير من اديان فارس لاختلاف الصورة وعمق التاريخ.

المبحث الثامن

الثنوية في أديان بلاد اليابان القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد اليابان القديمة.**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد اليابان القديمة.**

(تمهيد)

حضارة بلاد اليابان هي الأحدث تاريخياً ضمن كل ما سبق بحثه من حضارات، وقد عدها الباحثون النسخة اليابانية من الحضارة الصينية ، هذا ليس تجاوزاً للحقيقة فقد استمد الشعب الياباني غالبية علومه ومعارفه- إن لم تكن كلها- من بلاد الصين، بدءاً من طريقة اللغة وأسلوب الكتابة مروراً بأصول الثقافة وحتى التراث الديني والأسس القائم عليها ، وباختصار كل ما يلزمهم لإقامة حضارة ودولة يابانية كان من أصول

صينية [١]. وقد دأبت اليابان منذ البداية على إرسال بعثات إلى الصين والدول المجاورة ليتعلم أفرادها كيفية بناء الدولة وكيفية تسيير أمورها الوظيفية والتنظيمية ومن ثم العودة إلى اليابان ليتم صهر ما تعلموه في بوتقة الملامح اليابانية.

وقد أكون بدأت بحديث الحضارات قبل حديث المواقع والجغرافيات ليس لشيء إلا لأن موقعها ليس فيه الكثير ليذكر، موقعها هو البحر، فبلاد اليابان مجموعة أرخبيل تابعة لقارة آسيا.

(تتألف اليابان من عدد كبير من الجزر تمتد على شكل قوس شمال خط الاستواء، وأهم تلك الجزر هي: هوكايدو ، وهنشو شيكوكو ، وكيوشو) [٢].

تحديداً يقع قوس الجزر اليابانية على حافة القارة الآسيوية [٣]، وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من الجزر تتفاوت فيما بينها من حيث المساحة والقابلية للسكن، لست أرى فائدة من ذكر حدودها فالبحر هو حدودها من كافة جهاتها.

- فحدودها الشمالية والشرقية : يلامسها المحيط الهادي.
- وحدودها الغربية: يلامسها بحر اليابان.
- وحدودها الجنوبية: يلامسها بحر الصين.

عُرف عن اليابانيين عشقهم الغريب لأرضهم ، هي ليست محبة عادية بل وصلت إلى حالة من التقديس الإلهي لتلك الأرض التي خلقتها الآلهة ، فتاريخ اليابان مليء بقصص وأساطير ملوكهم وأصول شعبهم الأول ، ولكنهم يملكون أسطورة واحدة فقط أجمعوا عليها ، أسطورة واحدة تكاد تتطابق في كل الكتب والمراجع التي بحثت فيها.

---

(١) (شعب اليابان من الشعوب الفتية فلا يبدأ تاريخها المعروف قبل القرن الخامس بعد ميلاد المسيح ، وأقدم الوثائق اليابانية التي يعتمد عليها المؤرخون لا تبعد إلى أكثر من القرن الثامن ، وحضارتها مشتقة في أصولها من حضارة الصين) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص١٣٥ .

(٢) موقع إلكتروني : مدونة اللغة اليابانية http://www.hasanjp.com . مقال بعنوان : " اليابان " ، الأربعاء نوفمبر ، ٢٠٠٨م .

(٣) أدوين ريشاور : " تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما " ، ترجمة : يوسف شلب الشام ، دار علاء الدين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ، ص٥ .

أسطورة خلق جزر اليابان:

تقول الأسطورة ...

بداية لم يكن شيء سوى الماء لم تكن هناك يابسة ، فاجتمع شيوخ الآلهة في السماء وتشاوروا أنه لابد أن ينزل أحد لستكشاف المكان وبناءه ، وبما أن البناء يحتاج إلى جهد ومشقة فقد وقع الاختيار على إلهين شابين ذكر وأنثى من آلهة السماء، وصدر لهما الأمر أن ينزلا من السماء ليخلقا الأرض ويقيما عليها الحياة ؛ وبالفعل نزلاً من الأعالي على القوس- قوس المطر- المتصل بين السماء والأرض ووقفا عليه يتأملان الماء من حولهما .

هذه تفاصيل مجملة متفق عليها من كتب التاريخ اليابني ، لكن كان لصاحب قصة الحضارة سياق آخر لنفس القصة وببداية مختلفة...

(في البداية كانت الآلهة ، ، حتى صدر الأمر من شيوخ الآلهة إلى اثنين منها هما "إيزاناجي وإيزانامي" أن يخلقا اليابان ، فوقفا على جسر السماء العائم وقذفا في المحيط برمح مرصع بالجواهر ثم رفعاه إلى السماء فتقطرت من الرمح قطرات أصبحت هي الجزر المقدسة ، وتعلمت من الضفادع سر اتصال الذكر بالأنثى والتقى الزوجين وأنسلا الجنس الياباني . ومن حفيد إيزاناجي نشأ كل أباطرة "دي نيبون" أي اليابان العظمى، فمنذ ذلك اليوم لم تشهد اليابان إلا هذه الأسرة الحاكمة الإمبراطورية) [1].

فجزر اليابان أرض مقدسة لأنها من خلق الآلهة ، والملك هو أيضاً من نسل الآلهة. وعلى الرغم من تلك الأسطورة الإلهية لخلق جزر اليابان ، إلا أنها أكثر بقاع العالم تعرضاً للكوارث الطبيعية [2]. فهي لم تولد من قطرات الرمح الإلهي بقدر ما ولدت من رحم الزلازل والكوارث .

---

(١) ول ديورانت : " قصة الحضارة ... اليابان والشرق الأقصى " ، ج٥ ، م١ ، ص٨ .

(٢) حدث في سنة ٥٩٩م ، أن ابتلعت الأرض قرى كامله وهوت الشهب ولمعت المذنبات ، وقضى من اليابانيين الألوف، وكذلك حدث سنة ١٧٠٣م ، أن قضى زلزال على اثنين وثلاثين ألفاً في طوكيو ؛ وفي زلزال آخر أتت موجة المد والنار على مئة ألف نفس في طوكيو ، " قصة الحضارة اليابان لول ديورانت " ، ج٥ ، م ١ ، ص١٠ .

والسؤال الذي يطرح نفسه على اليابانيين هو: كيف تجرأت الطبيعة على تدمير أرض الآلهة وإلحاق كل هذا الخراب والدمار بها،كما تدعون؟.

لم يكن هدف قصة الخلق تلك مجرد تقديس الأرض فقط بل كان الهدف هو أبعد وأعمق من ذلك ، كانوا يهدفون من وراء ذلك ربط الفرد الياباني بأرضه وضمان ولائه الكامل والتام لها ، فهي ابنة الآلهة التي يجب تعظيمها وأن تكون محبتها طاغية على أي محبة وأن يكون دفاع المواطن الياباني عن أرضه دفاعاً مستميتاً ضد أي قدم غازية وليست زائرة . ولم يحدث أن تعرضت اليابان للاستعمار أو الهزيمة خلال تاريخها إلا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في أشهر مأساتين عرفتهما البشرية على مر عصورها التاريخية حين ألقيت عليها قنبلتين نوويتين، تم بها تدمير مدينتي "هيروشيما [١] وناجازاكي في الحرب العالمية الثانية [٢] " [٣].

هذا ما كان من أمر الأرض اليابانية ، لكن ماذا بشأن الشعب الياباني؟.

الأصول العرقية التي استوطنت تلك الجزر لا تخرج عما كان سائد في ذلك الجزء

---

(١) أنشئت مدينة هيروشيما على دلتا نهر أوتا ، وهي على شكل ربع دائرة تقع قمتها في الشمال وتتدرج نحو الجنوب ، وفي أثناء الحرب اليابانية الصينية ١٨٩٥م ، أصبحت هيروشيما أكبر المراكز الحربية في غرب اليابان. " هيروشيما ونغاساكى مأساة القنبلة الذرية لتاكيشى إيتو " ، ترجمة : أكير اكويانو ، مراجعة : محمود عبده ، دار الشروق ١٤١٤هـ، ص٤٠ـ٤٢ .

(٢) لم تظهر مدينة نغاساكي في التاريخ بشكل واضح إلا في أواخر عصر الحروب١٥٦٩م كانت في الأصل خليج صغير استعمله البرتغاليون كميناء ، وقد أنشأ بها حصن لنقل الجيوش منذ الحرب اليابانية الصينية الأولى والحرب اليابانية الروسية ، وأخيراً الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م . المرجع السابق ، ص٤٣ . ٤٥.

(٣) بنهاية الحرب العالمية الثانية ألقيت قنبلتين نوويتين على هيروشيما وناجازاكي في السادس والتاسع من آب أغسطس ١٩٤٥م ، وأهلك هذا السلاح النووي من أول مرة ما يقرب من مائتي ألف من البشر، انفجرت القنبلتان في هيروشيما وفي نغاساكي ومع الانفجار ولدت كرة نارية صغيرة وكبرت بعد ثانية أصبحت درجة الحرارة عليها حوالي خمسة آلاف ، أي شمس صغيرة فأحرقت كل شيء ، واشتعل كل شيء كان قابلا للاشتعال ، تشير بعض التقديرات إلى أن حوالي ١٤٠ ألف شخص ماتوا بهيروشيما و٧٠ ألف شخص بنغاساكي ، أي حوالي ربع السكان الذين كانوا موجودين في المدينتين ، ودمرت المدينتين بالكامل ، لم تكن تلك الآثار تتمثل في الحروق أو الجروح فقط ، بل كانوا قد تعرضوا لكميات كبيرة من الإشعاعات التي لا يعرفون عنها شيء ؛ كان ذلك بغرض إرغام قادة اليابان على الاستسلام للمزيد . أنظر : " تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما " لأدوين ريشاور ، ص١٦٧. ١٦٨ ، و " ... " هيروشيما ونغاساكى مأساة القنبلة الذرية " لتاكيشى إيتو ، ص٧٩ . ٨٥ " بتصرف .

من قارة آسيا ، فهو تقريباً عرق واحد الذي أمد تلك البقعة من العالم بالسكان "العرق المغولي"، مع مراعاة بعض الفروق الوراثية التي تميز شعب ما عن غيره.

(يعتبر شعب جومون "السكان الأوائل لليابان" شعب بدائي يتصف تكوينه البدني بالقصر والامتلاء ولون البشرة الفاتح ولغته لا تمت بصلة لأية لغة معروفة) [١].

الجومون هو الاسم الذي أطلق على به سكان البلاد الأوائل ، والملامح التي ذكرها النص لازالت هي ملامح المواطن الياباني الأصلي.

لكنه ظهر في بعض النصوص اسم شعب آخر قيل أنهم من بين أوائل الشعوب التي سكنت بلاد اليابان أيضاً.

(من بين شعوب اليابان الأولى شعب " الأيتو"، وهم مجموعة جنسية من العنصر القوقازي المبكر، وقد احتلوا القسم الأكبر من اليابان، حيث وصلوا إليه في وقت لاحق من الشمال) [٢].

قد يكون الشعب " الأيتو" بعد شعب " الجومون" أو قبله فلم تهتم المصادر التاريخية بذكر الأولوية في هذا الموضوع ، المهم أن الذين كُونوا الشعب الياباني هم خليط من شعوب المناطق المجاورة.

(اليابانيون شعب خليط بعضه كوري وبعضه منغولي وبعضه من جزر الملايو وقد وفد الأسلاف من جزر الباسفيك الجنوبية وطردوا السكان الأصليين شمالاً واستوطنوا البلاد ، وكانوا يعيشون في قبائل متفرقة مستقلة بعضها عن بعض) [٣].

وقد حصر بعض المؤرخين أعراق الشعب الياباني في ثلاثة عناصر رئيسية [٤] فكما كان العنصر الهندوأوروبي يمد جنوب قارة آسيا بالعنصر السكاني وأصبح هو المكوّن

---

(١) كامل سعفان : " معتقدات آسيوية " ، ص٣٢١ .

(٢) أدوين ريشاور : " تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما " ، ص٨ .

(٣) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص١٣٤ .

(٤) عنصر بدائي أبيض جاء عن طريق الأينويين الذين وفدوا إلى اليابان من منطقة نهر أمور ، عنصر أصفر مغولي جاء من كوريا أو عبر من خلالها ، وعنصر قادم من الملايو وإندونيسيا تسرب إلى البلاد من جزر الجنوب .ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٥ ، م١ ، ص١١ .

الأساسي لأفراد الشعب فيها ، قام العنصر المغولي بهذه المهمة هنا فقد تفرع إلى ثلاثة فروع أحدها كوّن الشعب الصيني ، والآخر كوّن الشعب الكوري والثالث كوّن الشعب الياباني .

وقد أطلق على أرض اليابان في الزمن القديم أسماء عدة أشهرها بلد الشمس.

(كانوا يطلقون عليها اسم نيبون "أي بلد الشمس" لاعتقادهم أن الشمس تشرق من خلف جبالها ويطلق اليابانيون على جزرهم اسم "نيبون تيكوله"، أي بلد الشمس المشرقة) (١).

أما جيرانهم الصينيون فيطلقون عليها اسم "جيم بن كو"، أي البلاد التي تشرق منها الشمس ، ويقال أن أصل اسم اليابان هو "زابان"، وحور الاسم فيما بعد إلى "جابان"، ومن ثم قلب حرف "الجيم" إلى حرف "الياء"، فأصبحت يابان.

(بدأت أول حالات الانفتاح على الجوار والتفاعل معه بدأت في اليابان مع القرن الخامس للميلاد، وكان ذلك مع الكوريين) (٢).

ونتيجة ذلك الإنفتاح ظهر تحول في نشاط المجتمع الياباني الاقتصادي فتحول من مجتمع بحري إلى مجتمع زراعي نوعاً ما نتيجة ذلك الاتصال.

ومما ساعد اليابان على التطور والتقدم بهذا الشكل السريع هي صفات اليابانيين العامة التي تتسم بسرعة التعلم ورحابة الصدر لكل ما هو جديد ، سواءً كانت ثقافات أو أفكار ، فيتم التعلم من الكل ومن ثم إقصاؤه والعمل على إنتاج النسخة اليابانية الخاصة بهم.

(كان اليابانيون منذ بداية تاريخهم حتى الوقت الحاضر تلاميذ مجربين يتعلمون بسرعة أي شيء يثير اهتمامهم ، فلما تلقوا معرفة الكتابة والزراعة والفنون والعقائد من الصين ؛ غيروا كل ذلك تغيراً كبيراً ، بحيث يلائم مناخهم وحياتهم) (٣).

ولم تكن الحضارة الصينية فقط هي معينهم الذي يستقون منه بل إنهم أخذوا

---

(١) الحسيني الحسني معدى : " الأساطير الصينية واليابانية " ، ص٥ .

(٢) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص١٣٥ .

(٣) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، مرجع سابق ، ص٢٦٢ .

ما يحتاجونه من كل من حولهم من الحضارات ، فجاءت حضارتهم مزيجاً منها مجتمعة، ومن ثم قام الشعب الياباني بإنتاج حضارته اليابانية الخاصة [1].

المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد اليابان القديمة

لم يأت ذكر بلاد الشرق الأدنى- الصين واليابان- في كتب التأريخ العربي إلا بالنذر اليسير، وقد يعود ذلك لبعد المسافات ؛ فركوب البحر في الزمن القديم لم يكن بالأمر السهل ، وقد يكون سبب أيضاً صعوبة اللغة .

ظلت الحالة الدينية في بلاد اليابان من المجهولات بالنسبة للباحثين المتخصصين، حتى كانت بدايات العصر المكتوب ، فاتضحت الرؤيا وانكشفت الأسرار.

(الدين القومي في اليابان ليس في جوهره وأصله مجموعة من العقائد المنظمة،

---

(١) (ما أن هلت السنوات الأولى من القرن العاشر حتى ظهرت روح جديدة ، لم يعد السكان يسعون لتقليد المعرفة والمهارة الصينية ، تقليداً منهجياً بقدر ما سعوا إلى تمثيل ما أخذوه في الحقبة السابقة ، تمثيلاً عميقاً ، وتكيفه بحيث يناسب ما في اليابان من واقع وميول) أدوين ريشاور : " تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما " ، ص٢٥ .

إنما هو ولاء وإخلاص ، والدين في نظر عامة الشعب إنما هو وطنية قبل كل شيء، وأفضل وسيلة للتعبير عن هذا هو فعل ما يأمرهم به الإمبراطور) (١).

موضوع التقديس الديني في اليابان يرتبط بأمرين : الأرض والإمبراطور، فدينهم يدور حول هذين الرمزين ، وليس هذا بمستبعد فكما ذكرت الأسطورة أن الجزر اليابانية هي من خلق الآلهة وأن أول مولود لهما بعد الجزر كان الحاكم.

(كانت عقيدة اليابانيين بسيطة جداً ، فهي لم تكن بحاجة إلى تفصيل مذهبي أو طقوس معقدة ، كل ما آمنوا به هو أن النجوم والقمر والشمس والجبال والأنهار والرعد والمطر لها أرواح يمكن أن تنفع وأن تضر إذا أريد منها ذلك ، وأن الناس إذا عبدوها هَدتْهُم إلى العمل الصالح ؛ لهذا عبد اليابانيون القدامى كل هذه الأشياء (٢).

والتحلق حول الطبيعة وعبادة كل ما فيها من مظاهر هو أمر معتاد لدى الشعوب القديمة، لكن لدى اليابانيون أمراً آخر في العبادة تميزوا به.

(الديانة اليابانية ديانة شمسية ، جمعت معنى التوحيد في إله السماء حيث تصورته أباً للخليقة بمفرده ، ثم جمعتها في الربة الواحدة على اعتبارها ربة مختارة بين أرباب) (٣).

النص السابق عاماً ليس به ملامح توضح مظاهر العبادة الأولى للشعب الياباني ، من المعلوم أن كل ما على الأرض من مظاهر يؤثر على طريقة العبادة ونوعية المعتقد ، وبلاد اليابان تحوي مرتفعات كما تحوي سهول أيضاً ، وهذا بالطبع يترك أثراً على نوعية الطقوس والعبادات وهذا ما لم يوضحه النص السابق. بالإضافة إلى ذلك تأثير عبادات الوافدين على أرض اليابان من الصينيين والكوريين الخاصة بهم، كما لن ننسى البعثات التي كانت ترسلها اليابان للخارج وما تأثروا به من أديان ومعتقدات الشعوب الذين خالطوهم؟.

وبتتبع ما جاء في كتب التاريخ فيما يخص العبادات اليابانية القديمة بدون كل تلك

---

(١) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

(٢) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

(٣) كامل سعفان : " معتقدات آسيوية " ، ص ٣٢٥ بتصريف .

المؤثرات التي ذَكرتها ، سنجد أن المظهر الثاني من مظاهر العبادة في اليابان هو عبادة أرواح الأسلاف.

(كان اليابانيون يخافون من الموتى ويعبدونهم لأن غضبهم قد ينزل بالعالم شراً كبير. وعُرف للعقيدة صورتان : العقيدة الدولية التي تتجه بالعبادة إلى الحاكمين الأسلاف وهم الآلهة الذين أسسوا الدولة وأقاموا بناءها ، والعقيدة المنزلية التي تتجه بالعبادة إلى أسلاف القبيلة) [1].

لم يعرف اليابانيون الأوائل في عبادتهم عادة تقديم القرابين ، فقد كانت عبادتهم أبسط من ذلك ، غاية ما كان مطلوب منهم هو الحج إلى قبور أسلافهم بين الحين والآخر ، وهذا لا يعني أن الشعب الياباني شعب ذو عاطفة دينية خاوية، فكان ما لديه يكفيه لإشباع عاطفته الدينية فهو يعتقد بأن كل شيء في الوجود تسكنه الأرواح بدءاً من أكبرها السماء وما تحويه من كواكب ونجوم نزولاً إلى الحقل وما يحويه من حشرات وهوام وصولاً إلى الدار بما فيها ومن فيها.

لذا ذكرت أنه لا فراغ ديني لدى الفرد الياباني ، فلديه يومياً ممارسة دينية يقوم بها من خلال العبادة المنزلية مع رف الكامي [2]؛ ومن حين لآخر يمارس الحج الديني إلى مكان بعينه يظهر فيه الخشوع والتضرع لأرواح الإمبراطوريين سلالة الآلهة الذين بنوا البلاد وحكموها. وبالإضافة لتلك المظاهر الدينية القديمة كان هناك ما يعرف بـ"الشنتو"، وقد اختلف الباحثون في ماهية الشنتو اختلافاً كبيراً ، فقد عرفه كلاً منهم بحسب وجهة نظره، فمنهم من قال: "هو نظام الحياة اليابانية"، ومنهم من قال: "هي عقيدة الأوائل"، لكني أرى أنها ثقافة مجتمعية دينية .

---

(١) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، مرجع سابق ، ص٢٥٢ .

(٢) الأسرة اليابانية تخصص مكاناً للعبادة في المنزل ، ويدعونه " كامي . دانا " أو " رف . كامي " ، وهذا هو هيكل المنزل التعبدي ... ، " ترجمان الأديان " ، لأسعد السحمراني ، ص١٥٦ .

(الشنتوية نوع من الثقافة القديمة وهو نطق ياباني للكلمة الصينية التي معناها "طريق الآلهة" وهي دين لا ينتسب إلى مؤسس معين ، ولعلها كانت في أدوارها الأولى ضرباً من ضروب عبادة الأرواح ونجد فيها كذلك عبادة الطبيعة وخصوصاً قوى الطبيعة المنتجة) (١).

إذاً الشنتو طريق الآلهة باللغة الصينية القديمة ولا يعرف لها واضع محدد فقالوا:

هو تراث ثقافي ديني اجتماعي قديم ، فيه مظاهر تعبدية قديمة للطبيعة وأرواح الموتى. ولم تكن الشنتوية في بدايتها دين لكن بعد الانتشار التدريجي للبوذية شعر اليابانيون بالحاجة إلى تمييز معتقدهم التقليدي عن غيره ، فدعوه "شنتو" أي طريق المبدأ الأقدس الكلي ، وهو المبدأ الذي أشاروا إليه دوماً تحت اسم "كامي"، وهذا المعتقد التقليدي قد وجد منذ زمن لا يدري أحد متى كان وتم تناقله عبر العصور والأجيال دون أن يعرف له مصدر أو مؤسس (٢).

كانت تلك التعاليم القديمة معروفة لدى الشعب الياباني وتتم ممارستها دون الحاجة إلى تسميتها ، ولكن مع زيادة توافد الثقافات الأجنبية خشيَ اليابانيون على تراثهم من التفرق والضياع فأطلقوا عليه اسماً، ولما كانت اللغة الصينية هي اللغة المستخدمة فكان اسم التراث الديني القديم من مقطعين صينيين تعني طريق الآلهة المقدس(٣).

قبل ذلك كانت تطلق على ممارسة الشعب الياباني الدينية اسم "كامي نو ميشي" (٤)، ولم تكن تعرف بأنها دين بل أسلوب حياة وعادات يمارسها اليابانيون، حتى بعد أن دعت بالشنتو لم تتحول إلى دين في نظر اليابانيين بل ظلت ثقافة شعب. وأعتقد أن أي ممارسة توصف بأنها ديانة وثقافة فلا يسعنا إلا أن نقول إلا أنها:

---

(١) حبيب سعيد : مرجع سابق ، ص١٣٧ .

(٢) فراس السواح : " دين الإنسان " ، ص٢٣١ بتصريف .

(٣) (عرفت باسمها الصيني " شنتو " والأصل في التسمية أن الصينيين الأوائل كانوا يؤمنون بالأرواح الخيرة والأرواح الشريرة، وكانت الأرواح الخيرة تسمى " شن " ، وكانت تعاليم الفيلسوف لاوتسي تسمى الطريق " تاو " ، وهكذا أصبحت " شن تاو " تعني بالصينية " الطريق إلى الأرواح الخيرة) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ص٢٥١ .

(٤) المرجع السابق .

"نمط حيـــاة"، فما حياة البشر إلا دين وثقافة.

(الشنتو ديانة اليابان الأكثر قدماً ، تقوم هذه العقيدة في الأغلب على الأساطير، الكل مقدس من كواكب إلى أنهار إلى الأجداد إلى الأباطرة ،كل ما يقدسونه هو باتجاه الكامي، فباسمه ومن خلاله تتم كل الأشياء)[1].

إذاً هي عادات اجتماعية متوارثة من قديم الأزل ، شابتها مظاهر تعبدية لأمر أجمعوا على تسميته بأنه الكامي.

(إن مذهب الشنتو ما هو إلا عادات اجتماعية يابانية تقليدية متوارثة عبر الأجيال ، وتقوم تنظيمات الشنتو على أساس الاعتقاد بالكامي الذي تحول مع الوقت إلى شيء معبود) [2].

إذاً الشنتو لا يقدس لذاته ولكن لهدف معين هو الوصول إلى "الكامي" وهو الأمر المقدس فيها ، فما هو الكامي؟.

(قول باحث غربي متخصص في الشنتو: إن اليابانيين أنفسهم لا يملكون فكرة دقيقة عن الكامي ، فهم يختبرونه بشكل حدسي في أعماق وعيهم ، ويتواصلون معه من غير أن يشكلوا حوله مفاهيم ذهنية أو لاهوتية) [3].

إذاً الكامي المقدس هو أمر معنوي وليس كياناً دينياً ملموساً . وقد نشدت الدقة والوضوح في التعريف فاستسقيته من أكثر من مصدر ، فمما قيل في تعريفه أن الكامي أيضاً أنه :

(تعبير ترجم ترجمة خاطئة على أنه "الآلهة"، بينما هذا المفهوم الواسع هو مقدس والخاص بالتقليد الشنتوي ، ويمكن أن يكون قريباً من معنى "التعظيم إلى درجة التأليه الذي تحتفظ به اليابان اليوم لأباطرتها أو للجنود الذين يموتون في سبيل الوطن) [4].

عرفه الكاتب أنه "تعظيم يصل إلى حد التأليه"، فهي منزلة إذاً ومكانة تُمنح لمن

---

(١) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٤٤ .

(٣) فراس السواح : " دين الإنسان " ، ص٢٣٢ .

(٤) أدوين ريشاور : " تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما " ، ص١٢ .

يستحقها ، ولما عجزوا عن فهم معنى هذه الكلمة- كامي- عرفّوها بصورة عامة بألفاظ مقدسة فقيل:

(جميع الأشياء أياً كانت التي تستحق التبجيل وتبعث على الرهبة لأنها فوق المألوف ، وكذلك القوى الفائقة التي تملكها تسمى كامي) [(١)].

ومن أصدق ما ذكر عن تعريف الكامي :

(أن شعب اليابان نفسه ليست لديه فكرة واضحة عن الكامي فهو يدرك الكامي بطريقة حدسية في أعماق وجدانه ، ويتصل به اتصالاً مباشراً دون أن يكون فكرة عما هو الكامي من الناحية التصورية أو اللاهوتية) [(٢)].

ومن الملاحظات الهامة على السمات المشتركة بين أديان ومعتقدات الشرق الأقصى هي تقديس الأمور المعنوية التي تعني القدرة والإرادة ، فلم تكن أحد الأديان القديمة في تلك الدول تشخص الآلهة أو تجسدها ، ودائماً ما كانت تدل على أمر معنوي كالقوة والإرادة لدى الصينيين والكامي لدى اليابانيين.

وبعد الكامي المقدس وعبادة الطبيعة بكامل مظاهرها وتقديس روح الموتى، فتحت اليابان أبوابها لأديان الشعوب الأخرى الوافدة.

(البوذية كانت أول الديانات التي دخلت اليابان في وقت مبكر، وكان ذلك في القرن السادس الميلادي ، وقد استطاعت أن تعايش الشنتوية وتتداخل طقوس الديانتين، يمكن القول أن أغلب سكان اليابان اليوم هم شنتويون وبوذيون معاً) [(٣)].

وبما أن الشنتوية تعتبر ممارسة يومية والبوذية هي عبارة عن طقوس تعبدية، فلا يوجد مانع من تداخلهما معاً وتعايشهما في نفس الفرد الياباني.

(أصبحت البوذية دين البلاد حتى القرن الثامن ، فانتعشت البوذية ووضعت تماثيل بوذا في المعابد الشنتوية ، وقد أفسحت البوذية اليابانية في لاهوتها القديم وآلهتها مجالاً

---

(١) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص١٣٧ بتصريف .

(٢) جفري بارندر : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ، ص٢٨٧ بتصريف .

(٣) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص١٦٦ .

للمعتقدات والآلهة الشنتوية ، وخصص مكان متواضع في المعابد البوذية للمزارات الشنتوية) [١].

واستعمل البوذيون المعابد الشنتوية لوضع آلهتهم البوذية ، ومن ثم أصبحت البوذية تمتلك أكبر المعابد الدينية في البلاد وهي بالتالي التي خصصت مكاناً متواضعاً للمزارات الشنتوية ، فأضحت البوذية هي الدين الرسمي للبلاد . وتلى البوذية في دخول اليابان.
(الكونفوشية وقد دخلت من الصين ولكن رغم ذلك لم يبق لها أتباع في اليابان [٢]) .
ولم تلقى الكونفوشية رواجاً يُذكر بين أفراد الشعب الياباني وذلك بعكس البوذية التي أصبحت ديانة البلاد .

بحثت عن سبب مناسب لذلك فلم أعثر لكني اعتقد أن الكونفوشية قائمة على حكم تراثية فلسفية وتربوية من تراث حكماء الصين القدماء التي أعاد صياغتها معلم الصين الأول كونفوشيوس ، فلم تكن دين بقدر ما هي تراث شعبي موروث، ولدى اليابانيين تراثهم الشعبي الخاص بهم فيما يعرف بالشنتو ، لذلك لم يكن اليابانيون في حاجة إلى حكم صينية بقدر ما هم بحاجة إلى دين تعبدي ، فالبوذية حين قدمت بلاد الشرق الأقصى كانت ديناً يحمل كل مقومات الدين التي تُشبع الغريزة الدينية في النفس البشرية.

ومن ثم وصلت النصرانية إلى الشواطئ اليابانية .

(وصارت المسيحية منافساً خطراً للبوذية، ولكنها طوردت واستؤصلت) [٣].

كان من صفات المبشرين النصارى عدم اليأس والعمل بجهد ومثابرة حتى يحققوا أهدافهم الدينية ، هذا بالفعل ما قاموا به في اليابان ، فعلى الرغم من أن الدين النصراني رُفض في بدايته من قبل الشعب الياباني إلا أنهم اعتادوا عليه واعتنقه بعضهم حين وجدوا به أمراً يفتقرون إليه في اليابان من الناحية الدينية .

فشلت الأديان في اليابان في إعلان الله للشعب الياباني، فلم يختبر الياباني

(١) لمحات عن أديان العالم ، ترجمة : صادق الركابي ، ص٣٥٧ . ٣٦٥ .
(٢) أسعد السحمراني ، مرجع سابق ، ص١٦٦ .
(٣) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص١٣٩ .

قط تلك الطمأنينة الواثقة التي تربطه بالإله والتي تمكن الإنسان من السير في مخاطر الحيـــاة غير هياب ولا وجل ، فجاء الصليب وبدا للعقل الياباني نموذج سام لتضحية الذاتية وربط سام بإله غيبي يشبع ما لديهم من نقص فتمسكوا به [١].

أما فيما يخص الدين الإسلامي بدأت أول محاولة اتصال بالشعب الياباني عن طريق البعثات التي وصلت إلى الميناء ، كان أولها باخرة عسكرية تركية اسمها "أرطغرل" مكث قادتها في اليابان حوالي ثلاثة أشهر ، قد دخل على أيديهم في الإسلام شخص يدعى "تورا جيرومارا" الذي أصبح اسمه عبد الحليم ، وقد وفد إلى تركيا يدرس علوم الإسلام ومن ثم عاد بعدها إلى بلده [٢].

لكن ذلك لم يكن المصدر الوحيد فقد ذُكر[٣] أن الفضل في دخـــول الإســـلام إلى اليابان يعود إلى ثلاثة مصادر :

- عبد الرشيد إبراهيم شيخ تتاري وفد إلى اليابان وبذل جهـــداً كبيراً في الدعـــوة إلى الإسلام.
- لما حكمت اليابان منطقة منشورية بالصين اتصل اليابانيين بالمسلمين هناك وتعلموا منهم.
- اختلط اليابانيون مع المسلمين في إندونيسيا والملايو أثناء الحرب العالمية الثانية.

إجمالاً فقد تقاسم الحالة الدينية في اليابان ثلاث ديانات وافدة، البوذية والكونفوشية والمسيحية [٤].

من ذكر النص لم يذكر الشنتوية من بينهم ، فهو لم يعده ديناً اختيارياً لليابانيين؛ فكل فرد في اليابان لابد أن يكون شنتوياً ويعتقد بالكامي ، ومن ثم يختـــار بعد ذلك ما يمارسه من أديان أخرى.

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤٦ بتصريف .

(٢) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص١٦٦بتصريف .

(٣) إيمان عبد ربه : مرجع سابق ، بحث ، ص١٨ .

(٤) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص١٣٩ .

أشهر آلهة اليابانيين القديمة [١]:

- **إيزناجي وإيزانامي** : هما الزوج الإلهي الأول الذي نزل من السماء، وخلق الجزر اليابانية .
- **أماتيراسو**: ربة الشمس والآلهة الرئيسة .
- **تسوكيومي**: رب القمر وحاكم الليل .
- **إيناري**: رب الزراعة كما أنه رب الخير .
- **بيشامون**: رب الحرب وإله الحظ .

بالرغم مما كانت عليه الديانة الشنتوية من بساطة في العقيدة وسهولة في العبادة، إلا أنه كانت لهم كتابان مقدسان وليس كتاب واحد .

(الكتابان المقدسان لعقيدة الشنتو هما " الكوجيكي" و " النيهونجى") [٢].

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان اليابان القديمة

من بين كل تلك الحضارات التي بحثت فيها والملامح الدينية للشعوب القديمة التي تتبعتها ترسخت لدي حقيقة شبه مؤكدة ، هي أنه ما من دين مهما اختلفت هويته أو موطنه أو فكره إلا وفيه مظاهر ثنوية. بالنسبة لملامح الفكرة الثنوية الموجودة في أديان اليابان اتخذت صورة مختلفة لتناسب البيئة اليابانية. فما هي؟.

في الصين كانت ثنوية كونية تعاونية بين القضبين السالب والموجد "الين واليانغ"،

---

(١) حسن نعمة : " موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة " ، ص١٢٤ .

(٢) الحسيني الحسني معدى : :" الأساطير الصينية واليابانية " ، ص٢٥٣ .

لكن الدين في اليابان أبسط مما هو عليه في الصين بكثير ؛ والحقيقة الأولى التي يجب أن نتفق عليها ونضعها في الاعتبار أن الشعب الياباني لم يعرف المعتقد التفردي في العبادة، والثنوية مقترنة بتنزيه إله الخير في الكون .

(لم يذهب الشنتو في معتقدهم إلى الإقرار بإله واحد هو الخالق الواحد للكون، وليس لعقيدة التوحيد مكان عند الشنتو ، بل هم مؤمنون بتعددية الآلهة والمعبودات التي يقيمون لها المعابد ، فديانة الشنتو بسيطة ولا تطالب أتباعها بطقوس خاصة، وطقوسها متوارثة يمارسها معظمهم على أنها حالة من التعبير عن الانتماء للوطن والحضارة) [١] .

مهمة صعبة هي البحث عن ملامح ثنوية في دين يعتبر العبادات حالة من التعبير عن الانتماء للوطن والحضارة ، ففكرة اللاهوت المتفرد أصلاً غير موجودة حتى ينزهه عن النقائص والشرور فيكونا اثنين ضدين . ظهرت أولى الملامح في تقسيم الآلهة في اليابان تقسيم ثنوي الضدي.

(الإلهات العظيمة الثلاث إلهة الشمس وإلهة الطعام وإلهة الأرض كلهن إلهات طيبات ، وهناك إلهات أخرى كإلهة النار وإلهة الرعد وإلهة العاصفة المطرية، وهي إلهات مؤذية يجب استرضاؤها بالقرابين) [٢].

ومن أحداث إحدى الأساطير الكونية التي كانت ساحتها أرض اليابان وجدت القوى الثنوي الضدية المؤثرة في الكون . تقول الأسطور...

(وضع العالم تحت الحكم المزدوج لإلهة الشمس والإله العنيف السريع الذي يحمل صفات إله العاصفة ، وكانت إلهة الشمس مشرقة وجميلة وهي رقيقة وصادقة ، وتحكم بعقل وتمنح النور ؛ ومن الجانب الآخر كان شقيقها العنيف السريع طاغياً ومتوحشاً، ومتمردا ومهملاً لكل واجباته وكان يُخرب مملكة شقيقته) [٣].

وإن كانت في مجملها أسطورة إلا أنها دارت بين قوى حاكمة مؤثرة ، وعُرف فيها

---

(١) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان" ، ص١٤٠ـ ١٤٤ .

(٢) لمحات عن أديان العالم ، ترجمة : صادق الركابي ، مرجع سابق ، ص٣٤٧ ـ ٣٤٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

نوعين ثنويين ضدين ومصدرهما اثنــان ذكــر وأنثــى، وذلك مثــل: "يزدان وأهرمان" و "سيفا و فشنو" وبمتابعة الأسطورة يتضح مصدر الشر في الكون.

(حدثت أمور جسام بينهما أدت إلى أن خبأت إلهة الشمس نفسهــا في كهف، وتم طرد العنيف السريع في منفاه على الساحل الشمالي لليابان ، وأن أحــد أبنائــه هو فاعل الشر الذي يعتبر مصدر كل الشرور ، بينما أخوه الآخر سيد القانون العظيم يعمل من أجل خير الشعب) (١).

تبقى أسطورة لكنها ذات أبعاد دينية تقترب مما أريد إثباته في هذا المطلب.

لكن النص التالي الذي يصف فكرة الكامي بشكل دقيق أجده يشير إلى ثنوي عقدي استنتجتها من خلال الحديث عن صفات الكامي.

(تنطبق مقدرة الكامي في المقام الأول على آلهــة السمــاء والأرض، إضافــة إلى الأرواح وكل الأشياء الأخرى التي تستحق الاحترام وتثير الرهبة بسبب قواها الخارقة غير الاعتيادية ، بل تسمى الكائنات الغريبة المؤذية كامي أيضاً على أن تكون فقط أشياء تثير الفزع) (٢).

والكامي حسب ما أرى وتبعاً لما ورد في النص السابق أطلق على عدة أشياء:

- آلهة السماء والأرض.
- بالإضافة إلى الأرواح.
- كل الأشياء الأخرى التي تستحق الاحترام وتثير الرهبة.

وهذه الأخيرة هي التي تعنيني ، إذاً فالكامي المقدس قد يكون أشياء محببة ونافعة فتدعو للاحترام ؛ وقد تكون أشياء ضارة ومؤذية فتثير الرهبة ، إذاً الكامي هو قوى ثنوية قد تكون خيرة وقد تكون شريرة تحمل مسمى واحد وهو الكامي .

هذه هي الثنوية اليابانية. لم يكن نصاً واحداً ذلك الذي قســم قــوى الكامي إلى قوى ثنوية ضدية في حياة اليابانيين :

---

(١) المرجع السابق ، بتصريف .

(٢) لمحات عن أديان العالم ، مرجع سابق ، ص٣٤٥. ٣٤٦ .

(عندهم عنصر مقدس وهو "كامي"، ورغم أنــه عنصر أساســي في العقيــدة إلا أنها كلمة يلفها الغموض ، وقد صرح أحد فقهائهم بعجزه عن فهم كلمة " كامي"، وعرفها بصورة عامة فقال: جميع الأشياء أياً كانت التي تستحق التبجيل وتبعث على الرهبة ، لأنها فوق المألوف ، وكذلك القوى الفائقة التي تملكها كلها تسمى كامي) [١].

هي ذات الفكرة في الصين ، وهي ما تعرف بـ "الين واليانغ"، أما في اليابان فلها اسم واحد فقط "كامي"، هي قوى مزدوجة الفاعلية ، ضدية الفعل فمنها القوى النافعة ومنها القوى الضارة . ما أريد التوصل إليه بتحليلي هذا.

إن الثنوية في اليابان أخذت الطابع الياباني، فلم تكن تشبه أي ثنوية أخرى، فللفكر الياباني خصائصه التي تميزه ، الكامي إحدى سمات الفكر الياباني الخاصــة، كأن الكامي هذا هو السبب الأول الذي يصدر عنه السببين الخير والشر، وكأن الكامي هذا هو القوة المؤثرة في الكون الذي يكون من نتائج تأثيرها أفعال الخير والشر كل ذلك ممكن، حين عرّفوا الكامي كان دائماً ذا شقين متناقضين ففيه ما يدعــو للاحترام وفيــه ما يدعو للخوف ؛ ولم تقم الثنوية إلا على فكرة القوتين التي تدعو إحداهما للاحترام، والأخرى للخوف وكلاهما يُعبد . فالكامي يشمل كل من يمتلك قوى غير طبيعية تثير الاحترام والتبجيل أحياناً وتبعث على الخوف والترهب أحياناً أخرى .

الخلاصة:

تعتبر الحضارة اليابانية حضارة وليدة بالنسبة لعمر الحضارات التي مرت على البشرية.

دارت اليابان في فلك الصين لتتعلم منها ، فاكتسبت معارفها وخبراتها منها، أرسلت البعثات وترجمة الكتب حتى إنها استعملت الحروف الصينية.

قويت شوكتها واشتد ساعدها وبنت لنفسها حضارة يابانية تستحق الاحترام والتقدير ويحق لها ذلك .

---

(١) أسعد السحمراني : " ترجمان الأديان " ، ص٣١٦ .

فالشعب الياباني يتميز بالذكاء الفطري الذي يمكنه من سرعة تعلم كل جديد، وليس ذلك فحسب بل يعمل على تحسينه وتطويره بإضفاء الملامح اليابانية الخاصة عليه، بالنسبة للناحية الدينية فقد استقبلت بلاد اليابان الأديان الصينية وغير الصينية لكنها بقيت محافظة على الديانة الشنتوية القومية الأصلية كديانة عامة للإمبراطورية .

لم تكن أديان اليابان في يوم من الأيام قائمة على فلسفات عقلية معقدة كما في الصين ، فكان أهم ما لديهم الكامي!! الكامي فقط ، الكامي في كل شيء؛ ولابد لكل شخص أن يكون له كامي يعينه ، فهو المعين وهو المساعد على المضي قدماً في الحياة، هو القوة بكل صورها ومختلف أشكالها.

هو القوة حيثما كانت في السماء أو في الأرض مع الأرواح أو مع الأشباح ، قد تكون قوى طيبة وتهب الخيرات فتدعوا للاحترام ، وقد تكون شريرة فتؤذي وتدعو للرهبة تلك هي الثنوية اليابانية ، القوى الكونية الثنوية المزدوجة الذي ينحني لها اليابانيون ويقدسونها إما احتراماً وأما رهبة . أي ملامح معتقد ثنوي تعبدي في صورة جديدة.

المبحث التاسع

الثنوية في أديان بلاد العرب القديمة

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد العرب القديمة.**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد العرب القديمة.**

(تمهيد)

سأتحدث عن عما يطلق عليه "بلاد العرب" وهذا يعني أني سأتحدث عن مساحة كبيرة من القارة الآسيوية . فبلاد العرب أو شبه الجزيرة العربية من أكثر المناطق التي ورد ذكرها في الكتب والمؤلفات العربية ، ففي كتب الجغرافيا تجد لها ذكر، وفي كتب التاريخ استحوذت على نصيب ناهيك عن كتب الحروب والغزوات القديمة وأخبار الفتوحات والانتصارات الإسلامية الجديدة ، هذا بالإضافة إلى سرد قصص الملوك والأمراء القدماء

وحكايات الخلفاء والسلاطين في الدول الإسلامية ، كل تلك الأخبار جعلت المختصين يأتون على ذكر لفظ بلاد العرب كثيراً .

وبالنسبة للموقع الجغرافي لا خلاف عليه فهي تقع في قارة آسيا وتحديداً في الركن الجنوبي منها ، لكن الخلاف كان حول البلاد التي تدخل ضمن نطاق شبه الجزيرة العربية قد عدها البعض أكبر شبه جزيرة موجود على سطح الكرة الأرضية ؛ بل إن بعضهم قد تجاوز وعدها جزيرة وليست شبه جزيرة حين أضاف إليها أرض العراق وصحراء سيناء فأصبح الضلع الرابع مائي أيضاً وهو نهر الفرات بالإضافة إلى الأضلع الثلاثة المائية الأخرى [١].

وحين أرادوا تحديد أرض شبه الجزيرة العربية قالوا : إن أرض العرب هي البقعة التي يسكنها العرب ، وقد سكن العرب كافة الأنحاء اليابسة من شبه الجزيرة العربية بل وخارجها أحياناً.

(غالباً ما يطلق على البقعة الجغرافية التي تواجد عليها العرب اسم جزيرة العرب والحقيقة أننا لا نعرف بالتحديد مدى اتساع الرقعة الجغرافية التي انطلق منها العرب، فالرقعة تمتد بحسب انتقال المجموعات البشرية ، وما وصلنا من تسمية جزيرة العرب هو مرهون بحقبة زمنية معينة) [٢].

وجملة "مرهون بحقبة زمنية معينة" هذه تعني أن مساحة بلاد العرب تحددها الأحداث الزمانية وليست المكانية ، ففي الفترة التي ساد فيها العرب وقويت شوكتهم كانت المساحة كبيرة ومتسعة ، أما في الفترة التي يُغلبوا فيها على أمرهم وتُكسر شوكتهم وينتصر عليهم جيرانهم من الملوك تقل تلك المساحة وتضمحل ، حتى أنها قد تعتبر محمية تابعة للإمبراطورية الرومية أو الفارسية.

---

(١) (يطلق العرب على بلادهم اسم جزيرة العرب تجاوزاً ؛ لأن البحار تحيط بها ، وذلك بضم بلاد الشام والبادية التي تمتد بين العراق والشام وبادية سيناء قد دخلت كلها في حدود جزيرة العرب ؛ أما الجغرافيون فيطلقون على بلاد العرب اسم " شبه الجزيرة العربية " بإخراج بادية الشام ، وشبه جزيرة سيناء منها) محمود عرفة محمود : " العرب قبل الإسلام " عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م ، ص١٧ .

(٢) سميح غنيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م ، ص١١ .

وقد قسم المختصون شبه الجزيرة العربية من الناحية الجغرافية إلى خمس مناطق [(١)]:

١- **منطقة تهامة:** وتشمل الشريط الساحلي الموازي للبحر الحمر من اليمن إلى العقبة.

٢- **منطقة نجد:** وتشمل الهضبة الوسطى في شبه الجزيرة العربية .

٣- **منطقة الحجاز** : وتمتد من نجد إلى أطراف العراق .

٤- **منطقة العروض** : وتشمل اليمامة والبحرين ومن والاهما.

٥- **منطقة اليمن** : وتمتد حدودها من تهامة إلى العروض وعرفت بالأرض الخضراء.

ولم يعد باقي من ذلك التقسيم أثر فقد تغيرت الخارطة السياسية الحدودية لشبه الجزيرة العربية ، فلم يعد يستخدم اسم شبه الجزيرة العربية ولم يعد أحد يذكر ذلك المصطلح ، فشبه الجزيرة العربية أصبحت مجموعة دول إسلامية عربية.

وإذا كانت أرض شبه الجزيرة قد قسمت إلى خمس مناطق سكنية فقد تم تقسيم من سكن أرض الجزيرة إلى قسمين رئيسيين[(٢)] .

- **عرب الجنوب.**
- **عرب الشمال.**

أولاً : عرب الجنوب

وقد قامت بها ممالك تحكمها في الزمن القديم وهي:

- **المملكة المعينية** : وهي أقدم مملكة عربية معروفة من ق. م.
- **المملكة السبئية** : وهي تعود في نسبها إلى قحطان.
- **المملكة الحميرية** : وقد أطلق عليهم العرب بالتبابعة.

- ثانياً : عرب الشمال.

وينتسبون إلى العدنانيين من الحجاز ونجد أنه قامت بها ممالك وهي:

---

(١) سميح غنيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، ص١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٦ . ٢٩ ، بتصريف .

- **مملكة الأنباط** : قامت في شمالي الحجاز تنسب إلى شعب يعرف بالنبط.
- **مملكة تدمر** : تاريخها قبل الميلاد غير معروف على وجه الدقة.
- **إمارة الغساسنة** : وهم من أزد اليمن نزحوا إلى بادية الشام قبل حادثة سيل العرم.
- **إمارة المناذرة** : من قبائل تنوخ الجنوبية استقرت في البحرين ثم في العراق.

لم تكن شبه الجزيرة لها من العمق التاريخي ما يقارب الحضارة البابلية أو الحضارة المصرية ، لكن بنور الإسلام الذي أشرق فيها أصبحت منارة العالم بأكمله وقبلة المسلمين في كل مكان وزمان .

وقد أجمع الباحثون أن الساميين من نسل سام بن نوح عليه السلام هم أول من سكن شبه الجزيرة العربية ، وتفرعوا بعد ذلك إلى قبائل عدة لظروف معينة [١] وقد تفرق أولئك الساميون بحسب التقسيم الجغرافي الذي ذكرنا. ويجب أن نميز بين عرب الشمال وبين عرب الجنوب ؛ فكما أن الجزيرة منقسمة إلى قسمين جغرافيين، كذلك سكانها ينقسمون إلى شماليين وجنوبيين [٢].

وعرب الشمال لهم سماتهم الخاصة وهي قريبة الشبه من سكان البحر الأبيض المتوسط ، هو الأقرب بالنسبة لهم ونلاحظ عليهم الطابع التحضري أكثر من القاطنين في الجزء الجنوبي الذين لُقبوا بعرب الجنوب لكنهم كانوا أسبق حضارة وأشد بداوة. وقد جاء في الكتب تقسيم من نوع آخر ، بُني بحسب الأسبقية التاريخية في الوجود قسّم العرب في شبه الجزيرة العربية قديماً إلى قسمين رئيسين :

١- **العرب البائدة** [٣]: هم من انقطع نسلهم أمثال قوم عاد وثمود وجرهم [١].

---

(١) (السامية مأخوذة من اسم سام بن نوح الذي ورد ذكره في التوراة ، إن جميع الباحثين متفقون على أن موطنهم كان في شبه جزيرة العرب ، وفدوا إليها من جهات مختلفة) سميح غنيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ص٢٣

(٢) فيليب حتي : " العرب تاريخ موجز" ص٢٧.

(٣) العرب البائدة في عرف أهل الأخبار هم : عاد من نسل " عاد بن عوص بن إرم " وثمود من نسل " ثمود ابن غاثر بن إرم " وجرهم الأولى من نسل عابر " والعمالقة من نسل " عمليق بن لاوذ " وغيرهم ، وهذه الأسماء هي أسماء توراتية وردت في التوراة ، وهم أقدم طبقات العرب على الإطلاق المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ،

٢- **العرب الباقية** : هم الذين امتد نسلهم في شبه الجزيرة ولا زال أمثال قحطان [(٢)].

وعدد المؤرخين أشهر القبائل العربية البائدة [(٣)] :

- **قوم عاد** : تعتبر قبيلة عاد من أقدم القبائل العربية التي جاءت بعد طوفان نوح عليه السلام كان موطنهم في الأصل بجوار بلاد اليمن ، أرسل الله لهم نبيه هوداً عليه السلام فعصوا فكان هلاكهم بريح عاتية تسومهم العذاب سبعة ليال وثماني أيام متتالية حتى انتهى أمرهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[(٤)] .

ج١ ص٢٩٥. ٢٩٦ . أما من أطلق عليهم قبائل جرهم الأولى فهم غير قبائل جرهم الثانية الذي صاهرهم إسماعيل. عليه السلام. أولئك كانوا على عهد عاد وثمود والعمالقة ويقيمون بمكة ، وأن القحطانيون أبادوهم ، أما جرهم الثانية أصهار إسماعيل. عليه السلام. القحطانية ينسبون إلى جرهم بن قحطان بن هود " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " لجواد علي ، ج١، ص٣٤٥ .

(١) (اعلم أن جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح. عليه السلام. كان في عاد الأولى ، وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ، ومن ينتمي إليها من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح ، وسمي أهل هذا الجيل العرب البائدة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم) ابن خلدون : " تاريخ ابن خلدون " ، ص١٨. ٢٢ .

(٢)(العرب الباقية هم القبائل التي سكنت اليمن والحجاز ، وكافة أنحاء الجزيرة العربية ، وتزايد أفرادها حتى كونت شعبين عظيمين كتب لهما البقاء هما شعب قحطان وشعب عدنان) محمود عرفة: " العرب قبل الإسلام " ، ص٣٥

(٣)ابن خلدون : " تاريخ ابن خلدون " ، ص٢٨.٣٤ ، بتصريف .

(٤) سورة الأعراف : آية ٦٥ . ٦٩ .

- **قوم ثمود** : سكنوا شمال بلاد العرب بين الحجاز والشام تحديداً فيما يعرف بمنطقة الحجر، بعث الله إليهم نبيه صالحاً عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله الواحد ، إلا أنهم عصوه أيضاً فأرسل الله عليهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[1] .

- **قوم مدين**: سكنوا منطقة يقال لها مدين تقع في أطراف بلاد الشام مما يلي الحجاز، وكانوا يعبدون الأوثان من دون الله ، فبعث الله إليهم نبيه شعيباً- عليه السلام- ليهديهم إلى الطريق المستقيم ، فأنزل الله تعالى عليهم عذابه صيحة عظيمة من السماء أهلكتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا

---

(١) سورة الأعراف : آية ٧٤ - ٧٨ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٨٥ .

لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[١] .

- **قوم طسم وجديس** : ينسب المؤرخون قبيلتي طسم وجديس إلى لاوذ بن غرم بن سام بن نوح ، ومساكنهم كانت في منطقة جو التي عرفت فيما بعد باسم اليمامة والبحرين ، كانت بينهم حروب طويلة ، فوصل الجيش الحميري لمساعدة طسم فأباد جديس ، وهكذا كان فناء جديس على أيدي طسم وفناء طسم على أيدي حمير، وأصبحت القبيلتان من العرب البائدة.
- **قوم عبيل** : يعود نسبهم إلى عوصى أخا عاد ، عاشوا في يثرب حتى قدم عليهم العماليق فطردوهم وتعرضوا لسيل جارف اجتحفهم واجتاح مساكنهم فسمى موضعهم الجحفة.
- **جرهم والعماليق** [٢]: ينسب العماليق إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وهم يعتبرون من أقدم قبائل العرب الذين انتشروا في جهات متفرقة من جزيرة العرب، ذُكر العماليق في التوراة أنهم من أقدم الشعوب التي سكنت جنوب فلسطين ، وكانوا في حروب مع بني إسرائيل .

هذا مجمل ما جاء من ذكر العرب البائدة ، أما العرب الباقية انقسموا إلى قسمين وهما:

- **العرب العاربة** : القحطانيون الذين انقسموا إلى قبائل جرهم ويعرب.
- **العرب المستعربة** [٣]: العدنانيون الذين سكنوا شمال شبه الجزيرة العربية.

انقسمت العرب العاربة " القحطانيين" [٤] إلى قبائل جرهم وقبائل يعرب،

---

(١) سورة الأعراف : آية ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) مملكة العمالقة انتهت برواحهم وانتشارهم في أرجاء الشرق القديم ، فمنهم كان الجبابرة في الشام المعروفين باسم الكنعانيين ، ومنهم كان ملوك الرعاة الذين عرفناهم في التاريخ المصري القديم باسم الهكسوس " الديانات في شبه الجزيرة العربية لأبكار السقاف " ، الانتشار العربي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م ، ص١٤ ، بتصريف .

(٣) سموا بالعرب المستعربة ؛ لأن إسماعيل ـ عليه السلام ـ عندما نزل مكة كان يتكلم العبرانية فلما صاهر قبيلة جرهم اليمنية تعلم العربية " أديان ومعتقدات الغرب قبل الإسلام " ، لسميح غنيم " ، ص٢٥ . ولست مع هذا الرأي فقد كان حينها وليداً .

(٤) (يقسم النسّابون العرب العاربة من شعب قحطان إلى فرعين كبيرين هما : جرهم ويعرب ، وقد باد الفرع الجرهمي بينما بقيت يعرب ، التي تشعبت إلى حمير وكهلان ، العدنانيون هم عرب الشمال الذين سكنوا الجزء الشمالي من

باد الفرع الجرهمي ولم يبقى منه أحد ، وانقسم الفرع اليعربي إلى قبائل حمير وكهلان، أما العرب المستعربة "العدنانيين"، فهم من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

تاريخ مكة:

لم تنال مكة المكرمة تلك المكانة الدينية الرفيعة منذ بعثة محمد صل الله عليه وسلم الرسالة فقط ، بل كان من قبل ذلك بقرون عديدة . فقد اكتسبت مكة تلك الأهمية مع أحداث قصة إحياء أرض موات لا زرع فيها ولا ضرع في زمن خليل الله إبراهيم عليه السلام حين ترك طفلاً وأمه فيها بأمر من الله- عز وجل- فما كان خليل الله يناقش أمراً صدر له من ربه .

(أوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة وليس بها يومئذ نبت ، فجاء بإسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر: يا إبراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا أنيس قال: ربي أمرني ، قالت: فإنه لن يضيعنا) [(١)].

إيمان قوي وثقة عظيمة بربها ورب الناس أجمعين ، إن كان أمرك بهذا فله الحكمة البالغة ، حتى إن جهلناها فما كان من هاجر إلا أن أسلمت أمرها لربها [(٢)].

دعا إبراهيم ربه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ

الجزيرة العربية وينسب العدنانيون إلى عدنان ابن أدد بن كثوم ... بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم ، وهم العرب المستعربة) محمود عرفة محمود : " العرب قبل الإسلام " ، ص٣٨.٣٥ .

(١) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، ص٤١ .

(٢)(قالت له ذلك مراراً . إلى من تتركنا . وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله أمرك بهذا ، قال : نعم ، قالت: إذاً لا يضيعنا فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية ، حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا) محمد نعمان الجارم : " أديان العرب في الجاهلية " ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٢هـ ، ص٩ .

ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[١] .

ولم يبق زاداً ولا ماء ، والرضيع يتلوى عطشاً والأم يؤلمها قلبها على صغيرها وهو يبكي وليس بيدها ما تفعله من أجله سوى أنها كانت تصعد أعلى الوادي إلى جبل الصفا تنظر لعل أحداً قريب منها فتستنجد به ، وحين يخيب أملها تهرول إلى أعلى الجهة المقابلة حيث جبل المروة وتنظر لعلها تجد أثر بشر أو قافلة ؛ وقد قيل أنها فعلت ذلك سبعاً ومنها كانت أصل شعيرة السعي. وعادت إلى صغيرها خائبة لكنها تفاجئت برحمة ربها عنده كان الماء ينبع من تحت قدميه [٢].

وطارت الطيور من فوقهم وانتعشت حياة هاجر وابنها الرضيع ، واستكمالاً لدعوة إبراهيم عليه السلام "فجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم"، هوت قبائل جرهم الثانية إليهم حينما رأوا الطير في السماء تحلق حول تلك المنطقة ، فقالوا: ما طارت الطيور إلا فوق ماء[٣].

كانت تلك قبيلة جرهم الثانية الذين جاوروا السيدة هاجر وابنها [٤]، وكبر الغلام إسماعيل وتزوج مرتين الثانية هي التي أنجبت له ، وقد قيل أن جميع قبائل الحجاز على اختلافهم يرجعون في أنسابهم إلى اثنين من أبناء إسماعيل وهم "نابت وقيدر"، ومن ثم انتقلت رئاسة مكة ومسؤولية البيت الحرام من ولد إسماعيل عليه السلام إلى قبيلة خزاعة ورئيسهم عمرو بن لُحي [٥].

---

(١) سورة إبراهيم : آية ٣٧ .

(٢) (ثم جاءت إلى إسماعيل وهو يدحض الأرض بقدميه ، وقد نبعت العين وهي زمزم فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، وكلما اجتمع أخذته ، وجعلته في سقائها قال : فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : [يرحمها الله لو تركتها لكانت عين سائحة]) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، ص٤١ .

(٣)(نزلت جرهم وهم من العرب العاربة الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه ، وينتفعون به ، فاستأنست هاجر بهم ، وجعل الخليل يطالع أمرهم في كل حين) ابن كثير : " البداية والنهاية " ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ج٣ ، ص١٧٩ .

(٤) ابن كثير : " البداية والنهاية " ج٣ ، ص١٧٩ـ ١٨٦، بتصريف .

(٥) ابن خلدون : " تاريخ ابن خلدون " ، ج٢ ، ص٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

المطلب الأول: الحالة الدينية في بلاد العرب القديمة

كان العرب قبائل شتى جمعهم اللسان العربي وفرقتهم الحروب والمغازي بالإضافة إلى المعتقدات والأديان . وحين أحصى الباحثون الأديان التي عرفتها شبه الجزيرة العربية، قالوا الأديان كلها عدا الهندوسية وأديان الصين واليابان [١].

---

(١) (كان أكثر العرب على دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام - وسبب كثرة الأديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة - فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة أديان مجاوريهم ، وكان التوحيد دين أكثر العرب - ثم غلبت الوثنية عليه حتى طوست معالمه) محمد نعمان الجارم : " أديان العرب في الجاهلية " ، ص٦ .

بعيداً عن الترتيب التاريخي لظهور الأديان في الجزيرة العربية أو مدى انتشار ذلك الدين وأتباعه أجد أن الأديان التي عُرفت بمكة كانت بنوعيها السماوي والوضعي وهي:

- **الحنيفية** : وهو من بقايا دين إبراهيم عليه السلام وهذا أمر لا شك فيه.
- **الدين اليهودي** : وهو من بقايا الدين الذي جاء به موسى عليه السلام.
- **الدين النصراني**: وهو وكذلك بقايا دين عيسى عليه السلام.

هذا بالنسبة للأديان السماوية لكن عُرفت في شبه الجزيرة عامة وفي مكة خاصة:

- من عكف على عبادة الأصنام والأوثان.
- من اعتقد في قوة المخلوقات الغيبية فعبدها.
- من آمن بالأجرام والنجوم على طريقة الصابئة.
- من عبد الملائكة ونسّبها لله تعالى.
- من آمن بالمجوسية بغالبية فرقها.

وقبيل التفصيل في الحالة الدينية في شبه الجزيرة العربية أود أن أُشير إلى نقطتين:

١- ترتيب الديانات المذكورة بنوعيها التوحيدي والوثني لن يكون بترتيب ظهورها تاريخياً في مكة [١]

٢- لن أخص مكان دون آخر بذكر معتقداته الدينية فهو وصف لحالة دينية عامة.

وسوف أبدأ بما بدأ به التاريخ من ذكر الأديان الوضعية ، ومن ثم الأديان السماوية

الأديان الوضعية في شبه الجزيرة العربية قديماً :

على الرغم من أن العرب كانوا في الأصل حنفاء وأن الحنيفية بقيت موجودة ويُتعبد بها في شبه الجزيرة العربية ، إلا أن مظاهر الشرك والوثنية انتشرت بصورة أعم وأكبر؛ معللين ذلك بما جاء في القرآن عنهم.

---

(١) لم تستطع كتب التاريخ أن تحدد ترتيب ظهور الديانات ، والعقائد التي عُرفت في شبه الجزيرة العربية على وجه التسلسل التاريخي، فمن العسير أن أذكر تاريخ ظهور اليهودية ، وأنها سبقت عبادة الأصنام أو تلتها ، أو أن الاعتقاد في الكواكب والنجوم كان قبل النصرانية أو بعدها، فقد تزامنت معظم تلك الديانات في وقت واحد، بل وفي مكان واحد غالبية الوقت " الباحثة " .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[1] .

لقد عبدوهم ليتقربوا بهم إلى الله الذي عرفوه حق المعرفة ، بل كانوا مبالغين في تلك المعرفة مما أدى بهم إلى الشرك، فقد بالغوا في إبعاد رب الأكوان عنهم وفي إمكانية أن ينظر إليهم أو يسمعهم فكان لابد من وسطاء بينهم وبين الله.

لم يبتعدوا بذلك عن مسوغات الشرك في الأمم الأخرى ، فقد كانت لهم حجج مشابهة لذلك حين قالوا إن الإله الأعلى خلق جيل لاهوتي ثاني ومن ثم تنحى هو عن الخلق والكون في مكانة بعيدة وترك مهمة الخلق لمن خلق هو بيده ؛ لذلك نتوجه للإله الأول بالاعتراف والوجودية والوحدانية ولمن انبثق منه بالعبادة والتقديس.

(كان العرب في جاهليتها فرقاً: منهم الموحد المقر المصدق بالبعث والنشور، ومن العرب من أقر بالخالق وأقر بالبعث وأنكر الرسل وعكف على عبادة الأصنام ، ومنهم من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال إلى قول أهل الدهر، وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ، ويزعمون أنها بنات الله لتشفع لهم إلى الله) [2] .

مظاهر الشرك في شبه الجزيرة العربية كانت عديدة لكن تأتي في مقدمتها :

– عبادة الأصنام [3]:

---

(١) سورة الزمر : آية ٣ .

(٢) علي بن الحسين المسعودي : " مروج الذهب ومعادن الجواهر " ، ص١٢٦ .

(٣) الصنم عرفه الكلبي في كتابه أنه : مثال صورة الإنسان من خشب أو ذهب أو فضة ، أما الوثن : فهو صورة الإنسان من الحجارة ، الأنصاب هي الحجارة التي كان العرب يعبدونها بدون صورة فإن كانت مشخصة فهي أصنام وأوثان " كتاب الأصنام لهشام الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٣هـ ، ص ٩٨ ، كما قيل إن الصنم هو ما كان له جسم أو صورة ، وهو يعني أنه تشخيص اعتقاد ما وإعطاؤه هيئة ما غالباً ما تكون هيئة أشخاص تخيلوها ، أو هيئة حيوان ما ، كانت حول الكعبة تُنصب ... " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، لسميح غنيم ، ص٨٨ ـ ٩٣ .

تعد عبادة الأصنام من أقدم المظاهر الوثنية الشركية التي سجلها التاريخ بعد الطوفان في قوم عاد.

(قوم عاد أول من عبد الأصنام بعد الطوفان ، فكانت أصنامهم صدا وصمودا وهرا، وتحديد مسألة في أي زمن بدأت عبادة الأصنام عند العرب هو صعب جداً) [(١)].

وقد عُرف لدى القبائل العربية بعد ذلك عبادة أصنام قوم نوح المذكورة في القرآن الكريم ، فقد كان لابد لكل بيت في الجاهلية أن يحوي صنماً أو وثناً ، فيكون آخر عهد رب البيت حين يسافر هو توديعه وأول عمل يقوم به حين يعود هو السلام عليه والتمسح به ، هذا بخلاف صنم القبيلة الأوحد[(٢)]. ولكن من الذي تحمل وزر نصب أول صنم عند البيت العتيق؟.

قد ذكرت المصادر التاريخية أن من يحمل ذلك الوزر إلى يوم القيامة هو زعيم قبيلة خزاعة "عمرو بن لُحي" [(٣)] ذاك المشؤوم الذي حاز أسوأ شرف في التاريخ الديني.

(كان أول من ولي ولاية البيت عمرو بن لُحى فغير دين إبراهيم وبدله، وبعث العرب على عبادة التماثيل ، وذلك حين خرج إلى الشام ورأى قوماً يعبدون الأصنام، فأعطوه صنماً فنصبه على الكعبة ، ولما أكثر عمرو بن لُحى من نصب الأصنام حول الكعبة غلب على العرب عبادتها ، وانمحت الحنيفية منهم إلا لمماً [(٤)].

---

(١) سميح غنيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، ص٨٦ .

(٢)(إن عبادة الأصنام كانت منتشرة انتشاراً واسعاً قبيل الإسلام ، حتى كان أهل كل دار قد اتخذوا صنماً في دارهم يعبدونه ، ومن لم يقدر عليه نصب حجراً ، ثم طاف به كطوافه بالبيت ، فلم يكن حي من أحياء العرب إلا وله صنم يعبده) جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج٦ ، ص٦٦ .

(٣) كان عمرو بن لُحى بمكانة لدى قومه حتى أنه ما قام بأمر ما إلا شرّعوه لهم من بعده ، وساروا عليه كأنه رباً يُعبد ، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، وذكروا أنه كان ملكاً على الحجاز ، مما قيل فيه من الشعر :

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة ... شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رب واحد أبدا ... فقد جعلت له في الناس أربابا

" المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " لجواد علي ، ج٦ ، ص٨٠ .

(٤) علي بن الحسين المسعودي : " مروج الذهب " ، ج٢ ، ص٤٥٢ .

– أشهر الأصنام في بلاد العرب [١]:

- **صنم مناة** : أقدم الأصنام على الاطلاق وقد جلبه التعيس ابن لحى من الشام.
- **صنم اللات** : كان لأهل الطائف وهي صخرة مربعة الشكل اتخذها العرب إلهاً.
- **صنم العزى** : هي أحدث من اللات ومناة ، وكانت في مكة لقبيلة قريش.
- **صنم هُبل** [٢]: كان في جوف الكعبة وكان من أعظم الأصنام لدى قريش.
- **صنما أساف ونائلة** [٣]: هما رجل وامرأة من جرهم وضعا عند الكعبة للعظة فعُبدا.

– دين الصابئة:

يعود الصابئيون بدينهم إلى شيث بن آدم ثم إلى نوح ومن بعده إلى إبراهيم بالتلقي عن نوح وعن إدريس حتى ينتهي الأمر إلى يحيى عليهم وعلى نبينا صلاة ربي وسلامه، لكنه إنه انحرف عن مساره الصحيح إلى عبادة أصنام بأسماء كواكب.

(أول من سجد للأصنام الصابئة – كانوا من عباد الكواكب والشمس –، وكانوا يسجدون في مبدأ أمرهم للأجرام السماوية ، ولما رأوا الشمس تختفي ليلاً وسائر الكواكب نهاراً ، وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صوراً عبدوها ، ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هي المشترى وزحل والمريخ وعطارد والزهرة) [٤].

أما الصابئة الباقون منهم على معتقدهم الإلهي مزجته العقليات والفلسفيات فأصبحوا يقدسون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر إلهي فعال في الأجرام، وحران دارهم لذا عرفوا بالصابئة الحرانية.

---

(١) هشام الكلبي : " الأصنام " ، ص٥٩ . ٧٨ ، ومحمد نعمان الجارم : " أديان العرب في الجاهلية " ، ص١٤٩ .

(٢) وقيل : إن عمرو بن لحى قدم به من مأرب فنصبه في مكة ، وأمر الناس بعبادته ، واختلف في موضعه قيل : أنه على ظهر الكعبة ، وقيل : إنه في جوف الكعبة ، فهو من عقيق أحمر على صورة إنسان " أديان العرب في الجاهلية " لمحمد نعمان الجارم ، ص١٥٣ .

(٣) حين أقبل أساف ونائلة إلى الحج دخلا الكعبة ، ووجدا غفلة من الناس ، وخلوة في البيت ففجر بها في داخل البيت، فمسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما ، فوضعوهما موضعهما ليتعظ الناس بهما ، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها ، فعبدتهما خزاعة وقريش " أديان العرب في الجاهلية لمحمد نعمان الجارم " ، ص١٣٣ .

(٤) محمد نعمان الجارم ، مرجع سابق ، ص١٢٨ .

(عرفت الصابئة أيضاً بالحرانية نسبة إلى حران) [١].

وقد وجد منهم عدداً غير قليل في بلاد اليمن أيضاً ، وأشهر مثال على ذلك قصة نبي الله سليمان مع الهدهد أنه أتى من قوم يسجدون للشمس من دون الله [٢].

والصابئة فرق فمنهم: الحنفاء ومنهم المشركون ومنهم الفلاسفة ومنهم صنف عُرف أنهم يأخذون ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقيد بملة ، لكن يعتقد أن التقسيم الصحيح للصابئة أن منهم المؤمن ومنهم الكافر ، وذلك بدلالة آية في القرآن الكريم.

- جاء ذكرهم ضمن أصناف الأمم المؤمنة التي منها الهالك ومنها الناجي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣] .

- أنهم ذكروا ضمن الفرق التي وعد مؤمنوها بالأجر من الله- عز وجل-.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[٤].

- جاء ذكرهم في سورة الحج أن الله يفصل بينهم يوم القيامة [٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[٦]

---

(١) سميح غنيم : " أديان العرب في الجاهلية " ، ص١٣٨، ١٤٦ .

(٢) كانوا يعبدون الشمس من دون الله ، وقد ذكر القرآن ذلك في سورة النمل : آية ٣٤ .

(٣) سورة المائدة : آية ٦٩ .

(٤) سورة البقرة : آية ٦٢ .

(٥) ورد هذا التقسيم في " أديان العرب في الجاهلية " ، لمحمد الجارم ، ص١٨٩ .

(٦) سورة الحج : آية ١٧ .

وقد جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تُحرم عبادة الأفلاك والأجرام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

– عبادة مظاهر الطبيعة:

تشمل عبادة مظاهر الطبيعة عبادة ما في السماء وما في الأرض ، وقد ذكرت سابقاً ان الصابئة عبدوا مظاهر الطبيعة السماوية "الشمس والقمر والنجوم والكواكب"، وقد قيل أن أول من عبدها من العرب قبائل سبأ الحميرية التي عبدت الشمس من دون الله ، ولما تهدم سد وادي مأرب تفرقوا في أنحاء الجزيرة العربية فتأثرت بهم بعض القبائل.

وقد قسم علماء الأديان عبّاد الكواكب إلى ثلاث فرق ؛ الفرقة الأولى منهم قالت أنها خالقة بذاتها ؛ ومنهم من يرى أنها مخلوقة لكنها آلهة ولها مهام محددة وسرمدية؛ والفرقة الثالثة ترى أن فوقها إله مبدع هو من أعطاها القدرة على العالم [2]. وقد برع العرب في مراقبة منازل النجوم وأبراج الكواكب وكانوا يستطلعون بها قبل سفرهم أو إذا همهم أمرا ، لم يستثنوا من العبادة نجماً ولا كوكباً ولا جرما [3].

ومن مظاهر الطبيعة الأرضية التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية عبادة النخلة والشجرة العظيمة ذات الفروع الوارفة.

(أهل نجران قبل أن يتنصروا يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة،

---

(١) سورة فصلت : آية ٣٧ ، سورة النجم : أية ٤٩ .

(٢)(من اعتقد التأثير للكواكب وهؤلاء ثلاث فرق ، الفرقة الأولى ذهبت إلى أن الكواكب واجبة الوجود لذاتها ، والفرقة الثانية ترى أن الكواكب آلهة ، ولكل منها عمل قائم به ، وأنها أبدية الوجود أزلية ، والفرقة الثالثة ترى أن لهذه الكواكب والأفلاك إلهاً مبدعاً أعطاها قدرة وإرادة ذاتية نافذة في هذا العالم) محمود عرفة محمود: " العرب قبل الإسلام " ، ص١٨٧ .

(٣) جاء تفصيل ذلك في عبادة الصابئة ، جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "، ج٦ ، ص٥٧-٥٨ .

وكان لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً)[١].

– عبادة القوى الغيبية [٢]:

غالباً ما يشمل مصطلح القوى الغيبية الملائكة والجن.

عبادة الجن : اعتقد العرب أن الجن تسكن الأماكن الموحشة المقفرة البعيدة عن الناس، فضلاً عن القبور التي كانت في نظرهم مأهولة بهم ، وقد نظر العرب إلى الجن نظرة مخيفة مفزعة ، فهي أرواح ذات هيئة غير منظورة ، وقد نسبها العرب للخالق– سبحانه وتعالى–:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[٣]

وقد كانت عبادة الجن من قبيل الاتقاء لشرها وتوقي أذاها ؛ والاستعاذة كانت من وسائل العبادة والتبجيل للجن ، فقد اشتهر عن العرب أنهم إذا نزلوا وادياً مقفراً يقولون: نعوذ بعظيم هذا الوادي . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾[٤].

عبادة الملائكة :

وقد ذكرها القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ

---

(١) المرجع السابق ، ص١٥٤ .

(٢) مصطلح قوى غيبية تشمل الملائكة والجن والشياطين . أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام لسميح غنيم ، ص١٥٦،١٥٩ .

(٣) سورة الصافات : آية ١٥٨ .

(٤) سورة الجن : آية ٦ .

أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(١) .

كانت تلك أظهر مظاهر المعتقدات الشركية الوثنية لدى العرب قبل البعثة المحمدية.

الدهريين ومنكري البعث:

عُرف لدى العرب الدهريين ومنكري البعث أيضاً ، وقد حكى القرآن الكريم عنهم. قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢) .

ينص معتقدهم هذا كما حكى عنهم القرآن الكريم أن العالم ليس له صانع ولا مبدع في كونه ، كما أن ليس له مدبر ولا حافظ سوى الدهر ، وفي هذا مماثلة لمقالة فلاسفة اليونان في مسالة حدوث العالم ، الحق واحد لا ثاني له وللباطل إخواناً كُثْرُ.

الأديان التوحيدية في شبه الجزيرة العربية قديماً:

ليس كل العرب كفاراً مشركين ؛ فقد جاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية المطهرة وكتب السير والتاريخ الديني أن من العرب في الزمن الجاهلي من عفت نفسه مظاهر الشرك كلها واستنكف أن يسجد لصنم أو يعبد وثنا ؛ وكذلك لم تُقنعه عبادة الطبيعة، وعبادة الكواكب والنجوم ما كانت لترضيه أو تُشبع عاطفته الدينية.

فكانوا يبحثون عن شيء آخر، الآخر الذي لم يزل فيه بقايا من نور الحق وإن كان بسيطاً إلا أنه شعاع أمل.

كانوا يبحثون عن دين يدعو إلى عبادة واحد أحد، فهذه هي الفطرة التي يستشعرونها ، يعبدون واحد ليس له شريك في ملكه ولا ند في أمره. ذلك هو الذي كان يُرضيهم ، فوجدوا ملاذهم في بقايا الأديان التوحيدية "الحنيفية واليهودية والنصرانية" التي

---

(١) سورة سبأ : آية ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) سورة الجاثية : آية ٢٤ .

كانت موجودة في بلاد العرب ، فاعتنقها البعض حتى مجيء الإسلام، ومن ثم أسلم ومنهم من مات عليها.

١- الحنفاء:

هم الذين اتخذوا من بقايا دين إبراهيم عليه السلام ديناً يتعبدون به ، كان معظم تعبدهم تأملاً في الكون وخلقه ، وتجنبوا فعل المنكرات التي كان معتاداً على فعلها العرب من شرب الخمر ولعب الميسر.

(كان من العرب من أحجم عن الوثنية وعن الصابئة والمجوسية وغيرها من الديانات التي انتشرت في بلاد العرب ، واتخذت من عقيدة إبراهيم عليه السلام دينا لها ، وهو الدين الذي يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وقد عرف هؤلاء بالحنفاء) [١].
ومن العرب الذين اعتنقوا الحنيفية[٢] عمرو بن زيد بن نفيل، فقد قال: أعبد رب إبراهيم [٣]، وعبد الله بن جحش أقام على لا دين حتى أسلم [٤].

٢- اليهودية:

هي بقايا دين توحيدي حق مُنزل على كليم الله موسى . عليه السلام ، ويرجع ظهور اليهودية في جزيرة العرب إلى هجرة الجماعات اليهودية من أرض كنعان ، ونزوحها إلى الجهات القريبة من بلاد العرب في بادئ الأمر، ثم انتشارها في باقي الأنحاء [٥].
ولم تلق اليهودية قبولاً كبيراً بين العرب ولا بين غيرهم ، لما في أوامرها من مشقة، وقد كان معقل اليهود في جزيرة العرب هي يثرب [٦]، انتشرت اليهودية بين الممالك

---

(١) محمود عرفة محمود : " العرب قبل الإسلام" ، ص٢٠٥ .

(٢) (كان سويد بن عامر المصطلقي على دين الحنيفية ، وكان منهم أيضاً عمير بن جندب الجهني ، كان موحداً لم يشرك بربه أحداً ، والشاعر زهير بن أبي سلمى من الحنفاء) محمود عرفة محمود : " العرب قبل الإسلام " ، ص٢٠٦.

(٣) قيل إنه وقف على اليهودية والنصرانية ، فلم يدخل بها ، وفارق دين قومه ، واعتزل الأوثان ... " السيرة النبوية " ، لابن هشام ، ج١ ، ص١٦٩ .

(٤) بعد إسلامه هاجر إلى الحبشة وتنصر بها ، حتى هلك نصرانياً .. " السيرة النبوية " ، لابن هشام ، ج١، ص١٦٨ .

(٥)محمود عرفة محمود : " العرب قبل الإسلام " ص١٩١ .

(٦) (كانت منطقة يثرب المركز الرئيس لليهودية في جزيرة العرب ، فنزل بها بنو النضير ، وبنو قريظة ، وكان في يثرب قبل هجرة اليهود إليها كثير من البطون العربية من قبائل بني الحرمان ، وبني مرثد ، وبني معاوية . ثم . هاجر إليها الأوس

المحيطة بالحجاز قبل أن تصل إلى الحجاز ، وممن اعتنقها من القبائل العربية ملوك حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب كما تهود قوم من الأوس والخزرج[١].

٣- النصرانية:

وهي أيضاً بقايا دين توحيدي حق أُنزل على عيسى عليه السلام ، وقد انتشرت بين العرب الباحثون عن دين غير ما كان عليه أقوامهم فتنصروا.

(النصرانية هي ثاني الديانات الكتابية الموحى بها ، أول احتكاك للعرب بالمسيحية كان مع المسيح مباشرة في المدن التي عاش فيها القدس وأريحا وبيت لحم كل هذه المدن كانت تعرف بعض السكان العرب) [٢].

من أشهر من ذكرتهم كتب التاريخ أنه تنصر ورقة بن نوفل [٣] ابن عم السيدة خديجة- رضي الله عنها-، والذي ذهبت إليه حين فزع النبي الكريم من أول رؤية له لجبريل . عليه السلام . فكانت بشارة النبوة لمحمد- صل الله عليه وسلم-، ومن القبائل التي عُرف عنها النصرانية قبيلة طيء وقبائل كلب وقضاعة وجذام ، كما كان في مكة بعض النصارى الذين كانوا سبباً في تنصر بعض العرب.

(دخلت النصرانية بلاد العرب وانتشرت فيها بالتبشير وليس بطريق الهجرة ، وكان التبشير يتم بدخول بعض النساك والرهبان إلى جزيرة العرب) [٤].

وقد ذكر أن معظم الرقيق في مكة كانوا من النصرانيين الرومية [٥] ،كما تعتبر

والخزرج أثر حادث سيل العرم) ، مرجع سابق ، ص١٩١. ١٩٤ .

(١) سميح غنيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٥٦ . ٦٠ بتصريف .

(٢) المرجع السابق ، ص٥٥ . ٧٣ ، بتصريف .

(٣) فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ... " السيرة النبوية " ، لابن هشام ، ج١ ، ص١٦٨ . قيل هو : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، من قريش : حكيم جاهلي اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتنصر ، وقرأ كتب الأديان ، وكان يكتب باللغة العربية بالحرف العبراني ، أدرك أوائل عصر النبوة ، ولم يدرك الدعوة، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ، وفي حديث ابتداء الوحي ... انطلقت بالرسول إلى ورقة ابن نوفل ، وكان شيخاً كبيراً ، فقالت : يا ابن العم اسمع من ابن أخيك . انظر ترجمته : " الأعلام " للزركلي ، ج٨ ، ص١١٤

(٤) محمود عرفة محمود : " العرب قبل الإسلام " ، ص ١٩٧. ٢٠٤ .

(٥) محمود عرفة محمود ، مرجع سابق ، ص١٩٧. ٢٠٤ .

منطقة نجران من أهم معاقل النصرانية في الجزيرة العربية وذلك بسبب قربها من بلاد الحبشة [1].

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في أديان بلاد العرب القديمة

حينما أجملت في المطلب السابق الأديان التي عرفتها شبه الجزيرة العربية واعتنقها العرب بنوعيها التوحيدي والوضعي لم آتِ على ذكر أديان بلاد فارس "المجوسية" على وجهة الخصوص فقد آثرت أن أذكرها هنا وبإسهاب.

الأمر المؤكد في كتب التاريخ أن الأديان الفارسية الثنوية قد وصلت إلى شبه الجزيرة

(١) بلاد الحبشة لا يفصلها عن بلاد العرب سوى البحر الأحمر ، وقد تعاظم شأن المسيحية ، وأنشئت الكثير من الأديرة ، حتى غدت هي الديانة الرسمية اليمن . " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام : لسميح غنيم ، ص٤٠ .

العربية واعتنقها بعضهم ، وأجد أنه من أوثق الأدلة الذي لا يرقى إليه شك آيات القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1] .

لا يذكر القرآن الكريم أمراً لم يعرفه العرب فيتركهم في حيرة من أمرهم، وليس هناك من شك في وصول الثنوية إلى الجزيرة العربية، لكن يبقى السؤال المهم هو:

كيف وصلت؟ وفي أي صورة وصلت؟

فرق بعض علماء بين المجوسية القائمة على عبادة الاثنين وبين الزندقة ، فالمجوسية لفظ علم على أديان بلاد فارس القديمة حتى قبل ظهور زرادشت، وهي تقوم على الاعتقاد في أصلين للكون بحجة أن الباري لا يجوز عليه التكثر فهو واحد.

(نظر قدماؤهم في مبحث الخير والشر، لقول الحكماء أن الباري بتوحيد ذاته جهة واعتبار يستحيل صدور التكثر عنه ؛ لأنه لو صدر الخير والشر عنه لكان عين التكثر في إمكانه وهو باطل ، فقالوا بوجود فاعلين أزليين يصدر عن أحدهما الخير، وعن الثاني الشر) [2].

وقد ظهرت أديان عديدة في بلاد فارس كلها تقوم على أساس الأصلين الاثنين مع الاختلاف في بعض التفاصيل ، ومن أظهر مظاهر المجوسية عند العرب نظرتهم إلى النار. ولقد كان اعتقاد المجوس أن النار هي أثر الإله على الأرض ؛ لذا لاقت لديهم من التعظيم والاهتمام مما أدى إلى عبادتها لذاتها ، وبنوا لها بيوتاً توقد فيها أبدا لا تنطفي يسهر على حمايتها رجال دين معينين ، وقد لوحظ على العرب قديماً اهتمامهم بالنار، وإن كان ذلك الاهتمام لم يصل إلى حد العبادة ، إلا أنها احتلت مكانة كبيرة وعلى

---

(١) سورة الحج : آية ١٧ .

(٢) محمد نعمان الجارم : " أديان العرب في الجاهلية " ، ص١٩٠ .

مختلف الأصعدة.

- فكانت توقد نار هداية للضالين المسافرين في ظلمة الليل .
- وكان هناك نار إكرام الضيف توقد دلالة على الاستعداد للاستقبال الضيوف.
- كما كان هناك نار الحرب التي توقد في مقدمة الجيوش وما تثيره من هيبة وخوف.

وقد كانت الصلة بين العرب والفرس ذات تاريخ قديم ، ابتدأت تقريباً من علاقة المناذرة في الحيرة بملوك فارس كما شكل العرب أطرف تأييد في الحروب الدائرة بين الفرس والروم (١) وقد سطرت الكتب أسماء بعض العرب الذين اعتنقوا الدين المجوسي.

(كانت المجوسية في تميم ، وقد اعتنقها بعضهم مثل : زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب ابن زرارة وكان تزوج ابنته ، ومنهم الأقـــرع بن حابس كان مجوسيـــاً، وأبو سرد جد وكيع ابن حسان كان مجوسياً) (٢).

أما الذين فرقوا بين المجوسية وبين الزندقة ذكروا:

(الزندقة كانت عند العرب ، كانت الزندقة في قريش أخذوها عن الحيرة) (٣).

وبدلالة النص لا يوجد فرق بينهما ، فالزنديق هو الثنوي القائل بالنور والظلمة إلهين أزليين عند كافة المعرّفين اللغويين ، وليس يقصد بالزنديق هـــم الشعـــراء الماجنون أو الدهريين منكري البعث لأن النص ذكر أنها مأخوذة من الحيرة ، وبلاد الحيرة كانت تعتبر منطقة فارسية على الرغم من أن غالبية سكانها وملوكها من العرب ، وكان دينهم دين الفرس المجوسي. ولم تكن المجوسية من أديان فارس هي التي اعتنقها العرب فقط، فقد أثبتت النصوص التاريخية وجود أديان أخرى.

---

(١) سميح غنيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، ص٣٩ بتصريف .

(٢) وردت هذه المعلومة بهذا الشكل في كافة المراجع التي ذكرت أديان العرب قبل الإسلام منها : " أديان العرب في الجاهلية " لمحمد نعمان الجارم ، ص١٩١ ، و " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " لسميح غنيم ، ص٨٢ ، و " العرب قبل الإسلام " لمحمود عرفة محمود ، ص١٨٦ .

(٣) محمد نعمان الجارم : " أديان العرب في الجاهلية " ، ص١٩٢ .

(المزدكية هي أيضاً من الاعتقادات السائدة عند الفرس، وهي تعود إلى مزدك الذي كان يستحل المحارم ، وقد اعتنقها أحد ملوك الحيرة، وهو الحارث بن عمرو الكندي ، وكان المزدكيين زنادقة أي يشركون مع الإله الواحد إله آخر) [(١)].

وقال بعضهم أيضاً:

(كانت المزدكية والمجوسية في تميم) [(٢)].

أما المانوية فلم يرد لها ذكر في الكتب إنها ظهرت في بلاد العرب- على حد علمي- هذا ما كان من ملامح المعتقد الثنوي الظاهر لكن ماذا بشأن المعتقد الثنوي المستتر؟!!

قد يبدو المصطلح غريباً نوعاً ما "ثنوية مستترة" ليس لها محل في شبه الجزيرة العربية فإن كانت الأديان الفارسية وجدت لها مكانة لدى العرب في القديم فلم تستتر الثنوية؟!.

لقد كانت بلاد العرب- كما ذكرت- مسرحاً للعديد من الأديان المنوعة ما بين سماوية ووضعية ، وإذا لاحظنا عدد النصوص التي تحدثت عن وجود المجوسية عامة والثنوية خاصة سنجدها الأقل انتشاراً على الإطلاق. ما قصدته بالثنوية المستترة هو

" الشـرك "

ولست أقصد كل أنواع الشرك ، لكنه النوع الذي يعتقد الشخص فيه بوجود قوى- غالباً ما تكون غيبية- لها القدرة على المنح والعطاء إن رضيت، والقدرة على المنع والإيذاء إن هي غضبت مع الاعتقاد بوجود الله ، وهذا هو ذاته عين الثنويـــة المستترة التي أقصد. وقد تمثلت تلك القوى الغيبية عند العرب في أمرين:

- عالم الأرواح الغير مرئي[(٣)].

---

(١) سميح غنيم : " أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

(٢) محمد نعمان الجارم : " أديان العرب في الجاهلية " ، ص١٩٢ .

(٣) (أظهر مظاهر الثنوية عند الجاهليين العرب هو عبادة الأرواح والاعتقاد بأنها شركاء الرب في إدارة الكون)جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج٦ ، ص٧٠٥ .

- عالم الملائكة المقربين .

نتج عن ذلك الإيمان بوجود قوى طيبة أو خبيثة تشارك في تدبير الكون مع رب الكون . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(طبيعة الأرواح طبيعة غير مرئية ولا منظورة ، ثم إنها على طبيعتين: شريرة وخيرة ، خبيثة وصالحة ، ومن الطبيعة الأولى الشياطين وبعض أنواع الجن، ومن الطبيعة الثانية الملائكة) [١].

من تلك الطبيعة الغير مرئية اكتسبت الأرواح المكانة والمهابة في نفوس العرب، حتى أوصلتهم إلى اعتبارها آلهة من الدرجة الثانية ، ومنحوها مكانة ندية ضدية لله عز وجل.

(لعب الإيمان بالجن عند بعض الجاهلين دوراً فاق الدور الذي لعبته الآلهة، فنسبوا إليها أعمالاً لم ينسبوها إلى الأرباب ، وتقربوا إليها لاسترضائها أكثر من تقربهم إلى الآلهة، إنها عناصر مخيفة مرعبة تؤذي من يؤذيها ، وتلحق به الأذى والأمراض، وهذه العقيدة جعلت الجن في الواقع آلهة ، وليس لدى المفسرين أو أهل الأخبار علم واضح عن كيفية اعتقاد بعض العرب بإلوهية الجن وبمصاهرتهم للآلهة) [٢].

لم يكن لدى كاتب النص علة وتفسير لوصول عبادة الجن وبمصاهرتهم للآلهةشبه الجزيرة العربية ، ولكن كل آفة شركيه عرفتها البشرية هي من إبليس اللعين هذا أمراً لا يتطرق إليه الشك.

والأمر الثاني الذي تمثلت فيه القوى الغيبية " الثنوية المستترة " هم الملائكة ، والتي أثبتت النصوص التاريخية أن بعض من العرب تعبد لها كشريك لله في ملكه وإن كانت ليست نقيضه.

---

(١) جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، مرجع سابق ، ص٧٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٧٠٩ . ٧١٠ .

(الذين يعتقدون أن الإله بلغ في العظمة حداً عظيماً ، بحيث لا يصلح ذلك الإنسان الذي يصيب في عمله تارة ويخطئ أخرى أن يكون عابداً له ، إنما الذي يصح أن يكون عابداً له هو المخلوق الذي لا يخطئ أصلاً وهم الملائكة ، فجعلوا الإله معبوداً للملائكة) [(١)].

الخلاصة:

بلاد العرب مساحة لا يستهان بها من الأرض فهي كبيرة متسعة الأطراف ومترامية الحدود ، سكانها من القبائل العربية الذين جمعهم اللسان العربي وفرقهم المعتقد والدين، فلم يكن العرب على دين واحد بل كانت هناك أديان مختلطة ما بين وضعية وسماوية.

سكن الجزيرة العربية قديماً العرب البائدة الذين انقطع نسلهم وبقي ذكرهم وعظتهم كما سكنها أيضاً العرب الباقية بقسميها العاربة من بني قحطان والمستعربة من بني

(١) "طوائف من المشركين والرد عليهم" بحث عبد الله محيي عزب ، قسم الدراسات القرآنية ، مصدره لهذا التقسيم ، محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم الشهير بتفسير أبو السعود ، ج١/١٣٧ .

عدنان ، كانت مكة ومازالت قلب الجزيرة العربية قديماً وحديثاً.

وادي لا زرع به ولا ضرع يترك به خليل الله إبراهيم عليه السلام طفلاً رضيعاً وأمه ليتكون بهما ومعهما بداية أمة إسلامية عظيمة ملأت الأرض فتحاً ونوراً كما لم تملأه أمة من قبل.

وعن الملامح الدينية في شبه الجزيرة العربية:

إن كل الأديان عُبدت على أرض شبه الجزيرة العربية من عبادة الأصنام إلى معتقدات الصابئة الحرانية، تزامناً مع المجوسية، كما اعتقد العرب بالجن واسترهبوها وآمنوا بقوى الملائكة فعبدوها وعبدوا النجوم والكواكب والشجر والنخل، هذا ما كان من أمر الأديان الوضعية.

أما بشأن الأديان السماوية : فقد كان هناك اليهود وتهَوّد بعضُ العرب، وعُرفت النصرانية وثبت عن بعض العرب تنَصرهم، بالإضافة إلى ثلة منهم تمسك بالحنيفية الإبراهيمية. كما كانت شبه الجزيرة العربية ملتقى الحضارات من أقصاها إلى أدناها كانت ملتقى الديانات على مختلف معتقداتها ومُرتكزاتها.

وفي خضم كل هذا كان للثنوية وجود في أديان شبه الجزيرة العربية على نوعين:

- ملامح ثنوية صريحة: هي المجوسية وبعض أديان فارس التي دان بها بعض العرب.
- ملامح ثنوية مستترة: تمثلت في اعتقاد العرب أن لله شركاء يدبرون معه الكون.

كل ذلك كان في الجزيرة العربية حتى سطع نور الحق بالرسالة المحمدية خاتمة الرسائل السماوية وآخر الأديان التوحيدية.

الفصل الرابع

الثنوية في الأديان السماوية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الثنوية في اليهودية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد.**
- **المطلـب الأول: ملامح الدين اليهودي**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في الديانة اليهودية**

المبحث الثاني: الثنوية في النصرانية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد**
- **المطلـب الأول: ملامح الدين النصراني**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في الديانة النصرانية**

المبحث الثالث: الثنوية في الفرق الإسلامية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد**
- **المطلب الأول: ملامح الفرق الإسلامية والمنتسبة للإسلام.**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في فِكر الفرق.**

(تمهيد)

تختلف الأديان الوضعية الوثنية عن الأديان الكتابية السماوية في جملة من الأصول والقواعد، كما تتفق معها أيضاً في جملة من الأصول . مع التأكيد على حقيقة هامة لا ينبغي إغفالها وهي أنه ما من دين وضعي نبع من لا دين!!

غالبية الأديان الوضعية إن لم تكن كلها قامت في الأصل على بقايا دين سماوي مُنـزّل من رب العالمين ، يتميز بكل ما ينفرد به واضعه الله- عز وجل- من كمال

وجلال ، لكن حين أصابه التحريف وخالطته الأساطير تحول على أيدي إبليس وجنوده من البشر من دين توحيدي إلى دين وثني ، يحيط به كل صفات النقص والقصور.

من الأمور التي تنفرد بها الأديان الوضعية عن الأديان السماوية ما يلي:

- قيامها على الأساطير.
- اشتغالها بالسحر والتنجيم.
- اعتمادها على الأسرار والقوى الخفية.
- سلطة الكهنة وقداسة رجال الدين.

ولأن كل ما سبق من أصول وثنية ليس له علاقة بدين توحيدي فعلى ذلك يكون وصول أيٍّ منها إلى أي دين توحيدي دليل على انحرافه عن الوحي الإلهي.

من جملة الأمور المشتركة بين الأديان الوضعية والأديان التوحيدية هي:

- الأسفار المقدسة في اعتقاد أصحاب كل دين.
- شمول كل دين على عقيدة وطقوس ونظم يقوم عليها.
- أماكن للعبادة.

من هنا كان الفرق بين الأديان الوضعية وبين الأديان السماوية التي سأناقشها في هذا الفصل "اليهودية، النصرانية، الإسلام".

المبحث الأول

الثنوية في اليهودية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد.**
- **المطلب الأول: ملامح الدين اليهودي**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في الديانة اليهودية**

(تمهيد)

استمات الكتاب اليهود وخاصة الأحبار والحاخامات منهم لكي يعودوا بأصول ديانتهم إلى خليل الله إبراهيم- عليه السلام- على اعتبار أنه أبو الأنبياء جميعاً، لكنه شرف حُرموا منه وذلك بدلالة القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾(١) .

فذهبت جهودهم أدراج الرياح ، لأن الثابت والمتفق عليه لدى علماء الأديان المسلمين أن التاريخ الديني لبني إسرائيل يبدأ بنبوة كليم الله موسى وأخيه هارون أبناء عمران- عليهما السلام-. وأن البقعة المكانية التي احتضنت هذين النبيين كانت مصر، لكن رسالة الهدى لم تجد لها مكاناً بمصر فخرجت منها إلى الأرض المقدسة التي لم يدخلها نبي الله موسى- عليه السلام- حتى مات ، وهي أرض فلسطين على الراجح، أما الأرض التي قضى فيها بنو إسرائيل عقوبة التيه كانت صحراء سيناء.

فمن يريد أن يتعرف على تاريخ أمة من الأمم لابد من الرجوع إلى البيئة والموطن، لكن أي موطن لبني إسرائيل لابد أن أعود؟!!

أهي مصر؟ التي لاقوا فيها صنوف من العذاب على يد فرعون حتى نجاهم الله منه بعد حين ، أم إلى صحراء سيناء التي قضوا فيها عقوبة التيه ومات فيها كل من رفض الانصياع للأوامر الإلهية بدخول الأرض المقدسة ، أم نعود إلى الأرض المقدسة التي لم يدخلها موسى- عليه السلام- ودخلها فتاه من بعده والجيل الثاني من بني إسرائيل. أم ينبغي أن أتجاوز كل ذلك، وأتحدث عن البلاد التي قضى بها بنو إسرائيل فترة السبي.

لكن بما أني أبحث عن الدين اليهودي المحرف فسوف أتجاوز الفترة الموسوية وأنتقل مباشرة إلى التعريف بالأرض التي أمرهم الله- عز وجل- أن يدخلوها ورفضوا أرض المعاد أو الأرض المقدسة . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾(٢) .

أرض فلسطين هي المنطقة التي دارت فيها أولى أحداثهم ، ومن ثم دار حولها كل خلافاتهم(٣). وقد قيل إن لموقعها أهمية كبيرة (١) ، فقد عدها المختصون ملتقى حضارات

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦٧ .

(٢) سورة المائدة : آية ٢١ .

(٣) (المنطقة التي ستدور حولها دراستنا تقع على الضفة الغربية لنهر الأردن ، وتمتد جنوباً حتى قمة خليج العقبة ، وهذه المنطقة

دول الشرق الأوسط الإسلامي. ومن وجهة نظري أن هذا يعد أحد أهم الأسباب التي جعلت الصهاينة يتمسكون بها حتى اليوم فمنها تتم لهم السيطرة على دول العالم الإسلامي بالكامل. هذه البلاد الضيقة كما وصفها صاحب قصة الحضارة كان لها من هجرات الشعوب القديمة نصيب ، فقد قيل إن أصل سكانها من الجزيرة العربية [٢] من هجرات القبائل القديمة وخاصة الفينيقيون [٣].

لكن أرجح النصوص من وجهة نظري :

(نزلت بالساحل المطل على البحر الأبيض جماعات من جزيرة كريت، كانت تسمى "فلستين"، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، فأصبحت هذه البلاد تعرف بفلسطين) [٤].

الفترة الموسوية للشعب الإسرائيلي :

عانى بنو إسرائيل في الفترة التي سبقت مولد موسى- عليه السلام- كل صنوف الذل والمهانة من قبل فرعون مصر آنذاك ، إثر رؤيا رآها في منامه [٥] وعبّرها له المعبرون أن زوال ملكه سيكون على يد طفل يولد في بني إسرائيل ، من حينها وانقلبت حياة بني

أشبه بشريط ضيق ينتهي من جهة الجنوب بمثلث رأسه إلى الجنوب ، وقاعدته في الشمال ، ويلتقي رأسه بطرف خليج العقبة ، وتمتد قاعدته من نهر الأردن إلى البحر البيض المتوسط). أحمد شلبي : " مقارنة الأديان ... اليهودية "، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٨م ، ص٣٩ .

(١) هي بالنسبة لخريطة العالم حلقة اتصال بين قارات أوروبا وآسيا وإفريقية ؛ وهي المنطقة الوحيدة التي تتصل بأكبر عدد من دول العالم العربي فهي تتصل بلبنان وسورية والأردن والسعودية ومصر،. " المرجع السابق ، ص٤٠ .

(٢) في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد نجد في أصقاع الشرق الأدنى مجموعات من الشعب السامي ، والذي يرجح أن موطنها الأصلي هو شبه جزيرة العرب ، عُرفت باسم العبرانيين ، كانوا يقيمون قبل نزوحهم إلى فلسطين في جنوب وادي الفرات ، ثم صعدوا إلى ما بين النهرين ، واتجهوا إلى سوريا ، ومن ثم كنعان . " إسرائيل عبر التاريخ في البدء " لفؤاد حسنين علي ، مطبعة الرسالة ، دار النهضة العربية ، ص٥٢ . ٥٤ .

(٣) الفينيقيين كانوا أسبق الجماعات المهاجرة ، وإلى الجنوب منهم نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين ، وسميت الأرض باسمهم " أرض كنعان " وهو الاسم الذي يكثر وروده في التوراة " اليهودية " لأحمد شلبي ، ص٤١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) ليس تلك الرؤيا فقط هي سبب معاناة الشعب الإسرائيلي ، لكن الشعب المصري عانى بالمقابل من خسة ونذالة بني إسرائيل في تعاملهم معهم سواءً في التعاملات التجارية من ربا وغِش وخلافة ، أو في النواحي السياسية حين كانوا يعينون أعداءهم عليهم .

إسرائيل إلى الشقاء والذل والاستعباد ن ولم تنته تلك المعاناة إلا حين أذن الله لموسى- عليه السلام- ومن معه من بني إسرائيل بالخروج ليلاً من مصر متجهين صوب الأرض المقدسة التي طالما حلموا بها بعد طول شتات ؛ أخيراً سيكون لهم وطناً خاصاً بهم مثل سائر الأمم.

فكرة الوطن عند بني إسرائيل ليست مثل ما هي عند باقي الشعوب ، فالوضع الطبيعي أن الشعب ينمو ويتزايد ويتطور بوطنه ومع وطنه فينشأ لديه شعور الانتماء لذلك الوطن ، ولكن هنا نجد أن شعباً ظهر إلى الوجود أولاً ثم اتجه روحياً إلى الوطن ثانياً ، فهم حالة متفردة بين الأمم. وعلى الرغم من اقترابهم من تحقيق حلمهم إلا أنهم لم يرضوا أن يبذلوا جهد في سبيل ذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

أمهلهم ربنا كثيراً لكنهم تمادوا وزاد عنادهم وتخاذلهم ، ونتيجة لمكرهم وجحودهم لأنعم الله تعالى أنزل عليهم ربنا حكماً بالتيه أربعين سنة في الصحراء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2] .

لم يدخل أرض المعاد أحد من الذين خرجوا ليلاً مع موسى من مصر ، ولا حتى موسى وهارون- عليهما السلام-، فقد مات هارون ومن ثم مات موسى بعد أن ولى على بني إسرائيل فتاه يوشع ابن نون [3] الذي كان جندي لا يعرف إلا مبدأ القوة. وبدخولهم الأرض المقدسة تكون الفترة الموسوية في تاريخ بني إسرائيل قد انتهت

---

(١) سورة المائدة : آية ٢٤ .

(٢) سورة المائدة : آية ٢٦ .

(٣) هو أحد الرجلان اللذان ذكرهما الآية الكريمة قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ ﴿٢٣﴾ ﴾ المائدة: آية ٢٣ .

ليبدأ بعد ذلك تاريخ من نوع آخـــــر، سأتجاوز الفترة التي عاشهـــا بنـــو إسرائيـــل في فلسطين وما مروا به من أحداث سياسية، إلى الفترة التي تعنيني من تاريخهم.

- السبي البابلي لبني إسرائيل:

احتار المؤرخون في وصف تلك الفترة من تاريخ بني إسرائيل ، فهي تحمل بين طياتها الجانبين السلبي والايجابي ؛ بالنسبة للجانب السلبي يقال أن بدايته كانت عندما تصرف أحد ملوك بني إسرائيل تصرف ما أغضب به الملك البابلي وقتذاك نبوخذ نصر، فقام بغزو فلسطين ودمرها عن بكرة أبيها ، حتى هيكل النبي سليمان المكان المقدس للعبادة لم يسلم من يد جنوده ، وسيق اليهود أمامه إلى بابـل أســـرى مُذلين مهانين لا يسمع لهم صوت ، ولا يقوم لهم قائم(1). وقد قيل ان هذا الحدث السلبي هو بداية العلاقة التوافقية الذهبية بين الشعب اليهودي وبين الشعب الفارسي، والتي ما زالت قائمة إلى يومنا هذا.

وقد حرص مؤرخو بني إسرائيل على تدوين أحداث تلك الفترة أكثر من حرصهم على تدوين الفترة التي عاشوها مع موسى- عليه السلام-، فمنذ ذلك السبي لم يُحكم بنو إسرائيل من قِبل أنفسهم ، بل كانوا دائماً خاضعين للغير ، فتوالى عليهم من بعد البابليين الفرس واليونان والرومان وهلم جرا . لكن أكثر ما يعنينا هي فترة الحكم الفارسي للشعب اليهودي ، لما نتج عنها من أثار دينية وثنية ثنوية هامة .

(اليهود الذين سبوا في العصر البابلي ظلوا خاضعين للسيادة الفارسية حتى غزو الإسكندر ، هذا وتعتبر فترة الحكم الفارسي من أهم الفترات في تاريخ اليهود القديم، ففيها حدث اتصال واختلاط بين اليهود والفرس فتأثروا بهم ، واقتبسوا منهم كثيراً من الأفكار والمعتقدات) (2) .

---

(١) (يبدو أن ملوك اليهودية أثاروا غضب نبوخذنصر بمخالفتهم لفرعون مصر ، فاستولى ملك بابل القوى على أورشليم، فجعل عاليها سافلة وجعل من اليهود أسرى) جوستاف لوبون : " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى " ، ترجمة : عادل زعيتر ، دراسة : محمود البحيري ، طبع : دار طيبة للطباعة والنشر ، الطبعة الأول ، ٢٠٠٩م ، ص٦٠ .

(٢) فتحي محمد الزغبي : " تأثر اليهودية بالأديان الوثنية " ، تقديم : يحيى فرغل ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، ص٢٢٥ .

هذا الاتصال البابلي هو الهام بالنسبة لي ، وذلك للآثار الدينية التي نجمت عنه، وقد يجوز لي أن أطلق على تلك الفترة " توافقية تقاربية " بين الديانتين اليهودية والفارسية فقد تم فيها بلورة وصياغة معظم أفكار اليهود الوثنية الثنوية الفارسية.

أسماء بني إسرائيل:

وعلى غير ماهو معتاد كان ينبغي أن يكون التعريف بالأسماء التي أُطلقت على بني إسرائيل في بدايات المطلب ، لكني أخرت ذلك إلى ما بعد ذكر الأحداث التاريخية ذاتها وذلك ليتضح المقصد من قصة الاسم نفسه . لقد أُطلق على بني إسرائيل أسماء عدة [(١)]، اذكر منها :

١- **عبري** [(٢)] : هي أقدم التسميات التي أُطلقت على اليهود.

٢- **إسرائيلي**[(٣)]: ترجع هذه التسمية إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق.

٣- **يهودي**[(٤)]: لهذا الاسم أكثر من غيره اشتقاقات عدة متنافرة لا رابط بينها.

٤- **صهيوني**[(٥)]: هو من يؤمن بحق اليهود في اغتصاب فلسطين ولو من غير بني إسرائيل.

- فِرق بني إسرائيل:

---

(١) معاني الأسماء من . " تأثر اليهودية بالأديان الوثنية " لفتحي الزغبي ، من ص٧٤ . ٨٦ ، و" موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " لعبد الوهاب المسيري ، ج١ ، ص١٠١ . ١٠٤ ، بتصريف .

٢) وتختلف المصادر في تحديد أصلها ، فمنهم من قال : من عبر النهر ، ومنهم من قال : إنما ترجع إلى عابر حفيد سام؛ وكان سيدنا إبراهيم . عليه السلام . أول من أطلق عليه هذا الاسم لم يأت ذكر العبرانيين إطلاقاً في القرآن الكريم .

(٣) كلمة إسرائيل عبرانية مركبة من مقطعين : " إسرا " و" ايل " يقال أن إسرا بمعنى عبد أو صفوة وايل بمعنى الله فيكون الاسم عبد الله ، ولها تفسيرات عديدة أخرى ، وقد جاءت في القران الكريم " ٤٣ " مرة اثنان منهم كانت للدلالة على يعقوب وإحدى وأربعين مرة للدلالة على قوم موسى ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص٣٣ .

(٤) قيل إن قوم موسى سموا بهذا الاسم حين تابوا عن عبادة العجل ، وقالوا : إنا هدنا إليك أي رجعنا ، ومنهم من يرى أنهم سموا يهودا لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ، والراجح إنه الاسم الذي أُطلق عليهم في فترة السبي.

(٥) حتى لو كان ذلك الشخص غير يهودي فهناك الصهيوني المسيحي ، والصهيوني اللادين ، وقد اشتق الاسم من اسم جبل " صهيون " الذي يطمع اليهود أن يعيدوا بناء هيكل سليمان فوقه .

ذكر نبينا وقدّوتنا محمد بن عبد الله- عليه من ربــه ومنـا الصـلاة والسـلام- في حديث الافتراق المشهور ، أن اليهود افترقت إحدى وسبعين فرقة ، لكن باستقراء التاريخ نجد أن فرق اليهود أكثر من ذلك ، ولست أزعم أني سأوردها كلها فلا يُبتغى منها غاية.

قسمها علماء الأديان تقسيمات عدة ، تارة باعتبار تاريخي ، وتارة أخرى باعتبار منهجي ، وثالثة باعتبار البقاء والاستمرارية . وقد اخترت أيسر التقسيمات :

١- فِرق بني إسرائيل القديمة [١] .

٢- فِرق اليهود الحديثة [٢] وهذا هو المعتمد حالياً في دولة فلسطين المغتصبة [٣].

المطلب الأول: ملامح الدين اليهودي

لا توجد أي صلة بين الدين اليهودي اليوم وبين ما جاء به موسى عليه السلام، فدين موسى- عليه السلام- هو الإسلام الذي دعا إليه الأنبياء من قبله ومن بعده، دين واحد يدعو إلى إله واحد [٤] وقد وجدت من النصوص ما يؤكد ذلك :

---

(١) **الفريسيون** : هم شيعة من اليهود يدعون تمسكهم بالدين أكثر من غيرهم وهم يتبعون الحاخام عزرا ، **الصدوقيون** : ينسبون إلى ملكي صادق كان كاهناً وهم ينكرون البعث واليوم الآخر ، **الحسديون** وتعني " الأساة " وهي تختلف عن بقية الفرق اختلافاً جوهرياً في عقائدها وعباداتها ، فهم يحيون حياة الرهبنة ، **القَرّاءون** أسسها عنان بن داود وهي لا تعترف بالتلمود وتتمسك بتعاليم التوراة حرفياً ، **السامريون** هم فئة قليلة من اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة من العهد القديم .. كامل سعفان : " اليهود .. تاريخ وعقيدة " ، ص٢٠٤ ـ ٢٠٩ ، بتصريف.

(٢) وقد عنيت أن لا أكتب عنواناً مشابهاً لما سبق ... فهم اليوم ليسوا بني إسرائيل بل هم اليهود الصهاينة .

(٣) قَسم اليهود أنفسهم إلى ثلاث مجموعات رئيسة : **الأشكنازيون** وهي كلمة ألمانية ومعناها اليهودية الحديثة وكانت تُطلق على اليهود الألمان فقط ومن ثم شملت جميع يهود أوروبا الغربية ، **السفارديون** هم اليهود الذين تحدروا من إسبانيا والبرتغال خصوصاً بعد الفتح العربي ، **اليهود الشرقيون** هم اليهود الذين غادروا فلسطين إثر السبي البابلي ، والطرد الروماني... رجا عبد الحميد عرابي : " سفر التاريخ اليهودي " ، ص٣٠٨ وما بعدها ، بتصريف .

(٤) سورة البقرة : آية ١٣٣ ، سورة يوسف : الآيات ٤٠.٣٧ ، سورة موسى ، طه : ١٤.٩ ، وغيرها الكثير .

(من الخطأ أن نطلق على اليهودية أنها ديانة سماوية، حيث إنها دين اليهود، وهي غير مطابقة مع ما جاء بها سيدنا موسى– عليه السلام–) [(١)].

كما وإني صادفت نصاً آخر بدأ الكاتب بطرح السؤال التالي ومن ثم قام بالإجابة عليه[(٢)]: هل الديانة اليهودية اليوم ديانة سماوية؟.

هذه الديانة التي تمارس اليوم من قبل اليهود لا يمكن أن تكون ديانة توحيدية في أي شكل من الأشكال ؛ فهي لا ترقى إلى مستوى الديانات السماوية التي نادي بها آدم والأنبياء من بعده حتى انتهت بالرسالة المحمدية". والديانة التي تُدعى باليهودية اليوم هي من اختراع كاتب شريعة السماء "عزرا"، أو كما جاء في القرآن الكريم باسم "عزيز". قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾[(٣)].

كان ما سبق للتميز بين دين موسى – عليه السلام– وما يتبعه اليهود اليوم، وهو الذي سوف يدور بحثي حوله، الدين الذي الف وكتب في فترة السبي البابلي وما بعدها، سيتناول النقاش عدة محاور، وهي:

١– تأثر الدين اليهودي بالأديان الأخرى.

٢– صفات الخالق في الدين اليهودي.

٣– الكتاب المقدس لدى اليهود.

– المحور الأول: تأثر الدين اليهودي بالأديان الأخرى

العوامل كثيرة والمؤثرات عديدة فلم يستطع كاتب من الكتاب أن يستخلص ملامح الدين اليهودي الصحيحة من بين العديد من ملامح أديان الأمم الأخرى بداية من دين المصريين الذين عاشوا معهم فترة طويلة من الزمن ، مروراً بالأمم الذين التقوا بهم خلال رحلتهم من مصر حتى وصلوا الأرض المقدسة ، وأخيراً بمن خضعوا لهم من حضارات مختلفة في فترة السبي البابلي وما بعدها.

---

(١) فتحي محمد الزغبي : " تأثر اليهودية بالأديان الوثنية " ، ص٧٣٤ .

(٢) عبد المجيد همو : " الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات " ، ص ١٦ ـ١٧ . بتصريف

(٣) سورة التوبة : آية ٣٠ .

(أن تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار الديانات والثقافات الأخرى التي نمت وترعرعت في وادي الفرات) [١]

ذكر النص السابق عبادة وادي الفرات فقط لكن وجدت عبادات أقوام آخرين مثل:

- عبادة المصريين[٢] .
- عبادة أهل الشام[٣] .
- عبادة البابليين[٤] .

وغيرهم من كنعانيين وآشوريين ، فقد وصف معتقد اليهود بشكل عام أنه:

(التراث اليهودي المتمثل في كتبهم وأسفارهم المقدسة لا يمثل اليهودية فحسب بل يحمل في ثناياه معتقدات وطقوس الأمم التي عاش اليهود بينها عبر تاريخهم، واستوعب اليهود هذه الحضارات المختلفة وصبغوها بصبغة يهودية حتى بدت وكأنها من نتاج العقلية اليهودية) [٥].

إن تتبع كل تلك المؤثرات يعد من الأمور الصعاب وهي لا تعنيني إجمالاً في موضوعي. لذا سوف أركز بحثي حول أثر العقيدة الفارسية الثنوية على الدين اليهودي فقط ، والتي قامت أثر العلاقة بين الشعبين اليهودي والفارسي ولا زالت [٦].

---

(١) فتحي محمد الزغبي : " تأثر اليهودية بالأديان الوثنية " ، ص٤٣٦ .

(٢) (يذكر علماء التاريخ أن الإسرائيليين قد تأثروا كثيراً بسادتهم الهكسوس ، وعبدوا معهم المعبود المصري المعروف ست. كما . جاء في القاموس أن عجل أبيس كان من آلهة مصر المقدسة ، وكان يتخذ صورة ثور صغير ، وتنحت تماثيله من ذهب ، ولذلك كان بني إسرائيل متأثرين بعبادته إذ صنعوا عجلا من ذهب وعبدوه بعد خروجهم من مصر المرجع السابق ، ص٦٩٣ . ٦٩٨ .

(٣) (ظلت عبادة الشمس والقمر والنجوم قائمة طويل زمن لدى جميع أمم سورية ، ولدى بني إسرائيل على الخصوص) جوستاف لوبون : " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى " ، ص٩٣ .

(٤) حتى من كانوا السبب في سبيهم وتشتيتهم ، اقتبسوا منهم (فيما يتعلق بآلهة البابليين أن اليهود الذين سُبوا إلى بابل قد استهوتهم الديانة البابلية فعبدوا آلهتها ومارسوا طقوسها الوثنية ، ومن الآلهة البابلية التي عبدها اليهود الإلهان " تموز وعشتروت ") فتحي محمد الزغبي : " تأثر اليهودية بالأديان الوثنية " ، ص٧١٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص٤٣٧ .

(٦) بدأ ذلك من علاقة النسب التي تمت بين اليهود والفرس في قصة أستير الفتاة اليهودية وزواجها من أحد ملوك فارس بمساعدة ابن عمها مردخاي ، استطاعت بعدها أن تتصرف في كافة المملكة برأي أستير ومردخاي لرعاية المصالح اليهودية، وقد وردت أحداث القصة كاملة بتفاصيلها في سِفر أستير ضمن العهد القديم في الكتاب المقدس، لا زالت

فقد جاء في سِفر أستير:

(**فأحب الملك أستير أكثر من جميع النساء ، فوضع تاج الملك على رأسها**)[(١)].

ويقصد بالملك في النص هو الملك الفارسي واستر وهي إحدى الفتيات اليهوديات في فترة السبي البابلي ، وقد ذكرت القصة كاملة في السفر المسمى باسمها في الكتاب المقدس "العهد القديم". وقد ظهرت في تلك الفترة أفكار وعبادات جديدة لم تكن موجودة في الكتاب المقدس من قبل ، فبعد الوثنيات والشرك والتعددية التي تأثر بها اليهود من الأمم السابقة لاح على ملامح الاعتقاد اليهودي ملامح التوحيد في الاعتقاد الإلهي وظهر اتجاه نحو تفرد الإله "يهوه" [(٢)] بالدعوة وذلك تأثراً بالزرادشتية التي تعتقد في تفرد أهورامزدا بالألوهية وتعبد أهرمن ثنوية.

المحور الثاني: صفات الخالق في الدين اليهودي

كاد قلمي يعجز عن إكمال مهمته حين وصلت إلى هذا العنوان من هول ما قرأت من نصوص في كتابهم المقدس الذي يستحق أن يطلق عليه " الكتاب المدنس " بدلاً من المقدس ، فقد وردت فيه صفات خالقهم هم ، فكان ما ذكر تشمئز منها العقول السليمة وترفضه النفوس الفطرية السوية ، النفوس التي مازال بها بقايا فطرة دينية نقية يشع منها بعض الهدى والنور ، النفوس التي تعرف معنى إلهاً خالقاً وكيف يكون

تلك العلاقة قائمة بين الدولة الإيرانية الشيعية ، والدولة اليهودية الصهيونية بمباركة الدولة الأمريكية النصرانية وذلك للقضاء على ما يسمى بالدول الإسلامية ، حتى وإن كان الظاهر غير ذلك ، فمن عادة اليهود أن يصلوا إلى مآربهم عن طريق غيرهم ، وهم هنا يستعينون بأصحاب المذهب الشيعي المعادي للقضاء على المذهب السني .

(١) الكتاب المقدس العهد القديم ، أستير ٢:١٧، ص٧٨٢ .

(٢) (يهوه كان الإله الذي يتخذه الأنبياء لدعوة بني إسرائيل إلى مبدأ التوحيد السامي والأنبياء يختارونه ؛ لأنه الإله القومي ، وكان نشوء يهوه في سيناء)جوستاف لوبون : " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى " ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

التأدب في الحديث معه أو عنه . لكن الإله الذي عبده اليهود ليس له مثيل في كافة الأديان لا سماوية ولا وضعية ، حتى الديانة اليونانية التي عرفت الآلهة البشرية التي تأكل وتشرب وتتناحر وتتصالح لم يُكتب عنها كل تلك الموبقات ولم تتصف بتلك الصفات التي ألحقها اليهود بإلههم .

(بمناقشة التوراة الأسفار الخمسة وكافة الأجزاء الأخرى من العهد القديم لا نجد أي اعتقاد راسخ بتوحيد الله وعدم الشرك بذات الخالق- جل وعلا -) [١].

تذكر بعض النصوص أن اليهود عبدوا في بدايتهم آلهة وأطلقوا عليها إلوهيم.

(إلوهيم : الاسم الذي أطلق على الألوهية في أقدم أسفار اليهود ، ولا يمكن أن يكون إلوهيم هو إله واحد ؛ لأن جميع الكلمات التي ترجع إليه قد وردت بصيغة الجمع) [٢] .

ولست مع كاتب النص فيما ذكر ، فبالرجوع إلى الكتب المختصة أجد أن لفظ " إلوهيم" كان مرادف للفظ الجلالة الله [٣] وهذا ما أكده النص التالي :

(ألوهيم أول لقب يظهر به الله في الكتاب المقدس [٤]، وهي الأصل العبري لكلمة الله المذكورة في "ثم قال الله" ألوهيم اسم مذكر جمع، ألوهيم كلمة جمع، ومع هذا عندما تأتي في الكتاب المقدس تأتي بتطبيق مفرد) [٥].

وهذا حدث كثيراً في القرآن الكريم ، أن تُستعمل الصيغة الجمعية لأسماء الإلوهية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٦] .

فالذي أنزل الذكر هو الله تعالى ، والذي حفظه هو الله تعالى لكن اللفظ جاء بصيغة الجمع "نزلنا وحافظون" الشاهد أنه لم يبق اليهود صفة من صفات النقص

---

(١) فتحي محمد الزغبي : " تأثر اليهودية بالأديان الوثنية " ، مرجع سابق ، ص٦٣٦ .

(٢) جوستاف لوبون : مرجع سابق ، ص٨٧ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ، ص٧٧ .

(٤) الكتاب المقدس : سِفر التكوين ، ١: ٢٦ .

(٥) موقع الحق المغير للحياة http://www.lifechangingtruth.org . مقالات بعنوان : " دراسات وتعاريف كتابية ، ومنوعات إلوهيم الله الخالق . بقلم : راندي تينتش ، ١٤ / ٠٦ /٢٠١٢م ، ١٠: ٠٨ pm .

(٦) سورة الحجر : آية ٩ .

إلا وألصقوها بربهم، وقد امتلئ كتابهم المقدس بمثـل تلك الصفـــات، وكذلك جـــاء في القرآن الكريم بعض مما ادعوه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ .... ﴿٦٤﴾ ﴾[(١)]

أما ما كان في الكتاب المقدس من صفات الخالق فهي كثيرة مثال -:

- **(فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ)** [(٢)] .
- **(فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف)** [(٣)] .

وغير ذلك الكثير لكن آثرت أن أكتفي تأدباً وحياءاً ، لقد اتضح المقصد بدون المزيد من النصوص . وإتماماً لما سبق وفي عُجالة– لأنه ليس موضوعنا– نأتي على ذكر نظرة اليهود لأنبيائهم التي ذُكر بعضها في آيات القرآن الكريم وبوضوح ، فما قام بـــه بنـو إسـرائيل تجـاه أنبيـائهم يخرج عـن سياق المـألوف وغير المـألوف ، فقد واجهوهم بالتكذيب تارة وبالاستهزاء تارة أخرى ، أنهوا حياتهم بالقتل تارة وبالمناشير تارة أخرى[(٤)]، أخرى[(٤)]، هذا عدا رميهم بأقبح التهم ووصفهم بأقذر الصفات مما يترفع عنها البشر العاديون، فكيف بالأنبياء المعصومون؟.

- نبي الله نوح يشرب الخمر ويسكر ويتعرى [(٥)] .
- نبي الله لوط يزني بابنتيه [(٦)].
- نبي الله أيوب يسب الله [(٧)].

وقد جاءت آية في كتاب الله تعالى توضح موقف اليهود من الأنبيـــاء، **قَالَ تَعَالَىٰ:**

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٢) الكتاب المقدس : سفر الخروج ، ١٤:٣٢ ، ص١٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، سِفر التكوين ، ٦: ٦ - ٧ ، ص١٠-١١ .

(٤) مما ورد عنهم ما قاموا به من قطع رأس النبي يحي ،كما قتلوا نبي الله زكري بالمناشير .

(٥) الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، مرجع سابق ، ٩ : ٢٠ ، ص١٥ .

(٦) المرجع السابق ، سفر التكوين ، ١٩ : ٣٠ - ٣٨ ، ص٢٩ .

(٧) المرجع السابق ، سفر أيوب ، ٣٠ : ١٩ ، ص٨١٧ - ٨١٨ .

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[١] .

وإن كانت صفات الله تعالى لم تسلم من تلفيقهم وكذبهم فهل ستسلم سيرة الأنبياء ... هيهات؟.

(إن سلوكيات اليهود وأخلاقهم المنبثقة عن معتقداتهم الدينية الواردة في توراتهم وتلمودهم بالإضافة إلى توجيهات كبار حاخاماتهم وتعاليم مجمعهم الديني ، نتج عن كل ذلك معتقدات وسلوكيات وتصرفات غريبة لدى اليهود أهمها : أنهم شعب الله المختار، أن إلههم لهم وحدهم ، أن جميع الأغيار مسخرون لهم) [٢] .

في الفصل السابق بحثت في أشهر الأديان الوضعية التي عرفتها البشرية ، وعلى مدى عهود طويلة ، ورأيت كيف يُعامل المريدون زعيمهم أو حكيمهم الديني ، لقد كان ينال من التقدير والاحترام بل والتقديس والإجلال أحياناً ما يرفعه إلى مصاف الألوهية، لكن اليهود لم يدعوا أمراً دينياً إلا وخربوه ودنسوه من فمن صفات الإله إلى سيرة الأنبياء وحتى الكتاب المقدس.

المحور الثالث: الكتاب المقدس .

الجزء الأول منه فقط هو ما يخص اليهود الذي يطلق عليه اليوم "العهد القديم" تميزاً له عن العهد الجديد الذي يخص النصارى ، وهو غير التوراة والألواح التي نزلت على موسى-عليه السلام- فتلك فقدت ليس لها بقايا ، والذي بين أيدي اليهود اليوم لا يمت إليه بصلة أو نسب ، فقد ضاعت صحف موسى وضاعت الألواح المذكورة في القرآن ، ولم يبق لهم إلا ما كتبته يمينهم .

---

(١) سورة المائدة : آية ٧٠ .

(٢) رجاء عبد الحميد عرابي : " سفر التاريخ اليهودي " ، ص٤٧٣ .

(العهد القديم عبارة عن مجموعة أسفار رجال المجّمع الأكبر الذي تأسس عقب العودة من السبي البابلي) [١] .

لكن حياة اليهود الحافلة بالسبي والتدمير والتشريد بالإضافة لما عُرف عنهم من أن الدين يأتي في آخر اهتماماتهم أدت إلى ضياع الأصل وبقاء المحرف، وقد أثبت ذلك في القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٢] .

كتب اليهود المقدسة كتابان وليس كتاب واحد "العهد القديم والتلمود"، وإن كان البعض عدّها أكثر من ذلك [٣].

– **أولاً**: **العهد القديم** [٤] : يتكون من " التوراة ، الأنبياء ، الكتابات والأشعار".

أ) **التوراة** : ومعناها البشرى أو التشريع وتطلق على الأسفار الخمسة الأولى :

١– سِفر التكوين : يتحدث عن بدء الخلق إلى قصة يوسف.

٢– سِفر الخروج : يتحدث عن إقامة بني إسرائيل في مصر إلى قصة عبادة العجل.

٣– سِفر اللاّويين : ويسمى الأحبار يهتم بالتشريع وبخاصة القرابين والطقوس.

٤– سِفر العدد : هو إحصائيات عن الشعب المختار وأنساب القبائل الإسرائيلية.

٥– سِفر التثنية: هو تكرار وتتمة لشريعة موسى ، وخبر وفاته.

---

(١) كامل سعفان : " اليهود ... تاريخ وعقيدة " ، ص١٣٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٧٩ .

(٣) أضاف الدكتور / أحمد شلبي ، كتاب برتوكولات حكماء صهيون إلى قائمة الكتب المقدسة لدى اليهود ، فمن وجهة نظره أنها لا تقل أهميتها لدى اليهود عن العهد القديم والتلمود إن لم يكن أهمها في العصر الحديث . " مقارنة الأديان ... اليهودية " لأحمد شلبي ، ص٢٢٩ .

(٤) هذا النص مقتبس من عدة مصادر ذكرت نفس التقسيم ، " مقارنة الأديان اليهودية " لأحمد شلبي ، ص٢٣٠ . ٢٦٥ و " اليهود ... تاريخ وعقيدة " لكامل سعفان ، ص١٣٧ . ١٣٨ .

ب) **الأنبياء** : يتحدث عن الأنبياء الكبار والأنبياء الصغار" وهو قسمان :

١-الأول يحتوي على ثمانية أسفار تبحث في تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى

٢-الثاني يضم خمسة عشر سفراً فيها أخبار جهود الأنبياء من أجل بني إسرائيل.

ج) **الكتابات والأشعار** : تضم الأناشيد والحكم والمزامير وهي أحد عشر سفراً.

ومن أصدق ما قرأت عن وصف كتاب اليهود المقدس ما قاله الدكتور صبري جرجس: (إنها لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافـــات والقصص التي صيغت في جو أسطوري حافل بالإثارة ، مجاف للعقل والمنطق غاص بالمتناقضات مشبع بالسخف، مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء)[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[2] .

- ثانياً: التلمود [3]

يعد التلمود المصدر الأهم والأقدس لدى اليهود في الشريعة اليهودية منذ كتابته، وهم يدعون أنها تعاليم شفهية تلقاها الحاخامات اليهود جيلاً بعد جيل من النبي موسى عليه السلام ، وقيل إن أول كتابة له كانت في عهد المسيح على يد الحاخام يهـــوذا،

---

(١) من كتاب التراث اليهودي الصهيوني ، ص٥١ ، ورد النص في " اليهود ... تاريخ وعقيدة " لكامل سعفان ص١٤

(٢) سورة البقرة : آية ١١٣ .

(٣) التلمود اسم عبري معناه التعليم يقسم هذا الكتاب إلى قسمين " المشنة " وهو المتن ، و " الجمارة " وهي التفسير ، وهو عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود مع بعض الآيات من الكتاب المقدس ، واليهود الفريسيون يزعمون بأن هذه التقاليد أعطيت لموسى حين كان على الجبل ... قاموس الكتاب المقدس ، ص١٥٤ .

وقد أعطيت لهذا التلمود مكانة وقدسية أكثر مما للعهد القديم ، حتى أن النصارى عابوا عليهم في ذلك. وجاء في إنجيل مرقص:

(**لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس مبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه**) (١). وينقسم التلمود إلى قسمين رئيسين (٢):

١- **المشناة** : لفظ المشناة يعني الشريعة المكررة وهي الروايات الشفهية المنسوبة لنبي الله موسى عليه السلام والتي تناقلها الحاخامات جيل بعد جيل.
فأصبح لليهود شريعتان: شريعة مكتوبة وهي التوراة، ومروية وهي المشناة.

٢- **الجمارا** : حين استعصى فهم المشناة على كثير من اليهود، قام الحاخامات بتدوين شروح وحواش وزيادات دعيت جميعها "بالجمارا".

ومن مفارقات الدين اليهودي أن التلمود له من القدسية أكثر مما لدى التوراة.

(أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق عليها المكافأة ، ومن درس المشناة فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها ، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة) (٣).

واعتبر البعض أن التلمود جريمة بحق الإنسانية بما يحتويه من دعوى إلى تحطيم كل مقدس سواهم، واستخدام كل الوسائل لتحقيق حلمهم في إقامة وطن قومي صهيوني لهم.

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في الديانة اليهودية

هل وجدت الفِكرة المثنوية طريقها إلى الأديان السماوية المحرفة ؟ وهل خالطت العقيدة الثنوية الديانة اليهودية؟.

نعم ويؤكد ذلك أكثر من دليل، بالفعل وصلت العقيدة الثنوية إلى اليهودية المحرفة، واندست بين تعاليمها ، ومازجت معتقداتها ليست أصلاً (٤) فيها بالطبع إنما كفكر

(١) الكتاب المقدس : إنجيل مرقس ٧ : ٨ ـ ١٣ ، ص٦٨ ، ج .

(٢) كامل سعفان : " اليهود .. تاريخ وعقيدة " ، ص١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٤٦ .

(٤) بعض كتاب الأديان المتقدمين في الزمن الحديث يرى أن المعتقد الثنوي هو وليد الأديان التوحيدية من حيث تنزيهها

دخيل تسلل إليه في حين غفلة. تقبل اليهود الفكرة الثنوية في فترة من فترات تاريخهم الديني ، لكنها ثنوية تناسب تعاليمهم وتخدم مصالحهم ... فِكر اليهود .

وحدث اختراق للدين اليهودي ووصلت فكرة الإلهين الاثنين إليه ، ومما سهل هذا الاختراق أن دين اليهود اليوم ليس له علاقة بالدين المنزل على نبي الله موسى- عليه السلام- فلم يستطيع بنو إسرائيل أن يُحافظوا على تعاليم دينهم ووصايا نبيهم ويحافظوا على دعوى الوحدانية التي أتى بها، والدارس للأسفار اليهودية اليوم يجد بها اتجاهين في فكرة الألوهية ، نوعين متناقضين.

سنجد نصوص تؤكد على وحدانية الإله وأن كل شيء صادر منه وعنه.

(مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ ، أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِه) [1].

النص يؤكد أن لدى اليهود اعتقاد بوجود ثنوية كونية جهة النور وجهة الظلمة، لكن كلها من مصدر واحد هو الرب صانع لكل هذا.

وجدت نصوص أخرى تؤكد على وجود رب ثاني في الكون أحياناً يكون مساوياً للأول وأحياناً هو أعلى منه.

جاء أيضاً في المزامير ما نصه:

(قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدمك) [2].

كما أورد الإمام ابن حزم نصوصاً مقتبسة من الكتاب المقدس فيه اثبات للفكرة الثنوية لدى اليهود ، هي اكثر من مثال لكن من وجهة نظري أن أحدها غير مؤكد الدلالة والثاني صحيح الدلالة . النص التالي المقتبس من الكتاب المقدس والذي ناقشه الإمام ابن حزم الظاهري وهو من النوع الأول :

المبالغ فيه للخالق ، جعلها تخترع قوة أخرى تأتي في المرتبة الثانية بعد الإله ، وتكون مسؤولة عن الشر ، ومن هنا انبثقت فكرة الثنوية ، وبالطبع هذا الكلام عاراً من الصحة تماماً ، وقد أثبت ذلك حين الحديث عن بداية المعتقد الثنوي .

(١) الكتاب المقدس ، سِفر إشعياء ، ٤٥ : ٧ ، ص١٠٤٧ .

(٢) الكتاب المقدس ، المزمور ، ١١٠ ، ص ٩١٢ .

(قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر) [١].

(قال ابن حزم في رده عليهم- بخصوص هذا النص بالذات-: حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا : "آدم قد صار كواحد منا" مصيبة من مصائب الدهر، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ، ولقد أدى هذا القول الخبيث المفتري كثيرا من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم، وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم ، فعرف الخير والشر ، ثم أكل من شجرة الحياة، فصار إلهاً من جملة الآلهة- نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق ونحمده إذ هدانا للملة الواضحة التي تشهد سلامتها بأنها من عند الله تعالى -) [٢] .

لست مع الإمام فيما ذهب إليه من تعليق ، فلم يرد في النص ما يدل على أن المقصود بكلمة "منا" هم الآلهة . فقد سكن الجنة غير الله سبحانه وتعالى ما خلق هو قبل البشر ، والواضح أن المقصود صار كواحد منا أي من الذين يسكنون الجنة وقتئذ، فلا توجد قرينة تصرف المعنى إلى الكثرة في الآلهة.

ومما يؤكد ما ذهبت إليه من تعليل النص التالي:

(فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض) [٣].

أن الإنسان أخرجه الرب– لم يكونوا أرباب – من جنة عدن وهي المكان الذي يخشى الرب أن يكون أدم من سكانه الدائمين ، ومن المعلوم تاريخياً ودينياً أن الملائكة كانت تسكن الجنة من قبل خلق آدم- عليه السلام-، فلما لا يذهب المقصد من لفظ "منا " إلى من جاور الرب تعالى في الجنة ، وكانت لهم السرمدية في الحياة، فقد ورد نص آخر يلي الأول يؤكد أن الرب يخشى أن يعرف الإنسان طريق شجرة الحياء فيأكل منها ويحيا إلى الأبد ، أرى أن لا قرينة تصرف المعنى إلى أرباب آخرين، ويمكن أن

(١) المرجع السابق ، سِفر التكوين ، ٣: ٢٢ ، ص٧ .

(٢) ابن حزم : " الفصل في الملل والأهواء والنحل " ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ، ج١ ، ص١٢٠.١٢١ .

(٣) مرجع سابق ، سِفر التكوين ، ٣: ٢٣ ، ص٧ .

ينصرف إلى الملائكة.

هـذا لا ينفـي وقـوع انحـرف ثنـوي في مفهـوم التوحيـد لـدى اليهـــود في كتبهـــم، وسنجد العديد من الأمثلة على ذلك لكن المثال السابق لم يلق إقناعاً لدّي.

(في موضع آخر في المزمور الرابع والأربعين:

(عرشك يا الله في العالم ، وفي الأبد قضيت العدل ، قضيت ملكك أحببت الصـلاح وأبغضـت المكـروه ، مـن أجـل ذلـك دهنـك إلهـك بزيـت الفـرح بـين أشراكك).

قال أبو محمد: هذه سوءة الأبد، وقاصمة الظهر، إثبات إله آخر على الله تعالى، دهنه بالزيت إكراما له، ومجازاة له على محبته الصلاح، وإثبات أشـــراك لله تعـــالى، وهذا دين النصارى بلا مؤنة، ولكن إثبات إلـــه دون الله، وقد ظهر عند اليهـــود هذا علانية) [1].

ليس هناك من شك أن في النص اعترافا بوجود ربين في السماء لكل منهم قدرة على التصرف.

الملامح الثنوية في نصوص الكتاب المقدس لدى اليهود أمر مؤكد ، لكن كيف وصلت تلك الفكرة ؟!! هذا هو السؤال.

من أهم العوامل التي ساعدة على وصول فكرة ثنوية الإله هو فتح اليهود أذرعتهم مرحبين بملك فارس قورش حين خلصهم من الأسر البابلي ورد لهم اعتبارهم وأعطاهم حريتهم ، فقد ذكرت في الصفحات السابقة مدى تأثير مجاورة اليهود لغيرهم من الأمم، وما أفرزته تلك المجاورة من أثر على الدين اليهودي من مظاهر شركيه وعبادة آلهة أجنبية.

ونتيجة للتعايش السلمي التعاوني بين اليهود والفرس تمازجت الأفكار اليهودية بالأفكار الفارسية ، فتأثر الدين اليهودي بالدين الفارسي ، وأدرجت الديانة اليهودية

---

(١) موقع الألوكة http://www.alukah.net . شبكة الألوكة ، موقع أ . د . سليمان بن قاسم بن محمد العيد ، مقالات مقال بعنوان:" عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم " ، بقلم : سليمان العيد ١٤٢٨/١٢/٢٨هـ

عقائد الديانة الفارسية مع عقائدها ، فظهر على أثر ذلك ملامح العقيدة الثنوية الإلهية في الدين اليهودي .

وقال العارفين ببواطن الأمور من علماء التاريخ الديني:

(نرى اليهودية بعد السبي تتأثر بدين زرادشت ، إلا أن آثار هذا الدين لم تبد ظاهرة في اليهودية إلا بعد قرنين من الزمن يوم فتح الإسكندر الأكبر بلاد فارس، في هذه الفترة من التاريخ ظهرت كتابات الرؤى في الأدب العبري تحمل في طياتها آثاراً واضحة من عقائد زرادشت) (١) .

لم تظهر تلك الملامح مباشرة في الجيل الأول الذي كان أشد تمسكاً نوعاً ما من جيل نشأ في أحضان الإمبراطورية الفارسية وتعشقها فهؤلاء أسهل تأثيراً، إلا أن هناك من يرى أن اليهودية لم تأخذ من الأديان الفارسية إلا فكرة الاعتقاد بالبعث بعد الموت والحياة الأخروية ، لكنها لم تتأثر بعقيدة الاثنين ، على الرغم من أني لست مع هذا الرأي إلا أن الاختلاف لا يوجب تجاهل الآراء.

(اليهودية أخذت عن الدين الفارسي "زرادشت" الاعتقاد في الحياة الأخرى، ولكنها نبذت فكرة الثنائية في الإلوهية التي اعتصم بها دين فارس) (٢).

يبقى رأي كاتبه!! فقد تختلف وجهات النظر الصحيحة إنما لا تضاد، المؤكد أن التأثير قد حدث ، البعض يراه محدود والبعض يراه شاملاً حتى في عقيدة الاثنين.

ولم يكن للشيطان ذكر في الأسفار التوراتية أو التلمودي قبل السبي البابلي، أما بعد ذلك فقد ظهر وتكرر ذكره أكثر من مرة على أنه كيان ندي وضدي لله تعالى.

(فنجد أن دور الشيطان في الديانة اليهودية هو عامل غير فعّال يمكن الاستغناء عنه، ثم تطور بعد ذلك في العصور المتأخرة فأصبح دور فعّال ، ويتضح أن هذا التصوير الوثني قد استحدث بعد السبي البابلي بنتيجة اختلاط اليهود بديانات أخرى) (٣) .

---

(١) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٧٤ .

(٣) موقع أزهري http://forum.azharitv.net . موضوع بعنوان : " إبليس : في الأديان الكتابية " . بقلم : وليد الحنفي ، ٢٠١١/٠٢/١٠م ، زمن ٠٨:٣٠ Pm .

عرف لدى اليهود التقسيم الثنوي للآلهة التي تعبّد لها اليهود وبصورة فارسية واضحة المعالم ، فهناك الإله المرهوب ، وهناك الإله النافع .

(لم تذكر التوراة إبليس قبل النفي البابلي ، أما بعد النفي البابلي نلاحظ ذكر إبليس كندٍ لله- عز وجل- حتى أن الكفارات كانت تقدم مناصفة بينه وبين الإله. كما أنها صورت تمرد إبليس على الإله كأنه ند لله ، فجعلوا من الله إله للسماء، ومن إبليس إله للصحارى على الأرض، وجعلوا الإرادة الأرضية مضادة لإرادة السماء)[١].

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

كل ما سبق كانت صور وملامح عامة منتقاة من بين سطور الدين اليهودي للفكرة الثنوية الغير منظمة نجملها فيما يلي:

- ثنوية تمثلت في وجود إله مع الإله.
- ثنوية تمثلت في تقسيم أعمال الآلهة ما بين نافع وضار.

لكن ملامح الثنوية اليهودية لم تكن تلك الصور فحسب، بل هناك نصوص أخرى أوردها أحد أكبر الكتاب في علم الدين اليهودي [٢]، حيث ذكر أشكال للثنوية العقدية في صور أخرى منها:

- في معرض وصف تركيبة الدين اليهودي يقول:

(اليهودية تركيب جيولوجي تراكمي ذو طابع حلولي ، ولذا نجد أنها قد استوعبت عناصر ثنوية عديدة من "العبادات الفارسي" على وجه الخصوص، أثرت في عقائدها وشعائرها وبنيتها وتظهر هذه العناصر في مخطوطات البحر الميت، ولدى الجماعات الغنوصية أو شبه الغنوصية اليهودية) [٣].

---

(١) موقع أزهري ، الموقع السابق .

٢) الدكتور / عبد الوهاب المسيري في موسوعته الشهيرة " اليهود واليهودية والصهيونية " ، والتي تُعد بحق مرجع هام لكل من يريد أن يستزيد من حقائق مفصلة عن اليهود ، وقد كانت خير معين لي في موضوع الثنوية اليهودية ، فقد وردت فيها مفصلة .

(٣) عبد الوهاب المسيري : " موسوعة اليهود اليهودية " ، نسخة إلكترونية محملة ، ج٥ ، ص٣٤ .

هذا تأكيد من دكتور حجة في الشؤون اليهودية على تأثر اليهودية بالثنوية الفارسية.

- حين تحدث عن مفهوم الثنوية قال :

(الثنوية أو الأثنينية : هي الفكرة القائلة بأن الوجود يتكـون مـن قوتين مطلقتين أو عنصرين أساسيين جوهريين متوازيين متعارضين " ثنائية صلبة" لا يلتقيان إله الخير وإله الشر ، وهما دائماً في حالة صراع ، والثنوية أحد أشكال الحلولية) [١].

من النصيين السابقيين نجد أنه لقد ربط بين اليهودية والثنوية ، ذكر أن اليهودية عبارة عن " تركيب جيولوجي تراكمي ذي طابع حلولي"، ومن ثم قال : إن الثنوية: "أحد أشكال الحلولية" ، ويظهر من هذا أولى الروابط بين الثنويـة واليهوديـة. ولكن ما هي صور الثنوية التي ظهرت في الدين اليهودي بعيداً عن الثنوية الفارسية التقليدية القائلة بإلهين ضدين ، هناك العديد من النصوص التي تثبت الثنوية الفارسية اليهودية .

- (الثنوية المباشرة التي تتبدى في شعائر وشخصيات خرافية ، مثل عزازيل [٢] وميتاترون [٣]، وكذلك في بعض الملائكة الآخرين الذين أصبحوا قوة مستقلة عن يهوه، لها وجود مستقل عنه، وتُقدم لهـا القرابين تماماً كما تُقدم لـه، كان كبير الكهنة يُقدم كبشين : أحدهمـا ليهـوه والآخـر لعزازيـل، وهـذه الشخصيات أو الشعائر تفترض وجود قوتين ، إحداهما للخير والأخرى للشر، وهي شخصيات وشعائر تقبلتها اليهودية) [٤].

وما مساواة الرب والشيطـان في تقديم القرابين إلا ثنويـة ظاهـرة المعـالم، ويقول كاتب النص أنها شعائر تقبلتها اليهودية فهي ليست أصلاً فيها وقد عُلم

---

(١) مرجع سابق ، ج٥ ، ص٣٤ .

(٢) عزازئيل اسم عبري معناه " الرب يقوي" ، و " قوة الرب " ، وكذلك " القوة المناوئة للرب" ، وهي روح شريرة أو شيطان ورد اسمه في العهد القديم ، " لاويين " ، وهو أحد قواد الملائكة الذين سقطوا من السماء . " موسوعة اليهود واليهودية " لعبد الوهاب المسيري ، ج٥ ، ص٤٤٧ .

(٣) ميتاترون هو اسم أعلى الملائكة بحسب ما جاء في الأجاداه والتراث القبَّالي ، ويبدو أن الاسم يوناني ، ويعني " أقرب إلى العرش الإلهي " ، أو يعود إلى اسم الإله الفارسي " ميثرا " ، " موسوعة اليهود واليهودية " لعبد الوهاب المسيري ، ج٥ ، ص٤٤٦ .

(٤) المرجع سابق ، ج٥ ، ص٣٤ - ٣٥ .

مصدرها بطبيعة الحال.

وهناك صور أخرى من صور تأثر اليهودية بالمعتقد الثنوي الفارسي منها:

(يُلاحظ أن الثنوية اليهودية تؤدي إلى توازي قطبي الثنوية لا الصراع بينهما، ومن ثم فنحن نشير إليها بأنها : "ثنوية بنيوية "، وهي في هذا تختلف عن الثنوية الفارسية ذات الطابع الصراعي الحاد) [١].

قد تتشابه ملامح الثنوية اليهودي التي ذكرها الكاتب مع ما قد ذكرناه عن الثنوية الصينية القائمة على مبدأ التكامل بين قطبين " الين واليانغ " اللذان يكونان معاً مصدر الحياة ، هي ثنوية بنيوية تعاونية تهدف إلى تحقيق هدف اليهود القومي؛ على الرغم من وضوح الأمثلة السابقة وكفايتها في إثبات وجود مظاهر ثنوية في الدين اليهودي .

لكن ليس هذا كل شيء، فقد قامت فرق يهودي على أساس ثنوي إلهي. وأهم تلك الفرق فرقتي الغنوصية والقبالاه.

أولاً : الغنّوصية:

مصطلح غنوصية تعني العرفان ، وهي الحالة التي يدّعي المتصوفة في كل الأديان بأنهم يبتغون الوصول إليها ليس عن طريق العبادة إنما بطرق أخرى تختلف من دين إلى آخر، ووصولهم إليها يعني إعفائهم من أداء الشعائر التعبدية ؛ قد تكون هي نفسها فكرة النرفانا البوذية والانطلاق الهندوسي.

(تتسم الغنوصية بميل إلى رفض الشرائع المرسلة للبشر، فالغنوصيون نورانيون لا يخضعون لمثل هذه الشرائع ، فهم جزء لا يتجزأ من الإله ؛ ولذا لا يسري عليهم ما يسري على الآخرين "الأغيار"، ولهذا يقدس الغنوصيون الشخصيات الملعونة في العهد القديم والجديد وهم يعبدون الشيطان تعبيراً عن رفضهم للشرائع الإلهية) [٢] .

يعتقد الغنوصيون أنهم وصلوا إلى الحالة النورانية التي يعفون فيها من الالتزام بالشرائع وأداء العبادات ، كما أن من معتقداتهم أنه لابد أن تكون لهم ميزة تميزهم عن غيرهم فلم

---

(١) المرجع سابق .

(٢) عبد الوهاب المسيري : " موسوعة اليهود واليهودية " ، ج٥ ، ص٥٤ . ٥٥ .

يجدوا من ميزة سوى عبادة الشيطان ، بئست الميزة هي.

مما جاء من أخبار عن فرقة الغنوصية اليهودية وتاريخ ظهورها أنها جاءت متأخرة؛ فلم يكن لها ذكراً قبل المسيح- عليه السلام- ومما قيل عن فكرها :

(تأثرت الغنوصية بالعديد من الفلسفات والأفكار فقد تأثرت بالأفلاطونية الحديثة وآراء أفلوطين [١] ، وهم متأثرون بما في الديانة المزدكية والديانة المانوية الصابئية، وهم يختلفون عن المانوية بإيمانهم بموسى- عليه السلام-) [٢] .

ولم يبقي دين من الأديان الفارسية إلا وتأثرت به اليهودية وأخذت منه، وبما أن أساس الأديان الفارسية هي الثنوية فتأثيرها على اليهودية كان ثنوية، هذا ما يؤكده النص التالي:

(يفترض أن يهوه وعزازئيل عنصران متكاملان يشبهان في هذا علاقة إله الخير بإله الشر في عبادات الفرس الثنوية ، وقد توارى وجوده بعض الشيء أثناء الفترة التلمودية، ولكنه عاد إلى الظهور مرة أخرى مع انتشار القبَّالاه) [٣]. لا أعتقد أن النص يحتاج إلى شرح فهو من الوضوح بمكان أن تضع لها عنوان الثنوية اليهودية الفارسية.

ثانياً: القبَّالاه.

إن كان مصطلح الغنوصية له وجود في أديان أخرى، فالوضع يختلف مع مصطلح القبَّالاه، فهي من المصطلحات الجديدة التي لم نتطرق لها من قبل، فهي صناعة يهودية خاصة.

(القبالة هي مجموعة باطنية من الحِكم التي لها علاقة بأسرار الكون والإله والكائنات الأخرى ، ظهرت على يد عدد من أحبار اليهود الذين تأثروا بالآراء الشرقية ودين

---

(١) أفلوطين مصري ولد ببلدة ليقوبوليس بمصر العليا ، انصرف إلى دراسة الفلسفة وهو في الثامنة عشر من عمره ، وبعد وفاته انصرف تلميذه إلى تجميع رسائله واسمها " تُساعية " وقد ترجمت إلى اللاتينية ، فكانت مصدر رئيساً من مصادر التفكير الديني الصوفي ، أخذ منه كلاً من القديس أوغسطين والكندي والفارابي ، كما حاول ابن سينا التأليف بين الأفلاطونية والأرسطية . " موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج١ ، ص١٦٢ـ ١٦٦ .

(٢) عبد المجيد همو : " الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات " ، ص٧٢ .

(٣)عبد الوهاب المسيري : " موسوعة اليهود واليهودية " ، ج٥ ، ص٤٤٧ .

زرادشت) [(١)].

وككل التأويلات الباطنية لابد أن تكون بيد فئة من رجال الدين المعينين ؛ فالقبَّالاه في حد ذاتها تُعتبر من الأسرار الخفية المقصورة تعلمها على البعض فقط وبشروط معينة. ومما عُرفت به القبَّالاه أيضاً:

(القبَّالاه نظام ثنائي ، فهناك النور والظلام ، والخير والشر ، واليمين واليسار، ومن رأي الكاتب أنها ثنائية واهية لأن الشر غير موجود أساساً فهو جزء من الخير وصورة أخرى منه) [(٢)] .

كانت تلك وجهة نظر فلسفية غربية ، يوجد لها ما يماثلها في بعض تفسيرات فلاسفة الغرب عن الشر ، وأنه ليس له جوهر منفصل بل هو عبارة عن الواجهة الأخرى للخير. ومما قيل عن هدف القبَّالاه أنه الاتحاد مع الإله، وهذا هو نفس هدف الغنوصية، وإن اختلفت الطريقة.

(إن الاتحاد بالألوهة هدف للكبالي) [(٣)] .

ومما ذكرته الموسوعة اليهودية عن علاقة الفِكرة الثنوية بالقبَّالاه:

(تفجرت هذه الثنوية في التراث القبَّالي فنجد أنها ثنوية تشبه تماماً ثنوية الأنساق الغنوصية فهناك ثنوية الإله الخفي اللامتناهي مقابل التجليات النورانية ، والاهتمام المفرط بالملائكة والشياطين باعتبارها شريكة للإله– عز وجل– في الخلق، وميتاترون وليليت [(٤)]، وهي مفاهيم من بقايا الوثنيات الحلولية دخلت اليهودية) [(٥)] .

والقبَّالاه قائمة على وجود ثنوية في الكون ، وخاصة في القدرة المتحكمة فيه المدعو " قوى اللاهوت الكوني" ، ويقصد بـ "التجليات النورانية"، أنها الصورة المتجسدة للإله

---

(١) عبد المجيد همو : " الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات " ، ص١٢١ .

(٢) عبد الوهاب المسيري : " موسوعة اليهود واليهودية " ، ج ٥ ، ص ٥٦ .

(٣) سامي أبو شقرة : " موسوعة الأديان " ، ج٢ ، ص ٤٧٣ .

(٤) شخصية ليليت إحدى الأرواح ، أو أحد الوحوش المفترسة التي ستدمر الأرض في آخر الأيام ، عبد الوهاب المسيري: "موسوعة اليهود واليهودية " ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .

(٥)عبد الوهاب المسيري : " موسوعة اليهود واليهودية " ، ج ٥ ، ص ٣٤ ، بتصريف .

الخفي الذي يستحيل معاينته، هذا هو الجانب النوراني للقوى الكونية، فماذا عن الضد؟، الجانب المظلم الذي ذكر في نصاً آخر فيما يعرف بـ"السترا أحرا".

(هناك السترا أحرا "الجانب الآخر المظلم" الذي يمثل الشر والظلام مقابل الخير) [(١)].

وقد يكون المصطلح غريب على الأذهان والأفهام لكن لا ننسى أننا نتحدث عن قبالاه سحرية ، وأعمال السحر دائماً تتسم باللامفهوم واللامعقول .

الهدف من القبَّالاه هو نفسه هدف الغنوصية وهي الوصول للاتحـــاد مع الإلــه: (إن الشر في العالـم ليست له علاقة بالأخلاق ، فإن الخلاص لا يتم من خلال التوبة والغفران ، وإنما من خلال البحث عن الصيغة السحرية المناسبة ، وذلك بهدف حل طلاسم الروح والعالم وكلمات التوراة للوصول إلى الخالق والقوة الحيوية في الكون وإلى التوراة الخفية) [(٢)].

إذاً هدف القبالاه هو الاتحاد مع الخالق والتمتع بالقوة الحيوية في الكون عن طريق الوصول إلى نصوص التوراة الباطنية الخفية التي تعفيهم من الالتزام بالشعائر التعبدية .

وقد وظف اليهود فكرة الثنوية داخل معتقدات القبَّالاه السحرية توظيفاً يخدم مصالحها اليهودية الصهيونية القومية ، وهي الاستيلاء على أرض فلسطين من خلال نشر فكرة أن الوصول إلى حالة العرفان والاتحاد مع الخالق لن تتم إلا في جبل صهيون بفلسطين .

ليس الاتحاد مع الإله بالهدف الجديد في الأديان الوضعية ، فقد كان ذلك الهدف الأسمى فيها ، لكن المكر والدهاء اليهودي تمثل في توظيف تعاليم القبَّالاه السحرية لمصالح دنيوية يهودية ، بينما كان هدف الآخرين من الاتحاد هو التخلص من كل الروابط الدنيوية نجد أن اليهود يجعلون الهدف المزيد من التمسك بها وبشدة.

(مثل عزازئيل أيضاً القوى الثنوية الضدية التي تحكم الكون في مقابل إله أعلى، في عُرف القبالاه. وصار عزازئيل في القبَّالاه قوة مستقلة تصارع ضد الإله، ولذلك يقرأ

(١) شخصية ليليت إحدى الأرواح ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .

(٢) مرجع سابق ، ج ٥ ، ص٥٥ .

القبّاليون أدعية في رضاء الإله ، وأخرى لإرضاء الشيطان) [١] .

كما يقدم النص التالي صورة من صور الثنوية الضدية اليهودية:

(الشخيناه هي لوجوس تجلس إلى جوار الخالق على عرشه ويقابلها الإله نفسه، كما أن الشخيناه نفسها يقابلها الشخيناه المدمرة التي تصدر عن السترا أحرى) [٢] .

إذا هي صورة مشابهة لما في الأديان الوضعية القائمة على الثنوية، التي تقوم على الإيمان بوجود واحد لكن التقديس لإثنان ، ويذكر النص وجود خالق تجلس بجوار " الشخيناه " وهي خيّرة يقابلها " الشخيناه المدمرة "، ويستطرد صاحب الموسوعة اليهودية المتخصص أن لدى اليهود نوعين من "الشخيناه " نورانية ومدمرة . ويعتبر اليهود الشخيناه المشتت هي "الشعب اليهودي المشتت" وأنه- أي الشعب اليهودي- شرارات من الإله انفصلت عنه بفعل ما فحق عليها عذاب النفي والتشتت في الأرض ولها موعد ليعود الفرع إلى الجزء.

ولذلك يجعلون للتوراة معاني باطنية خفية غير المعاني الظاهرة، والتي يتم الاستعانة بما فيها من قوة فاعلة في الكون- حسب ما يعتقدون- هم الملائكة والشياطين لاسترضائهم وجعلهم في موقع الضدية أمام الإله . وهذا ما يؤكده النص التالي:

(كما أن الأفكار الثنوية الرؤياوية التي تساوي بين الجوهر الإلهي وجوهر آخر هي فكرة ذات أصول فارسية وجدت طريقها إلى القبالاه)[٣].

الفكرة الثنوية الفارسية تساوي بين أهورامزدا وأهريمان ، والفكرة الثنوية اليهودية تساوي بين يهوه والشيطان ، لا اختلاف فكلها مساوا بين الجوهر الإلهي وجوهر آخر.

---

(١) شخصية ليليت إحدى الأرواح ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٤٤٧ .

(٢) عبد الوهاب المسيري : " موسوعة اليهود واليهودية " ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٣٤ .

(٣) الحسيني معدى : " القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم " ، ص٤١ .

الخلاصة:

لقد أوضحت ومنذ بداية المطلب أني سأقوم بالفصل بين الدين الذي بُعث به كليم الله موسى – عليه السلام – وبين ما يطلق عليه اليوم الدين اليهودي.

الدين الحق الذي دعا إليه موسى– عليه السلام– ليس هو هدفي؛ فلم يكن فيه فِكر ثنوي ، لذا لم أتناوله بالبحث والتفصيل ؛ لكن مجال بحثي هو دين اليهود الذي خالط شعوب الأرض وتأثر بها ومنها ، على الرغم مما يدعونه بأن دينهم قومي لا يُسمح

للغير ممن ليس من الأصول اليهودية الدخول فيه.

تاريخ اليهود مليء بالقصص والأحداث وبه العديد من الوقفات التي لا يتسع المجال لذكرها كاملة ، لذا حاولت أن آتي على اختص به نطاقي من البحث. ذكرت بعضاً من تاريخهم الموسوي ودخولهم أرض المعاد ، ومن ثم وقفت على كتابهم المقدس وأقسامه وبعض من ملامح دينهم المحرف ، ونبذة عن فِرقهم .

كل ذلك باختصار غير مخل ولا هو مسهب ممل حتى أنتقل إلى لب الموضوع وهو ملامح المعتقد الثنوي في الديانة اليهودية ، وقد اثبت تلك الملامح على صعيدين:

- صعيد الأمثلة من خلال نصوص الكتاب المقدس.
- صعيد فرقتا الغنوصية والقبالاه.

في المجال الأول أوردت عدة أمثلة تؤكد وجود مفهوم إله ثاني مع الرب سواءاً كان مساوي له أو أقل منه ، وفي مجال فرقتي الغنوصية والقبالاه ، ذكرت أولاً تعريف عن كلتا الفرقتين ومن ثم أوضحت الملامح الثنوية التي قامت على أساسها .

وقد كان للحالة التوافقية التقاربية التي خلقها الملك قورش بين الشعبين اليهودي والفارسي من جميع النواحي تقريباً أكبر الأثر لظهور تلك الإضافات العقدية الثنوية في الدين اليهودي ، ولم اغفل ذكر قصة المصاهرة والنسب بين إستير وملك فارس.

وقد وظف اليهود كل ما تأثروا به في اتجاه واحد فقط الوطن القومي في أرض الميعاد ليتم فيه الاتحاد مع إلههم ، وقد أضفى اليهود على كل ما تأثروا به صبغتهم الخاصة فجاءت ثنويتهم تكاملية بنيوية وليس ضدية تصارعيه كما في أديان فارس.

المبحث الثاني

الثنوية في النصرانية ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد**
- **المطلب الأول: ملامح الدين النصراني**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في الديانة النصرانية**

(تمهيد)

عيسى- عليه السلام- آخر رسل ربنا تبارك وتعالى الرسلين للبني إسرائيل، بحسب ما ورد في الأثر ، وأنه ليس بينه وبين نبينا محمد عليهما السلام نبي أو رسول؛ كما قال المبعوث رحمة للعالمين محمد الأمين في الحديث المروي عنه.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَا أَوْلَى النَّاسِ

بِعِيسَى ، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ) [١] .

كان لبعض الكتاب وجهة نظر في طبيعة الدين النصراني التي تختلف عن غيره من الأديان ، وذلك في اختلاف المحورية التي يدور عليها.

(وتتميز المسيحية من بقية الأديان السماوية الأخرى بأنها قائمة في كل نواحيها على شخصية محورية هي: شخصية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فالعقائد المسيحية، والشعائر المسيحيــة متمحــورة حول شخصه) [٢].

هذا على اعتبار أن ما جاء في العهد الجديد من الكتاب المقدس هو ما جاء به عيسى ـ عليه السلام ـ وهذا أمر مشكوك في عمومه.

بالنسبة للموطن كانت فلسطين هي الأرض التي احتضنت ولادة عيسى– عليه السلام– وبعثه ونبوته ؛ فقد ولد في مدينة بيت لحم [٣] وقد قيل: إن الديانة النصرانية اكتسبت اسمها من اسم هذه قرية "الناصرية" التي انتقلت إليها مريم العذراء بعد ولادة عيسى عليه السلام ـ

وتميزت الفترة التي ولد فيها المسيح عيسى– عليه الســلام– بأنها ذات دين محــرف مهترئ وعبادة دنيوية مضللة هذا إن وجدت ، ويقدم لنا النص التالي صورة عن ذلك.

(قبل مجيئه بأمد ليس بالقصير، كان بنو إسرائيــل قد قست قلوبهم، وتحولوا عن أصول شريعة موسى ، وانحرفوا عن الطريق الواضح الذي رسمه لهم أنبياؤهم، وأفرط اليهود في التهالك على المادة واستغرق حب المال تفكيرهم ، فكان كهنتهم يحرضون الفقراء على النذر للهيكل ليستولوا هم على ذلك المال الذي كان الناذرون أنفسهم في أشد

---

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري:" المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صل الله عليه وسلم" ، المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص٤٠ ، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ، ج٤ ، ص١٨٣٧ . المكتبة الشاملة .

(٢) مسعود حايفي : " مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان " ، ص٨٤ .

(٣) (مولد المسيح كان في بيت لحم القائمة على بعد خمسة أميال جنوبي أورشليم ، ثم انتقلت اسرته إلى الناصرة في الجليل) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٣ ، م ٣ ، ص٢١٣ .

الحاجة إليه) [١].

ولست أنوي الاسهاب في أحداث قصة عيسى- عليه السلام- من مبتدئها إلى منتهاها فليست فترة نبوة عيسى عليه السلام هي مقصدي لكن لابد من المرور على بعض الأحداث ، فقد ذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع حادثة زيارة جبريل- عليه السلام- للسيدة مريم في محرابها وطريقة حمل عيسى- عليه السلام-، ومن ثم اختفاءها من أهلها حتى وضعته في مكاناً قصياً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢] .

وضعت السيدة مريم طفل كامل الهيئة جميل المحيا ؛ ليس معها سوى إيمانها بربها ويقينها بأن الله لن يتخلى عنها أو يخذلها. يذكرنا هذا اليقين والثقة العجيبة بموقف أمنا هاجر والدة النبي إسماعيل ، حينما تركها خليل الله- عليه السلام- في مكة وطفلها الرضيع ، فقالت : " أألله أمرك بهذا ؟، قال : نعم قالت اذهب فإن الله لن يخذلنا".

وكما لم تُخذل هاجر ورضيعها كذلك لم تُخذل مريم ووليدها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [٣].

إلى هنا ولم تُكمِل معنا المرويات التاريخية ، فلم يهتم الكتاب بتدون حياته قدر اهتمامهم بتدوين مماته.

(لم يُعرف سوى القليل عن حياة يسوع منذ بلوغه الثانية عشرة حتى بلوغه سن

---

(١) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٣٩٦ .

(٢) سورة مريم : آية ٢٢. ٢٣ .

(٣) سورة مريم : الآيات ٢٧ . ٣٠ .

الثلاثين) [١].

وقد أُطلق على عيسى عليه السلام عدة أسماء لست أحصيها إنما أُمثل لها:

١- يسوع [٢].

٢- الناصري [٣] .

٣- عيسى والمسيح وابن مريم.

٤- المسيا [٤] .

ذكرت الكتب التاريخية النصرانية...

أنه عندما بلغ المسيح الثلاثين من عمره سمع بشخص يُعمد الناس في نهر الأردن كما هي عادة اليهود ، فقصده ليعمده وقد أخبرته أمه أن هذا الشخص يمت إليهم بصلة قرابة فهو يحيي المعمدان ابن خالتها على أرجح الأقوال ، ولما ذهب عيسى- عليه السلام- ليحيى ليعمده رأى فيه يحيى علامات النبوة ، فطلب منه هو أن يُعمده، ولم يفهم عيسالسبب ، وأصر على أن يُعمد كباقي الناس ، وعندها رأى برهان ربه من السماء دليل نبوته وأُسقط في قلب عيسى أنه نبي بني إسرائيل [٥] .

---

(١) سليمان مظهر : " قصة الديانات " ، ص٣٨٨ .

(٢) يسوع : الصيغة العربية للاسم العبري " يشوع " ومعناه المخلص : تسمى بهذا الاسم حسب قول الملاك ، ليوسف ومريم : " وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً ، وتسمينه يسوع " ، إنجيل لوقا ، ١: ٣١ ، الكتاب المقدس ، ص٩٠ ، من العهد الجديد ، قاموس الكتاب المقدس ، ص٧٠٩ .

(٣) ناصري هذا الاسم الذي كُتب على الصليب " وكتب بيلاطس عنواناً ، ووضعه على الصليب ، وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك اليهود " ، يوحنا ، ١٩: ١٩ ، والنسبة تعود إلى مدينة الناصرة ، ويغلب الظن أن هذا اللقب الذي لقب به المسيح . قاموس الكتاب المقدس ، ص٦٣٦ .

(٤) مسيا " وجد أولاً أخاه سمعان فقال له وجدنا مسيا ... تفسيره المسيح " ، يوحنا ، ١: ٤١ ، الكتاب المقدس ، هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية " مسياس" ، المأخوذة من الكلمة الآرامية ، " مشيحا " ، التي تعني مسيح ، قاموس الكتاب المقدس ، ص٥٩٩ .

(٥) عندما بلغ يسوع الثلاثين من العمر ، حوالي عام ٢٧م . ترك الناصرة واعتمد من يوحنا المعمدان ، وبعمله هذا أعلن جهارا أنه قد تقبل عمله المجيد كالمسيا ، وكابن لله الوحيد والمخلص الذي مع أنه بلا خطيئة تماماً إلا أنه حمل خطيئة البشر ، وقد أعلن لله الأب رضاءه عن عمل ابنه هذا في هيئة جسمية ملموسة .كحمامة ، ومجيء الصوت إليه معلنا: " ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة ، وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت " ، لوقا ، ٣ :٢٢، وهذه الكلمات تعلن أن هذا هو المسيا عبد الله المطيع لإرادته المتألم لأنه يحمل خطيئة

وقد جاءت دعوة عيسى عليه السلام تكميلية لنبوة موسى- عليه السـلام-، أي أنه لم يأتي بشريعة جديدة.

(يرتبط تاريخ المسيحية نشأة بالسيد المسيح وبشارته وبدعوته باعتبارها أصالة حركة تصحيحية لليهود من داخلها من حيث إنه ، كان يهودياً ملتزماً بشريعة التوراة، وإنه حصر دعوته في أبناء جلدته من اليهود ، وكان حواريه جميعاً من اليهود) [١].

كان الهدف من رسالة عيسى- عليه السلام- إكمالاً لما في التوراة تارة وتخفيفاً لأحكامها تارة أخرى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢] .

ظل المسيح زمناً طويلاً لا يرى في نفسه إلا أنه أحد اليهود يؤمن بأفكار الأنبياء من قبله ويواصل عملهم ويجري على سنتهم ، فلا يخطب إلا في اليهود ولما أرسل أتباعه لينشروا إنجيله أوصاهم بدعوة اليهود فقط ، كما أنه لم يفكر في أنه ينقض هذه الشريعة: **(لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَـلْ لأُكَمِّلَ)**[٣].

لقد كانت المهمة صعبة والعمل جسيم فكان لابد له من مساعدين.

(اختار يسوع من بين أتباعه وتلاميذه اثنى عشر سموا بالحواريين، وأرسلهم لإعلان ظهور المسيح)[٤].

وعلى الرغم من أن اليهود كانوا يترقبون نبوة النبي الجديد بفارغ الصبر إلا أنه وكعادتهم مع أنبيائهم ، جاء النبي الجديد بما لا تهوى أنفسهم فهم يريدون من يحارب لأجلهم ويقاتل من أجلهم ومن ثم يحصدون هم نتيجة الفوز.

الكثيرين ، قاموس الكتاب المقدس ، ص٥٨٥ .

(١) محمد عزت الطهطاوي : " النصرانية في الميزان " ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ص٤٦ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٥٠ .

(٣) الكتاب المقدس ، إنجيل متى ، ٥ :١٧ ، ص٨ ج .

(٤) سليمان مظهر : " قصة الديانات" ، ص٣٩٥ . وقد وردت عدة أقوال في سبب تسميتهم بالحواريين ، قيل من الحور أي البياض لعملهم في تبيض الثياب ، وقيل لبياض بشرتهم ، وقيل لبياض ونقاء سريرتهم .

لقد كانت حياة اليهود صعبة وهم تحت سيطرة الحكم الروماني الوثني في زمن مولد المسيح عليه السلام ، لذا كانوا يتطلعون لليوم الذي يُبعث فيه النبي المبشر به في التوراة، فقد أرادوه محارب أكثر من كونه نبياً مصلحاً. ولكن المسيح كان بعكس ما كانوا يتمنون، فقد كان مسالماً ذو شخصية أبعد ما تكون عن شخصية المحارب المقاتل، كما كانت تعاليمه تحض على نشر المحبة والسلام والمسامحة والصبر على الأذى إلى غير ذلك مما لا يروق لليهود ، فكانوا أول المحاربين له .

فلم تكن دعوة عيسى تحقق لليهود آمالهم وأحلامهم، ولم يكن عيسى على هواهم ووفق رغباتهم، فأوغروا صدر الحاكم الروماني عليه حتى أصدر قرار بإعدامه على الصليب. الذي كان إعلان عن انتهاء الجزء الأول منها [1] بعد أن مكث فيهم قرابة الثلاث سنوات، ترك لهم فيها دعوة توحيد صادقة وكتاب مُنزّل من رب العالمين واثنى عشر حوارياً، أمرهم أن ينشروا دعوته بين بني إسرائيل، فقد كانت تخصهم دون سواهم من الأمم .

المطلب الأول: ملامح الدين النصراني

دين عيسى بعد عيسى- عليه السلام- هذا هو ما أقصده بالبحث!!.

حتى لا يلتبس الأمر على أحدهم حين أكتب عن العقائد النصرانية، فأنا أقصد ما آلت إليه دعوة عيسى متخطية بذلك أحداثا جساما وأمورا عظاما ليس لذكرها هاهنا متسع ومكان .

لقد انتهت حياة المسيح وبقي حواريه وتلاميذه من بعده ، انتشروا في البلاد لدعوة

---

(١) تذكر الأحاديث أن لعيسى عليه السلام عودة في آخر الزمان ليقتل الدجال ، ويحكم بشريعة محمد . صلى الله عليه وسلم . فقد قيل : " ونزوله أمر مجمع عليه عند أهل العلم وثابت بالنصوص الثابتة عن رسول الله . عليه الصلاة والسلام . وقد تواترت به الأحاديث ، وليس به شك هو ينزل في آخر الزمان بعد خروج الدجال الكذاب ؛ فيبين للناس كذبه وضلاله ، ويتولى قتله ، ويحكم بشريعة محمد . صلى الله عليه وسلم . في الأرض، ويتبعه المسلمون . ويفيض المال في وقته ، وتأمن البلاد ويسلم الناس كلهم فإنه لا يقبل من الناس إلا الإسلام أو السيف ، يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وتكون العبادة لله وحده في زمانه ويكون الدلالة القاطعة على قرب الساعة، فالناس يؤمنون في زمانه وصدق النبي محمد . صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به . موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء http://www.alifta.net . فتاوى نور على الدرب مج٤، باب ما جاء في أشراط الساعة ، ١٠٤، الكلام على نزول عيسى . آخر الزمان.

اليهود كما أوصاهم معلمهم- كانوا يُحبون أن يدعونههكذا-، فقد كانت دعوة قومية خاصة ببني إسرائيل ، لكن الظروف اقتضت أن يتغير الوضع وفلم تبقى لليهود وحدهم بل توسعت نطاق الدعوة وانتشرت بين اليهود وغير اليهود من الرومان واليونانيين وأصناف أخرى شتى .

(لم تمض بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية وافدة إليها أحياناً من فلسفات قديمة وأحياناً من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتك بأهلها المسيحيون ، فانقسم حينئذ المسيحيون إلى طائفتين : طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله ، وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد)(١) .

توصل عقلهم إلى تعليل فكان وبالاً عليهم واعتبرت أنها السبب الأول والرئيس في كافة ضلالات النصارى بعد ذلك ، ضلالة كان منشؤها معجزة ولادة عيسى- عليه السلام- من غير أب ، فجعلوا الله- تعالى في علاه- والده أليس هو كلمته ألقاها إلى مريم البتول؟، فما الذي يمنع أن تكون تلك الكلمة هي جزء من الله ، وضعها الروح الأمين في كم العذراء فسقطت في رحمها فتكونت النطفة من الكلمة ؟، والكلمة من الله إذاً فالنطفة هي جزء من الله.

(أتباع المسيح قد انقسم في الثلاثة قرون الأولى من ظهوره إلى مئة عقيدة وعقيدة) (٢). بداية الانقسامات وأهمها تلك التي كانت حول طبيعة المسيح وما يتبع ذلك من اختلافات.

عقيدة التثليث:

" الثالوث المقدس" (٣) قدس الأقداس في الديانة النصرانية ، هذا هو مُرتكز

---

(١) علي عبد الرحمن الوافي : " الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام " ، ص٩٧ .

(٢) ول ديورانت : " قصة الحضارة " ، ج٣ ، م٣ ، ص٢٩١ .

(٣) الثالوث المقدس أو " التثليث " عُرف قانون الإيمان هذه العقيدة بأنه : [نؤمن بإله واحد الأب والابن والروح القدس

العقيدة النصرانية وأساسها ، طبيعة المسيح البنيوية ، ولكي نتعرف على الهدف من التثليث لابد أن نتناول الخلاف من بدايته باختصار .

كان السؤال الذي طالما أرقهم وأقضى مضاجعهم : ما طبيعة السيد المسيح الجسدية ؟، هل هو إنسان أم إله ؟، هل هو إنسان خالط الإله؟، أم إنه إله توحد مع الإنسان؟.

كل سؤال من هذه الأسئلة يستغرق الإجابة عليه رسالة علمية خاصة به، لذا أوضح ذلك في نقطتين باختصار :

- **النقطة الأولى** : حين جسدوا الكلمة التي هي من الله إذاً فقد تجسد جزء من الله ، و بما أن الله لا محدودية لوجوده وليس بمحل ، فلابد له من كيان يُمثل فيه هذا التجسد فكان المسيح هو الكيان الذي تجسدت فيه كلمة الله.
- **النقطة الثانية** : حين أصبحت الكلمة جسد فما طبيعته ألهوت هو أم ناسوت.

(التجسد كلمة في علم اللاهوت المسيحي تدل على أن "المسيح"، قد صار جسداً ، وحل بيننا ورأينا مجده ، ففي المسيح المتجسد نرى مشيئة الله وقصده، وندرك طبيعته وذاته) (١).

بعد التجسد ماذا الآن؟، صارت الكلمة جسد ، فما هي طبيعة هذا الجسد؟. كثرت الأقوال وتعددت الآراء وعُقدت المجامع المسكونية(٢) لتقرر ما يمكن أن تفعله وتقرره حيال هذا الأمر ، فلم تكن العقائد النصرانية تُأخذ من كتاب مُنزل أو من وحي النبي المرسل ، بل كانت تقرر في اجتماع قساوسة وباباوات ، ما أقروه يُعتمد وما رفضوه

إله واحد جوهر واحد متساوون في القدرة والمجد] ، في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاث خواص أزلية يعلنها الكتاب في صورة أقانيم متساوية ، والكلمة نفسها [التثليث أو الثالوث] ، لم ترد في الكتاب المقدس ، ويظن أن أول من صاغها واخترعها ، واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد ، نخبة من الأساتذة : " قاموس الكتاب المقدس " ، ص١٦٢ .

(١) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، ص٢٤٠ .

(٢) هي هيئات شورية في الكنيسة المسيحية وهي نوعان : مجامع مسكونية أي عالمية نسبة إلى الأرض المسكونة ، ومجامع محلية ، كان أولها انعقاداً لها هو مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، وفيها تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية كـ " الوهية المسيح وروح القدس ، وغير ذلك " ، أحمد شلبي : " مقارنة الأديان ... المسيحية " ، ص١٩٧.

يُستبعد ، فخرجت تلك المجامع بأول وأهم قرارتها :

- أن المسيح ذو طبيعيتين ناسوتية ولاهوتية ، ومن ثم تلاها .
- أن المسيح ذو مشيئتين مشيئة إلهية وأخرى إنسانية .
- تقرر على أثر ذلك إلوهية السيد المسيح عيسى وأنه جزء من الإله الآب (١).
- ومن ثم خرجت آخر القرارات وهي إلوهية روح القدس .

وبذلك اكتملت أركان الثالوث ، التي عبر عنها القانون الجامع أحسن تعبير.

(قانون "الإيمان الجامع" هو : أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث ، وثالوث في وحدانية لا نخلط الأقانيم ولا نفصل الجوهر ، فإن للآب أقنوم على حدة وللابن أقنوم آخر وللروح أقنوم آخر ولكن لاهوت الآب والابن والروح القدس كله واحد ، والمجد متساو والجلال أبدى معاً الآب إله والابن إله والروح القدس إله ، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد الآب رب ، والابن رب ، والروح القدس رب ، ولكن ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد ، الدين الجامع ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة أو ثلاثة أرباب) (٢).

قد يقع هذا القانون منا موقع المستحيل، فكيف الثلاثة يساوون واحد، والواحد هو في أساسه ثلاثة، لكنهم جميعاً واحد، ومجموعهم ثلاثة.

هذا ضد كل ما في الوجود من نظريات رياضية وقوانين حسابية وفيزيائية لكنهم برروا ذلك فقالوا :

(عقيدة الثالوث ليست ضد العقل بل فوق العقل، هذا هو السر، فقد رأى بعضهم أن يذكر تشبيها لذلك مثل: جرم الشمس ونورها وحرارتها، والكل شمس واحدة، وورد في القانون: "كما أن النفس والجسد إنسان واحد ،كذلك الإله والإنسان مسيح واحد") (٣) .

فيكون الثالوث الأقدس مكون من ثلاثة أقانيم (٤) في جوهر واحد:

---

(١) آب : لفظ يطلقه المسيحيون على الله ؛ لأنه الآب السماوي نخبة من الأساتذة : " قاموس الكتاب المقدس" ، ص٣

(٢) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٢٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٨٣ .

(٤) أقنوم : تعني هيبوستاسيس باليونانية ، وهي مكونة من مقطعين : هيبو وتعنى تحت ، وستاسيس وتعنى قائم ، أو

١- **الآب**: هو الله ، تفردت النصرانية في هذه الوصف وهو الأقنوم الأول .

٢- **الابن**: هو المسيح ذو الطبيعة الإلهية (١)، وأنه أقنوم إلهي انبثق عن الله حقيقة على معنى تأليهي لهذه البنوة، أي أنه إله حقيقي من جنس وجوهر أبيه الله (٢).

٣- **روح القدس**(٣): هو الأقنوم الثالث في منظومة الثالوث المقدس .

ولتوضيح فكرة حتمية وجود روح القدس في أسس وتعاليم النصرانية نرى أحد كتابهم، يقول: (يسوع كإنسان لم يكن ممكناً له أن يوجد في كل مكان وفي كل زمان، لذلك وعد تلاميذه أن يكون روحه معهم في كل مكان وإلى نهاية الزمان، فالروح القدس هو المسيح الحي، إن روح القدس هو حضور الله معنا وعمله فينا ويؤمنون أيضاً أن الله روح شخصي محب للبشر قريب منهم، والإيمان بروح القدس يؤكد هذا القرب الإلهي) (٤).

إلى ذلك انتهت عقيدة التوحيد السماوية إلى عقيدة شركيه تؤمن بثلاثة على الرغم من إنكارهم لذلك وقيامهم بفلسفة الفكرة أنهم يؤمنون بواحد في ثلاثة أشكال.

العهد الجديد من الكتاب المقدس:

ذكرت سابقاً أن توراة موسى اختفت وضاعت ، وحل محلها ما يُعرف اليوم بالعهد القديم؛ وكذلك إنجيل عيسى ضاع وفُقد وحل محله ما يُعرف بالعهد الجديد في نفس الكتاب، فالعهد الجديد هو الجزء الذي يخص النصارى من الكتاب المقدس، وبإعتراف

واقف ، وبهذا فإن كلمة هيبوستاسيس تعنى تحت القائم ولاهوتيا معناها : ما يقوم عليه الجوهر ، أو ما يقوم فيه الجوهر أو الطبيعة ، والأقنوم هو : كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به ، وله إرادة ، ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الأقنومين الآخرين بغير انفصال ، الأقانيم الثلاثة هم : الآب والابن والروح القدس ، موقع http://st-takla.org . قسم أسئلة اللاهوت والإيمان والعقيدة .

(١) حقيقة قررتها المجامع المسكونية وقد كانت محل خلاف كبير بينهم " أصول النصرانية في الميزان " لمحمد المسير ، ص٢٧

(٢) سعد رستم : " الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم " ، ص٢١ . ٢٢ ، بتصريف .

(٣) هو : روح الله ، الأقنوم الثالث ، وقد سمي روحا ؛ لأنه مبدع الحياة ، ودعي قدوس لأن من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن ، ويدعى روح الله وروح المسيح ، وفي الكتاب المقدس تنسب إليه أسماء الله الحي وصفاته ، وأعماله وعبادته ، ومن أعماله أنه يهب القوة والحكمة والفهم ، قاموس الكتاب المقدس ، ص١٥ .

(٤) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٢٤١ .

بعض النصارى المنصفين أنه ليس الكتاب المنزل على عيسى المسيح عليه السلام.

(بعد صعود المسيح راح الرسل وغيرهم يجوبون البلاد منادين ببشرى الخلاص بيسوع المسيح بحياته وموته وقيامته ، وقد أطلق على مادة مناداتهم كلمة "الإنجيل") [١].

هذا يعني أن إنجيل اليوم هو في الأساس كلام شفهي ورأي بشر من تلاميذ ورسل يسوع المسيح . ومن ثم اقتضى الأمر تدوين اشياء من سيرة يسوع، فأطلقت نفس اللفظة التي عرفت المناداة الشفوية على السيرة المكتوبة .

(أطلق على كل سيرة مكتوبة كلمة "الإنجيل" أو "بشارة"، لذلك نسمع الناس اليوم يتحدثون عن أربعة أناجيل أو أربع بشائر ، ومعنى هذا أن هناك إنجيلاً واحداً في أربع بشائر مختلفة لأربعة من الكتاب. وحين نقول: إنجيل لوقا نعني البشرى أو البشارة كما شرحها الكاتب لوقا)[٢]

هذه رأيهم من أنفسهم في كتابهم وأناجيلهم ، لكن كان لغير نظرة اخرى غيرهم. (تم تحرير هذه الأناجيل في بداية القرن الثاني الميلادي ، إن الكتاب المقدس كما هو عليه اليوم ، إن هو إلا نتاج لعملية انتقائية وتعسفية نوعاً ما، وخضع إلى شيء من التحرير، والحذف والتنقيح ، وتختلف الأناجيل فيما بينها اختلافاً بيّناً يصل إلى حد إثبات واقعة في أحدها ونفيها في آخر أو انفراد إنجيل بإيراد حادثة لا ترد في الأناجيل الأخرى) [٣].

لا أعتقد أنه يوجد مخلوق على وجه الأرض يستطيع أن يؤكد سلامة النقل الشفهي من جيل إلى آخر قرنين من الزمان ، حتى وإن كان الناقلين من الحواريين أو من الرسل الذين تلقوا منهم ولا من الذين أتوا من بعدهم فلا معقولية في ذلك .

(يتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين كتاباً ما بين أناجيل ورسائل ورؤى [٤].

---

(١) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٢٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٥٦.

(٣) نهاد خياطة : " الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام " ، دار الأوائل ، ص١٦-١٩-٢١ .

(٤) يحتوي العهد الجديد على السبعة وعشرين كتاباً التالية : الأناجيل الأربعة "متى ومرقص ولوقا ويوحنا" وسفر أعمال الرسل ورسائل بولس (الأربعة عشرة) والرسائل الكاثوليكية "رسائل بطرس ،ورسائل يوحنا ،و رسالة يعقوب يهوذا ورؤيا يوحنا..." المسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب مكتبة وهبة ط ٢ ، ١٤٠٨هـ ، ص١٧.

وعلى الرغم من أني أتوخى الاختصار وأحرص عليه إلا أني لم استطع أن أنهي الحديث عن العهد الجديد دون ذكر النص التالي :

(لم يدع أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الإنجيل ، على أن هذا كله لن يضير الصورة الرائعة التي رسمتها بشائر الإنجيل عن..

"النموذج الأسمى والإنسان الكامل وإعلان الله الأزلي الخالد، ذاك الذي كان إنساناً تاماً وإلهاً تاماً ابن الإنسان وكلمة الله ، ومخلص العالمين ورب الحياة".

هذه هي الصورة الجميلة التي رسمتها كل من بشائر الإنجيل ، وإن كنا لا ندعي العصمة اللفظية والحرفية لكتابنا فإن من حقنا أن نشيد بصدقه ووحيه) (١).

لكن الحقيقة المؤسفة التي يحاول بعض النصارى إنكارها هو عدم وجود كتاب أنزل مع عيسى – عليه السلام– وأنه جاء بالبشارات الشفوية التي كتبت بعد موته من قبل تلاميذه كلاً على حسب وجهة نظره.

إن الفكرة القائلة:

(أن يسوع المسيح جاء إلى العالم بإنجيل في شكل كتاب مجهز أو خلاصة للحق الذي سلمه للناس خاطئة لا تطابق الواقع ، ولا يصح أن يقال: أن الإنجيل نزل عليه، بل الأولى أن يقال أنه عندما أنزل الله يسوع إلى العالم أعطى الإنجيل للناس الذي معناه كما قلنا "البشرى"، وقصارى القول أن يسوع المسيح نفسه هو الإنجيل وهو البشارة من الله) (٢) .

لكن القرآن الكريم أثبت غير ذلك وإن هناك كتاب أنزل على عيسى عليه السلام ويدعى الإنجيل ، والأمر الذي لا خلاف عليه أن إنجيل عيسى فُقد كما فُقد من قبله توراة موسى .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً

---

(١) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٢٥٩ .

(٢) حبيب سعيد : " أديان العالم " ، مرجع سابق ، ص٢٥٧ .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ [1].

الفرق النصرانية:

كما هو حال الفرق اليهودية سيكون حال الفرق النصرانية ؛ فقد وجد لها عدة تقسيمات وقد اخترت أيسرها :

١- فرق النصارى القديمة [2] .

٢- فرق النصارى الحديثة : التي قسمت بدورها إلى قسمين، قسماً منهم كان مع بداية فجر الإسلام [3] والقسم الآخر هو ما استقرت عليه الكنيسة النصرانية اليوم، وتعد من أسماء فرق النصارى القديمة والتي بقيت على الحق فرقة الآريوسية كما يوجد ثلاث فرق أخرى النساطرة [4] واليعاقبة [5]والملكانيون [6].

أما التقسيم النصراني اليوم أصبح ينحصر في ثلاث كنائس رئيسة كبرى [7]، وهي: الكنيسة الكاثوليكية [8] والكنيسة الأرثوذكسية [1] والكنيسة البروتستانتية [2] ليس هذا

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٦ .

(٢) (تذكر المراجع التاريخية النصرانية التي تتحدث عن تاريخ الكنيسة المبكر أسماء عدة فرق في القرون المسيحية الثلاثة الأولى كانت تُنكر التثليث وإلهية المسيح مثل : الإبيونيين والموناركيانيين والغنوصيين والباسيليديين والكاربوقراطيين ، والأخيران من فروع الغنوصيين) سعد رستم : " الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم " ، دار الأوائل ، ص ٢٢ .

(٣) سعد رستم : " الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم "، مرجع سابق ، ص٢٦.٢٧.

(٤) هم الذين أسسوا لمذهب القول بطبيعتين للمسيح .عُرفوا باسم النسطوريون أو النساطرة يُنسب إلى نسطور بطريرك القسطنطينية ، ويؤكد على التمايز ، والفصل بين الطبيعة الإلهية للمسيح ، والطبيعة البشرية .

(٥) هم القائلون بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة وهي الطبيعة الإلهية التي تمت بعد الاتحاد مع الإله بدون اختلاط، ولا امتزاج هو مذهب الأرثوذوكس الشام ومصر ؛ وقد عُرفوا بهذا الاسم نسبة إلى يعقوب البرادعي.

(٦) هو مذهب مؤدٍ على أن للمسيح طيعتين إلهية وبشرية وهو الذي تبنته كنيسة روما ، واتخذت به قراراً في مجمع خلقيدونية ؛ أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، أيضاً في اقنوم واحد ، وهو إلهي بحت .

(٧) أحمد شلبي : المرجع السابق ، ص٢٣٨ . ٢٤٢ ، سعد رستم : مرجع سابق ، ص ٦٨. ٤٧ ، بتصريف .

(٨) تسمى الكنيسة الغربية أو اللاتينية ، ويُحبون أن يُطلق عليهم البطرسية أو الرسولية وذلك لأنهم يدَّعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول ؛ وأصل الكلمة يوناني وتعني العالمي ، حيث تمثل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أكبر تجمع

كل شيء في الحديث عن الفرق ، فقد وجدت فرق نصرانية أخرى قامت على فِكر مختلف إلا أني آثرت التطرق لها في المطلب التالي لتعلقها به.

شعائر وطقوس[٣] كنسيّة[٤] :

لعل من المهم أن أنهي الحديث عن ملامح الدين النصراني بذكر أهم العبادات والشعائر في الدين المحرف التي تمارس في الكنيسة وبإشراف مباشر من رجال الدين :

١- **التعميد** [٥] : تكاد تتفق على ضرورته الفرق النصرانية جميعها .

٢- **العشاء الرباني**[٦]: يُطلق عليه التناول وهو رمز إلى العشاء الأخير للمسيح .

٣- **تقديس الصليب**[٧]: يُعتبر هذا من بقايا العهد الروماني القديم .

٤- **الاعتراف**[٨]: وهو من الطقوس التي لابد فيها من حضور الكاهن فقط .

٥- **الرهبنة** [٩]: هي الابتعاد عن مباهج الحياة وتعذيب الجسد بالجوع والعطش .

مسيحي في العالم ، ويقود الكنيسة الكاثوليكية البابا وهو أسقف روما من مقره بمدينة الفاتيكان .

(١) تسمى الكنيسة الشرقية أو اليونانية كان مقرها الأصلي القسطنطينية وهي مؤلفة من عدة كنائس مستقلة ، وهي كلمة يونانية مركبة من لفظتين " أرثوس "وهي صفة لما هو سليم وذكسا" هو يدل على الرأي والمعتقد ، فيكون معنى الكلمة اليونانية " أرثوذكسا " المعتقد القويم أو الرأي القويم .

(٢) تسمى الكنيسة الإنجيلية ، وذلك لأن أتباعها يعترفون بالأناجيل فقط ويفهمونه بأنفسهم ، وبذاك يعارضون غيرهم من أتباع الكنائس الأخرى ، التي تعتبر فهم الإنجيل وفقاً على رجال الكنيسة .

(٣) الطقوس في اصطلاح الكنيسة هي مجموع الصلوات والابتهالات التي تتم في الاحتفالات الكنسية ، ويقوم بها الكاهن مع الذين يساعدونه في أداء الأسرار."مقارنة الأديان.. المسيحية " أحمد شلبي ،ص٢٤٣.

(٤) أحمد شلبي : المرجع السابق ، ص١٧١ . ١٧٥ ، بتصريف .

(٥) وهو من الطقوس المتعارف عليها في الديانة اليهودية من قبل مجيء عيسى . عليه السلام . وغالباً ما يتم في الطفولة لابد أن يقوم به كاهن ، حيث يُعمد الناس باسم الأب والابن والروح القدس .

(٦) إذ اقتسم المسيح عيسى معهم الخبز والنبيذ ، الخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كُسر لنجاة البشرية ، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض ، "مقارنة الأديان ... المسيحية لأحمد شلبي ، ص١٧٣ .

(٧) متعارف عليها ، وقد حمل المسيحيون الصليب لفكرة الاستهانة بالحياة ، والاستعداد للموت في أبشع صوره ، وقد صعّد موت المسيح على الصليب من حدة هذه الشعيرة ، ورفعت من مقامها لدى المسيحيين .

(٨) أحمد شلبي : " مقارنة الأديان ... المسيحية " ، ص٢٤٣ .

(٩) وقد كان الغرض من ممارسة الرهبنة بادئ ذي بدء ، هو تعويض الفرد عما لاقاه السابقون الأولون من المسيحيين شتى صنوف العذاب لكي ينعم هو بحرية العبادة ؛ لذا أحس بواجبه أن يتخلى عن ملذات الحياة في المقابل بما أنه انتهى

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في الديانة النصرانية

عانى النصارى بعد عيسى عليه السلام من الاضطهاد والتعذيب فترة طويلة من الزمن حتى كان لهم الخلاص على يد الإمبراطور قسطنطين، وهذا يشبه ما قد سبق وأن عانا منه اليهود كذلك ، سبي وواضطهاد وذل حتى كان خلاصهم على يد قورش، وكما ترك السبي أثره على الدين اليهودي كذلك ترك الاضطهاد على الدين النصراني، فقد تأثرت النصرانية بالوثنية الرومانية وبالثنوية الفارسية أيضاً .

الملك قسطنطين حاكم الامبراطورية الرومانية كان وثنياً اعتنق الدين النصراني، فكان حصنها الحصين ومعول هدمها في ذات الوقت، أصدر عدة قرارات كان في ظاهرها انتصار للنصرانية لكن الحقيقة كانت غير ذلك.

(مع بدايات القرن الرابع تغيرت الظروف السابقة تغيراً جذرياً وحاسماً لصالح المسيحية،

عصر التعذيب ، والإعدامات ، " مقارنة الأديان ... المسيحية " لأحمد شلبي ، ص٢٤٤. ٢٤٧ .

وانتهى الأمر أخيراً بتحول الإمبراطورية الرومانية العريقة في وثنيتها إلى إمبراطورية مسيحية بقرارات متتالية صادرة عن الإمبراطور قسطنطين الأكبر، وذلك من خلال ثلاث خطوات متتابعة هي:

١- الاعتراف أولاً بالمسيحية ديناً مشروعاً ومعترفاً به ، واعتناق الإمبراطور له.

٢- جعل القدس عاصمة مقدسة للمسيحية.

٣- صدر قرار إمبراطوري بموجبه جعلت المسيحية ديناً للإمبراطورية ثم للغرب كله)[1].

كله)[1].

وقد رفعت تلك القرارات عن كاهل النصارى ، ما كان يقع عليهم من سجن وتعذيب وصلب ، لكن هذا لا يعني أن الوثنية قد انتهت وعمت النصرانية أرجاء الدولة صحيح أن النصارى أصبحوا يمارسون طقوس دينهم بحرية كاملة ، إلا أن الأثر السلبي لتلك الحرية وقعت على تعاليم الدين النصراني الصحيحة ففاق الأثر السلبي الأثر الإيجابي، فنشأ دين جديد.

نمى الدين النصراني حين استوعب العقائد والطقوس الوثنية لكي يستطيع التعايش معها ، فلابد من مجاراة العقائد من حولهم وهذا ترك ابلغ الأثر.

(لقد كانت الظروف التي مرت بالنصارى أسوأ ظروف مرت بأمة، فقد اجتمعت عليهم عوامل أفسدت عليهم دينهم وبدلته من دين سماوي يعتمد في أصوله وأحكامه على الله إلى دين وضعي أرضي نبت وغذي من أفكار بشرية وثنية) [2].

كانت تلك العوامل سبب رئيسي ومباشر لدخول المعتقد الثنوي إلى الدين النصراني.

---

(١) عرفان عبد الحميد : " النصرانية " ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ص٦٠ .

(٢) أحمد عجيبة : " تأثر المسيحية بالأديان الوضعية " ، طبع ونشر : دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م ، ص٤٥ .

مراحل إفساد الدين النصراني وأسبابه[١]:

يمكن تقسيمها إلى مرحلتين :

- المرحلة الأولى : كانت عوامل ساعدت على تسلل الأفكار الوثنية إلى النصرانية.
- المرحلة الثانية : توفرت فيها امكانيات ساعدت على إقرار تلك العقائد وتثبيتها.

المرحلة الأولى:

كانت فيه عدة عوامل ساعدت على تسلل الأفكار الوثنية إلى النصرانية منها:

١- **الاضطهاد** : أي دين في العالم لكي يكون صحيح المسار لابد أن يكون خالي من الضغوط التي تمارس عليه ، وما تعرض له النصارى من ضغوط جعلت المحافظة على دينهم صحيح مهمة شبه مستحيل حتى وإن أرادوا.

٢- **ضياع الإنجيل المُنْزل** : اقصد الكتاب الحق المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام فقد قيل أن لهذا العامل أكبر الأثر في انحراف النصرانية [٢].

٣- **بولس ونشاطه في النصرانية** : يُعد بولس من أقوى العوامل التي أدت إلى انحراف الدين النصراني عن مساره [٣].

المرحلة الثانية:

كانت فيه عدة عوامل ساعدت على إقرار تلك العقائد وتثبيتها ومنها:

---

(١) تم تصريف الكثير من العبارات الواردة في هذه المراحل من أحمد عجيبة :" تأثر المسيحية بالأديان الوضعية " ص٤٥.

(٢)(لقد كان لضياع هذا الإنجيل الصحيح أثر كبير في خروج هذه الديانة من دائرتها السماوية المقدسة إلى دائرة ترتع فيها المعتقدات الوثنية ، وتجعل من عيسى ـ عليه السلام ـ إلهاً مقدساً على غرار الديانات الوثنية القائمة آنذاك) أحمد عجيبة :" تأثر المسيحية بالأديان الوضعية " ، ص١٠٤ .

(٣) (يعد بولس قبل دخوله المسيحية من أكبر قادة الاضطهاد ضد النصارى ، واعترف بنفسه بذلك ، وأنه أفرط في تعقبهم واضطهادهم . ثم ظهر بولس الرسول ـ لقد ظهر أن التعاليم التي بشر بها بولس ليست من تعاليم المسيح ـ عليه السلام ـ وإنما اقتبسها وطورها وبشر بها باسم السيد المسيح ، يعتبر أول المحرفين لهذه الديانة ، فهو أخرج النصرانية عن نطاقها السماوي ووضع بدلاً منها وثنيات الأديان الوثنية ، وخرافات الأديان الوضعية) أحمد عجيبة :" تأثر المسيحية بالأديان الوضعية " ، ص١٥٩ـ٢٠٦ .

١- **الإمبراطور قسطنطين**: كان عهده العهد الذهبي للنصارى دنيوياً فقط، لكنه من أحلك عصور الظلام على أصول الدين النصراني ، والنصيين التاليين يقدمان صورتان واضحتان لكل من الأثر الايجابي والسلبي له.

يقدم النص التالي الأثر الايجابي : (تغير موقف الإمبراطورية الرومانية من الديانة المسيحية تغيراً جذرياً ، وأصبحت المسيحية على قدم المساواة مع بقية الديانات الأخرى المعترف بها في الإمبراطورية ، وانتهى عصر الاضطهاد والتعذيب ، وكان لقسطنطين الفضل الأكبر في هذا التغيير) [١].

أما النص التالي فهو يقدم الأثر السلبي : (لقد رأى قسطنطين من أجل الحفاظ على سلامة الدولة من الانشقاقات الداخلية ، ومن أجل الحفاظ على وحدتها وعدم المنازعات العقائدية ، أنه من الأفضل أن يحاول أن يوفق بين الوثنيين والمسيحيين) [٢]. حتى أنه أمر بصك نقود لتكون العملة الرسمية للدولة الرومانية ، كانت على شكل يرضي بها أصحاب الديانتين المتجاورتين في إمبراطوريته فقد رُسم على الوجه الأول صليب وعلى الوجه الثاني الإله ميثرا الفارسي [٣].

٢- **المجامع وأثرها في تقرير العقائد النصرانية**: أول من أمر بانعقاد المجامع هو الامبراطور قسطنطين فيعتبر هذا العامل هو امتداد للعامل السابق، إلا أنه لأهمية الدور الذي لعبته المجامع في انحراف المعتقدات النصرانية الصحيحة لذا أفردت لها عنوان خاص .

ظاهرياً كان الغرض منها حل الخلاف الواقع بين القساوسة في أمور العقيدة، لكن الهدف الأساسي كان خلق روح من التوافق بين العقائد الوثنية والدين النصراني[٤].

---

(١) أحمد عجيبة :" تأثر المسيحية بالأديان الوضعية " ، ص٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٥٣ ، بتصريف .

(٤) (الملك قسطنطين هو الذي ابتدع عقد المجامع المسكونية ، وهي التي كان لها أكبر الأثر على المسيحية في تقرير العقائد والقوانين الإيمانية . ولإعطاء . حكمه صفة المقدسة ، ولتأخذ المجامع الصفة التشريعية بدلا من التوراة) أحمد عجيبة :" تأثر المسيحية بالأديان الوضعية " ، ص٢٥٦. ٢٦١ .

فقد كان من أكبر الآثار السيئة التي خلفها اختلاط النصارى بغيرهم من أصحاب الديانات الوثنية الأخرى أنه خلق حالة من القابلية للعقائد الوثنية داخل الدين النصراني، وقد قيل إن الأب الروحي لها هو بولس الرسول .

(لا نستطيع أن نفهم مسيحيتنا إذا لم نعرف جذورها الوثنية ، فقد كان للوثنية قسط وافر في تطور الدين المسيحي ، لقد كان للوثنية اليونانية والفارسية هيمنة على المسيحية ونحن لا نبالغ إذا قلنا أن ما يُعرف بالأسرار الدينية مستوحى من الأديان الوثنية) [١].

وعلى ذلك سيكون محور الحوار حول نقطتين:

- ملامح الثنوية في النصرانية.
- الغنوصية الثنوية وفرقها.

ملامح الثنوية في النصرانية:

بالطبع يستحيل أن ألم بكل مظاهر الثنوية في الدين النصراني لكن حاولت قدر المستطاع أن أكتب أشهرها وأوضحها والمتمثلة في ثلاثة مظاهر.

– **أولاً** : الاعتقاد بألوهية المسيح ليس كجزء من منظومة إلهية تدعى "الثالوث المقدس"، وإنما كإله ثانٍ بجانب الإله الأول يعاونه ويساعده ، بل وترك له مهمة محاسبة الناس يوم القيامة .

– **ثانياً** : ظهر اتجاه آخر ثنوي في الدين النصراني يتمثل في الاعتقاد بألوهية المسيح وأمه في مقابل وجود الآب.

(الكنيسة الكاثوليكية تؤله العذراء مريم ، وتقول إنها صعدت حية إلى السماء، وتضع لها التماثيل في كنيستهم كما يصلون للعذراء مريم) [٢].

– **ثالثاً** : وجود العديد من العبارات والنصوص في الكتاب المقدس تفيد بوجود

---

(١) أندريه نايتون وآخرون : " الأصول الوثنية للمسيحية " ، ترجمة : سميرة عزمي الزين ، بدون بيانات ، ص٢٠.

(٢) معاذ عليان : " عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية " ، ص٥ .

اتجاه نحو الإيمان بقوة إبليس وسيطرته على العالم الأرضي ، ومنها ما هو منسوب ليسوع المسيح ـ عليه السلام ـ وهو منها بريء.

فعلى سبيل المثال جاء في الكتاب المقدس في رسالة يوحنا الرسول الأولى:

(نَعلَمُ أَنَّنَا نَحنُ مِنَ اللهَ ، والعَالَمُ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيْرِ) (١).

المقصود أن أتباع يسوع هم فقط من الله والباقون تحت سيطرة الشيطان وفي قبضته. وكذلك حين ذكر بولس الرسول أن هذا العالم – الدهر – له إله ورئيس ، ويُفهم من ذلك أنه غير إلـه العالم العلوي اللاهوتي:

(الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

ملامح الغنوصية الثنوية في النصرانية:

الغنوصية هو المنهج الذي يعتمد على الفِكر الصوفي العرفاني الذي يُنحي أو يؤول النصوص الدينية في الكتب المقدسة ويعتمد على الحس الداخلي للشخص .

وهذا يأتي في مقابل المنهج القويم الذي يتمسك بحرفية النصوص.

(إن الله الذي يبحث عنه الغنوصي في أعماق نفسه، ليس الإله يهـوه صانـع هذا العالم المادي الناقص المليء بالشرور، إن ما يميز الغنوصية عن المسيحية القويمـة، هو اعتقادها بأن عالم المادة الذي يتخلله الشر ليس من صنع الله، بل من صنع إله أدنى هو إله التوراة) (٣).

يوضح النص السابق الارتباط الوثيق بين الغنوصية والثنوية ، ذلك أن الغنوصي دائماً ما يكون معتقده قائم على الإيمان بوجود إلهاً ثاني غير إله باقي البشر، هم يعترفون بوجود إله التوراة الذي أعطاهم اليهود عنه صورة مشوهة مغلوطة جعلتهم ينفرون منه،

---

(١) الكتاب المقدس ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ، ٥: ١٩ ، ص٣٩١ ج .

(٢) المرجع السابق ، رسالة بولس الثانية إلى أهل كرونثوس ، ٤ : ٤ ، ص٣٩٣ج .

(٣) فراس السواح : " الوجه الأكثر للمسيح " ، طبع ونشر : دار علاء الدين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م ، ص٧٠ .

وفي محاولة منهم لتنزيه إلههم ، كان لابد من وجود إله ثاني يحتل مكانة الأول مع بقاء الإله الأول.

ويذكر بعض الكتاب المتقدمين أن الفِكر الغنوصي قد استطاع حل مشكلة وجود الشر في الكون بصورة واضحة جلية من خلال المعتقد الثنوي لمفهوم الألوهة .

(حلت الغنوصية مشكلة وجود الشر في العالم بطريقة جديدة على الفكر الديني، وذلك بابتكارها لفكرة الآب الأعلى مصدر عالـم النور الروحاني ، والإله الأدنى مصدر العالم المادي عالم الجهل والظلمات)(١) .

ومن المبالغات التي حاكتها الغنوصية النصرانية لفكرة الثنوية في الألوهية أنها جعلت يهوه إله التوراة هو الوجه المظلمة للآب إله النصارى النوراني .

(مصدر الشر هو إله التوراة الذي لجهله بوجود العالم النوراني الأسمى تربع على عرش الكون الذي صنعه ، وصاح متفاخراً : " أنا الرب ولا إله غيري إله غيور ") (٢) .

وقد وجدت عدة أفكار واتجاهات غنوصية ثنوية عن الإله والعالم الكوني العلوي لدى النصارى غير فكرة " يهوه والآب "وإن كانت هي الأوضح . فعلى سبيل المثال هناك ما يُعرف بـ " الديميرج "، فما الديميرج هذا؟، وما وظيفته؟.

(أفادت الغنوصية المسيحية من الفلسفة الأفلاطونية قالت : هذه الأفلاطونية بوجود ديميرج يتوسط بين الملأ الأعلى والعالم المادي ، ودعته بالإله الثاني) (٣).

إن معظم الأفكار الثنوية التي ظهرت في الدين النصراني هي داخل إطار واحد هو تنزيه الإله الآب عن الاتصال بالعالم المادي المليء بالشرور، حتى وإن اختلفت الصور أو تغير الاسم فهي لم تبتعد كثيراً عن المعتقد الثنوي الفارسي. فالثنوية الفارسية وجهت اهتمامها إلى إبعاد إله الكون عن هذا العالم بخيره وشره، وإيجاد البديل عنه فكانوا اثنان أحدهم للخير والآخر للشر؛ والثنوية النصرانية اعترفت بوجود إله ثانٍ مع الآب الذي هو إله الخير ، وهو الذي صنع العالم المادي المليء بالشرور هو إلـه أدنى

(١) فراس السواح ، مرجع سابق ، ص٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص٧٣ .

(٣) فراس السواح : " الوجه الأكثر للمسيح " ، ص٧٦ .

في الرتبة وأقل في الدرجة، إلا أنه في نهاية الأمر منحوه لقب إله ، قد يكون إله اليهود أو الديميرج أو أي صورة أخرى لكن فكرة وجود ثاني غير الاب يتحمل تبعات الشرور واردة وملموسة.

(الغنوصية هي التي أدخلت إلى المسيحية كثيراً من الأديان الوثنية الشرقية، فالغنوصية ليست تياراً مسيحياً مهرطقاً فهي أقدم من المسيحية ، فإنجيل يوحنا أصلاً هو نقل للفكر الغنوصي بل هو غنوصية ذات وجه مزدكي إيراني خاص ، حين يتحدث عن صراع نور الكلمة مع الظلمات ، أو صراع الحق مع الكذب) (١).

إذاً فقد تسللت فكرة صراع الأضداد الأزلي إلى المعتقد النصراني ، وتقبلت عقلية البعض منهم فكرة وجود قوتين في الكون هما في حالة تناقض وتضاد ، ومحاولة تغلب إحداهما على الأخرة وظهر هذا جلياً في إنجيل يوحنا ، الذي يعد من أكثر الأناجيل التي كتبت عن الغنوصية .

(إن إنجيل يوحنا ذو طابع غنوصي أو عرفاني) (٢) .

من خلال ما سبق لاحظت أن الغنوصية مثل الثنوية خالطت معظم الأديان الوثنية القديمة وكذلك استطاعت التسلل داخل الأديان التوحيدية عن طريق العرفان الصوفي الذي ينتهي بالتوحد مع الإله ، وحيثما تكون الثنوي تكون الغنوصية .

(إن هرطقات (٣) القرون الثلاثة الأولى يمكن أن تُختصر بأربعة اتجاهات رئيسية تتراكب غالباً بسبب التوفيقية الدينية ، التي كانت رائجة آنذاك ويخصنا منها اثنان وهما:

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٣ .

(٢) نهاد خياطة : " الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام " ، ص١٥ .

(٣) التعريف الكاثوليكي للهرطقة هو : رأي ديني مُدان كنسياً على أنه مناقض للإيمان الكاثوليكي ، أو هو خطأ إرادي ومتشبث به ، متعارض مع مبدأ إيماني موحى به ، وتُعلمه الكنيسة بصفته هذه ، وينص القانون الكنسي الحالي على ما يلي : إذا أنكر أحدهم بعد أن يكون تلقى العماد في الوقت نفسه الذي يحتفظ فيه بصفة مسيحي ، إذا أنكر بإصرار إحدى الحقائق التي يجب اعتبار أنها تتعلق بالإيمان الإلهي والكاثوليكي أو شك بها يكون هرطوقياً ، ج . ويلتر : " الهرطقة في المسيحية " ، المترجم : جمال سالم ، دار التنوير ، ٢٠٠٧م ، ص١٧. ٢٣ .

١- **العرفان** : الوجوه الخفية لعلم نشأة الكون ، وهي وجوه تتميز بوجود الأيونات وهي كائنات وسيطة بين الله والعالم المادي .

٢- **الثنوية** : أو النظرية التي تميز مبدأين في العالم الخير والشر التي تعتبر النفس والجسد جوهرين مستقلين تماماً) (١) .

لقد ذكر النص صورة من صور الثنوية النصرانية وهي الأيونات الخالقة والمتحكمة في مصير الكون لأن الإله الكامل لا يخلق الأشياء الناقصة، والكون كله ناقص، ففيه من صفات النقص أكثر مما فيه من صفات الكمال، لذا خلق الله الأيونات الناقصة لتكون الوسيط المباشر بينه وبين الكون ومخلوقاته .

فقد قام العديد من الفلاسفة النصارى بفلسفة الفكرة التي قد تكون بديل لفكرة التجسد الغيبية التي لا يتقبلها منطقهم الفلسفي. ولمعرفة كيفية اتصال الكمال الإلهي بالنقص البشري قالوا :

(تخيلوا أنه من الأعلى إلى الأسفل سلماً كاملاً من الكائنات التي يسمونها أيونات، بما أن الإله كامل فهو لم يتمكن من خلق مادة ناقصة ، لقد خلق العالم إله صانع، هو نفسه ناتج عن تكون معقد تتعاقب فيه أيونات يتغير عددها وكلما ابتعدت أكثر عن المبدأ الأول تفقد قليلاً من ماهيتها الإلهية) (٢) .

كان هذا تفسيرهم لعملية الخلق الكونية العليا وكيفية إتمامها ، لكن ماذا عن خلق البشر ماذا كان تفسيرهم؟. هل هو تسلسل الأيونات الخالقة أيضاً أم ماذا حصل؟.

(إن أيوناً يطمح عن جهل أو عن كبرياء إلى لعب دور يفوق ذلك الذي تعينه له الطبيعة ، وكعقاب على ذلك يجري استبعاده ويهبط إلى العالم الوسيط، إن الأيون المطرود يخلق عندئذ العالم المادي والإنسان اللذين لا يمكن إلا أن تكون مشوبة بالعيب كما هو الحال مع طبيعة خالقهما ، فهذا الأخير هو إجمالاً صانع الشر) (٣).

---

(١) ج . ويلتر : المرجع السابق ، ص٤٨ .

(٢)ج . ويلتر : " الهرطقة في المسيحية " ، مرجع سابق ، ص٥٣. ٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص٥٤. ٥٥ .

وقد عرف أن مؤسس تلك البدعة هو نيكولاوس كان نصيراً للثنوية التي تؤكد أن العالم الذي خلقه إله صانع ، فمن عبارة " أن أيوناً يطمح عن جهل أو عن كبرياء إلى لعب دور يفوق ذلك الذي تعينه له الطبيعة " ذاك هو أبو مرة إبليس اللعين الذي طمح أن يكون أكثر من مخلوق من نار من بين مخلوقات الخالق- جل وعلا- فأبى واستكبر. فلابد أن يحل عليه العقاب وكان عقابه الطرد والإبعاد ، فيذكر النص أنه " وكعقاب على ذلك جرى استبعاده فهبط إلى العالم الوسيط"أي عالمنا الأرضي ، وعند الطرد والاستبعاد يبدأ الافتراق بين قصتنا وقصتهم ، فمسارنا الإسلامي غير مسارهم الفلسفي.

في حين أن إبليس بعد السقوط توعد بني البشر بالغواية والضلال نجد أن الأيون المطرود خلق البشر ، "إن الأيون المطرود من العالم يخلق العالم المادي ، والإنسان اللذان يشوبان بالعيب كما الحال مع طبيعة خالقهما ".

أما ثنوية النفس والجسد التي جاءت في الفقرة الثانية من النص فهي شبيهه بما يذكره المانويون[١]:

(يمكن اعتبار البدع الغنوصية أقدم من أصل الهرطقات " اليهومسيحية " [٢] فهي تعود إلى ينابيع مصرية وفارسية . إن الغنوصية تقدم لنا اللوحة الأكثر اضطراباً للمذاهب التوفيقة الدينية ، فنحن نجد فيها خليطاً من الأسرار الوثنية والطقوس السحرية والنظريات الغريبة عن نشأت الكون هناك فكرتان : فكرة كائن أسمى ولا يمكن بلوغه وفكرة عالم سفلي فاسد، كيف يرتبط هذان العنصران أحدهما بالآخر؟، ويحل الإنجيل هذه الثنوية بالتجسد والفداء) [٣].

هذه بعض ملامح الثنوية الإلهية في الفلسفة النصرانية الدينية، وقد جاءت متباينة إلا أنه يجمعها إطار واحد يكون فيها الآب منزه وبعيد عن العالم المتادي الناقص.

---

(٢) أن الروح هي من شرارات ملائكية ، وأن الشيطان قد استطاع الحصول على بعض منها وسجنها في الجسد المادي المظلم ، ومن ثم يجب العمل من خلال فناء هذا الجسد بالرهبنة والتقشف حتى تستطيع تلك الشرارات الفرع أن تعود إلى الأصل الذي سُلبت منه

(٢) تعبير استعمله المؤلف اختصاراً لعبارة اليهودية ـ المسيحية ، ج . ويلتر : " الهرطقة في المسيحية " ، في هامش ، ص٤٨

(٣) ج . ويلتر : المرجع السابق ، ص٥٢ .

والعالم الناقص هو من خلق خالق آخر أقل من الآب منزلة؛ فعلى الرغم من الاعتقاد بوجود خالقين إلا أن أحدهما : كامل علوي والآخر ناقص سفلي فهما ليسوا على مستوى واحد من المكانة والصفات الإلوهية .

الفرق الغنوصية النصرانية:

شهد مولد الفرق المسيحية اتجاهات شتى في بداية تكوينها ، وقد خصصنا عدة أسطر في الصفحات السابقة عن الفرق ونشأتها إلا أني أجلت الحديث عن بعض الفرق إلى هذا المبحث ، لأنه مجال اختصاصها ؛ فهي قامت على أساس ثنوية الإله.

كانت البداية قديمة جداً كما تذكر كتب التاريخ ، فقد كان أقدمها على الإطلاق ما أثبتته النصوص أنها كانت والمسيح عيسى . عليه السلام . حي يرزق .

- **سمعان ماجوس:** سمعان الساحر إذا ترجمنا الكلمة اليونانية ماجوس فهي تعني الساحر ، لقد كانت تلك حركة مبكرة جداً فقد اتخذ لنفسه منهجاً غنوصياً ثنوياً خاصاً به يتمحور حول.

(إن الله قوة أزلية موحدة منغلقة على نفسها في صمت مطلق، ثم إن هذه القوة اتخذت شكلاً وانقسمت على نفسها ، فظهر العقل وهو مذكر والفكرة مؤنثة، وبذلك انشطرت الألوهية إلى قسم علوي وهو عالم الروح ، وقسم سفلي وهو عالم المادة) [(١)].

وتلى المدرسة السمعانية هذه مدارس أو فرق غنوصية ثنوية أخرى.

- (جماعات غنوصية "باسيليدس، فالنتينوس، مرقيون": شكلوا في منتصف القرن الثاني حركة فكرية داخل المسيحية، اتسمت بالتلفيق بين عناصر متباينة من مصادرة ثقافية متنوعة فلسفية رواقية، ونزعات إثنينية مستقاه من المانوية، وجمعهم القول : بأن الله لا يهيمن على العالم) [(٢)].

ورد في النص أسماء أشهر ثلاث فرق نصرانية ثنوية غنوصية وهي:

---

(١) فراس السواح : " الوجه الآخر للمسيح " ، ص٨٣ .

(٢) عرفان عبد الحميد : " النصرانية " ، ص٦٣ .

١- المرقيونيون:

تنسب هذه الفرقة إلى مرقيون [(١)] الذي يعتمد فِكره على مبدأ الفصل التام بين إله العهد الجديد وإله العهد القديم.

(إله العهد القديم بالنسبة إليه ليس الآب السماوي الذي بشر به يسوع بل هو الديميرج الذي صنع العالم المادي والناقص وصنع الإنسان أيضاً الذي كانت بمثابة لعنة هذا الإله الحقود ، لا يستحق الطاعة والعبادة التي يطلبها وهو ليس أبا يسوع كما يعتقد المسيحيون القويمون ، أما الآب السماوي الذي يدعوه مرقيون بالإله المتعالي والإله المجهول فليس له علاقة بمجريات الأحداث في العالم لأنه لم يكن صانعه) [(٢)].

كما نرى فكرة ثنوية فارسية إنما بملامح جديدة تناسب الدين النصراني، فقد قامت على أساس وجود إلهين أحدهما شرير خلق العالم المليء بالشر وهو ليس الأب، والآخر هو الآب الذي ليس له علاقة بما في الأرض. وقيل عنه أيضاً:

(مرقيون أو مرسيون ، وهو من رجال القرن الثاني الميلادي ، كان قسيساً ثم حكم عليه بالطرد والحرمان ، ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين: أحدهما الإله الذي اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة ، والآخر الإله الأولى الخير الذي ظهر متمثلاً في المسيح وخلّص الإنسانية من خطاياها)[(٣)].

ليس هذا فقط بل وجدت النص التالي الذي يؤكد ما ذهبت إليه من التأثير الفارسي على الدين النصراني .

(قد كان للإله الأولى السلطان على العالم حتى ظهر الإله الثاني ، فبطلت أعمال الإله الأول وسلطانه ، هذا المذهب متأثر بالديانة الزرادشتية الفارسية في مراحلها الأخيرة،

---

(١) مرقيون مسيحي أرثوذكسي لم يعجبه التعارض بين تعاليم العهد القديم وتعاليم العهد الجديد ، جاهر بآراء تخالف المسيحية فكفرته الكنيسة ؛ وقد بلغت المرقيونية ذروتها في منتصف القرن الثاني ، ثم اضمحلت ، وانتهت في القرن الخامس ؛ ترك كتابين الأول باسم : " الآلهة " ، والثاني باسم : المتقابلات " وقد فُقدا ، وقد ذكره الشهرستاني في كتابه ، " الملل والنحل " ، أنه صاحب القول : بأن للعالم أصلين قديمين متضادين ، وهناك المعدل الجامع الذي تسبب في مزج الأصلين ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص١٣٠٦-١٣٠٧ .

(٢) فراس السواح : " الوجه الآخر للمسيح " ، ص٧٨ .

(٣) علي عبد الرحمن الوافي : " الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام " ، ص٩٧-٩٨ .

فقد انتهى الأمر بالزرادشتيين إلى الاعتقاد بوجود إلهين)[١].

تعتبر المرقيونية من أشهر الفرق النصرانية الغنوصية الثنوية التي تعتمد فكرة وجود إلهين للكون أحدهما : إله العهد القديم ، والآخر إله العهد الجديد ، وقد قيل أنه شيخ المهرطقين . وقد جاء في بعض النصوص باسم مرقيون وبعضها باسم مارسيون

(مارسيون هو أحد كبار مبتدعي الهرطقات بين الغنوصيين ، علم نشأة الكون لديه بسيط إن الإله الصانع خالق العالم المرئي هو الإله العادل والقاسي للعهد القديم الذي يكافح صنيعه المشئوم إله الإنجيل الطيب والرؤوف ، والثنوية هنا لا تعارض الشر بالخير بل العدل بالغفران) [٢].

واضح أن حصل امتزاج بين الاساس الفارسي والدين النصراني هذا امر لا شك فيه فهما ليسا إلهين أحدهما للخير والآخر للشر لكن وجدا الإلهين ، كل منهما إله كامل الإلوهية ، إلا أن أحدهما همّش مكانة واختصاصات الآخر ، ولست أعلم سبب إدراجها ضمن الفرق الفارسية وليست النصرانية [٣].

ثنوية من نوع جديد غير الأنواع التي تعرفنا عليها في الصفحات السابقة مع الأديان الوضعية . في فارس كانوا ضدين يعمل أحدهما على هلاك الآخر، وفي الصين فكانت تكاملية لا وجود لأحدهما دون الآخر ، أما هنا ثنوية أيضاً لكن من نوع جديد عما سبق ، فهما إلهين كامليّ الألوهة والصفات إلا أن أحدهما يُهمّش وجود الآخر، من وجهة النظر الغنوصية النصرانية أن إله التوراة هو الممثل لشر الذي عَمِل على هلاك البشرية بما كان يأمر به من حروب وقتل وتدمير للأغيار ، أما إلههم الآب الخيّر هو إله الخير والمحبة والفداء ، فهو يعمل على سعادة البشرية من أجل ذلك أرسل ابنه ليكفر خطايا البشر ، ودائماً ما يدعو إلى حب الناس وقبولهم.

وحين قلت أن المعتقد الثنوي خالط معتقدات الأرض جميعاً لم أكن مبالغة أو متجاوزة للحقيقة ، لكن كان لكل شعب معتقده الثنوي الخاص به الذي يتناسب مع

---

(٢) المرجع السابق ، ص٩٨

(٢) ج . ويلتر : " الهرطقة في المسيحية " ، ص٦٤ - ٦٥ .

(٣) الشهرستاني : " الملل ولنحل " ، ج١ ، ص٢٥٢ .

عقلياتهم ومعتقداتهم الدينية.

٢- فالنتينوس [١] :

يوناني مصري تظهر في تأويلاته فكرة الإلهين .

(اتخذت الغنوصية شكلها الناضج على يد معلمها فالنتينوس ، تعاليمه تشكل انشقاقاً تاماً عن لاهوت العهد القديم، يرى فالنتينوس" أن: بؤس الإنسان ناجم عن سجن روحه في المادة المظلمة من قبل يهوه إله العهد القديم وأن هذا الإله ليس إلا ظلاً للإله الحقيقي ") [٢].

واضح مشابهة الفكرة لما كان يقوله ماني عن فكرة الجسد المادي المظلم الذي يحبس داخله قبس الروح النوراني؟ وتبدو فكرة وجود إلهين واضحة جلية لدى فالنتينوس مما لا تحتاج معه إلى بحث واستنتاج.

٣- باسيليد [٣]:

من معاصرين فالنتينوس ومن مدينة الإسكندرية أيضاً ، إلا أنه لم يُعد صاحب مدرسة حقيقية من وجهة نظر البعض ، فقد اعتبر صاحب تُرهات وهمية وتخيلات مريض نفسي، ومنهم من اعتبره ثنوياً في فِكره.

(يعتبر باسيليد المعلم الثاني للمسيحية الغنوصية بعد معاصره فالنتينوس- هو يرى- أنه في البداية لم يكن سوى العدم والله الخفي المتشح بالعدم ، ثم أنتج الإله الخفي بشكل تلقائي بذرة الكون التي تنطوي على كل الممكنات التي تحققت فيما بعد، من هذه البذرة خرج الأركون الأكبر المدعو يهوه وباشر بخلق العالم المادي دون أن يعلم بوجود الله الخفي الأسمى منه) [٤].

---

(١) فالينتينوس ، أو " باسيليوس " ، يوناني مصري ، درس في الإسكندرية ، ثم في روما اعتنق المسيحية ، ثم أظهر لنفسه مذهباً جديداً على أساس غنوصي يدعى " الفالينتينية " ، وتعد مدرسته ضمن المدارس الغنوصية المسيحية ، وتعتبر أكبرها ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص٩٤٩ .

(٢) فراس السواح : " الوجه الآخر للمسيح " ، ص٨٠ .

(٣) باسيليد هو : فيلسوف من أصحاب التُرهات وهي هذيانات مريض كان اسكندرانياً يطلقون على فلسفته غنوصية ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج١ ، ص٢٥٨ .

(٤) فراس السواح : مرجع سابق ، ص٨١ .

اختلفت سياق الأحداث قليلاً بحسب رؤية كل شخص عن الآخر لكن المحصلة النهائية كلها تصب في ذات القالب ، وجود إلهين الآب هو السابق ومن ثم يظهر يهوه لتسيد الموقف فترة الدين اليهودي مع وجود الآب إلا أنه متواري ، ويظهر مع ظهور يسوع ليزيح يهوه ويتصدر هو ، والغريب أن عملية الخلق تنسب دائماً إلى يهوه أو الأركون –كما ورد في النص– ذلك لأن العالم يشوبه النقص فلا يخلقه إلا إله ناقص. واستكمالاً للتعريف بالفرق النصرانية القائمة على الفكر الثنوي تأتي قرقة المريمية.

٤- البربرانية أو المريمية :

من الفرق الحديث نوعاً في التكوين لكن الفكرة التي قامت عليها قديمة قدم نزول القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴿١١٦﴾ ﴾[1].

هذه هي فرقة البربرانية أو المريمية كما يُحب البعض أن يدعوها.

(انتشرت العبادة المريمية في القرن الخامس ، وضعت في جميع الكنائس تماثيل وصور جميلة للعذراء ، وهي تحمل بين ذراعيها الطفل يسوع ، وبهذه الصور تطورت الأمور بصورة غريبة حتى صارت العذراء غرضاً مباشراً للتعبد) [2].

ومعتقد الثنوية في هذه الفرقة ينص على وجود إلهين ليسا على مستوى واحد من درجة الألوهية ، فهما إلهة أعلى ومن ثم إله أدنى ثنوي.

جعلت فرقة المريمية في مقابل الآب الإلهه أم الإله ، وقد كتب أحدهم بحثاً حول العبادة المريمية وقدم العديد من الأمثلة من أجل إثبات قيام الكنيسة الكاثوليكية بالعبادة الثنوية اقتبس منه :

(القس صموئيل بندكت يؤكد عبادة مريم عند الكاثوليك : " تصلي الكنيسة

---

(١) سورة المائدة : آية ١١٦ .

(٢) معاذ عليان : " عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية " ، تقديم : عبد الله سمك ، مكتبة النافذة ، ص١٢ .

الكاثوليك لله ولكنها تصلي لمريم أكثر مما تصلي لله") [(١)]. ويؤكد النص بما لا يدع مجالاً للشك إثبات وجود عبادة ثنوية لدى الكنيسة الكاثوليكية . ومما جاء ايضاً عن ذات الفرقة.

(فرقة البربرانية تذهب إلى القول بألوهية المسيح وأمه معاً)[(٢)] .

أعتقد أن الذي حدث معهم هو حالة من التنزيه المؤدي إلى التقديس لكنه خارج عن المعقول أو المقبول شرعاً ، وقد يعترض أحدهم أن الثنوية هي لإلهين ضدين متساويين . وكل ما سبق من نصوص واستدلالات كانت عن إله ثاني أقل في المرتبة من إله النصارى الآب .

لكني سبق وأن ذكرت أن الثنوية تطورت وتدرجت في عدة مراحل وتخذت صور عدة وأشكال كثيرة حتى تستطيع أن تخالط كافة الأديان فلم تكن الثنوية هي فقط الصورة النمطية الفارسية لإلهين ضدين ندين؛ فصور الثنوية النصرانية هي لإثبات إله الثاني مع الآب سواءاً كانت له قدرات وأثار فاعلة في الكون أو لم تكن. وأعتقد أن لولادة المسيح من أم بدون أب وأنه كلمة الله أسهم في جعلهم يرفعون المسيح وأمه بتنزيهه مبالغ فيه حتى جعلوهم إلهين من مرتبة ثانية ، فقد كانت تُقدم للعذراء أم الإله بعض الشعائر والعبادات على طريقة الابتهالات والمناجاة "ليسوع المسيح وأمه القديسة" وجعلوا لها أيام قُداس خاصة بها ؛ وقد علمنا أن الضلال الأول كان من فكرة "يسوع المسيح ربنا".

(قد كتب بولس الرسول في رسائله قائلا : إن المسيح جالس على يمين الله) [(٣)] .

أجد في نفسي تردد في الحكم على معتقد هذه الفرقة هل هي ثنوية بصورة جديدة أم هو من قبيل تقديس الفرع اعتباراً للأصل؟.

الغنوصية الثنوية النصرانية في العصر الحديث:

---

(١) المرجع السابق ، ص١١ ، متضمناً مصدر النص.

(٢) علي عبد الرحمن الوافي : " الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام " ، ص٩٨ .

(٣) محمود العقاد : " الله " ، ص١١٤ .

خلال القرون المتأخرة وخاصة القرن التاسع عشر تعرضت النصرانية لدخول الفكر الفلسفي الحديث الذي هدد كيانها أكثر مما فعل بها الثالوث الأقدس ، تمثلت ذلك الخطر في فلسفة جديدة عُرفت في الأوساط الفلسفية بـ " فلسفة هيجل" [(١)] .

(خلال القرن التاسع عشر شهد الفكر الديني المسيحي تحديات ثلاثة كبرى – من بينها – فلسفة هيجل ، أضاف هيجل بأن المنطق العام المتحكم في صيرورة الأحداث والوقائع التاريخية يتمثل في "جدلية الصراع بين الأضداد الذي فحواه" الذي فحواه : الصراع بين قضية أو دعوى ونقيضها لينتهي الصراع بين الطرفين إلى الجامع المشترك بينهما ، والذي سرعان ما يتحول بدوره إلى قضية جديدة تدخل في صراع مع نقيضها ، وهكذا دواليك بلا إنقطاع) [(٢)].

وإذا استعملنا منطق الفلاسفة في الاستدلال على دعوة الثنوية في فلسفة هيجل، سنجد أنها ثنوية ضدية تكاملية تنتج عنها الأحداث والوقائع التاريخية في الكون بعيداً عن قوى واحديه عليا في السماء تكون هي مصدر تلك الأحداث والوقائع. وهي فكرة مشابهة لما هي عليه فلسفة الثنوية الصينية المعروفة " الين واليانغ "، من حيث إنهما قوى ضدية تعملان معاً بتفاعل لينتج عن ذلك التفاعل الأحداث إما خيرية إن تغلب مبدأ الخير ، وإما شرية إن تغلب مبدأ الشر .

صحيح أن هيجل لم يُصرح بوجود إلهين أحدهما : للخير والآخر للشر كمعتقد ثنوي إلهي لكن ظاهر تحليله يقول ذلك : "صيرورة الأحداث والوقائع التاريخية يتمثل في: جدلية الصراع بين الأضداد". وما المعنى المراد من جدلية الصراع بين الأضداد وحدوث الأحداث إلا أن ما ينتج في الكون هو من صراع القوى الضدية في الكون.

---

(١) اسمه بارون فريدريك فون : فيلسوف ديني نمسوي الأصل ، ولد في فلورنسا بإيطاليا هو مسيحي كاثوليكي ، ويعتبر من أهم الفلاسفة من المتحدثين في المذهب في القرنين التاسع عشر والعشرين ، يعتبر فيلسوف ، متصوف ، أي أن موضوعاته في الفلسفة خبرات ذاتية عن موضوعات إلهية ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج٢ ، ص١٤٦٦ ـ ١٤٦٧

(٢) عرفان عبد الحميد : " النصرانية " ، ص١٦١ .

الخلاصة:

الله واحد لكنهم ثلاثة.... هو جوهر واحد لكنهم أقانيم ثلاثة.

نحن نعبد إله واحد ونقدس ثالوث الثلاثة ، فكرة تجاوزت حدود عقلي بل وكل العقول باعتراف النصارى أنفسهم يقولون : يجب أن نؤمن أن أبانا الـــذي في السمـــاء هو واحد في ثلاثة ، هذه نصرانية بولس الرسول فهو أول من دعا إلى عبـــادة ثالوث، ومن ثم أقره الإمبراطور قسطنطين على ذلك بعقد المجامع التي دعمت ذلك وأقرته.

هذه ليست مسيحية عيسى الرسول ـ عليه السلام، فلم يرد على لسان عيسى عليه السلام أي ذكر لثالوثهم المختلق هذا، ولم يذكر وجود ثلاثة فهم واحد.

لكن أنا لا أتناول بالبحث نصرانية عيسى عليه السلام إنما أتناول نصرانية مُحرفة، والتي يُطلق عليها "مسيحية بولس الرسول " كيف نشـــأت والمراحـــل التي مرت بها،

كما أني تطرقت إلى الناجيل والفرق النصرانية ، وقد خلصت بعد البحث :

أنه ما من دين وضعي ولا سماوي محرف استطاع أن يأمن اختلاط المعتقد الثنوي ضمن عقائده في مرحلة من مراحله التاريخية .

وأخيراً انهيت هذا المبحث برصد ملامح الثنوية في الدين النصراني من خلال ماكُتب ومن خلال نصوص من الأناجيل ، وقد خلصت إلى الآتي:

- وجدتها في نصوص العهد الجديد التي تحدثت عن رئيس هذا العالم إبليس اللعين.
- وجدتها في حالة العرفان الصوفي وما يلحقها من تعليل للثنوية.
- وجدتها في مظاهر الغنوصية النصرانية.
- وأخيراً كانت في قيام فِرق نصرانية على أساس الفكر الثنوي.

المبحث الثالث
الثنوية في فكر الفرق الإسلامية
ومدى تأثرها بها

وفيه تمهيد ومطلبين:

- **تمهيد**
- **المطلب الأول: ملامح الفرق الإسلامية والمنتسبة للإسلام**
- **المطلب الثاني: الملامح الثنوية في فِكر الفرق**

(تمهيد)

مكة ...ذلك الوادي الذي علا فيه صراخ الوليد إسماعيل بن إبراهيم- عليه وعلى أبيه السلام- علت فيه صرخات وليد آخر من سلالة النبوة ، بل هو آخرها محمد بن عبد الله النبي الأمي، فما هي مكة تلك التي شهدت بداية نبيّان من أنبياء العرب؟. جغرافياً لا يوجد الكثير ليقال فمكة واد محصور بين جبلين ، أحدهما يدعى أبو قُبيس والآخر الجبل الأحمر [1]، وقد قيل إن هذا سبب الأمن والمنعة بها .

قال تعالى : ﴿ ... أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ

(١) ورد عنهما ، وصف كامل لمن أراد الاستزادة في هامش كتاب جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج٤ ، ص٧ .

رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [١].

لكنها ليست آمنة بالجبال فقط ، بل هي كذلك منذ أن وضع خليل الله إبراهيم عليه السلام زوجته وابنه الرضيع فيها وتركهما امتثالاً لأمر الله ، ومن ثم دعا لهما بالأمن والأمان والرزق الوفير ، فإن كانت مكة آمنة .

فهي بسبب الدعوة أولاً وبسبب التضاريس الجغرافية ثانياً . الذين سكنوا مكة آنذاك لم يسكنوا واديها المنخفض ، بل كانوا يبنون لهم بيوتاً فوق أعالي الجبال فيكون أسهل عليهم في كشف قدوم أي غريب معادياً أو غازياً.

(لم تكن مكة قبل أيام قصي في هذا الوادي الذي يتمركزه البيت، بل كانت على المرتفعات المشرفة عليه ، أما الوادي لم يكن ذا دور ولا سكن ثابت متصل بالأرض، بل كان سكن من يأوي إليه بيوت الخيام ، أما أهل المرتفعات إذا داهمهم عدو أو جاءهم غزو اعتصموا برؤوس المرتفعات المشرفة على الدروب وقاوموا العدو) [٢].

ومن الغريب أن أشهر بقعة في العالم الإسلامي كله والتي يتقاطر عليها ملايين المسلمين سنوياً لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا ليس لها تاريخ طويل معروف فقالوا عنها :

(لا يمكن لأحد أن يكتب شيئاً موثوقاً ومقبولاً عن تاريخ هذه المدينة المقدسة في أيام الجاهلية القديمة، لأنه لا يملك نصوصاً تعينه في التحدث عن ماضيها القديم)[٣].

ما يعنينا من تاريخ مكة هو تاريخ المولد النبوي والفترة السابقة له بزمن يسير ؛ تلك الفترة ألتي اصطلح المؤرخين على تسميتها بـ "الجاهلية" فحين يُذكر لفظ من الألفاظ التالية : "العصر الجاهلي أو العرب في الجاهلية أو حتى التأريخ الجاهلي"[٤]

---

(١) سورة القصص : آية ٥٧ .

(٢) جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج ٤ ، ص٨ ـ ٩ .

(٣) جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج٤ ، ص١٧ .

(٤) وقد ورد لفظ جاهلية في القرآن الكريم في السور المدنية دون السور المكية ، فدل ذلك على أن ظهورها كان بعد

يكون المقصود بها الفترة التي سبقت ظهور الدين الإسلامي ، هذا ما كانت عليه أقوال الصحابة- رضوان الله عليهم- حين يذكرون بعضاً من أحوالهم قبل إسلامهم"، كنا في الجاهلية " أو " هذا ما كنا نقوم به في الجاهلية ".

(اعتاد الناس أن يسموا تأريخ العرب قبل الإسلام " التأريخ الجاهلي"، والجاهلية اصطلاح مستحدث ظهر بظهور الإسلام ، وقد أطلق على حال قبل الإسلام تمييزاً وتفريقاً له) [١] .

وبما أني أرنو إلى الاختصار وأطمح إلى الإيجاز ؛ فسأكتفي من وصف مكة جغرافياً وأنتقل إلى ذكر بعضاً من أخبارها وأخبار من سكنها قبل المولد النبوي قبائل قريش فمن هم قريش؟.

وقد ورد في كتب التاريخ عدة احتمالات عن أصل اسم قريش وسبب التسمية لا مجال لذكرها كاملة هنا ، لكن الراجح منها هو أن:

(قريش من نسل رجل اسمه " فهر بن عدنان"، فهي من القبائل العدنانية، أي من العرب المستعربة في اصطلاح علماء النسب ، ومن فهر فما بعده عرف اسم قريش ، فقريش إذاً هم فهر وأبناؤه ، وكل من انحدر من صلبه) [٢].

أول اسم اشتهر من قريش هو قصي، فهو الذي تقلد مفاتيح الكعبة وبنى دار الندوة ليجتمعوا فيها لمناقشة أمورهم الهامة، كما تولى أمور الحجاج ومسؤولية إطعامهم وسقايتهم طوال فترة مكوثهم في مكة، كما قيل إنه هو أول من بنى بيت ذا سقف في الوادي بجوار البيت العتيق، فقد كان من قبله يبنون بيوتهم

هجرة الرسول إلى المدينة ، وأن إطلاقها بهذا المعنى كان بعد الهجرة ، وأن المسلمين استعملوها منذ هذا العهد على سبيل المثال في القرآن جاء في : سورة الفرقان : آية ٦٣ ، سورة البقرة : آية ٦٧ ، سورة الأعراف : آية ١٩٨ ، سورة الأحزاب : آية ٣٣ ، واختلف العلماء في تحديد مبدأ الجاهلية أو العصر الجاهلي ، هذا ما يفهم من كتب الحديث أن أصحاب الرسول كانوا يعنون بالجاهلية الزمان الذي عاشوا فيه قبل الإسلام ، وقبل نزول الوحي ، جواد علي : المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٨.٤١ .

(١) المرجع السابق ، ج١ ، ص٣٧ .

(٢) جواد علي : " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " ، ج٤ ، ص١٩ .

في أعالي الجبال كما ذكرت.

(قصي بن كلاب هو أول من جمع قبائل قريش وأنزلها بمكـــة، وبنى دار الندوة، وأخذ مفتاح الكعبة من خزاعة ، وكان له من الولد: عبد مناف وعبد الدار وعبد العُزى، أما عبد مناف فولده هاشم وعبد شمس والمطلب) [١].

ولما أشرقت شمس الإسلام كانت أمور مكة كلها في يد قريش ولهـــا وحدهـــا، ومن أبلغ وأوجز ما قرأت عن وصف حالة قريش الاجتماعية قبل الإسلام ما جاء على لسان القرشيين أنفسهم ، وهو ما قرره جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة حينما سأله عن دين الإسلام وعن الرسول محمد ، قال جعفر :

(أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف) [٢].

مولده ووفاته– عليه الصلاة والسلام–:

ولد الطفل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يتيم الأب؛ ومن ثم عانا مرارة فقد الأحباب والأوصياء مراراً وتكراراً ، فقد توفيت والدته آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنوات ومن بعدها توفي جده عبد المطلب الذي تولى رعايته لعامين فقط حتى استقر في كفالة عمه أبو طالب ، وكأنما أراد الله– عز وجل – أن ينشأه هو :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [٣].

ابتدأ حياته العملية برعي الغنم كعادة الأنبياء جميعاً ؛ ومن ثم أغناه الله تعـــالى

---

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص٤٠١ .

(٢) أحمد شلبي : " مقارنة الأديان ... الإسلام " ، ج٣ ، ص٤٨ .

(٣) سورة الضحى : الآيات ٦.٨ .

حينما اشتد عوده واصطحبه عمه في رحلات التجارة التي كان رجال مكة يقومون بها في الصيف والشتاء للشام واليمن ، ومن هنا تعرف على السيدة خديجة بنت خويلد صاحبة المال والجاه وتعرفت عليه حينما عهدت إليه بمالها ليتاجر لها فيه، فأعجبت به وبأمانته التي أخبرها إياها من رافقه في رحلته.

أثمرت تلك العلاقة التجارية عن علاقة أسرية بُنيت على المحبة والمودة ، وتم الزواج بين محمد ابن العشرين ربيعاً وخديجة امرأة في عقدها الرابع ، وعلى الرغم من فارق السن الكبير بينهما إلا أنه– عليه الصلاة والسلام –لم يتزوج عليها امرأة أخرى طيلة حياتها ، وذلك لشدة محبته لها ، وقد أثمر ذلك الزواج عن أربع بنات وولد وهم: "رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة الزهراء والقاسم"، واستمرت تلك المحبة والمكانة للسيدة خديجة . رضي الله عنها حتى بعد وفاتها، ومن ثم تزوج عليها باقي نساءه.

وبُعث النبي الأمين وسيد المرسلين إلى البشر أجمعين ، جاءه الوحي من رب العالمين وكُلف بأمر الرسالة ودعوة قومه أولاً والناس ثانياً إلى ترك ما هم عليه من مظاهر الشرك وتعدد الآلهة إلى عبادة الله الواحد القهار ، فليس حال من يعبد إلهاً واحداً كمن يعبد شركاء في الإلوهية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1] .

عانى النبي محمد بن عبد الله ما عاناه الأنبياء من قبله مع أقوامهم فلم يؤمن معه إلا قليل ، اشتد به الأذى حتى لم يعد له مقاماً في مكة ، فأُذن له بالهجرة إلى يثرب عاصمة الإسلام الدينية والسياسية الأولى ، سكنها الرسول الكريم ومن معه من المهاجرين ومنها انطلقوا ليعلوا شأن هذا الدين ويدعو الناس للدخول فيه عرب وعجم يهوداً ونصارى، مجوساً ووثنيين، فقد كانت الدعوة الإسلامية على عكس ما كانت عليه الدعوات النبوية القومية السابقة ، فقد كانوا يُبعثون إلى أقوامهم

---

(٢) سورة الزمر : آية ٢٩ ، المقصد من الآية ، لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده ، " تفسير القرآن العظيم " ابن كثير ، ج٤ ، ص٥٧ .

خاصـــة، وبُعث محمد – صلّ الله عليه وسلم – للناس كافة.

فتح مكة وما بعدها:

أتم الله لهذا الدين أمره ، وانتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية، وقويت شوكته، وأصبح مهاباً من العجم قبل العرب ، وبحلول السنة العاشرة تم فتح مكة أحب البقاع إلى الرسول الكريم وكانت أول حجة في الإسلام ، التي تمت بهـــا مهمـــة النبي الكريم في إعلاء كلمة التوحيد وتعريف الناس بشعائر دينهم الصحيحة. وحين انتهى من تكوين دولة دينية دنيوية على أساس إسلامي متين ، وربى جيش من الرجال العظام لحمل رايات الدعوة إلى الله بكافة الوسائل السلمية والحربية إن استدعى الأمـــر، لم يبق بعد ذلك من المهمة النبوية إلا الاستغفار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[1] .

ومرض الحبيب المصطفى المرض الذي لا شفاء منه، مرض الموت، فخيره ربه بين البقاء وأن يفتح عليه من خزائن الأرض أو مجاورة الرفيق الأعلى، فاختار الرفيق الأعلى، فقد جاء عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال:

(قد أتيت مفاتيح خزائن الأرض، والخُلد بها، ثم الجنة، وخيّرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي) [2].

وفاته عليه الصلاة والسلام :

كانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وقيل في منتصف النهار ، وألحد له ودُفن في الموضع الشريف الذي قُبض فيه في حُجرة

---

(١) سورة النصر .

(٢) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، ص٣٦٦ .

السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها وعن الصحابة أجمعين . مات نبي الهدى وترك من خلفه صحابة كرام غُر ميامين ، من اقتدى بهم اهتدى ، فما الذي حدث بعد ذلك؟.

(انطلقت هذه القوة من حدود الجزيرة ، واتجهت إلى أرقي الممالك التي عرفها التاريخ ، فخرت هذه بسرعة مذهلة أمام الزحف الإسلامي، لم يمض قرن من الزمان حتى كان الإسلام يخفق في الأندلس ويرفرف على السند ويشمل بخارى وينساب إلى قلب إفريقية) [1].

المطلب الأول: ملامح الفرق الإسلامية والمنتسبة للإسلام

طبيعة البشر ووسوسة إبليس حين يجتمعان ما النتيجة !!

أسفر اجتماع الاثنين عن أول خلاف وقع بين الصحابة- رضوان الله عليهم- ورسول الله لم يوارى الثرى بعد إلا أنه خلاف في الرأي لم يؤد إلى فرقة أو تخالف، سرعان ما تغلب عليهم إيمانهم وغلبتهم تربيتهم النبوية فأذعنوا لخليفتهم الأول الصديق أبو بكر القرشي[2] ، ومن بعده أوصى بالخلافة للفاروق عمر بن الخطاب، وحين امتدت يد

---

(١) أحمد شلبي : " مقارنة الأديان ... الإسلام " ، ج٣ ، ص٥٦ .

(٢) قالوا اسمه عبد الله بن عثمان وقيل عبد الله بن أبي قُحافة أبو بكر الصديق ، أول من أسلم من الرجال ، تولى الخلافة بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان أول الخلفاء الراشدين ، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر بمكة ونشأ سيداً من سادات قريش حرم على نفسه الخمر في الجاهلية فلم يشربها ، صحب النبي قبل البعثة ورافقه في الهجرة وفي

المجوس لتغتال ابن الخطاب – رضي الله عنه – لم يكن قد عين خليفته من بعده إلا أنه أوصى بستة من أفاضل الصحابة – وكلهم فضلاء – إلا أنه كان مشهوداً لهؤلاء الستة بصواب الرأي ليختاروا من يولونه خليفة عليهم [١]، فوقع الاختيار على ذي النورين زوج ابنتي رسول الله– صل الله عليه وسلم– عثمان بن عفان [٢] ليكون ثالث الخلفاء الراشدين، وقد كانت بداية توليه الخلافة بداية لبذور الشقاق والفرقة بين صفوف المسلمين ليس لضعف إيمانهم ، إنما لتسلط شياطين الإنس التي تؤزها شياطين الجن عليهم ليشعلوا نار الفتنة تكون الفرقة .

بداية الفرقة والاختلاف:

حين نذكر الخلاف الذي حدث بين المسلمين بعد وفاة النبي– عليه الصلاة والسلام– نجد أن معظم الكتاب قسمه إلى قسمين [٣] :

١– **الاختلاف السياسي**: الذي فرق الأمة وأذهب وحدتها وتمثل في العصبية العربية.

الغار ، روى عن النبي . ، وروى عن عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم كثيرون .

أنظر ترجمته : "الإصابة في تمييز الصحابة " للعسقلاني ، ج ٦ ، ص ٢٧١ " و "الطبقات الكبرى " للزهري، ج ٣، ص ١٥٥ ، و " وفيات الأعيان " لابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٦٤ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ، ج ١ ، ص ٣٣٣ ، و " مروج الذهب في أخبار من ذهب " للمسعودي ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(١) إن عمر بن الخطاب لما طُعن قيل له : يا أمير المؤمنين لو استخلفت ، فقال : لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته ، حتى قال : عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : إنهم من أهل الجنة ، وهم : علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله فليختاروا منهم رجلاً ، ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " ، ج١ ، ص ٤٨٧ ، بتصريف .

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية .. القرشي الأموي ، أمير المؤمنين أبو عبد الله ، ولد بعد الفيل بست سنين ، أسلم قديماً ، وزوجه النبي . صلى الله عليه وسلم . ابنتيه رقية وحين وماتت زوجه أختها أم كلثوم ، لذا كان يلقب ذا النورين ، هو من جهز جيش العسرة ، روى عن النبي وعن أبي بكر وعمر ، وروى عنه أولاده وابن مسعود وابن عمر وابن عباس ، وهو أول من هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته قتل في الثاني وعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين .

أنظر ترجمته : " الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ج ٧ ، ص ١٠٦ ، و الطبقات الكبرى للزهري ج ٣ ، ص ٥١ ، و سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ ، ص ٤٠١ " ومروج الذهب للمسعودي ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .

(٣) محمد أبو زهرة : " تاريخ المذاهب الإسلامية " ، دار الفكر العربي ، بدون بيانات ، ج١ ، ص١٢.١٦ ، بتصريف

٢- **الاختلاف الفقهي**: الذي لم يفرق الأمة ولم يذهب بأسها .
فما كان صحابة رسول الله- عليه الصلاة والسلام- تفرقهم الاختلاف في الآراء الفقهية فقد كانوا تربية المدرسة النبوية . ومما عمق أثر هذا الخلاف ليكون واضحاً للعيان هو مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ودخول بعضهم في الإسلام.
كما أن الخلاف السياسي بين الخوارج والشيعة تمخض عن خلافاً فقهياً دينياً في الأحكام ، وقد زاد في حدته دخول يهود ونصارى ومجوس بما في نفوسهم من أفكار دينية باقية من معتقداتهم القديمة لم يستطيعوا التخلص منها.

وليس هدفي التوسع في هذا المنحى من الحديث فالإيجاز أصح هنا، قيل دائماً أنه من العسير العودة للوراء بعد حدوث الخطوة الأولى ، وكانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه هي الخطوة الأولى في طريق الفرقة والاختلاف؛ حدث واستمر في الاتساع حتى وصل ذروته مع تولي الخليفة الرابع علي بن أبي طالب [١] رضي الله عنه، حتى تبلور عن ظهور أول فرقتين في الإسلام وهما "الخوارج و الشيعة "، ومن ثم توالى ظهور العديد من الفرق الأخرى.

أصول الفرق وأهم عقائدها:

اختلف المؤرخون المختصون في هذا النوع من الدراسات حول أصول الفرق

(١) علي بن أبي طالب و اسم أبي طالب " عبد مناف . بن عبد المطلب بن هاشم" القرشي الهاشمي ، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، أبو الحسن أول الناس إسلاماً بعد خديجة . رضي الله عنها . ، وأول من صلى وهو ابن عشر سنين ، ولد قبل البعثة بعشر سنين وربي في حجر النبي . صلى الله عليه وسلم ، ابن عم النبي . صلى الله عليه وسلم . وزوجه ابنته فاطمة ، وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى من فاطمة رضي الله عنها ، مناقبة كثيرة ، روى عن النبي . صلى الله عليه وسلم . وروى عنه جمعاً من الصحابة وولداه الحسن والحسين وابن مسعود وابن عباس ، اشتهر بالفروسية والشجاعة والأقدام ، كان يقوم بالفتي بعد وفاة النبي . صلى الله عليه وسلم . ، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالخلافة ، وكان قتله في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة على يد عبد الرحمن بن ملجم .

أنظر ترجمته : " الإصابة في تميز الصحابة " للعسقلاني ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ ، و " الطبقات الكبرى " للزهري ، ج ٣ ، ص ١٧ ، و " سير أعلام النبلاء " للذهبي ، ج ١ ، ص ٤٣١ ، و " مروج الذهب " للمسعودي ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ .

الرئيسية التي نتج عنها باقي الفرق الأخرى، منهم من قال إنهما اثنتان فقط "الخوارج والشيعة"، ومنهم من قال إنهم ثلاثة الخوارج والشيعة والمرجئة، ومنهم من أضاف عليهم القدرية ليصبح العدد أربع فرق رئيسة تفرعت بدورها إلى مئات من الفرق الأخرى [١].

وقد اخترت أشهرها للتباحث فيها والتي اعتبرها الكثير من العلماء منبت الفتنة ورأس كل ضلال ، كما وأنها باقية إلى عصرنا الحاضر "فرقة الشيعة"، والتي خرج من تحت عباءتها الفرق الباطنية جميعاً. كما وإني اخترت أخبث تلك الفرق الباطنية على الإطلاق- وإن كانت كلها خبيثة- الإسماعيلية والقرامطة . ومن ثم ثنيت بفرقة أخرى لايزال لها وجود في عصرنا الحاضر أيضاً وهي الصوفية.

ومن المفترض أن تكون البداية من الخوارج فهم الأسبق في الخروج على عليٍّ رضي الله عنه [٢] لكني لم ألمس في فِكرهم ملامح ثنوية ؛ لذا قررت أن تكون البداية من:

١- الشيعة وما يندرج تحتها من " إسماعيلية وقرامطة " وأهم عقائدها.

٢- الصوفية وأهم عقائدها.

حيث بدت ملامح الثنوية ظاهره على فكرها وبعض ممارساتها التعبدية، كما ثبت أن هناك اتصال خفي بين تلك الفرق وبين أديان فارس القديمة ، ولأن البحث في عقائد الفرق هو موضوع طويل وشائك ؛ لذا اخترت منها ما كان ظاهره الثنوي جلي الملامح ألا وهو معتقد الإمامة والولاية وما يتبعهما من عصمة وحفظ، لكني أخرت الحديث عنهما للمطلب القادم.

---

(١) إلا أن البعض ذكر عشرة أصول للفرق (اختلف المسلمون عشرة أصناف : الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والجهمية ، والضرارية ، والحسينية ، والبكرية ، والعامة ، وأصحاب الحديث ، والكلابية أصحاب عبد الله ابن كلاّب القطّان) أبو الحسن الأشعري : " مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين " ، ص٥ .

(٢) حين وافقوا على التحكيم مع معاوية . رضي الله عنه . ومن ثم تراجعوا وطلبوا من عليٍّ أن يتراجع ، وحين رفض خرجوا عليه ، وسموا بالخوارج لذلك ، ولقبوا أيضاً بالحرورية ، لأنهم استقروا بقرية حروراء قرب الكوفة ، وردت قصتهم في العديد من المؤلفات فعلى سبيل المثال . " الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص٤٩ " و " الملل والنحل " للشهرستاني دار الباز ، مكة ، ج١ ، ص١١٤ ، و " تاريخ المذاهب الإسلامية " لمحمد أبي زهرة دار الفكر العربي ، ج١ ، ص٦٠ ، و " دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين .. الخوارج والشيعة " لأحمد جلي مركز الملك فيصل ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٩هـ ، ص٥٣ ، وغيرها الكثير .

أولاً: الشيعة:

ليس هدفي هو التعريف بفرقة الشيعة تفصيلاً، فقد كُتب ومازال يُكتب في هذا الموضوع من قبل الكثير من المختصين ؛ لكن لابد من المرور على بعض المعلومات التعريفية الموجزة.

يعتبر المذهب الشيعي من أوائل المذاهب التي ظهرت على خارطة الأحداث الدينية الإسلامية الهامة في نهايات القرن الأول وخاصة في خلافة عثمان وعلي . رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين-. وقد ورد لفظ " شيع " في القرآن الكريم في اثني عشر موضع [(١)] . وأُجملت معانيها في أربع أوجه : فهي تأتي بمعنى الفرق وبمعنى الأهل والنسب، كما أنها تأتي بمعنى أهل الملة وأخيراً تقال لأهل الأهواء المختلفة [(٢)].

أ) متى ظهر مسمى شيعة :

يقال شيعة الرجل هم قومه وصحبه الذين ناصروه ومنعوه ومما جاء في الملل والنحل عنهم.

(الشيعة هم الذين شايعوا علياً- رضي الله عنه-على الخصوص وقالوا : بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده) [(٣)].

وهم أقدم المذاهب السياسية ظهوراً ، وتعتبر البداية الحقيقية لها في آخر عصر الخليفة الثالث عثمان ومن ثم نمت وترعرعت في عهد علي – رضي الله عنهما – وقد اتسمت

---

(١) فؤاد عبد الباقي : " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " نسخة محملة إلكترونياً بدون بيانات ، ص٣٩٨.

(٢) (ذكر أهل التفسير أن الشيع في القران على أربعة أوجه : الفرق ، ومنها قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الروم : آية ٣٢ ، الأهل والنسب ، ومنها قوله تعالى: ﴿ ....فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ ...﴿١٥﴾ ﴾ سورة القصص: آية ١٥، أهل الملة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة الصافات: آية ٨٣، الأهواء المختلفة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ....أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الأنعام : آية ٦٥' ناصر القفاري : " أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، عرض ونقد " ، رسالة دكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج١ ، ص٣٢ . ٣٣ .

(٣) الشهرستاني : " الملل والنحل " ، ج١ ، ص١٤٦ .

بالتعصب لآل البيت [١] ، هذا رأي!! لكن المصادر التاريخية أوردت رأياً آخر يثبت أن لفظ شيعة قد أطلق على المناصرين والمتابعين أياً ما كانوا ولم يختص بهم شيعة علي، وذلك عكس ما ذكره الشهرستاني في ملله ونحله ، ذلك ما يؤكده النص التالي:

(قد ورد في وثيقة التحكيم بين علي ومعاوية- رضي الله عنهما- لفظ الشيعة، حيث أطلق على أتباع علي شيعة، كما أطلق على أتباع معاوية شيعة، ولم يختص لفظ شيعة بأتباع علي) [٢] .

ب) فرق الشيعة :

اختلف العلماء في تقسيم فرق الشيعة على مناهج عدة كل حسب وجهة نظره؛ لأن فرق الشيعة ليسوا على درجة واحدة من تمسكهم بمقتضيات مذهبهم فمنهم الغالية ومنهم المعتدلة ؛ لذا كانت الحصيلة ظهور عدة تقسيمات فعلى سبيل المثال كان تقسيمهم كالتالي:

وإنقسم الشيعة إلى ثلاثة أصناف رئيسة هي:

١- **الشيعة الغالية** : سموا غالية لأنهم غالوا في محبة علي وتقديسه .

(قيل لهم الشيعة لأنهم شيعوا عليًّا ومنهم الغالية لأنهم غالوا في علي، وقالوا فيه قولاً عظيماً، وهم خمس عشرة فرقة) [٣] .

٢- **الشيعة الروافض**: قيل لهم روافض لأنهم رفضوا إمامة الشيخين .

(رفضوا إمامة أبي بكر وعمر ، ويدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب وهم أربع وعشرون فرقة) [٤] .

٣- **الشيعة الزيدية** :أُطلق عليهم زيدية لإتباعهم زيد بن علي بن الحسين.

---

(١) محمد أبو زهرة : " تاريخ المذاهب الإسلامية " ، ج١ ، ص٣٥ بتصريف .

(٢) ناصر القفاري : " أصول مذهب الشيعة الإمامية " ، ص٣٨ .

(٣) أبو الحسن الأشعري : " مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين " ، تحقيق : محمد عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٣٦٩هـ ، ص٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ، ص٨٧- ٨٨ .

(لتمسكهم بقول: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) [١].

كما نلاحظ من خلال النصوص السابقة أن فرق الشيعة في مجملها تجاوزت الأربعين فرقة ، وقد كان لبعض العلماء تقسيم آخر ، فقد أجملوهم جميعاً تحت اسم الروافض بدلاً من الشيعة ومن ثم قسموهم إلى أربع فرق :

(ثم افترقت الروافض أربعة أصناف: زيدية وإمامية وكيسانية وغُلاة، وافترقت الزيدية فرقاً ، والإمامية فرقاً ، والغلاة فرقاً)[٢] .

وقد وجدت في مصدر حديث نوعاً ما تقسيماً آخر للمذهب الشيعي .

(نستطيع أن نقسم الشيعة إلى فرقتين رئيستين: الأولى الفرقة البائدة: وهم غلاة الشيعة، والفرقة الثانية هي المعتدلة، وهي تشكل معظم الشيعة) [٣] .

وإن كنت لا أميل لهذا التقسيم إلا أنها تبقى وجهة نظر كاتبها، فلست أرى أن الشيعة الغلاة بائدة مع كل ما يُحاك من حولنا من مؤامرات ومكائد من نبع الشيعة وموطن الشر في العصر الحديث دولة إيران الشيعية .

كما ذكرت سابقاً أن فرق الشيعة قد تجاوزت الأربعون فرقة؛ مما يستحيل معه تتبعها جميعاً ، لذا قررت التفصيل في أخبثها على الإطلاق "الإسماعيلية والقرامطة".

– فرقة الإسماعيلية :

الحقيقة التي لا شك فيها ولا مواربة أن التشيع أســـاس الفتن والفُرقـــة، وإذا عدنا إلى تتبع نشأة حركة الإسماعيلية الباطنية ، سنجد أنها انعقدت تحت لواء المذهب الشيعي، ومن ثم انتشرت تحت شعار محبة آل البيت ودعوى إمامتهم ونصرتهم . يقال أنهم غلاة الغلاة من الشيعة ، كما أنها عرفت بأسماء متعددة ، فهي الإسماعيلية وهي الباطنية والقرامطة والخُرمية وما إلى ذلك من أسماء أُطلقت عليهم.

وقد ذكر صاحب كتاب " فضائح الباطنية " ما يؤكد ما ذهبت إليه عن البداية، وكيف تسللت إلى الفرق الإسلامية؟

---

(١) المرجع السابق ، ج١ ، ص١٢٩. ١٣٢ .

(٢) عبد القاهر البغدادي : " الفرق بين الفرق " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص١٦ .

(٣) محمد حمزة : " نشأة الفرق الإسلامية " ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، دمشق، ١٤٢٦هـ ، ص٦٠

(تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة من ملحدة الفلاسفة ، في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين، ولقد أدركوا أنهم لن يستطيعوا مقاومة المسلمين بالسيف ، فقالوا لا بد لنا من حيلة: أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم هي أركهم عقولاً وأسخفهم رأياً ، وهم الروافض) [١].

بذلك تكالبت يد الكفر القذرة على الإسلام وأهله.

١) متى ظهر اسم الإسماعيلية :

من الاسم نستنج أنها تنسب إلى يدعى إسماعيل ، تقول مصادرهم إنه إسماعيل بن جعفر الصادق [٢] الذي توفي قبل أبيه، ومن ضروريات الإمامة الانتقال في الأعقاب من بعد الحسن والحسين رضي الله عنه.

(الإسماعيلية طائفة من الإمامية [٣] تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وأن الإمامة كانت بنص من أبيه ولكنه مات قبله فيجب أن تبقى الإمامة في عقبه)[٤].

كما قيل أيضاً:

(الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، حينما انقسمت الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق ، إذ تبعت جماعة منهم

---

(١) أبو حامد الغزالي : " فضائح الباطنية " ، اعتنى به وراجعه : محمد القطب ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٢٢هـ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٢) إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمه فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن ابن علي بن أبي طالب ، ولد في المدينة المنورة عام ١١٠ هـ ، وتوفى عام ١٥٨هـ ، قبل أبيه جعفر الصادق في العريض، وكان أكبر إخوته ، وكان أبوه شديد المحبة له والبر به ، والإشفاق عليه . عند موته حُمل على رقاب الرجال إلى أبيه في المدينة حتى دفن في البقيع ، جعفر السبحاني : " بحوث في الملل والنحل " ، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ج٨ ، ص٧١ نسخة الكترونية للقراءة ؛ ومن موقع ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org . مقالة بعنوان : إسماعيل بن جعفر .

(٣) يقصد بالإمامية الاثني عشرية الذين ينصون على إمامة الاثنا عشر إماماً من نسل علياً رضي الله عنه وهم " علي بن أبي طالب ، الحسين بن علي ، علي زين العابدين ، محمد الباقر ، أبي عبد الله جعفر الصادق ، ابنه موسى الكاظم، علي الرضا ، محمد الجواد ، علي الهادي، الحسن العسكر، محمد ابنه وهو الإمام الثاني عشر ، الذي يعتقدون أنه دخل سردابا في دار أبيه، " تاريخ المذاهب الإسلامية " لمحمد أبو زهرة ، ج١، ص٥٠ .

(٤) محمد أبو زهرة : مرجع سابق ، ج١ ، ص٥٤ .

موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وسميت بالإمامية الاثني عشرية ، وصدقت أخرى ادعاءات أتباع إسماعيل وابنه محمد بحقهما في وراثة الإمامة عن جعفر مع أن إسماعيل كان قد توفي قبل وفاة أبيه بخمس سنين) (١) .

هذا ما كتبته معظم الكتب في الظاهر لكن الحقيقة غير ذلك والدليل أن:

(الإمامية دهليز الباطنية ؛ لأن الكل دخلوا في الشيعة من جهتهم ، وكلهم يدعون التشيع ويغلون في الدين ، ويخرجون من طريق المسلمين) (٢) .

٢) أسماء المذهب الإسماعيلي:

يقال أن اسم الباطنية هو الاسم الذي يطلقه علماء السنة عليهم ، واسم الإسماعيلية هو اختراع شيعي صرف ، أما الأسماء الأخرى التي أطلقت عليهم فهي عديدة ولكل اسم منها سبب ومعنى (٣)، وهي بترتيب كاتبها:

١- **الباطنية** : لُقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن.

٢- **القرامطة** : لُقبوا بها نسبة لرجل يُقال له : حمدان قرمط وكان أحد دعاتهم.

٣- **الخرمية** (٤): لُقبوا بها نسبة إلى حاصل مذهبهم وزبدته.

٤- **البابكية** : اسم لطائفة منهم بايعوا رجلاً يُقال له بابك الخرمي.

٥- **الإسماعيلية** : نسبة لهم إلى أن زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر.

٦- **السبعية** : يقال أنه لاعتقادهم بأدوار الإمامة سبعة أو لاعتقادهم بتدابير العالم السفلي المنوطة بالكواكب السبعة.

---

(١) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي" مكتبة الأقصى ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ص٥٧ .

(٢) محمد الديلمي : " بيان مذهب الباطنية ، وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد " ، تصحيح : ر . شدوطمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ص٣ .

(٣) وردت هذه المعلومة في غالبية كتب الفرق والمذاهب ، ومصدرها هنا هو من كتاب " فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص٢١ . ٢٥ " و " الوحدانية " لبركات دويدار دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م، بتصريف .

(٤) الخرم لفظ أعجمي ينبئ عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان إليه بمشاهدته ويهتز لرؤيته ، فحاصل مذهبهم راجع إلى طي بساط التكليف ، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين ، " فضائح الباطنية للغزالي ، ص٢٣ .

٧- **المحمرة** : لُقبوا بها لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة، وقيل: إنهم يقررون أن كل من خالفهم، حمير، والأصح هو الأول.

٨- **التعليمية** : لُقبوا بها لأن مذهبهم فيه دعوة الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم.

٣) مؤسسي المذهب الإسماعيلي ورجاله :

الثابت لدى علماء الفرق أن الفضل في بدايات انتشار هذا المذهب يعود لميمون القداح وابنه عبد الله ، لكن إن نشدنا الدقة أكثر فتكون البداية الحقيقة قبل ذلك.

(الحقيقة أن جذور الإسماعيلية نجدها في شخصيتين قياديتين خطيرتين، شخصية محمد بن إسماعيل ابن جعفر وشخصية أبي الخطاب [١]، اللذين سعيا معاً لتأسيس حركة تتخذ من التشيع طريقاً سهلاً للخروج عن تعاليم الإسلام وهدمها) [٢].

ومما يؤكد النص السابق الربط الدائم بين فرقة الخطابية [٣] وفرقة الإسماعيلية في كثير من كتب الفرق ، وأن إحداهما امتداد للأخرى [٤]، فقد ذُكر أنه لما مات هذا الخطاب تحول الباقي من إتباعه إلى محمد بن إسماعيل ، وأعلنوا ولاءهم.

لكن الدور المحوري الفعّال في المذهب هو لميمون القداح وابنه عبد الله[٥]

---

(١) هو : محمد بن أبي زينب اسمه مقلاص أبو الخطاب البراد ، ويكنى أبو إسماعيل ، وقد روى عنه أقطاب الشيعة ، عن أبي منصور قال : سمعت أبا عبد الله . عليه السلام . يقول وذكر أبا الخطاب : " اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي، اللهم أذقه حر الحديد " " رجال الشيعة في الميزان لعبد الرحمن الزرعي دار الأرقم ، الكويت، ١٤٠٣ هـ ، ص٨٨ .

(٢) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي " ، ص٥٨ ، نقلت النص كما هو إلا أن به خطأ حيث ذكر أن إسماعيل بن جعفر هو بداية المذهب كيف وهو توفي قبل أبيه، قد يقصد الكاتب ابنه محمد إسماعيل ابن جعفر.

(٣) ذكرت الخطابية وأفكارها وعقائدها في العديد من كتب الفرق. "الملل والنحل " للشهرستاني، ج١ ، ص١٧٩، كما ذكرت في "الفرق بين الفرق" لعبد القاهر البغدادي، ص١٨٨ " و "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " لأبي الحسن الأشعري ، ص٧٥ .

(٤) الحسن النوبختي : " فرق الشيعة " ، عني بتصحيحه : هـ . بتي ، مطبعة الدولة ، استانبول ، ١٩٣١م ، النشريات الإسلامية ، ص٦١ .

(٥) عبد اللّه بن ميمون القدّاح ، ولد سنة ١٩٠هـ ، وتوفي سنة ٢٧٠ هـ ، من أقطاب الدعوة الإسماعيلية ، هو أحد رواة الشيعة ، قد روى زهاء ستين رواية ، عن أئمة أهل البيت في مختلف الأبواب الفقهية ، فتارة عن الصادق . عليه السّلام . مباشرة ، وأُخرى عن الباقر ، وعلي بن أبي طالب بالواسطة ، وأمّا أبوه ، فقد صحب أئمّة ثلاثة هم : زين العابدين علي بن الحسين . عليهما السّلام . والإمام الباقر محمد بن علي . عليهما السّلام . والإمام الصادق جعفر بن

الذي قيل إنهما المؤسسين الحقيقيين لهذه الطائفة ، حيث عملا على دعمها ونشرها في الأنحاء البعيدة قبل القريبة وقد أجمعت على ذلك غالبية كتب الفرق.

(إن ميمون القداح كان له مذهب في الغلو، وكان له ابن يسمى بـ "عبد الله"، كان عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب ، وقد وضع سبع دعوات يتدرج الإنسان فيها حتى ينحل عن الأديان كلها ، ويصير معطلاً إباحياً لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً) [(١)]

وقد كثرت الآراء حول الدور الخبيث الذي لعبه القداح وابنه في تمجيس – جعله مجوسياً – المذهب الإسماعيلية ، وقد يكون فيما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– ما يوضح ذلك :

(إن جمهور الأمة تطعن في نسبهم ، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود، وهذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم) [(٢)].

كل ما قيل عن الإسماعيلية يقال عن القرامطة إلا أنهم تفوقوا في الخبث والشرذمة.

فرقة القرامطة :

فرقة القرامطة يعود نسبها إلى شخص يدعى حامد القرمطي [(٣)]والظاهر من تعاليمها أنها تجديداً للمزدكية الثنوية الفارسية .

هي إحدى الفرق التابعة لفرقة الإسماعيلية الباطنية ، وهي ذات تاريخ أسود دامي

محمد . عليهما السّلام . ولم يذكر له توثيق .

(١) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي " ، ص٦١ .

(٢) نص هذا القول من " أصول الإسماعيلية " ، بقلم : سليمان السلومي ، رسالة دكتوراه ، دار الفضيلة ، الرياض ، ج١، ص٢٤١ ، عن كتاب مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ٣٥ / ١٢٨ .

(٣) اسمه حمدان الأشعث ، وقيل اسمه الفرج بن عثمان ، أصله من خوزستان ، ولُقب بقرمط لقصر كان في متنه ، سميت به القرامطة ، وهم من الباطنية بوجه عام ، وقد استجاب للباطنية ، ثم انتدبوه للدعوة ، وصار أصلاً من أصولها حتى تسموا بالقرمطية ، ومن فلسفته استحلال أعراض الناس بالسيف ، وسفك دمائهم ، وأخذ أموالهم ، قُبض عليه أيام الخليفة المتوكل ، وقتل سنة ٢٦٣هـ . " فضائح الباطنية " للغزالي ص٢٢ ، و " الفرق بين الفرق " لعبد القاهر البغدادي ، ص٢١٣ ، و" موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج٢ ، ص١٠٧٥. ١٠٧٦ .

تجاه المسلمين؛ فقد كانت مصدر الفتن والويلات التي ابتُلي بها العالم الإسلامي آنذاك.

ويقال عن بدايات القرامطة:

(قامت حركة إسماعيلية أخرى في سواد الكوفة ، والبحرين عرفت في التاريخ باسم القرامطة ، كان أول تحرك لها على يد أحد دعاة الإسماعيلية ، ويسمى الفرج ابن عثمان القاشاني المعروف بـ " زكرويه " الذي استطاع أن يستميل أحد دهاة المنطقة الملقب بـ "حمدان قرمط" إلى مذهبه) (١).

وقد أكد غير واحد من علماء الفرق أن معتقدات وأفكار القرامطة هي إسماعيلية المصدر باطنية المرجع بلا خلاف بينهم على ذلك ؛ يكمن الفرق بينهم في تقرير منهج التنفيذ ، فالإسماعيليون يرون نشر أفكارهم بطريقة سرية ، والقرامطة يرون نشرها علنية وبقوة السيف.

ثانياً: الصوفية:

من أراد أن يتعرف على العبادة الإسلامية الحقة فليقرأ بعد السيرة النبوية الكريمة سيرة الصحابة- رضوان الله عليهم- فلإسلام كان منهج حياتهم وليس دينهم فقط، فقد كانوا يمثلون الواجهة الحقيقية الصحيحة للتعاليم الإسلامية ، فلا يُزايد على عبادتهم أحد إلا كان حاداً عن الدين مبتدعاً ضالاً ، وقد شرط الله- عز وجل - رضاه، ودخول الجنة لمن تبعهم بإحسان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٢) .

فمن أراد أن يرى أخلاق الإسلام هي أخلاقهم ، ومن أراد أن يتعلم عبادات الإسلام هي عِباداتهم ، فهم خير مثال يُحتذى به، وخير قدوة يُقتدى بها، فلم نسمع عن

---

(١) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي " ، ص ٦٨ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٠ .

أحدهم أنه لبس الصوف فصفا وأصبح صوفي أو أنه زهد فصفا فسمي صوفياً.

ولم يكن ما سبق إلا مدخلاً للحديث عمن تجرؤ وادعوا أنهم فعلوا الأفاعيل في العبادة ، وأنهم شاقوا النفس وقهروها لتُذل فترتقي وترتقي حتى تصل إلى الصفا وهو المبتغى. ولقد قالوا عن أنفسهم أنهم أصحاب الصف الأول بين يدي الله- سبحانه وتعالى- يوم القيامة ولذلك سموا صوفية ؛ فمن هم هؤلاء الصوفية؟.

أ) التعريف بالصوفية:

كثرة الأقوال في مصدر اشتقاق الاسم وتعددت المقاصد التي من أجلها صِيغ الاسم واشتق . ورد في أقدم المراجع الصوفية أسباب عدة لأصل الاسم يصعب حصرها إلا أن غالبيتها تدور حول شرح الأحوال وذكر المقامات ، فعلى سبيل المثال ذُكر عن أصل الاسم حين سُألوا عنه :

(كان في الأصل صفوي فاستثقل ذلك فقيل : صوفي وهو مأخوذ من الصفاء) [(١)]

كما جاء في كتب الفرق نقلاً عن أئمة الصوفية في أصل الاشتقاق الاسم .

(قال طائفة : إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها ، وقال قوم: إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله- عز وجل- بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه، وقال قوم : إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم-)[(٢)] .

هذه وجهة نظرهم في التعريف باسمهم واشتقاقه ، وكان لأهل السنة والجماعة اتجاه آخر في أصل الاشتقاق أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- حين قال:

(الاسم أطلق على الصوفية بسبب ارتداء الصوف لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد) [(٣)].

(١) أبو نصر الطوسي : " اللمع " ، ص٤٦ .

(٢) إحسان إلهي ظهير : " التصوف ... المنشأ والمصادر " ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ، ص٢٠ـ ٢١ .

(٣) مصطفى حلمي : " ابن تيمية والتصوف " ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، بدون بيانات ، ص٣٣ .

كذلك كان للإمام ابن الجوزي [١]رحمه الله رأي في سبب التسمية:

(ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة [٢]ونسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفي ، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانية وهي بقلة رعناء قصيرة فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء ، وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا إليها لقيل صوفاني ، وقال آخرون : بل منسوب إلى الصوف ، وهذا يحتمل) [٣].

كان هذا بعض ما جاء من أمر الاسم وإن كان لا يعنينا كثيراً .

ب) بدايات المذهب الصوفي:

حاول أصحاب المذهب الصوفي العودة بأصل مذهبهم ونشأته إلى العهد النبوي حين أصروا أن نسبة الصوفية إلى أهل الصفة، إلا أن العلماء الأجلاء صححوا وبينوا أن هذه النسبة غير صحيحة ، وأن هذا اللفظ لم يعرف إلا بعد ذلك .

(ذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى، إنما اشتهر التكلم به بعد ذلك) [٤].

وهذا يقطع الطريق على من ينسبون أنفسهم إلى أهل الصفة أو إلى تزهد بعض

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ولد عام ٥٠٨هـ ، وتوفي ٥٩٧هـ ، ببغداد ، الحافظ ، المفسّر ، المحدث ، المؤرخ ، كتب بخطه كثيرًا ، له في العلوم اليد الطولى ، كان ذا حظٍ عظيم ، وصيت بعيد في الوعظ ، يحضر مجالسه الملوك ، والوزراء وبعض الخلفاء ، وقيل إنه : حضر في بعض مجالسه مئة ألف . وقال : « كتبت بأصبعي ألفي مجلد ، وتاب على يدي مئة ألف ، وأسلم على يدي عشرون ألفًا » . ومن تصانيفه المهمة : زاد المسير في التفسير؛ جامع المسانيد ؛ المغني في علوم القرآن ؛ وتذكرة الأريب في اللغة ؛ وغير ذلك ، لترجمته .
أنظر : " الأعلام " للزركلي ، ج٣ ، ص٣١٦ ، و " وفيات الأعيان " لابن خلكان ، ج٣ ، ص٤٠ ، و" البداية والنهاية " لابن كثير ، ج١٦ ، ص٧٠٦ .

(٢) أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما لهم أهل ولا مال ، فبنيت لهم صفة في المسجد ، وقيل : أهل الصفة ، ابن الجوزي : " تلبيس إبليس " ، ص١٦٤ ، كما قيل عليهم : إنهم كانوا نحوا من أربع مئة رجلا لم تكن لهم مساكن بالمدينة ، ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط ، يحتطبون بالنهار ، وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن ، " التصوف المنشأ والمصادر " لإحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، ١٤٠٦هـ ، ص٢٧ .

(٣) ابن الجوزي : " تلبيس إبليس " ، ص١٦٤. ١٦٥ .

(٤) إحسان إلهي ظهير : " التصوف ... المنشأ والمصادر " ، ص٤٠ .

الصحابة ، والحقيقة أنه بالفعل قد ظهر مجموعة من الصحابة اعتزلوا الدنيا في عهد عثمان وعلي- رضي الله عنهما- ولم يشاركوا في الفتنة التي ظهرت آنذاك ، ثم تلاهم طبقة من التابعين ممن قسا على نفسه في العبادة وزهد الدنيا لكنهم لم يسلكوا سلوكاً ملتوياً أو ضل بهم الطريق ، فهم تلامذة الصحابة الأطهار تربية المدرسة النبوية، لكن الضلال حدث بعد ذلك ، بعد أن انقضى عصر الصحابة وتابعيهم قد يكون قرنين أو ثلاثة استطاع الشيطان أن يخترق صفوفهم ويُلبس عليهم مقصدهم فنُحا بهم عن الصواب .

(بدأت الانحرافات تظهر في أواخر عصر التابعين مع ظهور الفرق والبدع، وكان مما ظهر جوانب من الغلو في بعض العبادات المشروعة والزيادة فيها)(١).

تحديداً كانت البداية في القرن الثالث(٢) ، في الكوفه حيث إن بداية اللفظ نشأ هناك (٣).

وقد أكد غير واحد أن الصوفية رافد من روافد الشيعة .

(يظهر لمن درس كتب التاريخ والعقائد والمسالك وتعمق في منشأ ومولد الطوائف والنحل أن كل فتنة ظهرت في تاريخ الإسلام كان رأسها ومديرها أو منشأها واحد من الشيعة ، وكذلك كان أمر الصوفية) (٤).

بحسب النص السابق كان التشيع والتصوف ذراعان يعملان للقضاء على الإسلام.
(عند مقابلة الدين الصوفي ستجد أن التصوف هو الوجه الآخر للتشيع، المذهبان ينبعان من أصل واحد تقريباً ، ويهدفان في النهاية إلى غاية واحدة ، ويشتركان في عامة العقائد

---

(١) فلاح بن أحمد : " العلاقة بين التشيع والتصوف " ، رسالة دكتوراه ، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، " شعبة العقيدة " ، ١٤١١هـ ، ص٨٥ .

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق : " الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة " ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ص٣٤ ، إن التصوف بلغ غايته ، وذروته من حيث العقيدة ، والتشريع في نهاية القرن الثالث " .

(٣) إحسان إلهي ظهير : " التصوف ... المنشأ والمصادر " ، ص٤٢ ، " كلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة " .

(٤)إحسان إلهي ظهير : " التصوف ... المنشأ والمصادر " ، ص١٣٨ .

والشرائع التي ينتحلها كل منهم) [١].

ج) أشهر رجال المذهب الصوفي:

لم أستطع العثور على مؤسس واحد يُنسب إليه المنهج الصوفية ، فمن ناحيتهم ينسبون أنفسهم للحالة وليس لشخص ، ومن ناحية ثانية هي مسلك يسلكه من شاء في أي بقعة من الأرض كان قد يكون في المدينة أو ربما في الكوفة- كما ذكروا- أو في بغداد عاصمة الدولة العباسية ، وقد تتقارب أزمنة ظهورهم وقد تتباعد لذا وقعت على تقسيماً لرجال المذهب الصوفي هو أجدى و أوضح على اعتبار طبقات ظهورهم. ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف [٢]:

- **الطبقة الأولى**: ظهر على المتصوفة عبارات عدها العلماء من الشطحات، ومن أشهر رموز هذه الطبقة: الجنيد [٣].
- **الطبقة الثانية**: اتضح عليها مسلك الزهد لكنه اقترن بعبارات باطنية، كما لوحظ انتقال الزهد من الممارسة العملية التعبدية إلى مستوى التأمل التجريدي، من أشهر أعلام هذه الطبقة: أبو اليزيد البسطامي [٤] وذو النون المصري [٥] والحلاج [١] .

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق : " الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة " ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ص٣٤ . ٣٧٣ .

(٢) موقع كشف الشبهات ، http://www.khayma.com . موضوع بعنوان : " الصوفية " ، بداية الانحراف

(٣) يُلقب بسيد الطائفة ، هو : أبو القاسم الجنيد بن محمد ، اشتهر الجنيد كفيلسوف صوفي ، يتميز عن غيره بأن له أتباع يُعرفون باسم الجنيدية ، ولد في نهاوند وتوفي ببغداد سنة ٢٩٧هـ ، أول من تكلم في علم التوحيد الصوفي الذي يعني " إفراد القدم عن الحدث " ومذهبه يقيده الكتاب والسنة فحفظ تصوفه من شُبهة الغلاة ، وصانه من العقائد الذميمة ، ودوره في التصوف هو دور المعلم للمبتدئين ؛ له من المؤلفات ما تربو على خمسة عشر ، كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي ، يقول : الطريق إلى الله بالنظر العقلي . " موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج١ ، ص٤٧٥.٤٧٦ ، و " الموسوعة الصوفية " ، دار الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ ، ص١٠٧ . ١٠٩ .

(٤) أبو اليزيد طيفور بن عيسى سروشان من أشهر الصوفية ، يُنسب إلى بلدة بسطام من أعمال قومس بإيران ، وفيها مات سنة ٢٦١هـ ، كان جده زرادشتياً ، وهو الذي أدخل فكرة وحدة الوجود في الصوفية ، وكان من غلاة القائلين بها ، لم يكتب البسطامي شيئاً ، ولكنه ترك أقوالاً ، له شطحات من قبيل " سبحاني ، ما أعظم شأني " . " موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج١ ، ص٨٤ . ٨٥ ، و " الموسوعة الصوفية " ، ص٢٨٠ " .

(٥) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الخميمى المصري فيلسوف الصوفية ، كان أول من فسر إشارات الصوفية ، وتكلم في هذا الطريق ، وأول من تكلم في مصر عن الأحوال ومقامات أهل الولاية ، كان له أكبر الأثر في تشكيل الفكرة

- **الطبقة الثالثة:** تعتبر هذه الطبقة بداية الانحراف الحقيقي للصوفية ، ففيها اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية ، وظهرت أفكار الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وتعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات التي حدث فيها خروج التصوف عن الإســـلام، ومن أشهر رموز هذه الطبقة: السهروردي (٢) وابن عربي (٣) وابن الفـــارض (٤) وابن سبعين (٥) .

الصوفية ، كان يُخفي تقواه بظهوره بين الناس بمظهر المستخف بأمور الشرع لذلك عده البعض في حياته زنديقاً " موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج١ ، ص٦٢٤ . ٦٢٥.

(١) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج من فلاسفة الصوفية ، وهو صاحب المأساة المشهورة عُرفت باسم مأساة الحلاج، كانت له أفكاره وفلسفته في الدين والسياسة والوجود بعامة ، ولد بمدينة طور من كورة اصطخر بفارس عام ٢٤٤هـ ، وكان حفيداً لرجل زرادشتي ، رمي بالكفر ، وقتل مصلوباً لتهم أربع وُجهت إليه ، من أقواله الحلولية : عجبت منك ومني *** يا منية المتمني ... أدنيتني منك حتى *** ظننت أنك أني ، " موسوعة الفلسفة والفلاسفة " ، ج١ ، ص٥٤٢– ٤٥٦ ، و " الموسوعة الصوفية " ، ص١٢٦– ١٣١، وموقع كشف شبهات http://www.khayma.com .بعنوان: "الصوفية بداية الانحراف ".

(٢) شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي ، ولد بسهرورد بإيران سنة ٥٤٩هـ ، ومات مشنوقاً بعد محاكمته بتهمة الكفر سنة ٥٨٧هـ ، يدعوه تلاميذه بالشيخ الشهيد ، تسمى فلسفته بالفلسفة الإشراقية ، ويصفها هو بالأفلاطونية، ويشرحها في كتابه " حكمة الإشراق " وقد كان للمدرسته مدرستان إحداهما في المشرق يمثلها السهروردي ، ومنها خرجت الطريقة الصوفية الإيرانية والطريقة السهروردية العراقية ، والثانية في المغرب ، ومصنفاته كثيرة "موسوعة الفلسفة ، ج١ ص٧٥١ . ٧٥٤ " و" الموسوعة الصوفية " ، ص٢١٦ . ٢١٨ .

(٣) محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الكبير ، رئيس مدرسة وحدة الوجود ، يعتبر نفسه خاتم الأولياء ، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله ، وقد ادعى عن كتابه المسمى " فصوص الحكم " أن النبي . حاشا لله . ، قد كتبه له بنصه ، وسلمه إياه يداً بيد ، " ابن عربي صاحب كتاب فصوص الحكم لعبد الرحمن عبد الخالق الكويت ، ١٤٢٢هـــــ " و " " الموســـــوعة الصـــــوفية ص٢٨٦– ٢٩١ " وموقـــــع كشـــــف الشـــــبهات http://www.khayma.com موضوع بعنوان "الصوفية " بداية الانحراف .

(٤) ابن الفارض هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن على المرشد ، الصوفي المصري الأول بلا منازع ، ورأس شعراء الصوفية من العرب ، لقبه سلطان العاشقين ، فقد حفل ديوانه بأناشيد الحب الإلهي ، كانت تهمته أنه اتحادي ، ويقول بوحدة الوجود ، وأنه تلميذ، " الموسوعة الصوفية لعبد المنعم الحنفي ، ص٣١١ . ٣١٣ .

(٥) أبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بن سبعين ، كما أطلق على نفسه أي الفتى الشجاع من مواليد مرسية الأندلس ، سنة ٦١٣هـ ، وفاته كانت بمكة ، سنة ٦٦٩هـ ، طريقته تسمى السبعينية ، اشتهر عنه أنه قال : لقد تحجر ابن آمنة ، " يقصد النبي . صلى الله عليه وسلم . " ، واسعاً بقوله لا نبي بعدي ، وكتاباته كثر بها القول بوحدة الوجود ، اشتهر بأنه من فلاسفة الصوفية ، وأهم مصنفاته في الفلسفة والتصوف ، هو كتاب " بُد العارف " ،

ومن قال إن التشيع والتصوف وجهان لعملة واحدة لم يبالغ أو يتجاوز الحقيقة ، فمن قرأ ترجمة رجال الطبقات الصوفية يعرف السبب ، فقد كان غالبية مرجع نسبهم لإيران ، بل كان البعض منهم ديانة آبائه الزرادشتية كالبسطامي وابن الحلاج مثلاً.

المطلب الثاني: الملامح الثنوية في فِكر الفرق

حين كتبت عن ملامح العقيدة الثنوية في الدين اليهودي والدين النصراني نوهت أني كنت أتحدث عنهما باعتبارهما محرفين ومنسوخين بالدين الإسلامي، وبنبوة محمد- صلّ الله عليه وسلم – التي جبّت كل ما قبلها من أديان سماوية توحيدية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...... ﴿١٩﴾ ﴾[1] .

لكن سياق البحث هنا يختلف ، فلست أبحث في ديـــن منحـــرف، إنمـــا أبحث

ويقصد بالبُد هو الله ، وأتباعه كانوا يقولون ليس إلا الله ، بدلاً من لا إله إلا الله ، " الموسوعة الصوفية " لعبد المنعم الحنفي ، ص١٩٨ - ١٩٩ .

(١) سورة آل عمران : آية ١٩ .

في عقائد انحرف فِكرها عن نهج الدين القويم ، لذا لم أعنون المطلب كسابقه وأكتب "ملامح الثنوية في الدين الإسلامي" فليس في ديننا – ولله الحمد والمنة – ملامح ثنوية.

لكن يوجد في ديننا فرقا تأثرت بالفِكر الثنوي ، فانحرف سلوكها كله أو بعضه لأسباب عدة قد تكون مقصودة أو غير مقصودة، لذا كانت المهمة صعبة. بل من أصعب ما وجهت هو التفصيل في أفكار هذه الفرق وتفنيدها ، لكي أضع يدي على موطن الفكر الثنوي الذي ارتدى عباءة الإسلام، ذلك أن أطناب الكُفر والفِكر الضال كانوا يُلبسون المعتقد الثنوي بما يشابهه من أفكار إسلامية ومن ثم يُضَفون عليه الاستدلالات الباطلة المستنبطة من تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، حتى يستسيغه العامة قبل الخاصة فيسهل تقبلهم له.

وقد اخترت فرقتا "الشيعة والصوفية " لهذا السبب فهما من أشهر تلك الفرق التي ظهر المعتقد الثنوي لديهم واضحاً وضوح الشمس ، بما أن الفكرة الثنوية محلها العقائد!! والعقائد جمة فلم يكن بالإمكان التفصيل فيها كلها فخترت ما كان ذا ملامح ثنوية ظاهرة "الإمامة لدى الشيعة؛ الولاية لدى الصوفية " وما يتبعها من عصمة وحفظ.

الثنوية في المذهب الشيعي:

لم يكن من الصعب اختراق المعتقد الثنوي لفكر تلك الفرق فقد كان لذلك عدة طرق من أهمها الفتوحات الإسلامية التي كانت من أهم قنوات الاختلاط والتمازج الذي حدث بين الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية . حين انتهت الإمبراطورية الفارسية على أيدي الفاتحين الأولى من المسلمين وقعت بلاد فارس تحت أيديهم، كان هناك أسرى اجتهدوا في تعلم اللغة العربية ، ومنهم من اعتنق الدين الإسلامي بدون أن يتخلص من بقايا فِكرهم المجوسي الثنوي القديم ، فكان من نتائج ذلك حدوث التداخل بين تعاليم الإسلام وموروثاتهم الدينية القديمة التي لم يستطيعوا التخلص منها.

مما أسفر عن ظهور أفكار ومعتقدات تعتبر في نظرهم إسلامية إلا أنها بُنيت على أصول ثنوية ، لم يكن هذا الموضوع بالخفي المستتر ، فقد لاحظه العلماء وكتبوا عن المرجعية الفارسية للمذهب الشيعي وما يتبعه من مذاهب باطنية إسماعيلية وقرامطة.

وهذه بضع نصوص تؤكد تلك المرجعية قبل أن أخوض في ملامحها :

- (يلفت النظر الأثر الفارسي أو المجوسي في مذهب الشيعة ، سواءً من الأشخاص الذين تزعموا بعض الحركات الشيعية أو من الأفكار التي هي في أصلها فكر مجوسي أخذت عن طريق الفرس الذين اندمجوا في المجتمع الإسلامي طوعاً أو كرهاً) [١].
- (إن الإسماعيلية يعتقدون بأن الله لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم، مخالفين صريح القرآن والسنة ومؤولين بتأويلات فاسدة بعيدة كل البعد عن مفهومها سالكين مسلك الثنويين والوثنيين والمجوس وجاعلين الإله الواحد آلهة متعددة)[٢].
- (اعلم أن مذهب الفرقة الغويّة الضالة المسماة بالباطنية كان الغرض من وضع هذا المذهب إبطال الإسلام وإظهار المجوسية ، واتفق أهل المقالات أن أول من أسس هذا المذهب المشؤوم قوم من أولاد المجوس وبقايا الخُرمية والفلاسفة واليهود) [٣] .

هذه ثلاثة نصوص واضحة لا يبقى معها أي مجالاً للشك أو الاعتراض على ما ذكرنا من العلاقة التلازمية الخبيثة بين الثنوية الفارسية ونشأة المذهب الشيعي بمختلف فرقه، وأكثر العقائد التي ظهرت بها ملامح ثنوية هي عقيدة الإمامة لدى الشيعة.

أول من تحدث بمبدأ الإمامة في المذهب الشيعي فعلياً هو ابن سبأ [٤] حينما أشاع

---

(١) سليمان السلومي :أصول الإسماعيلية "، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ ، ص٩٥ .

(٢) إحسان إلهي ظهير : " الإسماعيلية ... تاريخ وعقائد " ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ص٢٧٣ .

(٣) محمد الديلمي : " بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد " ، ص١٨ .

(٤) هو : عبد الله بن سبأ : كان يهودياً ، فأسلم ، توفي نحو سنة ٤٠هـ ، وهو رأس غالية الشيعة ، يقال لهم : السبئية ، وأطلقوا على أنفسهم الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون ، وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغلس ، من مذهبه رجعة النبي صلى الله عليه وسلم . وزعم أن علياً لم يمت ففيه الجزء الإلهي ، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي وأن علياً في السحاب ، ويقولون بالتناسخ والرجعة ، يقال إن أصله يمنياً يدعى بن السوداء لسواد أمه ، رحل إلى الحجاز، والبصرة ، والكوفة ، ومصر جهر ببدعته فيها ، لترجمته .

أنظر : " الأعلام " للزركلي ، ج٤ ، ص٨٨ ، و" البدء والتاريخ " للمقدسي ، ج٥ ، ص١٢٩ " و" موسوعة

أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد نص على إمامة علياً- رضي الله عنه-، فهم ينظرون إلى منصب الإمامة على أنه اختيار وتنصيب إلهي يتم من فوق سبع سموات كالنبوة تماماً ، وقد اعتبرت من الأركان الأساسية التي يقوم عليها الدين .

(الإمامة هي المحور الأساسي الذي تدور عليه كل العقائد الإسماعيلية والشيعة عامة؛ لأن ولاية الإمام هي الركن الأساسي لجميع أركان الدين- حسب زعمهم- فالولاية عند الإسماعيلية هي اعتقاد وصاية علي وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول- صل الله عليه وسلم-) [(١)] .

ومن توابع الإمامة لدى الشيعة ما يعرف بـ "العصمة" والتي تعني أن يكون الولي أو الإمام معصوم لا تصدر منه النقائص أو الذنوب سواءاً بإرادته أو مجبراً عليها؛ وقد أوضح أحد كبار علماء الشيعة مقصدهم من العصمة بقوله:

(صرح شيخ الشيعة المجلسي[(٢)] : (اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة- عليهم السلام- من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً ولا عمداً ولا نسياناً ولا خطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه) [(٣)].

فالمجلسي يسبغ على أئمته العصمة من كافة الأوجه المتصورة لها ، العصمة من المعاصي كلها- صغيرها أو كبيرها- والعصمة من الخطأ والعصمة من السهو والنسيان، فلم يترك المجلسي هذا نوعاً من أنواع العصمة إلا وجعله لأئمتهم ، وهذه الصورة للعصمة

الفلسفة والفلاسفة " ، ج٢ ، ص٨٧٥ .

(١) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي " ، ص١٠٠ .

(٢) محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي ، المتوفّى سنة ١١١١هـ عالم ، فاضل ، ماهر ، محقّق ، مدقّق ، علاّمة ، فهّامة ، فقيه ، متكلّم ، محدِّث ، ثقة ثقة ، مؤلف كتاب " بحار الأنوار " ،كان إماماً في وقته في علم الحديث ، وسائر العلوم ، روى المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) ، أحاديث نقصان القرآن الكريم عن الكافي للكليني وغيره ، بل لعلّه استقصى كافة أحاديث التحريف بمختلف معانيه هو موسوعة قصد منها جمع الأخبار المرويّة عن أهل البيت ـ عليهم السلام وحصرها في كتاب واحد ، صوناً لها من التشتّت والضياع ، من موقع الميلاني http://www.al-milani.com . ترجمة : المجلسي مرجعهم فيها كتاب " أمل الآمل " ، ٢ : ٢٤٨ ، الترجمة ، ٧٣٣ ، وكتاب " لؤلؤة البحرين " ٥٥ ، الترجمة ، ١٦ . لم أعثر له في كتب التراجم المعتبرة لدينا لذا ترجمت له من مواقع الشيعة

(٣) ناصر القفاري : " أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية " ، ج١ ، ص٧٧٥ . بتصريف .

التي يحدد اختصاصاتها مجالاتها ويعلن اتفاق الشيعة عليها لم تكن إلا للأنبياء والرسل، ولم تكن في يوم من الأيام لسواهم ممن هم أفضل من أئمة الشيعة كالصحابة مثلاً، ولست أرى هذا التكلف في النظرة الشيعية إلى الائمة إلا بقايا من فِكر فارسي مجوسي.

لم يكن ما أضافه الشيعة للائمتهم عصمة الأنبياء فقط بل إن الإسماعيلية الباطنية ألحقوا بهم صفات الألوهية أيضاً.

(أضاف الإسماعيليون إلى أئمتهم صفات الإلوهية وغلوا في ذلك غلواً مخرجاً عن ملة الإسلام ، فمن وصاياهم إلى أتباعهم قول أحد دعاتهم : واعلم بأن الإمام الموجود للأنام لا يخلو منه مكان ولا يجوزه مكان ؛ لأنه إلهي سرمدي الحياة، ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق إلى معرفته وصول) [١].

ما من شيء في الكون إلا فاني فكل شيء هالك إلا وجهه- تقدست صفاته وتعالت أسماؤه- إلى هنا كان اتفاق فرق الشيعة في الملامح الثنوية ، لكن الافتراق بينهم وارد حتى في الأفكار الباطلة.إن كان ما سبق هو مظهر مشترك ثنوي بينهم إلا أن هناك ما هو أوضح منه ؛ فلدى الشيعة الإمامية مظهر ثنوي يختلف عما لدى الإسماعيلية.

أولاً: ثنوية الشيعة الإمامية:

الولاية في تعريف اللغويين [٢] تأتي إما بفتح الواو " وَلاية " فتكون مصدر مشترك بين معان عديدة تدور في إطار النسب والنصرة والمعتق ، وحينا أخرى تأتي بكسر الواو "وِلاية " ، فتكون مصدر يدل على السلطنة والتدبير والحكومة .

والمصدر الأول لا يعنينا أمره فما يعنينا هو المصدر الثاني "وِلاية" بكسر الواو والتي تعني الحكم والسلطة ، والسلطة التي يتولاها الولي أو الإمام ليست سلطة سياسية حاكمة فقط ؛ إنما لها نوعان آخران لدى الشيعة خاصة بهما:

---

(١) سليمان السلومي : " أصول الإسماعيلية " ، ص٤٢١ ـ ٤٢٨ .

(٢) من عدة مراجع لغوية مختلفة ، تحت مادة ولي " لسان العرب " و" الصحاح في اللغة " وغيرها بتصريف .

(تنقسم الولاية إلى ولايتين أحدهما تتعلق بعالم الملك والملكوت والتكوين، والأخرى ترتبط بالوضع التشريعي أي سلطة التشريع والإقرار، الأولى: تسمى بالولاية التكوينية ، الثانية : يطلق عليها الولاية التشريعية) (١).

النوع الثاني من الولاية لا يدخل ضمن موضوعنا، إنما نجد أن ملامح الثنوية تظهر من خلال النوع الأول وهو ما يعرف بالولاية التكوينية؛ التي تختص بأحوال "الكَوّن والمكون والكائن"، باختصار هي منصب أو قدرة تُخول لصاحبها التصرف في أمور كونية. وقد يقدم لنا المعنى الاصطلاحي ما تستبين به الصورة أكثر.

الولاية التكوينية اصطلاحاً :

قيل هي القدرة على التصرّف في الأمور الكونية التي تتجاوز القدرة العادية في التعامل مع النواميس الطبيعية ، مثل إحياء الموتى أو طيّ الأرض. وبعبارة أخرى: هو تصرّف موجود في موجود آخر لتسلطه وقدرته عليه. إذاً هو منصب بشري يُمارس من خلاله التصرف في أمور كونية فوق مستوى قدرة البشر ، فالمتَصرف كائن مخلوق، ومجال تصرفه هو عوالم المخلوقات.

وتعتبر اختصاصات الولاية التكوينية لدى الشيعة هي من بديهيات المنصب.

فقد قيل:

(إن مهمة الإمامة هي قيادة الأمة إلى حيث الخير والكمال، تحتاج إلى أهلية كاملة متكاملة وتسديد إلهي دائم لا ينقطع ، ولكي يبلغ الإمام شأناً في الأمة ومقاماً في التبليغ ، فلا بد أن يثبت قربه عند الله تعالى ومنزلته لديه وخاصته عنده)(٢).

لتبسيط ما جاء في النص السابق نجد أن الولي هو المسؤول عن البشر في الأرض، لذلك لابد أن تكون له اختصاصات أعلى من باقي البشر حتى يستطيع أن يقوم بدوره كوكيل الله تعالى في الأرض ، وحتى يتمكن من قيادة البشر إلى الطريق الصحيح،

---

(١) محمد علي الحلو : " الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة " ، الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ ، ص٢١ .

(٢) محمد علي الحلو : " الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة " ، ص٣٢ .

وقد ساق لذلك عدة أمثلة [١] من معجزات الأنبياء واستدلوا بها على قدرات أئمتهم، لكنها أمثلة حق أُريد بها باطل.

إن ما ساقه كاتب النص من أمثلة تدخل ضمن إطار المعجزات والتي هي من دلائل النبوات أو هي من نوع الكرامات التي تخص الصالحين وكلا النوعين تحت مشيئة الله وإرادته وليس للبشر فيها جهداً يبذل أو عمل يؤتى ؛ وما يعتقده أصحاب المذهب الشيعي مخالف لذلك. فهم يعتقدون أن ائمتهم ارتقوا وترقوا في عبادتهم حتى اقتربوا من صفات الإلوهية، لذا يحق لهم التصرف في الأمور الكونية- لم أخطئ في صياغة اللفظ، نعم اتصفوا بصفات ألوهية هذا ما يذكره النص التالي:

(إن الله تعالى محله جميع الكمالات علمية كانت كالعلم والقدرة، أو عملية وقد ثبت في محله أن جميع هذه الكمالات هي لا متناهية وثابتة له،كلما كان الإنسان أكثر كمالاً وأقل نقصاً فهو أقرب إلى الله تعالى ، وكلما كان أكثر نقصاً وأقل كمالاً فهو بعيد عن الله تعالى) [٢].

هذا هو بداية الفكر الثنوي، هم مؤمنون بكمال صفات ربنا- تبارك وتعالى-، وأن صفاته محل كل الكمالات ، وهذا أمر لا خلاف عليه معهم ، لكن السؤال كيف يكون للإنسان نصيب منها؟. لقد جعلوا درجات القرب من الله متناهية فيستطيع البشر كائناً من كان أن يعمل على مجاهدة نفسه وإلزامها بالأخلاق الحسنة -كما يدعون- فيرتقي ويرتقي حتى يصل إلى:

(القرب الإلهي يترتب عليه أثر تكويني وبيانه : كلما كان الإنسان أكثر علماً وقدرة وعدلاً كان أقرب إلى الله تعالى ، ومن ثم يكون أثره في التصرف في الموجودات أوسع وأكثر) [٣] .

---

(١) ذكر المؤلف عدة أمثلة من القرآن الكريم عن أنبياء الله إبراهيم وعيسى . عليهما السلام . في إحياء الموتى من البشر والحيوانات ،كما استعان بقصة الذي عنده علم من الكتاب من جُلساء نبي الله سليمان . عليه السلام . في قصته مع بلقيس الملكة ، محمد علي الحلو : " الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة " ، ص٢٥.٣٠ .

(٢) علي حمود العبادي : " الولاية التكوينية محاضرات آية الله العلامة السيد كمال الحيدري " ، دار فرقد، ص٤٠.٤٢ .

(٣) علي حمود العبادي : " الولاية التكوينية " ، ص٤٣ .

وهذا التصرف هو من خصائص الله وكلما زاد الكمال كلما وصل إلى مقام "كن"، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[١].

جعلوا مقام الإمام العارف لديهم يصل إلى مقام "كن".

(العارف يعبّر عن هذا المقام بمقام "كن"، فمن صار صاحب مقام " كن" يفعل بأمره "كن" ما شاء الله بإذن الله ، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) [٢] .

وقد يظن القارئ أني ابتعدت عن موضوع العقيدة الثنوية إلى موضوع الولاية التكوينية لدى الشيعة ، لكنهما موضوع واحد لا ينفصلان فكان لابد من إيضاح تفصيلي عن الولاية الكونية ومدى فاعليتها في الكون ليتضح الأثر الثنوي فيها.

فالولاية التكوينية كما وصفها كتّاب المذهب الشيعي أنفسهم تعتبر صورة جديدة من صور العقيدة الثنوية ، فليست هي الثنوية الفارسية النمطية لإله الخير ضد إله الشر؛ لكن كل من اعتقد أن مخلوقا يتصرف في مخلوق تصريفات كونية إلهية من إحياء وإماتة مع اعتقاده بوجود الله سبحانه وتعالى هو اعتقاد ثنوي .

(هنالك عدد وافر من الروايات الواردة عنهم – عليهم السلام– دالة بوضوح على أنهم– عليهم السلام– قد تصرفوا في التكوين بشكل خارق للعادة– وهي على طوائف:

الطائفة الأولى : قيامهم ـ عليهم السلام ـ بإحياء الموتى ، والطائفة الثانية: قدرة أهل البيت على تسخير السحاب، الطائفة الثالثة: تسخير أهل البيت للجن والأنس والملائكة، الطائفة الرابعة : طاعة الأرض والجبال لأهل البيت عليهم السلام، الطائفة الخامسة : أنهم وسائط الفيض الإلهي) [٣] .

هذا غيض من فيض مما يكتبه الشيعة في كتبهم ويعتقدون به في نفوسهم عن أئمتهم المعصومين ، فهم يسقون العلل وراء العلل والتبريرات إثر التبريرات ليسلبوا العقول

---

(١) سورة يس : آية ٨٢ .

(٢) محمد علي الحلو : " الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة " ، ص٥١ .

(٣) علي حمود العبادي : " الولاية التكوينية " ، مرجع سابق ، ص١٩٧. ٢٠٤ .

القدرة على التفكير ، والنفوس القدرة على الاعتراض والاستنكار ، يقولون : إنما يحدث هذا- بإذن الله- لكنه مستقل عن قدرة الله.

فما من قاصٍ ولا دانٍ غالٍ كان أو معتدل إلا ويؤمن أن لا شيء في الكون يتم دون إذنه تعالى وإرادته ومشيئته بسبب من الأسباب حتى غواية الشيطان لبني آدم، وهي أقصى شرور الكون فقد قال الله تعالى في شأنها "إلا بإذن الله"، فمن الذي خلق الشيطان؟، ومن الذي أعطاه القدرة على رؤية البشر من حيث لا يرونه أليس الله؟، ومن الذي أمهله إلى يوم يبعثون ؟ أليس الله مع قدرته- سبحانه وتعالى- أن يفنيه لحظة عصيانه. وقد حكم علماء الأديان على من اعتقد بندية الشيطان للرحمن بالزندقة الثنوية وكذلك كل من اعتقد أن للأئمة القدرة على التحكم التأثير في مجريات الأحداث الكونية أو البشرية بما ينفع أو يضر أيضاً زنديق ثنوي .

ثانياً : ثنوية الباطنية الإسماعيلية:

لم يبالغ العلماء حين ذكروا أن الإسماعيلية من أشد الفرق الباطنية غلواً .

(تعتبر طائفة الإسماعيلية فرقة من الفرق الكبرى التي انتسبت إلى التشيع، وانتشرت بدعواه ، وأصبحت فيما بعد فرقة كبرى تنافس الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وهي كبرى الفرق الباطنية التي تمثل الغلو الباطني في التشيع) [١].

اعتمد منهجهم في الإلهيات على الفلسفات اليونانية والهرطقات الفارسية القديمة التي اعتقدت بوجود قوتين هما أصل الكون. فهم بداية يسلبون الخالق صفاته- سبحانه وتعالى- لا يصفونه إلا بصفة واحدة فقط وهي العدمية؛ لا هو موجود ولا هو معدوم، لا هو حي ولا هو ميت، لا هو عالم ولا هو جاهل ... وهكذا ، هذا هو التوحيد الصحيح في معتقدهم.

(الإسماعيلية يقولون بأن التوحيد هو تجريد الله عن جميع الأسماء والصفات) [٢].

فأي توحيد هذا الذي يجعل المعبود غير الممكن في الوجود؟، فالكائن الذي

(١) سليمان السلومي : " أصول الإسماعيلية " ، ص١٩٥ .

(٢) إحسان إلهي ظهير : " الإسماعيلية ... تاريخ وعقائد " ، ص٢٧٧ .

لا يتصف بأي صفة هو يستحيل وجوده في الأعيان أو في الأذهان ؛ فالعدمية التي يصفون بها الإله يستحيل على العقل أن يتصور كينونتها ، فهم يسلبون الرحمن كافة صفاته ويصبغونها على ما يُعرف لديهم بـ "الأول والتالي".

(في التوحيد هم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما وهما العقل والنفس، ويسمّيان العلة والمعلول ، والسابق والتالي) [(١)].

هو معتقد ثنوي لا مواربة فيه ولا تورية ، ولا يحتاج إلى استنباط أو تحليل، فهو يُمثل الصورة الباطنية الإسماعيلية للعقيدة الثنوية الفارسية التي تقول بوجود إله كلي ليس له تأثير في الكون ، يليه إلهان أحدهما للخير والثاني للشر.

وهنا تقول الباطنية : إن هناك إلها عدمياً لا موجود ولا معدوم يليه في الكون، إلهان وإن كانا ليسا في نفس المستوى ، فأحدهما استبق الأول في الوجود.

(اعلم أن مذهبهم الرديء قولهم بإلهين هما السابق والتالي ، ويقولون: إنهما المراد بقوله: الرحمن الرحيم) [(٢)].

ليس إطلاق اسمي الرحمن الرحيم من قبيل الصدفة فقط لكنه الستار الإسلامي الذي كانوا يتسترون به بين الفينة والأخرى ليبقوا ضمن منظومة الفرق الإسلامية، فلا يلفظهم أحد ويتسنى لهم فعل الأفاعيل.

وقد صاحب وصف الإله بالعدمية أن تحولت كافة الأسماء والصفات الإلهية إلى السابق والتالي ، وهم بهذا فاقوا كل ما جاء عن الفرق من انحرافات عقدية أو تشريعية حتى الشيعة الإمامية فيما ذكروه عن الولاية التكوينية.

(للإسماعيلية منهج في اعتقادهم في الله- عز وجل- يختلف عن مناهج الفرق كلها إن الموجودات صادرة عن العقلين "الأول والثاني" اللذين نسبوا إليهما جميع ما في الكون من خلق وإيجاد وتدبير وتحريك لجميع الموجودات والكائنات) [(٣)] .

---

(١) محمد الديلمي : " بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد " ، ص٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٤ .

(٣) سليمان السلومي : " أصول الإسماعيلية " ، ص٤٩٩ .

وقد ذكر في كتاب "الفرق بين الفرق" عن حكاية اعتقادهم في الله- عز وجل- ما نصه:

(ذكر زعماء الباطنية في كتبهم أن الإله خلق النفس، فالإله هو الأول والنفس هو الثاني ، وهما مدبران هذا العالم، وسموهما الأول والثاني، ثم قالوا إنهما يدبران هذا العالم- وهذا بعينه- قول المجوس بإضافة الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدَث والباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثاني)(١).

كذلك الأسماء والصفات ، فحين تطلق يقصد بها هذين العقلين وليس الإله الأول الذي هو لديهم معطّل عن كل الصفات والقدرات.

(الباطنية من مذهبهم القول بإلهين قديمين لا أول لوجودهما، من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، وقالوا : السابق لا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول ، وحدث عن السابق الثاني وهو أول مبدع ، ثم حدثت النفس الكلية) (٢).

وقد يكون النص مختلط قليلاً على غير ذوي الاختصاص ولتوضيحه أقول:

- ذكروا أن في الكون إلهين وجدا معاً ليس هناك أول بينهما .
- أحدهما يدعى السابق "العدمي من الصفات" وهو سبب في وجود "الثاني" له كل الصفات .
- الثاني هو أول المبدعين وهو الذي حدثت عنه ما يعرف بـ "النفس الكلية".

هل هذا إلا ما قامت عليه الثنوية الفارسية .

(انحرفت الإسماعيلية في عقيدة الإلوهية ، بدأت بالنفي المطلق للصفات عن الله بزعمهم أن الله فوق تصور العقل ، وهذه الصفات في متناول العقل إذاً هي لا يمكن أن تكون صفات لله ؛ فالله عريٌّ من كل صفة وصفات الكمال موجودة في أول مبدع

---

(١) عبد القاهر البغدادي : " الفرق بين الفرق " ، ص٢١٥ .

(٢) ابن الجوزي : " تلبيس إبليس " ص١٠٥، ١٠٦ .

أبدعه فهو الأزلي وهو العقل الأول وهو القدرة) [١].

هذا ما اتخذته الإسماعيلية من حجة لضلالها ، أن هذه الصفات يمكن تصورها في العقل وصفات الخالق لا يمكن أن تكون متصورة لذا عطلت الخالق من صفاته ومنحتها للسابق الذي له التأثير في الكون.

حجج باطلة تلائم عقولهم الركيكة – كما وصفهم حجة الإسلام الغزالي – وحتى يضفوا عليه الغطاء الإسلامي لا بد أن يكونا قد ذكرا في القرآن الكريم، وبما أنهما أهل التأويل الباطني قالوا :

(الفيض الأول هو أصل الإيجاد ، فهو الإله ممثلاً في مظاهره الخارجية ، والعقل الأول هو الذي رمز إليه تعالى بـ "القلم" في الآية وهو الخالق المصور الذي أبدع النفس الكلية التي رمز إليها القرآن بـ "اللوح المحفوظ" ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الأول إلا أن العقل كان أسبق إلى توحيد الله وأفضل فسمي "السابق"، وسميت النفس"التالي" وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية) [٢].

ولا أدري ما الدلالة اللغوية أو العقائدية التي ساقتهم إلى أن العقل السابق هو القلم والنفس الكلية التالية هي اللوح المحفوظ؛ فلم يرد في كتب المفسرين ما يدل على ذلك ولا شبهته. ولأن أصلهم الذي خرجوا منه هو المذهب الشيعي فلابد أن يحافظوا على ذلك الأصل ، ولابد للفرع أن يرتبط بالأصل برباط ما فربطوا تلك النظرية عن السابق والتالي بالمذهب الشيعي وبنظرية المثُل[٣] المتعارف عليها في الفلسفة اليونانية فزعموا أن في العالم الحسي حدين مهمين هما النبي والوصي ، فما علاقة هذين الحدين

---

(١) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي " ، ص٨٥ـ ٨٦ .

(٢) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي " ، مرجع سابق ، ص٨٧ .

(٣) أول من قال بنظرية المثل وإليه تنسب هو : أفلاطون ، وهي تزعم أن كل ما في الكون ليس حقيقة ، إنما هو مثال للحقيقة الموجودة في العالم العلوي ، ولا يدركها إلا أشخاص محدودون يستطيعون العلم بالتعقل ، وليس بالحس بتعبيره الفلسفي " مصادر المعرفة أربعة ، رابعها التعقل ، وهو إدراك الماهيات الخالصة " . موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج١ ، ص١٥٧ـ١٦١ .

بالخالق؟. قالوا:

(في إثبات فضل حدين من حدود الدين هما حد النبي وحد الوصي أو الإمام وأن هذين الحدين في العالم السفلي يقابلان حدين شريفين هما أعلى الحدود في العالم العلوي ، وهما حد القلم أو السابق أو العقل الكلي ، وحد اللوح أو التالي أو النفس الكلية) (١).

أرى أن النص يحتاج إلى توضيح أيضاً فأقول:

- قالوا : إن في العالم السفلي حدين مهمين حد النبي وحد الوصي.
- وقالوا : إن هذان الحدان السفليان يقابلهما حدان علويان هما القلم واللوح.

ولو طبقنا نظرية المُثُل الأفلاطونية على ما يقولون نجد أن الحدود البشرية هي الصورة الحسية المتجسدة للحدود العلوية الغيبية في عالم المثل. فتوصلوا إلى أنه ينبغي أن تتصف الحدود الأرضية بأوصاف الحدود العلوية وتتسمى بأسمائها بل ويكون لها نفس القدرة والتصرف ، لأن الله- سبحانه وتعالى- بحسب زعمهم منزه عن الأسماء والصفات قد أقام الحدين العلويين "القلم واللوح" والسفليين "النبي والوصي" ليكونا متحكمين في الكونين العلوي والسفلي ومُجسدين لكل المعاني الصفاتية؛ فهم يزعمون أن جميع الأسماء والصفات الإلهية إنما هي لحدوده وليست لها- تعالى في علاه-.

ولأنهم في الظاهر اعتبروا مسلمين ؛ فلابد لبعض المصطلحات الإسلامية وجود في نظريتهم تلك فأطلقوا على السابق "القلم" وأطلقوا على اللاحق أو التالي "اللوح" بلا دلائل أو مسوغات ، هما لفظان وردا في القرآن الكريم تأولوا في معناهما الحقيقي.

أعتقد أن ملامح الثنوية قد اتضحت وليست في حاجة إلى إيراد المزيد من الأمثلة لإثبات أن الإسماعيلية هم ثنوية الشيعة ، فليس لديهم مجرد مظاهر تعبدية ثنوية، فالأمر أعظم من ذلك وأكبر فأصل عقيدتهم وأساسها هو المعتقد الثنوي،

---

(١) محمد الخطيب : " الحركات الباطنية في العالم الإسلامي " ، ص٨٨ .

والإيمان بوجود إلهين يتحكمان بالكون ، ولهما كل القدرة وكل الإرادة بل وكل الصفات والأسماء الإلهية.

الثنوية في الفرق الصوفية:

على الرغم من الفرق الشاسع بين الفرق الصوفية وبين المذاهب الشيعية في الظاهر إلا أن علماء الأديان اكتشفوا أن هناك علاقة خفيه وطيدة بينهم ، وقد بُحثت بشكل علمي منظم في رسالة دكتوراه خاصة بهذا الموضوع [(١)]. وقد كان من أولى دعائم هذه العلاقة هو اتحاد الأهداف فهم جميعاً يعملون على تقويض دعائم هذا الدين من الداخل حين عجزوا على محاربته وهدمه من الخارج، ويعد معول "الشيع صوفية" المشترك من أخطر معاول هدم الدين الإسلامي.

وقد استخدمت الصوفية المنهج نفسه الذي استخدمته الشيعة "منهج الغلو" فقد كان من أعظم ما حورب به المسلمون في دينهم هو هذا النهج، هذا ما يؤكده الاستقراء في كتب تاريخ الفرق الإسلامية ، فكل افتراق كان بدايته غلو وتطرف.

وقد قيل عن منشأ التعاليم الصوفية إنها:

(كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره وطرق الوصول إلى المعرفة والمؤدية إلى الفناء، مأخوذة مستقاه من المذاهب الهندية والمانوية والزرادشتية أيضاً فلا ينكرها منكر) [(٢)] .

وليس هذا الكلام عام مرسل ، بل هو نابع من دراسة واعية متأنية من باحثين متخصصين في هذا المجال:

(إن كبار الكتاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين أقروا بأن التصوف الإسلامي مدين للفلسفة الهندية التي وصلت إليه عن طريق مترا وماني من

---

(١) من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة شعبة العقيدة ، بعنوان : " العلاقة بين التشيع والتصوف " كانت من إعداد الطالب / فلاح بن إسماعيل بن أحمد ، ، سنة ١٤١١هـ .

(٢) إحسان إلهي ظهير : " التصوف المنشأ والمصادر " ، ص٩٧ .

جهة وللقبالة اليهودية والرهبنة المسيحية والغنوصية والأفلاطونية من جهة أخرى) [١].

الصوفية ليست دين أو فرقة انبثق من لا شيء ، قائمة بنفسه بل هو منهج مستقى من كل أديان وفلسفات العالم ، ليس هذا فقط.

(الصوفية استقوا مبادئهم وأفكارهم ومعتقداتهم من التشيع والشيعة بدل الكتاب والسنة ، فقالوا في أوليائهم ومتصوفيهم نفس ما قاله الشيعة في أئمتهم وأوصيائهم) [٢].

أي أنهم ادعوا لهم العصمة والقدرة التكوينية في الكون ، كما لهم ميزة المنح والمنع لمريديهم ، وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- ذلك الأمر وتلك المشابهة حين قال:

(الصوفية يعتقدون في أوليائهم ما يعتقد الشيعة في أئمتهم من تأليههم وجعلهم أنبياء ، أو كالأنبياء معصومين ، ولو أنهم كثيرا ما يتجنبون عن استعمال هذه اللفظة، ويستبدلونها بالحفظ ، ولا يقصدون من ورائها إلا العصمة) [٣].

تعددت الطرق والهدف واحد ، كذلك نقول اختلفت الألفاظ والمعنى واحد، سواءاً كانت عصمة أو حفظ ليس هذا هو المهم ، المهم هو المعنى الذي يؤدي إلى معتقد ثنوي إلهي ، ومن الآراء الحديثة التي تؤكد ما يعتقد به الصوفية من وجود مخلوقين لهم القدرة على الإحداث في الكون النص التالي.

(الفكر الصوفي خليط كامل لكل الفلسفات والخزعبلات والخرافات التي انتشرت في العالم قديماً وحديثاً. فليس هناك من كفر وزندقة وإلحاد إلا دخل إلى الفكر الصوفي وتلبس بالعقيدة الصوفية. فمن القول بوحدة الوجود إلى القول بحلول ذات الله أو صفاته في المخلوقين ، إلى القول بالعصمة ، إلى الزعم بالتلقي من الغيب، إلى القول بأن الأولياء

---

(١)إحسان إلهي ظهير : " التصوف المنشأ والمصادر " ، ص٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٠٤ .

يديرون العالم ، ويتحكمون في الكون) [١] .

والشاهد من النص هو "القول بأن الأولياء يديرون العالم ويتحكمون في الكون"، يظهر هنا المعتقد الثنوي للقوى المتحكمة في الكون ؛ وحين ذكرت أن العلاقة بين التشيع والتصوف موجودة لم يكن ذلك ادعاء بالباطل أو استنباطاً من فراغ ، فما ذكرته سابقاً عن الولاية التكوينية ومقام كن لدى الشيعة موجود لدى الصوفية وبنفس الاسم.

(تزعم الصوفية أن شيوخها يقولون للشيء "كن فيكون" فيتحدث أحدهم عن الولي الذي استخلفه الله فيقول : "إنه خليفة يملكه الله كلمة التكوين متى قال للشيء كن كان من حينه") [٢].

ويقول أبو السعود : "إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفاً". ويعلق ابن العربي على هذا بقوله : " وأما نحن تركناه لكمال المعرفة " [٣] [٤] .

وقانون "كن فيكون" هو من اختصاص الخالق- سبحانه وتعالى-، منحوه هم لأوليائهم حتى أنهم جعلوا منها مادة للاستهزاء والسخرية على الله تعالى، وأنهم أكبر من منحة التصرف الكونية التي منحها إياهم الخالق .

قد يدعي مدعٍ أن هذا المنهج هو سلوك الأولين من الصوفيين وأنه انتهى بانتهاء عصرهم ، فأقول أننا حين نتناول فِكر فرقة ما بالدراسة فإننا لا نتناول فِكر شخص ما أو زمن ما، لكني أتناول فِكراً وعقيدة قائمة تنتقل من السابقين إلى اللاحقين بالمشافهة حيناً وبالمكاتبة أحياناً أخرى . فهم حريصون على حفظ تعاليم ونهجهم في تدمير الإسلام بل وتعليمها للأجيال التالية حتى يأتي الزمن الذي ينتظرونها. ولن يأتي إلا بإذن الله . ذلك الزمن الذي يتم فيه القضاء على الإسلام والمسلمين،

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الخالق : " فضائح الصوفية " ، بدون بيانات .

(٢) النص من " جواهر المعاني لعلي بن حرازم ، ج٢ ، ص٨ ، وردفي " هذه هي الصوفية " عبد الرحمن الوكيل ، مرجع سابق ،ص١١٧ .

(٣) النص من " فصوص ابن العربي ، تعليق : أبو العلا العفيفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج١ ، ص١٢٩ بتصريف

(٤) عبد الرحمن الوكيل : " هذه هي الصوفية " ، دار الكتب العالمية ، بيروت ،، ص١١٧-١١٨ .

ولتأكيد ملامح الثنوية الصوفية التي ظهرت من خلال اعتقادهم في حفظ أوليائهم أجد النص التالي يذكر:

(إذا بلغ الإنسان مرتبة تفنى فيه قواه وإرادته في إرادة الحق ، تبدأ النتائج العظيمة، فيكون الإنسان الطبيعي إلهياً ، وتنهزم جنود إبليس ، ويكون نتيجة هذا التسليم لإرادته الحق تعالى ينفذ إرادة صاحب هذا القلم في العوالم الغيبية ، ويجعله مثلاً أعلى لنفسه تعالى ، فكما أنه تعالى وتقدس يوجد كل ما أراد بمجرد الإرادة يجعل إرادة هذا العبد أيضاً كذلك) (١) .

ولتسلسل الأفكار الواردة في النص :

- " تفنى فيه قواه وإرادته في إرادة الحق"، أي أنه يتم الاتحاد بين العبد وبين الحق الله.
- "يكون الإنسان الطبيعي إلهياً" تظهر نتائج ذلك الاتحاد .
- "فكما أنه تعالى وتقدس يوجد كل ما أراد بمجرد الإرادة يجعل إرادة هذا العبد أيضاً كذلك"، هنا يكمن المظهر الثنوي، أي أن للولي قدرة خلق وإحداث وإدارة في الكون.

هذه هي صورة الثنوية التي تناسب الفكر المتأسلم ، ثنوية في لباس إسلامي انتهجتها الفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام ؛ هذا الذي تعتقده الشيعة في أئمتهم، ما يعتقده الزرادشتيون في دينهم ، وهو ذاته ما قامت عليه المانوية وسواه لكن كلاً بصورته الخاصة به .

خلاصة القول أن الثنوية الصوفية هي قدرة الولي على منح بركات أو منع بلايا ونكبات عن المريدين وهو ما يعد من اختصاص ربنا سبحانه وتعالى.

وإذا تركنا فرقتا الشيعة والصوفية وملامحهما الثنوية أجد أنه لابد من العودة إلى الحديث عن اتجاهان آخران قيل أن الفكر الثنوي استطاع اختراقهما، وأن بهما شبهة

---

(١) فلاح بن أحمد : " العلاقة بين التشيع والتصوف " ، ص١٧٣ .

ملامح ثنوية وهما "مدرسة المعتزلة الكلامية" و"فرقة الأيزيدية" وقد سبق الإشـــارة إليهما في الفصل الثاني ، كمرحلة انتقالية لتطور الثنوية في الفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام.

مدرسة المعتزلة والثنوية:

ذكرت سابقاً هي تهمة مختلف عليه!!

لم أستطع من خلال ما جمعت من أدلة أن أقطع بيقينية الترجيح بين الفريقين فلكل منهما تعليلاته التي ساقها لتأييد وجهة نظره ، سأعرضها وأترك الحكم فيها لغيري.

أساس الخلاف القائم لدى المعتزلة حول نسبة أفعال العباد ، وقد انقسمـــوا فيـــه إلى قولين رئيسيين:

- زعم بعضهم أن الإنسان هو خالق لأفعاله .
- وذهب بعضهم أن الإنسان موجد لأفعاله فقط وليس خالقاً لها.

معليلين ذلك أن الإيجاد غير الخلق ، بداية اقول أنه قد تم الاتفاق بين المعتزلة وغيرها من فرق المدارس الكلامية كافة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

(أنه عالم قادر حيّ لا كالعلماء القادرين الأحياء، وأنه القديم وحـــده ولا قـــديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له في ملكه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخَلْق ما خلق)[1].

ومن ثم حدث الاختلاف في " أفعال العباد".

وجهة النظر المعادية للمعتزلة :

يقول أصحاب هذه الدعوة أن المعتزلة ترى :

أن فعل الإنسان يتسم بالنقص والشر فكيف ينسب لرب العالمين، لذا قال بعضهم

---

(١) أبو الحسب الأشعري : " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " ، ص٢١٦ .

بأن فعل العبد بإرادته هو وليس الله بفاعل له ، فكان سبب أن يُطلق بعض العلماء على المعتزلة أنهم "مجوس هذه الأمـــة "، وذلك لقولهـــم بوجـــود إرادتين فاعليتين خالقتين في الكون إرادة الله سبحانه وتعالى وإرادة الإنسان في خلق أفعاله.

وإن لم يكونا على نفس المستوى والقدرة إلا أن مجرد الاعتراف بوجودهما يجعلهما في حكم الثنويين .

(اختلفت المعتزلة في البارئ هل يوصف بالقدرة على ما أقدر عليه عباده أم لا؟، فزعم أكثرهم أن البارئ لا يوصف بالقدرة على ما أقدر عليه عباده، وزعم بعضهم أن الله يقدر على ما أقدر عليه عباده ، فهي في حق الله فعل ضروري، وفي حق العبد فعل مكتسب) [1].

لعلها تكون إحدى صور المعتقد الثنوي في الإلوهية غير تلك الصورة النمطية للثنوية الفارسية ، فالمجاهرة بالمعتقد الثنوي الفارسي بصورته المعروفة عنه في البيئة الإسلامية ليست ذات نتائج إيجابية ، لكن المواربة والمداهنة تؤتي ثمار أفضل، لذا كان من رأي بعض العلماء أن البيئة الصالحة لمثل تلك البذرة هي مخالفة المعتزلة لباقي المدارس الكلامية في قضية خلق افعال العباد .

وقد وجد العديد من العلماء الذين يؤيدون هذه التهمـــة ويقفون معهـــا، معددين انحرافات فرقة المعتزلة منذ بداياتها، فقد قيل إنهم بقايا فرقة القدرية القديمة، واستشهدوا بأقوالهم في الصفات، ووجهة نظرهم المخالفة لعلماء السلف- رحمهـــم الله جميعـــاً-، ومما جاء عن فِكر المعتزلة في إطار مفهوم قدرة العبد على الفعل من عدمها قولهم:

(إن الله لا يفعل الظلم ، الشيء الذي يعني أن الناس هم الذين يأتون أفعالهم بإرادتهم واختيارهم ، هذا هو مضمون فكرة المعتزلة التي عبروا عنها بخلق الأفعال)[2].

ليس ذلك ببعيد عن مفهوم الثنوية الإلوهية المتحكمة في الأحداث الكونية المتضادة، فهو ينطلق من نفس المنطلق أن الله لا يفعل الشر هناك ، وهنا إن الله لا يفعل الظلم،

---

(١)أبو الحسب الأشعري : " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " ، ص٢٥١ .

(٢) أحمد الحريثي : " المعتزلة " ، بيت الوراق ، العراق ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١م ، ص١٥٨ .

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما جاء عن المعتزلة أيضاً .

(ذهبت المعتزلة إلى القول بأن الله لا يظلم أحداً ، ولا يُجبر مخلوق على فعل معصية ونحن نرى أصناف من الشرور في العالم كله فمن فعل الظلم فهو ظالم ، ومن أتى الشر فهو شرير ، أي أن العباد خالقون لأفعالهم ومسؤولون عنها ، والله سبحانه لا يريد الشر ولا يفعله إذ لو شاءه لكان محباً له و لما صح أن يعاقب الناس على فعله)(١).

النصين السابقين تعتبر دليل تأكيد لمن رمى المعتزلة بتهمة الثنوية .

فِكر شابهوا به فِكر الثنوية الفارسية ، لكنها تبقى وجهة نظر من تبناها تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ ، وقد ساقوا لها من العلل والتبريرات ما يؤيدها.

وجهة النظر المدافعة عن المعتزلة:

ولم يكن تأكيد تهمة الفكر الثنوي على المعتزلة وتقريره بالأمر اليسير الهين بين العلماء ؛ فقد كان لفرقة المعتزلة الأيادي البيضاء في حماية الشريعة الإسلامية والدفاع والذود عن معتقدات الدين القويم من وجهة نظر البعض، قالوا أنها كانت ولا زالت فرقة من أكبر الفرق الإسلامية الكلامية الكبيرة ذات التاريخ المستميت في المحاربات والمجادلات الكلامية مع كبار الفلاسفة والمتفلسفة؛ لذا كان مجرد إثارة هذه التهمة والتصريح بها في حق المعتزلة يجعل الأصوات تحتد والدفاعات تتوالى عنها.

فتعالت الأصوات مدافعة عن مدرسة المعتزلة في مقابل أصوات المتهمين، وذكر هؤلاء أن رأي المعتزلة ينص أنه من أساس العدل الكوني أن يكون الفعل منسوباً للعبد لا للرب؛ وذلك بسبب:

(المعتزلة يمتنعون من القول بأن الله خالق أفعال العباد؛ لينفوا عنه تعالى الظلم والقبح، والمعتزلة مجمعون على أن الله عادل وأنه تعالى لا يظلم الناس) (٢).

وهذا ليس على غرار ما يعتقده الثنوية أن الله لا يقدر على فعل الشر ولا يصدر

---

(١) محمد العبدة وطارق عبد الحليم : " المعتزلة بين القديم والحديث " دار الأرقم ، برمنجهام بدون بيانات ص٥٧ . ٥٨

(٢) زهدي جار الله : " المعتزلة " ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص٩٧ .

منه ؛ فالله تعالى قادر على فعل الخير وضده، لكنه لا يحبه ولا يرضاه [(١)]؛ فالله- عز وجل- له الكمال المطلق في كل شيء ، ومعتقد المعتزلة هذا هو كمال التوحيد والتنزيه.
(يرون أن الإنســان يعمل بقدرة من الله تعالى ، فالإنسان فاعل مختار حر الإرادة) [(٢)].

هم لا يرون الإنسان خالق لأفعاله بل فاعل لأفعاله .

والفرق بين اللفظين كبير ، فالخالق غير الفاعل ؛ هم يرون أن الإنسان فاعل بقدرة منحته إياها القدرة الإلهية تفضلاً وإنعاماً وإحقاقاً لحق المحاسبة الآخروية عن مسؤولية الفعل ؛ لأن من فعل شيئاً كان ذلك الشيء منسوباً إليه وهــو الذي ينبغــي أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك الفعل .

(فهموا من قول المعتزلة : "إن العباد خالقون لأفعالهم"، أن الله يُعصى كرهاً قالوا : ما شئنا فعلنا. والواقع لا ينبغي أن يُفهم ذلك من قول المعتزلة؛ لأنهم لم يُضمروه أصلاً؛ فكل ما ذهبوا إليه هو أن الله تعالى أقدر عباده على العمل وأعطاهم القدرة التي يأتون بها أعمالهم ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها، فالحرية هبة من الله تعالى لأن الله أذن لهم أن يعملوا كما يشاؤون حتى يصح الثواب والعقاب) [(٣)].

فالبشر لم يَخلقوا الفعل بل قاموا به في إطار منحة الحريــة الإلهيــة فقط، وهــذا لا يستدعي بالضرورة انفصال المشيئة الإنسانية عن المشيئة الإلهية.

والمدافعون أيضاً ساقوا من الحجج والعلل ما لم أستطيــع أن أمنــع نفســي عن الاقتناع بهم. قالوا عن شيوخ المعتزلة أنهم كانوا أساطين العلــم في الإســلام، وأعلام الفلسفة الإسلامية وقادة الفكر منذ نشأتهم؛ فقد وقفوا أنفسهم للدفاع عن الدين وعلى نصرة مبدأ التوحيد، ومع ذلك فُهم مقصدهم خطأ ورموا بالزندقة والكفر.

---

(١) كان هذا مما اجتمعت عليه المعتزلة كلهم تقريباً ، إلا النظام الذي خالفهم في مقدرة الله على فعل الشر ، فقد كان له رأي آخر ، " النظام انفرد عن سائر المعتزلة في قوله : في قدرة الله على الظلم ، فقد زعم أن الله لا يستطيع أن يفعل الشر ، ولا يقدر أن يظلم أحداً أصلاً ؛ لأن فاعل العدل عنده لا يوصف بالقدرة على الظلم " ، والنظام هذا صاحب نظرية الصلاح ، والأصلح التي مثلت دوراً خطيراً في تاريخ الاعتزال ، زهدي جار الله : " المعتزلة " ، ص٩٩

(٢) زهدي جار الله : " المعتزلة " ، ص٩٥ .

(٣) زهدي جار الله : " المعتزلة " ، ص١١١-١١٢ .

لست أجد فائدة من الإطالة في موضوع رمي المعتزلة بتهمة الثنوية، يكفي ما جئت به من أدلة لكلا الفريقين وكفى ، ولكني آثرت أن أختم موقف السلف الصالح- رضوان الله عليهم- في موضوع أفعال العباد من خلال رأي شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- حيث قال:

إن الله تعالى خلق العبد وكل ما فيه من قوى ، وأن العبد يفعل ما يشاء بقدرته وإرادته الله خالق كل شيء ، وأن العبد فاعل حقيقة له مشيئة وقدرة وإرادة. وبهذا يقرر ابن تيمية ثلاثة أمور:

١- أن الله- سبحانه وتعالى- خالق كل شيء ، وأنه لا شيء في الكون بغير إرادته وهو في هذا يتفق مع الجبرية .

٢- أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئته وإرادته كاملة تجعله مسؤولاً عما يفعل وهو في هذا القدر يتفق مع المعتزلة .

٣- أن الله تعالى ييسر فعل الخير ويرضاه ويحبه، ولا يسر فعل الشر ولا يحبه، وهو في هذا يفترق عن المعتزلة) (١) .

ولست سوى ناقلة لآراء الفريقين وباختصار، فليس هو مجالي أو تخصصي إنما ساقني منهجي في البحث عن مظاهر الثنوية في الفِكر المنحرف لبعض الفرق الإسلامية والمنتسبة للإسلام لهذا السياق.

الديانة الأيزيدية:

سبق وأن أصدرت حكماً على الديانة الأيزيدية في الصفحات السابقة أنها ديانة إسلامية انحرفت عن طريقها حتى اعتمدوا الفكر الثنوي كمعتقد لها فأصبحت ديانة ثنوية؛ وقد كان بالإمكان حذف ما سبق أن كتبت أو تعديله لكن آثرت بقاءه للتعقيب عليه وتصحيحه، وبيان ما إذا كنت قد أصبت الحقيقة أم أخطأت.

لقد كانت قراءتي عن الديانة الأيزيدية من خلال من كتب عنهم، لكني لم أرجع إلى

---

(١) محمد أبو زهرة : " تاريخ المذاهب الإسلامية " ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص١٨٨-١٨٩ .

كاتب يكون أيزيدياً أو شخص كان قريباً منهم ، فكان الحكم صادراً بناءً على ما قرأت . ولكن هنا استدركت ذلك وفضلت التفصيل أكثر في الحديث عن الأيزيدية وعلى محورين، وهما:

- أصل الديانة ومنشأها .

هل هي من بقايا الديانات السومرية العراقية القديمة أم لا؟

- أساس الديانة القائمة عليها:

هل هي ديانة واحدية قائمة على عبادة إله واحد أم هي ذات معتقد ثنوي؟

كان الحديث حولها مذبذب متردد من كافة النواحي، فأصولها مختلف عليها وعقيدتها مختلف عليها بل وحتى انتماؤها مختلف عليه أيضاً؛ كان من رأي البعض أن: (السواد الأعظم من الأكراد يدينون الإسلامية إلا أن قسماً منهم يدينون بالأيزيدية، هذه الديانة ديانة كردية بامتياز والأزيدية من الديانات القديمة وهي من بقايا الديانات الطبيعية) [(١)] .

يرى الكاتب أن نسبة هذه الديانة إلى "زيد بن معاوية"[(٢)] هي نسبة باطلة لا دليل عليه، وساق لذلك عدة أسباب- من وجهة نظري أنها مقنعة- وهي :

- أنها لو كانت تابعة ليزيد بن معاوية لرأيناها منتشرة بين العرب أكثر من الأكراد.
- القارئ لكتبهم المقدسة يلاحظ خُلوها من أي ذِكر ليزيد بن معاوية، فلو كان مؤسسها لوجدوا له ذِكراً ولو يسير.

---

(١) عمار قربي : " الديانة الأيزيدية " ، المنظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سوريا ، ص٢ .

(٢) يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الأموي ، ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد سنة ٢٥هـ وتوفي سنة٦٤هـ بحمص وفي ايامه كانت فاجعة المسلمين بالشهيد " الحسين بن علي " ، فخلع على اثر ذلك أهل المدينة طاعته ، فارسل إليهم مسلم بن عقبة المري وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام ، وأن يبايع أهلها خول وعبيد ليزيد ، ففعل بها الأفاعيل القبيحة وقتل فيها كثيراً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين ، ومدته في الخلافة قصيرة لم تكمل السنوات الأربع يقال أنه كان ميالاً للهو والعبث .
أنظر ترجمته : " تاريخ الأمم والملوك .. تاريخ الطبري لبن جرير الطبري اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، ص ١٠٣٠ ، و " الأعلام " للزركلي ، ج٨ ، ص ١٨٩ "

- كتبهم وعباداتهم وصلواتهم كلها باللغة الكردية فلو كانت عربية المنشأ إسلامية المعتقد لكان هناك ملامح متبقية من اللغة العربية .

ولم يذكر التاريخ أو كتب المستشرقين أن يزيد قد أسس ديانة أو مذهباً، أرى أن تأكيد نسبة اليزيدية إلى يزيد بن معاوية تفتقر إلى الربط المنطقي والسياق التاريخي [(١)].

أصل الأيزيدية:

في زمن متقدم ، تحديداً في الربع الأخير من القرن العشرين خرج الكتاب والمثقفون الأيزيديون عن صمتهم وبدأوا في التصريح بمعلومات حول ديانتهم ، على الرغم من أن هذا يعتبر من محرمات الديانة ، إلا أن شيوخهم لم يستطيعوا أن يمنعوا عجلة الزمن من التقدم.

(بعض شيوخ الأيزيدية والذين أتاحت لهم فرص التعليم وبحث عن تاريخ الديانة، فمن خلال دراسة علمية متخصصة استطاع البعض أن يزيل كل ما هو أسطوري عن هذه الديانة ليعيدها إلى أصولها التاريخية التي ترتفع إلى آلاف السنين قبل الميلاد، وذلك من خلال العشائر الأيزيدية القديمة) [(٢)].

هذا ما أكده أحد الباحثين المتخصصين في الأديان القديمة ، أن الأيزيدية تعتبر من أديان بلاد ما بين النهرين السومرية القديمة [(٣)]. ولست أنوي الإسهاب في هذه النقطة أكثر من ذلك فما قيل يكفي أن يوضح الحقيقة ، لكن أحب أن أختم موضوع الأصل والمنشأ هذا بالنص التالي:

(ظهرت هذه الديانة في بلاد ما بين النهرين قبل الميلاد بآلاف السنين ، والبعض يربطها بالعهد السومري ، وبعضهم يشير إلى أن الأيزيدية ترجع إلى ما قبل الزرادشتية) [(٤)].

فما يعنيني اكثر هو معتقد الأيزيدية وليس نسبتها ومنشأها .

---

(١) المرجع السابق ، ص٩ .

(٢) عبد الناصر حسو : " اليزيدية وفلسفة الدائرة " ، دار التكوين ، دمشق ، ٢٠٠٨م ، ص١٦.١٧ ، بتصريف .

(٣) الكاتب خزعل الماجدي وقد أوردت عدة نصوص له تفيد هذا المعنى في الفصل الثاني ، وله العديد من المراجع الهامة في الأديان القديمة وخاصة العراقية وقد كانت ضمن منظومة مراجع ومصادر هذه الرسالة .

(٤) عبد الناصر حسو : مرجع سابق ، ص٣١. ٣٢ .

عقيدة الأيزيدية توحيدية أم ثنوية:

سبق وأن ذكرت مع الذين ذكروا أن الأيزيدية ديانة ثنوية قائمة على عبادة اثنين، الله و"طاووس ملك" ، اعتقد أنه يعتبر حكم أولي ، وبمزيد من البحث والقراءة وإيراد النصوص ومقارنة ما جاء بها سيتضح لي ما إذا كنت سأتراجع عن هذا الحكم أم لا؟.

قيل إن أول من أطلق تهمة الثنوية على الديانة الأيزيدية هو.

(إن أول من ألصق تهمة عبادة الشيطان بالإيزيدية هو الأب أنستانس الكرملي[١] في منتصف أربعينيات القرن الماضي، كما جاء في معظم المصادر) [٢] .

واللغط الذي دار حول الأيزيدية في منشأها دار مثله وأكثر حول معتقدها، وبما أنه لا يوجد أمامنا سواه فسوف نسير معه ، ونستدل به في الوقت الحالي. فقد وجدت نصوص تثبت المعتقد التفردي للآلهة في الدين الأيزيدي ، كما وجدت نصوص أخرى تعارض ذلك وتثبت المعتقد الثنوي لها وليس بينهما ترجيح .

- (لا تلتقي الأيزيدية مع الديانتين الزرادشتية والمانوية في العقيدة الثنوية ويوجد الكثير من نقاط الاختلاف بين الأيزيدية والزرادشتية، فعلى سبيل المثال نجد أنه لا وجود لإله للخير وآخر للشرّ عند الأيزيدية ، بل أن قوة الخير والشرّ تجتمعان في الإله ذي الثنائية في الواحد، ويأتي في أحد أدعيتهم :"يا ره بى خيرا بده، شه را وه ركه رين" بمعنى: يا رب امنح الخير وامنع الشرّ) [٣].

---

(١) أنستاس ماري الكَرْملي ، واسمه عند الولادة بطرس بن جبرائيل يوسف عوّاد ، ولد من أب لبناني الأصل وأم بغدادية سنة ١٨٦٦م ، وتعلم بمدرسة الآباء الكرملين ، وُرسِم قسيساً باسم الأب أنستاس ماري الكرملي ، وعاد إلى بغداد فأدار مدرسة الكرمليين ، وعلّم فيها العربية والفرنسية ، وألمّ بطرف من اللغات الأرمية والعبرية والحبشية والفارسية ، والتركية والصابئية ، وأصدر مجلة (لغة العرب) ثلاث سنوات قبل الحرب العامة الأولى ، وست سنوات بعدها . ونفاه العثمانيون في خلال الحرب إلى الأناضول ، كان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ والمجمع اللغوي بمصر ، وصنف كتبا كثيرة منها المعجم المساعد خمس مجلدات في اللغة ، وخلاصة تاريخ العراق ، وأديان العرب ، واستمر محتفظاً بثوبه الرهباني إلى أن توفي ببغداد .
أنظر ترجمته في : " مقدمة كتابه أديان العرب وخرافاتهم " و " الأب أنستاس الكرملي " لكوركيس عواد " .

(٢) عبد الناصر حسو : " اليزيدية وفلسفة الدائرة " ، ص١٩ .

(٣) موقع حكومة إقليم كردستان http://www.krg.org. موضوع بعنوان : " مدخل لمعرفة تاريخ الديانة الأيزيدية "، بقلم : د . خليل جندي ، جامعة كوتنكن ، تاريخ السبت ٢٩ / أبريل ٢٠٠٧م ، زمن ٢٣:٢٥ .

هي بحسب هذا النص ديانة تفردية تؤمن بإله واحد منه الخير ومنه الشر، فهم يذكرون أنه ليس في معتقدهم ثنوية ومن قال ذلك هو إدلاء ممن لا يعرف أسس معتقدهم ، وأصدر حكمه عليهم بلا دراسة ،كما تحدث عنهم النص التالي أيضاً الذي يؤكد تفرد الإله لديهم .

- (الإله الأيزيدي الجدير بالعبادة هو إله كلي القدرة في خيره وشره، ويمثل ما هو خير وما هو شر أيضاً هو مصدر كل شيء ولا شيء خارج عن إرادته)[١].

هناك اتجاه آخر تظهر من خلاله ملامح ثنوية وهو ما عبر عنه الشيخ " عدي بن سفر " أحد كبار رجالهم المعروفين[٢] بقوله:

(طاووسي ملك حسب الميثولوجيا الأيزيدية مخلوق من نور الله وسره العزيز هو الوجه الآخر للألوهة لهذا يصعب على الإنسان الأيزيدي الفصل بين حدود إيمانه بالله وحدود إيمانه بـ "طاووسي ملك") [٣].

يؤكد شيخهم في النص السابق فيما معناه أن هناك إيمانين يصعب الفصل في الحدود بينهما ، لكنهم مترددون وتصريحاتهم متذبذبة فبعضهم يؤيد ثنويتهم وبعضهم ينفيها.

(يقول الكاتب نمر كجو لـ " الحياة ": (إن أيزيدي تعني " عباد الله " كوننا نؤمن بوحدانية الله ، ونقدس الملك طاووس من غير أن نشركه بالله) [٤] .

من هو طاووس ملك هذا الذي يقدسونه ولا يشركونه بالله ، والذي يصعب

---

(١) عمار قربي : " الديانة الأيزيدية " ، ص١٠ .

(٢) لم تتفق كلمة الباحثين في أصله ونسبه ، وحتى مسقط رأسه ، ورد في بعض المصادر أنه عدي بن مسافر بن إسماعيل ابن موسى الزاهد الشامي الهكاري ، لقبه شرف الدين ، وكنيته أبو الفضائل ، ولد عام ١٠٧٥م ، في بيت فار من أعمال بعلبك ، نبي الديانة اليزيدية ومؤسسها ، تلقى تعليمه على يد الغزالي وغيره من المتصوفة ، توفي عام ١١٦٢م، ودفن في وادي لالش ، وتعد مقبرته بمثابة مزار يحج إليه الأيزيديون . محمد ضاهر : " الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر" ، ص٦٨. ٩١ .

(٣) عمار قربي : " الديانة الأيزيدية " ، ص١٠

(٤) جريدة الحياة ١٥ ، نيسان ، ٢٠٠٤م . عبد الناصر حسو : " اليزيدية وفلسفة الدائرة " ، ص٥٣ .

الفصل في الحدود بين الايمان به والايمان بالله؟.

يؤمن الأيزيديون بوجود الله- سبحانه وتعالى- كخالق للكون ، لكنهم يعتقدون أيضاً بأنه فوض أمر تدبير وإدارة الكون إلى مساعده ومنفذ مشيئته "طاووسي ملك"، الذي يقدسه الإيزيديون [١]. وبهذا النص تصبح ثنوية الأيزيدية شبه مؤكدة من وجهة نظري ، وقد يعود التضارب في النصوص إلى أن الديانة الأيزيدية لم تكن ثابتة على معتقد واحد خلال تاريخها الطويل ، وأنها أثرت وتأثرت بعوامل عدة من أهمها المجاورة والتسلط السياسي ؛ وليس لذلك تفسير غير أنها مرت بمراحل في معتقدها شأنها في ذلك شأن طبيعة الكون وقانونه أن كل شيء قابل للتغير والتبديل ، وكذلك كل أمر هو خاضع للتدرج والتطوير.

ومما قيل عن الأيزيديون ويؤكد وجود ملامح ثنوية في معتقدهم أنه كان بتأثير مجاورتهم للفرق الصوفية .

(يعتبر كثير من الباحثين أن فكرة إبليس هي صوفية المنبع من أفكار الحلاج، حيث بدأ الأيزيديون يعتقدون بأن الله- سبحانه وتعالى- كان ينوي أن يمتحن عزازيل، وبعدما رفض السجود لآدم كافأه الله وجعله رئيساً للملائكة) [٢].

لذا اعتبرت الأيزيدية أن عزازيل – إبليس – هو أول الموحدين ، ومن ثم بدأوا يعبدون إله الشر إبليس لأنه مصدر الشر ، وإذا ما عبده الإنسان فإنه سيصان من شروره.

إذاً هم أعجبوا بتوحيد عزازيل "الشيطان" أولاً ، ومن ثم أشركوه مع الخالق في عبادته لاتقاء شره ، وهل هذا إلا اعتراف بفاعلية إبليس في الكون وأنه قادر على الأذى، أي له قوى ضدية ندية أمام الله ، فماذا يطلق على هذا المعتقد إن لم يكن معتقد ثنوي؟.

وللأيزيديين سياق معين في قصة الخلق والتكوين ترتبط بتقديس عزازيل الذي رفض أن يسجد لأحد ، فكان بذلك أول الموحدين ، فيستحق أن تكون له مكانة أعلى من باقي الملائكة ، وأن الله منحه قدر من الإرادة والتصرف في الكون لمساعدته. وليس هذا

---

(١) عبد الناصر حسو : " اليزيدية وفلسفة الدائرة " ، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق ، ص٩٤ . ٩٥ .

ايضاً شيء آخر غير ما تقوله الثنوية ولكن بصورة جديدة غير مسبوقة وهي:

إن الغرض من وجود قوة فاعلة مؤثرة في الكون غير قدرة الله ، هي مكافأة من الله لمن رفض أن يسجد لغيره "عزازيل، طاووسي ملك، الشيطان"، أيا ما يكون اسمه الذي يطلقونه عليه إن هي إلا معتقد ثنوي بصورة جديدة .

الخلاصة:

لقد افترق المسلمون كما سبق وأن افترق اليهود وافترق النصارى!!

كانت البداية من نهاية خلافة عثمان وبداية خلافة علي- رضي الله عنهما-

فظهرت الخوارج وتبعها الشيعة في الظهور ومن ثم توالت الظهورات للفرق على اختلاف أسباب تفرقها .

فرق عدة وأفكار كثيرة متداخلة مما يصعب معه مهمة تفنيد أفكار كل فرقة منها لمعرفة ما إذا كانت تأثرت بالثنوية الفارسية أم لا؟!! فوقع إختياري على أهم وأشهر فرقتين وأكثرهما خطراً على الإسلام في القديم والحديث ، لتناولهما بالدراسة "الشيعة والصوفية"، فكانت البداية من التعريف بمنشأهما والمؤسس ، كما أتيت على ذكر أشهر رجالها ، وعند الحديث عن العقائد تركز بحثي حول المعتقد الذي ظهرت به ملامح ثنوية مؤكدة " الإمامة والولاية " وما تعلق بهما من عصمة وحفظ ، فقد تناولتهما بإسهاب.

ولتعدد فرق الشيعة فقد وقع اختياري على فرقتا "الإسماعيلية والقرامطة" لما ارتكزا عليه من فكرهم من ملامح ثنوية لا مواربة فيه ولا خجل ، هي ثنوية فارسية زرادشتية باسم إسماعيلي ؛ فهم يعتقدون بالأول العدمي الذي هو لا موجود ولا معدوم أبدع السابق فقط ، ومن السابق انبثقت النفس الكلية ، ومنهما معاً فاض الكونان العلوي والسفلي.

ومن ثم أعدت صياغة ما كتبت عن تهمة الثنوية لفرقتا المعتزلة والديانة الأيزيدية، أوردت نصوص توضح خلاف العلماء عليهما ، فالمعتزلة لم يختلف أحد على تصنيفها إسلامياً إنما كان الخلاف على بعضاً من أفكارها، والأيزيدية دار الخلاف حولها على محورين انتمائها أولاً ومعتقدها ثانياً.

وككل خلاف لا يوجد بينهما ترجيح فقد قدم كل فريق أدلة لإثبات وجهة نظره، واقتصر دوري على إيراد تلك الأدلة وتركت الحكم فيها لمن يقرء مع تسجيل وجهة نظري.

الخاتمة

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله وكرمه تحل البركات، أحمده حمداً

كثيراً وأشكره شكراً جزيلاً ، وأصلي وأسلم على نبي الهدى وإمام التقى محمد بن عبد الله داعينا وشفيعنا يوم الدين وعلى آله وصحبه الغر الميامين صلاة وسلام عن لسان البشر أجمعين .

بعد الانتهاء من العمل في هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج:

١- تمت الإشارة للثنوية بالمعنى فقط في القرآن الكريم وذلك في سورة النحل "إلهين اثنين" ولم يرد لفظ الثنوية تصريح.

٢- لم يرد في السنة النبوية الصحيحة أحاديث عن عبادة الاثنين في الأديان الفارسية القديمة، لكن ورد لفظ مجوس في حديث الفطرة المشهور .

٣- من خلال البحث ظهر فرقاً واضحاً بين العقيدة الثنوية التي قامت عليها أديان بلاد فارس وبين فكرة الثنوية التي خالطت كافة الأديان الوضعية والسماوية المنحرفة والفرق الضالة.

٤- بدايات وجذور الثنوية غير معروفة المصدر لكن توصلت إلى عدة احتمالات من خلال آراء علماء الأديان المسلمين والغربيين والفلاسفة، إلا أنها تبقي فرضيات جمعتها حقيقة واحدة مؤكدة أن مصدرها شيطاني، فإبليس هو مصدر كافة ضلالات البشر.

٥- ورد في كتب المؤرخين المسلمين روايات إسرائيلية ظهر فيها احتمال لبداية الثنوية وأنها من قبل خلق آدم عليه السلام ، فقد تمناها اللعين حين أنجز ما لم ينجزه غيره لكنها تبقى روايات إسرائيلية تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ.

٦- حصر علماء الأديان الغربيين والفلاسفة بدايات الثنوية وجذورها في فكرة تقسيم ما في الكون إلى خير وشر، وجعلوا مصدر الخير الإله الأعلى ومصدر الشر الشيطان الرجيم.

٧- الثنوية ليست دين مستقل بذاته هي فكرة خالطت الأديان الوضعية القديمة بدءاً من أديان بلاد ما بين النهرين وأديان مصر مروراً بأديان الهند وصولاً إلى أديان بلاد العرب القديمة وكان لها ملامح ظاهرة أحياناً وخفية أحياناً أخرى.

٨- الفكرة الثنوية تبلورت وتطورت في بلاد فارس وأصبحت الأساس الذي قامت عليه الأديان الفارسية جميعها بدءاً بالدين المزدي والمجوسي ومروراً بالزرادشتية والمانوية والمزدكية وغيرها... فكلها قامت على فكرة القوتين الضدين المؤثرتين في الكون.

٩- كل أمراً هو من صنع البشر لا ثبات فيه ويسري عليه قانون التطور ، وكذلك المعتقد الثنوي في رحلة تطوره وتدرجه ، فقد كان يتغير بحسب البيئة التي يوجد فيها ، فظهرت له العديد من الصور والأشكال في الأديان والفرق.

١٠- إن السير مع الثنوية في تطورها أوصلني إلى آخر صورها في العصر الحديث وهم "جماعة عبدة الشيطان" بشيء من التحليل لمعتقدها الذي هي عليه نجد أنه اعتقاد بثنوية إلهية بين الشيطان كإله في مقابل الله جل في علاه.

١١- من أبسط وأسهل النقاشات التي خاضها علماؤنا مع الغير هو نقاشهم مع الثنويين وذلك لما قام عليه مذهبهم من ضعف أساس وركاكة منهج ، اتضح ذلك بالتفصيل في مبحث الشبهات التي قام عليها مذهبهم حين سألوا عن الشخص يكون شرير ثم يتوب ألم يجتمع فيه الخير والشر.

١٢- علمت أن الباطل أرك وأضعف أن يقف أمام الحق وذلك في مبحث الشبهات التي قامت عليها الثنوية ، فقد وجدوا من علمائنا لوازم لقولهم بهتوا أمامها حتى عجزوا أن يعللوها.

١٣- من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث أن صورة العقيدة الثنوية لم تستقر على الصورة النمطية المعروفة عن الأديان الفارسية، لكنها تنوعت وتشكلت بما يناسب كل دين خالطته.

١٤- أثبت بالأدلة النقلية والعقلية أن الديانة الزرادشتية ديانة فارسية وضعية ، مؤسسها هو نبيهم المزعوم زرادشت وليست ديانة سماوي كما ذكر بعض الكتاب، الذين حاولوا أن يصنفوها ضمن قصص الأنبياء التي لم يقصصهم علينا ربنا تبارك وتعالى.

١٥- وجدت ملامح ثنوية مخالطة للأديان السماوية المحرفة "اليهودية والنصرانية" أيضاً.

١٦- تأثر اليهود بأديان الأمم الذين خاطوهم ، إلا أن التأثير الأشد كان من أديان بلاد فارس خلال وبعد فترة السبي البابلي .

١٧- ظهرت ملامح الثنوية الفارسية في الدين اليهودي من خلال نصوص العهد القديم مثال (قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدمك)(١)، ذكر صراحة وجود إله لإلههم .

١٨- من أظهر ملامح الثنوية في الدين اليهودي كانت في فرقة القبالاه.

١٩- وصلت الثنوية للدين النصراني المحرف وكان لها أكثر من مظهر ، فقد وجدت العديد من النصوص التي تذكر ذلك وتؤكد على وجود إله ثاني غير الآب (كتب بولس الرسول في رسائله : إن المسيح جالس على يمين الله)(٢).

٢٠- قامت فرق مسيحية في القديم والحديث على فكرة الثنوية، كأتباع كلاً من "باسيليدس، فالنتينوس، مرقيون".

٢١- وجدت فرقة نصرانية لازالت موجودة حتى اليوم قائمة على أساس ثنوية إلهية وهي فرقة "المريمانية" وهي المقصودة بالآية الكريمة التي خاطب فيها الله تعالى عيسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (المائدة: ١١٦).

٢٢- وصلت في تتبعي لملامح الثنوية إلى دراسة الدين الإسلامي ، ولله الحمد لم يكن في ديننا الإسلامي ملامح ثنوية ، ولكن كانت هناك ملامح ثنوية في فكر الفرق.

٢٣- الفرق التي ظهر فيها ملامح ثنوية عدّها العلماء فرق خارجة أو منتسبة للإسلام.

٢٤- أشهر تلك الفرق كانت "الشيعة وما يتبعها من الإسماعيلية وفرقة الصوفية".

٢٥- تركزت الملامح الثنوية في تلك الفرق حول مفهوم الإمامة والولاية وما يتبعها من عصمة وحفظ.

(١) الكتاب المقدس، المزمور ، ١١٠ ، ص ٩١٢ .

(٢) محمود العقاد: "الله "، ص١١٤ .

٢٦- وجهت اتهامات لمدرسة المعتزلة الكلامية حول وجود ملامح ثنوية فيها تتمثل في قضية "خلق أفعال العباد"، هل العبد خالق لأفعاله أم فاعل لأفعاله فقط والفرق بين المقصدين كبير ، وقد أوردت أدلة كلا الفريقين دون الترجيح بينهما.

٢٧- كثر الكلام حول الدين الأيزيدي ما إذا كانت من أديان العراق القديمة أم هي على صلة بيزيد بن معاوية الخليفة الأموي.

٢٨- تردد البعض في تصنيف منهج الدين الأيزيدي ما إذا كان واحدي المعتقد أن ثنوي نتيجة تقديسهم لـ "طاووسي ملك" وليس سوى إبليس اللعين باسم جديد.

٢٩- ككل الأديان الوضعية التي يستوجب عليها التطور، كذلك الأيزيدية حدث لها تطور في معتقدها أدى إلى وجود نصوص متضاربة بعضها يؤكد معتقدها التفردي لإله ذو قوى ثنوية، وأخرى تثبت تقديسهم لطاووسي ملك "عزازيل" وإشراكه مع الله في العبادة.

- أهم التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت بعد العمل في رسالة الثنوية جذورها وتطورها وأثرها على الأديان والفرق الإسلامية وغير الإسلامية عرض ونقد، فإني أوصي بما يلي:

١- لابد من توفر المزيد من المراجع والمصادر الأصلية في مواضيع الأديان الوضعية القديمة خاصة على مستوى مكتبات الجامعات السعودية ومعارض الكتاب التي تقام.

٢- أن يقوم الأساتذة الأفاضل بأقسام العقيدة والأديان بتوجيه الطلبة للمزيد من البحوث والرسائل العلمية حول الأديان والمعتقدات الدينية القديمة، فهو فرع من العلم قلما يحظى بالاهتمام، فلابد من تكثيف الدراسة والبحث حولها للتحذير من إحيائها مجدداً.

٣- أوصي بالمزيد من الرسائل العلمية والدراسات البحثية حول الفرق المنتسبة والخارجة عن الإسلام مما لم يسعني التطرق إليها، لعل بها ملامح ثنوية فيتم كشفها والتحذير منها وخاصة فرق الشيعة.

وأخيراً إن هذا العمل بشري فيه من النقص والتقصير أكثر مما فيه من الاتمام والتكميل، فما كان فيه من الصواب فهو بتوفيق من الله ورضا والديّ، وما كان فيه من النقص والخطأ فهو مني ومن الشيطان، أعيذ نفسي وذريتي من وساوس الشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

فهرس الأديان والفرق

فهرس الأديان والفرق

فهرس الأديان والفرق

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن

المصطلحات الغريبة

م	المصطلح	الصفحة
١	آب	٣٨١
٢	الأبجدية الهيروغليفية	١٤٤
٣	أتوم	١٥٠
٤	الأريين	١٦٥
٥	أشكناز	٣٥٠
٦	الاعتراف	٣٨٦
٧	الأفلاطونية الجديدة	٢٤٦
٨	الأقنوم	٣٨٠
٩	الإلياذة والأوديسة	٢٤٨
١٠	الانثروبولوجيا	٣٧
١١	الأنصاب	٣٢٨
١٢	التطور	٢٣٣
١٣	التطوير	٤٥٣
١٤	التعميد	٣٨٥
١٥	التلمود	٣٥٩
١٦	الثالوث المقدس	٣٨١
١٧	الجاهلية	٤٠٥
١٨	الحشوية	١٠٢
١٩	الحضارة الهللينية	٢٣١
٢٠	الحضارة الهلنستية	٢٣١
٢١	الحقيقة	٢٤
٢٢	الخرمية	٨٢
٢٣	الدولة العباسية	١٢٩

المصطلحات الغريبة

م	المصطلــــح	الصفحــة
٢٤	الراجبوت	**١٦٥**
٢٥	الرهبنة	**٣٨٦**
٢٦	الرواقية	**٢٤٥**
٢٧	الساميون	**١٢٨**
٢٨	السفسطائيين	**٤٦**
٢٩	الشبهة	**٩٩**
٣٠	الشيوعية	**٦٨**
٣١	الصنم	**٣٢٨**
٣٢	الطقوس الدينية	**٣٢**
٣٣	الطوطم	**١٤٧**
٣٤	العبرانيين	**١٤٦**
٣٥	العرب البائدة	**٣٢١**
٣٦	العرب العاربة	**٣٢٤**
٣٧	العرب المستعربة	**٣٢٤**
٣٨	العشاء الرباني	**٣٨٦**
٣٩	العصر البرونزي	**٢٣٣**
٤٠	العصر الحجري	**٢٣٣**
٤١	العصور الوسطى	**٢٣**
٤٢	العصمة	**٤٢٩**
٤٣	العقلانية	**٥٤**
٤٤	العماليق	**٣٢٣**
٤٥	الغنطوسية	**٢٢٠**
٤٦	الفارقليط	**٢١٨**

المصطلحات الغريبة

المصطلحات الغريبة

م	المصطلـــح	الصفحــة
٧٠	جرهم الأولى	**٣٢٢**
٧١	روح القدس	**٣٨١**
٧٢	زندقة	**٢٨**
٧٣	شعب التيراماري	**٢٥٢**
٧٤	شعب الفيلانوفا	**٢٥٢**
٧٥	صهيوني	**٣٥٠**
٧٦	عجائب الدنيا السبعة	**٢٧٠**
٧٧	عزازئيل	**٣٦٥**
٧٨	ليليت	**٣٦٨**
٧٩	مدرسة كلامية	**٤٤٣**
٨٠	مسيا	**٣٧٥**
٨١	مصطلح العرق	**١٦٢**
٨٢	ميتاترون	**٣٦٥**
٨٣	ناصري	**٣٧٥**
٨٤	نرفانا	**١٨١**
٨٥	نظرية المثل	**٧٠**
٨٦	يسوع	**٣٧٥**
٨٧	يهوه	**٥٥**

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية.

٣- الكتاب المقدس.

٤- أ.ب.تشارلز ورث :" الإمبراطورية الرومانية " ، ترجمة : رمزي جرجس ، مراجعة : محمد خفاجة .

٥- أ . س ميغوليفسكي :" أسرار الديانات القديمة" ،ترجمة : حسان أسحق ، علاء الدين، ٢٠١٢م .

٦- إبراهيم رزق الله أيوب :" التاريخ الروماني" ، الشركة العالمية للكتاب .

٧- إبراهيم محمد إبراهيم : " الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها"، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

٨- أبكار السقاف: "الدين في شبه الجزيرة العربية "، الانتشار العربي ، بيروت، ٢٠٠٤م .

٩- ابن الأثير الجزري: " أسد الغابة في معرفة الصحابة " ، تحقيق وتعليق : علي معوض ، وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠- ابن الأثير الجزري " الكامل في التاريخ" اعتنى به : محمد العرب ، المكتبة العصرية صيدا، لبنان ، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ .

١١- ابن العربي :" فصوص" ، تعليق : أبو العلا العفيفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت

١٢- ابن القيم الجوزية : " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " ، تحقيق : محمد كيلاني ، مكتبة دار النشر ، القاهرة .

١٣- ابن باز :"مجموع فتاوى ومقالات متنوعة " ، جمع وترتيب : محمد الشويعر ، إعداد وتنسيق : موقع ابن باز .

١٤- ابن تيمية: " الاستقامة "، تحقيق : محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ط٢ ، ١٤١١هـ .
١٥- ابن تيمية: " مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ": جمع وترتيب : عبد الرحمن القاسم وولده محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٤٢٥هـ.
١٦- ابن تيمية: " بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وأهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد " ، تحقيق : موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، ط٣ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
١٧- ابن حزم :" الفصل في الملل والأهواء والنحل " ، دار المعرفة، بيروت ، ١٤٠٦هـ.
١٨- بابن خلدون : " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ، تاريخ ابن خلدون"، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية .
١٩- ابن كثير: " تفسير القرآن العظيم " ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م .
٢٠- ابن كثير: " بداية خلق الكون" ، تحقيق : عادل أبو المعاطي ، دار البشير ، القاهرة .
٢١- ابن كثير: " البداية والنهاية " ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ .
٢٢- ابن منظور :" لسان العرب " ، تحقيق : مجموعة من الأساتذة ، دار المعارف .
٢٣- أبو اليسر فرج :" الشرق الأدنى في العصرين الهللينيستي والروماني " ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م .
٢٤- أبو بكر الجزائري :" عقيدة المؤمن " ، مكتبة العلوم والحكمة ، السعودية الرياض.
٢٥- أبو حامد الغزالي :"المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال " ، تحقيق: سعد كريم الفقي ، دار ابن خلدون .

٢٦- أبو حامد الغزالي :" فضائح الباطنية " ، اعتنى به وراجعه : محمد القطب ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٢٢هـ .
٢٧- أبي البقاء الكفوي : " الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" قابله على نسخة خطية وأعده للطباعة : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م .
٢٨- أبي الحسن الأشعري :" مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" ، تحقيق : محمد عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ .
٢٩- أبي العلاء المعري :"رسالة الغفران"، تحقيق : عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، ط٩ .
٣٠- أبي الفرج ابن الجوزي:" تلبيس إبليس" ، دار ابن خلدون .
٣١- أبي الفرج ابن الجوزي:"كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم علية السلام" ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ .
٣٢- أبي نصر الطوسي :" اللمع" ، حققه وقدم له وأخرج أحاديثه : عبد الحليم محمود ، وطه سرور ، دار الكتب الحديثة ، مصر ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٣٨٠هـ .
٣٣- جواد علي : "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "، جامعة بغداد، ط٢، ١٤١٣هـ .
٣٤- إحسان إلهي ظهير: " التصوف... المنشأ والمصادر"، إدارة ترجمان السنة ، باكستان، ١٤٠٦هـ .
٣٥- إحسان إلهي ظهير: " الإسماعيلية ... تاريخ وعقائد "، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.
٣٦- أحمد الحريثي :" المعتزلة "، بيت الوراق ، العراق، ٢٠١١م .
٣٧- أحمد أمين سليم : " جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة " ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧م .

٣٨- أحمد أمين : فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٦٩م .

٣٩- أحمد بن فارس بن زكريا : "معجم مقاييس اللغة" ، اعتنى به: محمد عوض مرعب ، وفاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٠- أحمد بن محمد الفيومي :"المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" ، نسخة إلكترونية، تحميل : مكتبة المصطفى الإلكترونية .www.almostafa.com

٤١- أحمد بن محمد بن خلكان : " وفيات الأعيان أبناء الزمان"، حققه : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٤٢- أحمد خليل سيف :" البحث عن الحقيقة بين الفلسفة والدين"، ٢٠٠٧م .

٤٣- أحمد دمنهوري : "رسالة في المنطق إيضاح المبهم في معاني السلم"، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٤٢٧هـ .

٤٤- أحمد رضا : " معجم متن اللغة " موسوعة لغوية حديثة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م .

٤٥- أحمد شلبي:" مقارنة الأديان أديان الهند الكبرى الهندوسية . الجينية . البوذية " ، مطبعة الإسراء، نشر : مكتبة النهضة المصرية ، ط١١ .

٤٦- أحمد شلبي:" مقارنة الأديان اليهودية "، نشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٨، ١٩٨٨م .

٤٧- أحمد شلبي:" مقارنة الأديان المسيحية"، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٨٨م .

٤٨- أحمد شلبي:" مقارنة الأديان الإسلام"، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٨٨م .

٤٩- أحمد عبد الغفور العطار :"الديانات والعقائد في مختلف العصور" ، ١٤٠١هـ.

٥٠- أحمد عبد الوهاب :" المسيح في مصادر العقائد المسيحية " مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ .

٥١- أحمد علي زهرة: " الكلام والفلسفة عند المعتزلة والخوارج " ، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق، ٢٠٠٤م .

٥٢- أحمد علي زهرة: " إخوان الصفا وخلان الوفا "، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤م .

٥٣- أحمد على عجيبة:" دراسات في الأديان الوثنية القديمة" ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥٤- أحمد على عجيبة:" تأثرالمسيحية بالأديان الوضعية"، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٥٥- أحمد محمد الجلي : " دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة " ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط٣ ، ٢٠٠٨م .

٥٦- أحمد مختار عمر :" معجم اللغة العربية المعاصرة " .

٥٧- أدولف إرمان :" ديانة مصر القديمة " ، ترجمة : عبد المنعم أبوبكر ومحمد شكري، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ .

٥٨- أدوين ريشاور:" تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما" ، ترجمة : يوسف شلب الشام ، دار علاء الدين ، ٢٠٠٠م .

٥٩- أرثركرسيتنسن : إيران في عهد الساسانيين، ترجمة : يحيى خشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام ، دار النهضة العربية .

٦٠- إسحاق الوراق :" الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ماصنفوه من الكتب "، نسخة محملة.

٦١- إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي : " الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية " ، قدم لها: عبد الوهاب طويلة، دار القلم ، دمشق، ١٩٩٨م .

٦٢- إسرائيل فنكلشتاين : " التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها " ، ترجمة : سعد رستم، نشر : صفحات للدراسة والنشر ، دمشق ، ٢٠١١م .

٦٣- إسرائيل ولنفنسون : " تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام "، مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م .

٦٤- أسعد السحمراني:"ترجمان الأديان"، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠٠٩م .

٦٥- أسعد السحمراني:" موسوعة الأديان الميسرة " ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ٢٠١١م.

٦٦- أسماء السويلم: " الفرق اليهودية المعاصرة " نسخة إلكترونية محملة .

٦٧- إسماعيل مظهر : ملقى السبيل في مذهب النشؤ والارتقاء ، المطبعة العصرية .

٦٨- أندريه إيمار ، جانين أوبوايه : " تاريخ الحضارات العام... الشرق واليونان القديمة" ، منشورات عويدات ، ١٩٨٦م .

٦٩- اندريه نايتون وآخرين :" الأصول الوثنية للمسيحية "، ترجمة : سميرة عزمي الزين.

٧٠- أنستاس الكرملي : " أديان العرب وخرافاتهم قبل الإسلام " ، تحقيق : وليد خالص ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م .

٧١- أنور الجندي : بحث نظرية التطور بين الدين والعلم والعقل .

٧٢- إيمان عبد ربه :" الإسلام في اليابان"، بحث تحميل إلكتروني .

٧٣- البخاري : "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وسننه وأيامه " ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ ، المكتبة الشاملة ، باب المعراج، ج٥ .

٧٤- السيد محروس : "عبادة الشيطان " نسخة إلكترونية محملة بدون بيانات .

٧٥- بركات دويدار :"موسوعة العقيدة والأديان الوحدانية"، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م .

٧٦- بطرس البستاني :" محيط المحيط "، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٨٧م .

٧٧- تاريخ الصين : " سلسلة كتب سور الصين العظيم " ، دار بناء الصين للنشر ، بكين.

٧٨- تشارلس داروين:" أصل الأنواع " ، ترجمة : مجدي محمود المليجي ، تقديم : سمير حنا صادق، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م .

٧٩- تشارلس داروين:" نشأت الإنسان والانتقاء الجنسي " ، ترجمة : مجدي محمود المليجي، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م .

٨٠- توفيق وهبي : " اليزيدية بقايا الديانة الميثرائية " ، بخزاني للثقافة والنشر .

٨١- توما الأكويني : " الخلاصة اللاهوتية " ، ترجمة : الخوري عواد، المطبعة الأدبية ، بيروت، ١٨٨١م .

٨٢- ثريا منقوش :" التوحيد في تطوره التاريخي ، التوحيد يمان" ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سوريا .

٨٣- ج. ويلتر :"الهرطقة في المسيحية " ، ترجمة : جمال سالم ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ٢٠٠٧م .

٨٤- جان بوتيرو : "الديانة عند البابليين " ، ترجمة : وليد الجادر ، مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٥م .

٨٥- جفري بارندر :"المعتقدات الدينية لدى الشعوب"، ترجمة : إمام عبد الفتاح ، مراجعة: عبد الغفار مكاوى ، مكتبة مدبولي .

٨٦- جمال حمدان : " اليهود انثروبولوجيا " ، تقديم : عبد الوهاب المسيري ، سلسلة شهرية، تصدر عن دار الهلال .

٨٧- جميل صليبا :" المعجم الفلسفي" ، طبع : دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٢م .

٨٨- " جواهر المعاني لعلي بن حرازم" ، ج٢ .

٨٩- جون هرمان راندال : "تكوين العقل الحديث" ، ترجمة : جورج طعمه ، مراجعة: برهان دجاني ، طبع : دار الثقافة ، بيروت، ط٢ .

٩٠- جيووايد نغرين :" ماني والمانوية... دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها" ، نقله إلى العربية وقدم له وزاده بالملاحق : سهيل ذكار، دار حسان للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ.
٩١- حبيب سعيد :" أديان العالم "، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة.
٩٢- الحبيب عياد : " الكلام في التوحيد" دار المدى الإسلامي، ٢٠٠٩م .
٩٣- حسن الباش : "علم مقارنة الأديانأصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله" ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
٩٤- الحسن النوبختي :" فرق الشيعة " ، عني بتصحيحه : هـ. بتي ، مطبعة الدولة ، استانبول، ١٩٣١.
٩٥- حسن محمد إبراهيم : " دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية " ، رسالة ماجستير كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، فرع العقيدة بمكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ .
٩٦- حسن نعمة:"موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة"، صف وإخراج اورينت ستار ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .
٩٧- حسين الشيخ :"اليونان" ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية.
٩٨- الحسيني الحسيني معدّى:" الأساطيرالفارسية " ،كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة.
٩٩- الحسيني الحسيني معدّى:" الأساطير الصينية واليابانية "،كنوز للنشر والتوزيع.
١٠٠- الحسيني الحسيني معدّى:"القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم " ، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م.
١٠١- حسين عطوان : الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول ، دار الجيل ، بيروت .
١٠٢- حنين عبد المسيح : "بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأرثوذكسية "، ٢٠٠٩م.
١٠٣- خزعل الماجدي: " الدين السومري"، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م .
١٠٤- خزعل الماجدي: " متون سومر" ، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م .

١٠٥- خزعل الماجدي: " بخور الآلهة "، الأهلية للنشر والتوزيع.

١٠٦- خزعل الماجدي: " أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ "، دار الشروق ، ١٩٩٧م .

١٠٧- خليل عبد الرحمن: افستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، روافد للثقافة والفنون، ط٢، ٢٠٠٨م .

١٠٨- خير الدين الزركلي : " الأعلام قاموس تراجم " ، دار العلم للملايين ، بيروت .

١٠٩- ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ، وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، ٢٠٠٧م .

١١٠- الراغب الأصفهاني : " المفردات في غريب القران" ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، لبنان .

١١١- رالف لنتون :" شجرة الحضارات قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث" ، ترجمة : أحمد فخري ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦١م.

١١٢- زهدي جار الله :" المعتزلة "، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٤م .

١١٣- زهدي جمال الدين : دراسة " عبدة الشيطان وتقديسهم للعدد ٦٦٦ الوارد في رؤيا يوحنا" ، نسخة إلكترونية محملة .

١١٤- سامي أبو شقرا: "موسوعة الأديان"، دار الاختصاص للنشر، بيروت ١٩٨٩م .

١١٥- سامي المغلوث :" أطلس الأديان "، مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

١١٦- سعد رستم :" الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم"، الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م .

١١٧- سليمان السلومي :" أصول الإسماعيلية "، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٢هـ .

١١٨- سليمان العتيق :" الصين الحضارة والثقافة "، ٢٠١١م.

١١٩- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني :" المعجم الكبير " ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، نشر : مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

١٢٠- سليمان بن محمد بن عبد الوهاب :" تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" ، تحقيق :أسامة بن عطايا العتيبي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض، ١٤٢٨هـ .

١٢١- سليمان مظهر :"قصة الديانات " ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٥هـ .

١٢٢- سميح دغيم :" أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام " ، دار الفكر العربي ، لبنان ، ١٩٩٥م .

١٢٣- سمير أديب :" تاريخ وحضارة مصر القديمة"، مكتبة الإسكندرية ، ١٩٩٧م .

١٢٤- سيد أحمد الناصري :" الإغريق تاريخهم وحضارتهم"، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢.

١٢٥- سيد القمني : " رب الثورة أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة "، رسالة دكتوراه منشورة، المركز المصري للبحوث ، ط٢ ، ١٩٩٩م .

١٢٦- سيف الدين الكاتب :" أطلس تاريخ العرب والعالم"، دار الشرق العربي ، ط٢، ١٤٣٣هـ.

١٢٧- شاهين مكاريوس :" كتاب تاريخ إيران "، دار الأفاق العربية ، ١٤٢٤هـ .

١٢٨- الشفيع الماحي : "زرادشت والزرادشتية"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت .

١٢٩- الشهرستاني :" الملل والنحل" ، تحقيق : محمد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٢هـ.

١٣٠- شيوى قوانغ :" جغرافيا الصين " ، ترجمة : محمد أبو جراد ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين، ١٩٨٧م .

١٣١- صالح بن عبد الله العبود :"عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي "، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

١٣٢- صالح صابر زغلول :" كورش الأكبر مؤسس الدولة الفارسية وأبو إيران"، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ٢٠١١م.

١٣٣- طارق خليل السعدي :" مقارنة الأديان ..دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية "، دار العلوم العربية، ١٤٢٥هـ .

١٣٤- طارق عمر على التلباني : "ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل"، رسالة ماجستير في العقيدة الجامعة الإسلامية بغزة.

١٣٥- طه الهاشمي :" تاريخ الأديان وفلسفتها "، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

١٣٦- طه باقر :" مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة تحميل الكتروني " ، بدون غلاف.

١٣٧- عباس محمود العقاد:"موسوعة عباس العقاد الإسلامية ... توحيد وأنبياء"، دار الكتاب العربي ، بيروت.

١٣٨- عباس محمود العقاد:" إبليس " ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

١٣٩- عباس محمود العقاد:"حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٣٩١هـ .

١٤٠- عباس محمود العقاد:"الله " ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .

١٤١- عباس محمود العقاد:" نشأة العقيدة الإلهية "، دار العراب للدراسات والنشر والترجمة ، دمشق ، ٢٠١٢م .

١٤٢- عباس محمود العقاد: عبد الراضي محمد عبد المحسن :" مشكلة التأليه في فكر الهند الديني"، دار الفيصل الثقافية ، الرياض، ١٤٢٢هـ .

١٤٣- عبد الرحمن الزرعي : " رجال الشيعة في الميزان " ، دار الأرقم ، الكويت، ١٩٨٣م .

١٤٤- عبد الرحمن السيوطي: "طبقات الحفاظ"، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م .

١٤٥- عبد الرحمن الوكيل :" هذه هي الصوفية" ، دار الكتب العالمية ، بيروت .

١٤٦- عبد الرحمن بدوي:"من تاريخ الإلحاد في الإسلام "، سينا للنشر ، ط٢، ١٩٩٣م .

١٤٧- عبد الرحمن بدوي:"مذاهب الإسلاميين" ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٧م .

١٤٨- عبد الرحمن بن ناصر السعدي :" القول السديد في مقاصد التوحيد" ، مجموعة التحف النفائس للنشر والتوزيع ، ١٤١٦ هـ .

١٤٩- عبد الرحمن حبنكة الميداني : "صراع مع الملاحدة"، دار القلم، دمشق ، ط٢، ١٩٨٠م.

١٥٠- عبد الرحمن عبد الخالق :" الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة " ، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٢.

١٥١- عبد الرحيم الخياط المعتزلي :"الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد " ، مقدمة وتحقيق: نيبرج ، مكتبة الدار العربية .

١٥٢- عبد الرحيم مارديني : "موسوعة الأديان الحية في العالم" .

١٥٣- عبد العزيز الدوري :" الجذور التاريخية للشعوبية" ، دار الطليعة ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨١م.

١٥٤- عبد العزيز صالح وآخرون :" موسوعة تاريخ مصر عبر العصور ، تاريخ مصر القديمة"، صدر عن : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م .

١٥٥- عبد الفتاح الزيات : " ماذا تعرف عن المسيحية؟" ، مركز الراية للنشر والإعلام ، ط٣، ٢٠٠١م .

١٥٦- عبد القاهر البغدادي: "أصول الدين"، مدرسة إلهيات بدار الفنون التركية، باستانبول، ١٣٤٦هـ .

١٥٧- عبد القاهر البغدادي:" الفرق بين الفرق"، دار الكتب العلمية .

١٥٨- عبد الله بن أبي الدنيا: "مكائد الشيطان"، نسخة الكترونية ، مكتبة المصطفى الالكترونية.

١٥٩- عبد الله الغريب: وجاء دور المجوس ، مكتبة الرضوان، ١٤٢٦هـ .

١٦٠- عبد الله دراز : "الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان"، دار القلم ، الكويت، ط٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

١٦١- عبد المجيد همو :" الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات " ، مراجعة وتدقيق : إسماعيل الكردي ، الأوائل للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م .

١٦٢- عبد الملك بن هشام : " السيرة النبوية "، ضبط : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت.

١٦٣- عبد المنعم الحفني:" موسوعة الفلسفة والفلاسفة"، مكتبة مدبولي، ٢٠١٠م .

١٦٤- عبد المنعم الحفني:" الموسوعة الصوفية "، دار الرشاد، ١٩٩٢م .

١٦٥- عبد المنعم فؤاد : "قضية الألوهية في الأسفار اليهودية "، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٤م.

١٦٦- عبد الناصر حسو :" اليزيدية وفلسفة الدائرة" ، دار التكوين ، دمشق ، ٢٠٠٨م .

١٦٧- عبد الوهاب المسيري :" موسوعة اليهود واليهودية " ، نسخة إلكترونية محملة من موقع الدكتور / عبد الوهاب المسيري .

١٦٨- عرفان عبد الحميد:" النصرانية " ، دار عمار ، عمان، ١٤٢٠هـ

١٦٩- عصام الدين الفقي :" بلاد الهند في العصر الإسلامي " ، عالم الكتب ، ١٩٨٠م.

١٧٠- " العقيدة والقانون في فلسفة زرادشت " ، تحميل الكتروني .

١٧١- علي المسعودي :" مروج الذهب ومعادن الجواهر "، تحقيق : محمد عبد الحميد، دار الفكر العربي ، ط٥ ، ١٣٩٣هـ .

١٧٢- علي الحلبي الأثري :" العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون "، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة .

١٧٣- علي حمود العبادي :"الولاية التكوينية محاضرات آية الله العلامة السيد كمال الحيدري"، دار فرقد.

١٧٤- علي عبد الواحد وافي :"الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام " ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

١٧٥- عماد: "عبدة الشيطان بحث شامل حول طائفة عبدة الشيطان "، نسخة الكترونية.

١٧٦- عمار قربي :" الديانة الأيزيدية "، المنظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سوريا، نسخة الكترونية.

١٧٧- عيسى الحسن: "موسوعة الحضارات"، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧م.

١٧٨- غوستاف لوبون: "حضارات الهند " ، نقله للعربية : عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، ٢٠٠٩م .

١٧٩- غوستاف لوبون: " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى "، ترجمة: عادل زعيتر،دراسة: محمود النجيرى، دار طيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م.

١٨٠- غيزا فيرم : " النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت " ، ترجمة : سهيل زكار، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م .

١٨١- ف.دياكوف ، س.كوفاليف:"الحضارات القديمة"، ترجمة :نسيم اليازجي، دار علاء الدين.

١٨٢- فؤاد حسنين علي :" إسرائيل عبر التاريخ ... في البدء" ، دار النهضة العربية .

١٨٣- فؤاد عبد الباقي :" المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" .

١٨٤- فاروق عمر :" التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشريين" ، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٨٥م .

١٨٥- فتحي محمد الزغبي :" تأثر اليهودية بالأديان الوثنية " ، تقديم : يحي فرغل ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، ١٤١٤هـ .

١٨٦- فخر الدين الرازي :"اعتقادات فرق المسلمين والمشركي"، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .
١٨٧- فراس السواح:"كتاب الرحمن والشيطان (الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية القديمة)"، دار علاء الدين للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م .
١٨٨- فراس السواح:" ميلاد الشيطان" نسخة الكترونية بدون بيانات .
١٨٩- فراس السواح:" دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني" ، دار علاء الدين، ط٤ ، ٢٠٠٢م .
١٩٠- فراس السواح:" الوجه الآخر للمسيح"، دار علاء الدين، ٢٠٠٤م .
١٩١- فرج الله عبد الباري:" موسوعة العقيدة والأديان العقيدة الدينية نشأتها وتطورها"، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ٢٠٠٦م .
١٩٢- فرج الله عبد الباري:" اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري " ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
١٩٣- فريدريك نيتشة: "هكذا تكلم زرادشت"، ترجمة : فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، ١٩٣٨م .
١٩٤- فلاح بن أحمد :" العلاقة بين التشيع والتصوف "، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، ١٤١١هـ .
١٩٥- فلاديمير جيكارنتس :" الخير والشرلعبة الثنوية" ، ترجمة : ريما علاء الدين ، دار علاء الدين، ط٤ ، ٢٠١٢م .
١٩٦- فوزي درويش : " الشرق الأقصى الصين واليابان " ، ط٣ ، ١٩٨٧م .
١٩٧- فوزي مكاوي :" تاريخ العالم الإغريقي وحضارته"، دار الرشاد الحديثة، ١٤٠٠هـ.
١٩٨- فيليب حتي :" العرب تاريخ موجز"، نشر : دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٩٩١م.
١٩٩- القاضي الباقلاني :" تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل" ، تحقيق : عماد الدين حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، ١٤٠٧هـ .

٢٠٠- القاضي عبد الجبار:" المغني في أبواب التوحيد" ، تحقيق : محمود الخضيري .
٢٠١- قاموس الكتاب المقدس : نخبة من أساتذة اللاهوتيين .
٢٠٢- كارل بروكلمان : " تاريخ الشعوب الإسلامية " ، نقله إلى العربية : نبيه فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٦٨م .
٢٠٣- كامل سعفان:" معتقدات آسيوية (العراق- فارس . الهند . الصين . اليابان) ، دار الندى، ١٤١٩هـ .
٢٠٤- كامل سعفان:" اليهود تاريخ وعقيدة " ، دار الاعتصام .
٢٠٥- لاو تسو :" التاو... تي . تشينغ... إنجيل الحكمة التاوية في الصين " ، ترجمة وشرح وتعليق : فراس السواح ، نشر دار علاء الدين ، ط١، ١٩٩٨م .
٢٠٦- لاو تسو :" لمحات عن أديان العالم " ، ترجمة : صادق الركابي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ٢٠٠٧م .
٢٠٧- ماجد محمد شبالة :" الشرك بالله أنواعه وأحكامه"، دارالإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.
٢٠٨- ماكس فرايهير فون وآخرون : " البدو " ، تحقيق : ماجد شبر ، الوراق .
٢٠٩- مجدي كامل: "زرادشت الذي حير العالم وحقيقة الزرادشتية "، دار الكتاب العربي دمشق ، القاهرة، ٢٠١١م .
٢١٠- محمد أبو زهرة:"مقارنات الأديان ... الديانات القديمة" ، دار الفكر العربي .
٢١١- محمد الخطيب :"الحركات الباطنية في العالم الإسلامي"، رسالة دكتوراة منشورة، مكتبة الأقصى،عمان ، ١٤٠٤هـ .
٢١٢- محمد الديلمي :" بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد"، تصحيح ، ر.شدوطمان ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٢١٣- محمد الرازي : "مختار الصحاح " ، عن دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٢١٤- محمد السيد الجليند :" قضية الألوهية بين الدين والفلسفة ، مع تحقيق : كتاب التوحيد لابن تيمية "، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

٢١٥- محمد العبده، وطارق عبد الحليم :" المعتزلة بين القديم والحديث" ، دار الأرقم ، برمنجهام .

٢١٦- محمد العثيمين : " فتح البرية بتلخيص الحموية " نسخة إلكترونية بدون بيانات .

٢١٧- محمد المسير : "عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني " ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، ١٤١٩هـ .

٢١٨- محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي:" التبيان في أقسام القرآن" ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.

٢١٩- محمد بن احمد الأزهري :" تهذيب اللغة" ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .

٢٢٠- محمد بن احمد البيروني :" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة "، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد ، الهند ، ١٣٧٧هـ .

٢٢١- محمد بن أحمد الذهبي : " سير أعلام النبلاء " ، رتبه : حسان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية .

٢٢٢- محمد بن جرير الطبري: "تاريخ الأمم والملوك... تاريخ الطبري"، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية .

٢٢٣- محمد بن سعد الزهري : " الطبقات الكبرى " ، تحقيق : على محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٢٢٤- محمد بن طاهر البيروتي : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، دار الصحوة .

٢٢٥- محمد بن علي الشوكاني : " فتح القدير" ، حققه : عبد الرحمن عميرة .

٢٢٦- محمد بن مالك: كشف أسرار الباطنية، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، مكتبة الساعي .

٢٢٧- محمد بن يزيد القزويني :" سنن ابن ماجه" ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٩هـ.

٢٢٨- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي :"القاموس المحيط " ، تحقيق : محمود مسعود احمد ، شركة أبناء شريف الأنصاري ، صيدا ، لبنان ، ٢٠١١م / ١٤٣٢هـ.
٢٢٩- محمد حجازي محمد : " نحو دراسة في جغرافيا مصر " ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
٢٣٠- محمد حمزة :" نشأة الفرق الإسلامية "، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق ، ١٤٢٦هـ .
٢٣١- محمد خليفة حسن : " تاريخ الديانة اليهودية "، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٩٨م .
٢٣٢- محمد رضا القهوجي :" مقارنة الأديان" ،دار الوراق ، دار النيربين ، ١٤٢٩هـ .
٢٣٣- محمد سيد المسير : عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني ، دار الوفاء، ١٤١٩هـ .
٢٣٤- محمد ضاهر :" الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر؟" ، دار الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م .
٢٣٥- محمد ضياء الرحمن الأعظمي :" فصول في أديان الهند وعلاقة التصوف بها" ، دار البخاري للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ .
٢٣٦- محمد عبد الحميد الحمد : " الزندقة والزنادقة تاريخ وفكر " ، دار الطليعة ، دمشق ، ١٩٩٩م .
٢٣٧- محمد عثمان الخشت:"العقائد الكبرى بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء " ، دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م.
٢٣٨- محمد عثمان الخشت:" مدخل إلى فلسفة الدين " ، دار القباء للطباعة والنشر .
٢٣٩- محمد عزت الطهطاوي :" النصرانية في الميزان" ، دار القلم ، دمشق.
٢٤٠- محمد عطا الرحيم : " عيسى المسيح والتوحيد " ، ترجمة : عادل محمد ، مركز الحضارة العربية .

٢٤١- محمد علي التهانوي :" موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم " ، تقديم : رفيق العجم، تحقيق : علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م .

٢٤٢- محمد علي الحلو :" الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة" ، الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، العراق، ١٤٣٠هـ .

٢٤٣- محمد كامل الخطيب : "حرية الاعتقاد الديني "، دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م .

٢٤٤- محمد مجدي مرجان : " الله واحد أو ثالوث " ، مكتبة النافذة .

٢٤٥- محمد نعمان الجارم:" أديان العرب في الجاهلية" ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٢هـ .

٢٤٦- محمد نمر المدني :" أساطير العقل الفاسد" ، دار علاء الدين ، دمشق ، ٢٠١٣م .

٢٤٧- محمود إبراهيم السعدني :"حضارة الرومان منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الأول الميلادي"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٨م .

٢٤٨- محمود بن الشريف: "الأديان في القرآن"، دار عكاظ للطباعة، ط٣ ، ١٩٧٩م.

٢٤٩- محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، ط٦ ، ١٤٢١هـ .

٢٥٠- محمود عرفة محمود :" العرب قبل الإسلام " ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م .

٢٥١- مراد وهبه :"المعجم الفلسفي" ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٥٢- مرشد اليوسف : دوموزي ، " طاووسي ملك "، ١٩٩٩م .

٢٥٣- المركز الجامعي بالوادي، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ :"تاريخ المعتقدات والأديان"، ديانة بلاد مابين النهرين .

٢٥٤- مسعود حايفي :" مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان"، دار الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

٢٥٥- مسلم القشيري : " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم " ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ،المكتبة الشاملة .

٢٥٦- مصطفى حسن النشار : "فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية" ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ، القاهرة .

٢٥٧- مصطفى حلمي:" ابن تيمية والتصوف " ، دار الدعوة للطباعة والنشر، الإسكندرية.

٢٥٨- مصطفى حلمي: "الإسلام والأديان"، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٥٩- معاذ عليان :" عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية " ، تقديم : عبد الله سمك ، مكتبة النافذة .

٢٦٠- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية، مطابع وزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

٢٦١- ممدوح الحربي : " موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة " ، ألفا للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م .

٢٦٢- ممدوح مصطفى ، إبراهيم السايح: "مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٢٦٣- منصور عبد الحكيم : "الشيطان إبليس وصراعه مع الإنسان من خلق آدم حتى غلق باب التوبة" ، الكتاب العربي، ٢٠٠٨م .

٢٦٤- موريس كورزيه :" موسوعة تاريخ الحضارات العام"، منشورات عويدات ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

٢٦٥- موسوعة الأديان: مجموعة من المختصين، دار النفائس ، ط٥، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

٢٦٦- موسوعة الأديان في العالم : " الديانات القديمة" ، مجموعة من المختصين ، دار كريبس انترناشيونال .

٢٦٧- الموسوعة العقدية ، نسخة الكترونية .

٢٦٨- مي السديري :"حضارات" ، مكتبة فهد الوطنية أثناء النشر ، ١٤٣١هـ .

٢٦٩- ميرسياإلياد : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ترجمة : عبد الهادي عباس ، دار دمشق، ١٩٨٦م .

٢٧٠- ناجيالمعموري :" أقنعةالتوراة " ، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

٢٧١- ناصر القفاري :" أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ... عرض ونقد"، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢٧٢- نخبة من الباحثين العراقيين :" حضارة العراق " دار الجيل ، بيروت .

٢٧٣- نديم السيار : "قدماء المصريين أول الموحدين" ، ط٢ .

٢٧٤- نهاد خياطة :" الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل .

٢٧٥- نوري إسماعيل :" الديانة الزرادشتية مزديسنا " ، دار علاء الدين للنشر ، ط٧ ، ٢٠٠٩م .

٢٧٦- نوفل الطرابلسي : سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ، بيروت ، ١٨٧٦م .

٢٧٧- هـ . ج . ويلز : " موجز تاريخ العالم " ، ترجمة : عبد العزيز جاويد ، مراجعة : محمد مأمون نجا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٢٧٨- هانم يوسف :" أصل العدل عند المعتزلة"، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ .

٢٧٩- والاس بدج :" آلهة المصريين"، ترجمة: محمد حسين يونس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ .

٢٨٠- ول ديورانت:"قصة الحضارة"، ترجمة : محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

٢٨١- وليام غاي كار :" أحجار على رقعة الشطرنج" ، ترجمة : سعيد جزائرلي ، دار النفائس، ١٩٧٠م .

٢٨٢- وهبة أبو العلا : " جذور إلحادية في مذاهب لاهوتية ردولفبولطمان، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦م .

٢٨٣- ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة : أحمد قدري ، مراجعة : محمود ماهر ، دار الشروق، ١٤١٦هـ .

٢٨٤- يوسف البنعلي : " عُباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة "، المكتبة الإسلامية ، ط٢ ، ٢٠٠٤م .

– المواقع الالكترونية:

١- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية http://elazhar.com .

٢- الموسوعة العربية. http://www.arab-ency.com .

٣- مدونة ttp://illuminati.maktoobblog.com.

٤- منتديات آية http://montada.aya.sy .

٥- موقع http://forums.mazika2day.com .

٦- موقع http://www.edu-prog.com .

٧- موقع صوت العروبة http://arabvoice.com/ .

٨- موقع "صيد الفوائد" http://www.saaid.net .

٩- موقع http://ar-ar.facebook.com .

١٠- موقع http://forum.z7mh.com/t32715.html .

١١- موقع http://mb-soft.com .

١٢- موقع http://st-takla.org .

١٣- موقع http://www.leqatar.qa .

١٤- موقع http://www.mesopot.com .

١٥- موقع أزهري http://forum.azharitv.net .

١٦- موقع إسلام ويب http://fatwa.islamweb.net .

١٧- موقع إسلامي حضاري http://islamelhadary.wordpress.com

١٨- موقع الإسلام سؤال وجواب http://islamqa.info .

١٩- موقع الأطلس التاريخي للبحر المتوسط http://explorethemed.com

٢٠- موقع الألوكة http://www.alukah.net .

٢١- موقع الأمير الوليد بن طلال http://www.qwled.com.

٢٢- موقع الحق المغير للحياة http://www.lifechangingtruth.org .

٢٣- موقع الخط المجاني http://www.freelines.8k.com .

٢٤- موقع الدرر السنية http://www.dorar.net/enc .

٢٥- موقع الدليل http://aldalil.de/ar/plugins .

٢٦- الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن http://www.ahewar.org .

٢٧- موقع السرداب للمعرفة وخفاياها http://asirdabe.blogspot.com .

٢٨- موقع المعاني. لكل اسم معنى www.almaany.com.

٢٩- موقع المعرفة http://www.marefa.org .

٣٠- موقع الملحقية الثقافية في الصين: http://cn.mohe.gov.sa/ .

٣١- موقع الموسوعة العربية المسيحية =www.custodia.org/1god.

٣٢- موقعا لميلاني http://www.al-milani.com .

٣٣- موقع أنا مسلم http://www.muslm.net .

٣٤- موقع ببليكس http://www.bibalex.com .

٣٥- موقع بعنوان الاكساندرية http://alexandrie.yoo7.com/t45-topic.

٣٦- موقع تجمع طلبة جامعة الملك سعود http://www.cksu.com .

٣٧- موقع جامعة الملك سعود http://faculty.ksu.edu.sa .

٣٨- موقع جريدة الشرق الأوسط http://www.aawsat.com .

٣٩- موقع جريدة الشعب الجديد http://www.elshaab.org .

٤٠- موقع جريدة الوطن البحرينية http://www.alwatannews.net/ .

٤١- موقع جسد الثقافة http://aljsad.com .

٤٢- موقع جمعية الطوابع والمسكوكات العراقية http://www.iraqphilcoins.com .

٤٣- موقع حكومة إقليم كردستان http://www.krg.org.

٤٤- موقع دار العلوم http://daralolom.blogspot.com .

٤٥- موقع دجلة نت http://www.dijlh.net/forum.php.

٤٦- موقعر بالمجد http://others.rabelmagd.com .

٤٧- موقع شبكة البصرة http://www.albasrah.net .

٤٨- موقع صحيفة سيريا نيوز الالكترونية السورية http://www.syria-news.com.

٤٩- موقع قصة إسلامhttp://islamstory.com.

٥٠- موقع كابوس http://www.kabbos.com .

٥١- موقع كشف شبهات http://www.khayma.com.

٥٢- موقع كلمةسواء الدعوية http://www.kalemasawaa.com.

٥٣- موقع ما وراء الطبيعة http://www.paranormalarabia.com .

٥٤- موقع مجلة البيان http://albayan.co.uk.

٥٥- موقع مدونة اللغة اليابانية http://www.hasanjp.com .

٥٦- موقع مصرنا http://www.ouregypt.us .

٥٧- موقع مصر يس http://www.masress.com/.

٥٨- موقع منتدى التوحيد http://www.eltwhed.com.

٥٩- موقع منتديات عنكاوي http://www.ankawa.com .

٦٠- موقع موسوعة دهشة http://www.dahsha.com/old .

٦١- موقع موسوعة مسافر http://news.travelerpedia.net.

٦٢- موقع ميزو بوتاميا http://www.mesopot.com/old.

٦٣- موقع نحن العرب http://vb.we3rb.com .

٦٤- موقع نسيم الشام ... www.naseemalsham.com .

٦٥- موقع ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات